الدكتور مشعل عبد العزيز الفلاحي

٥

رحلة تدبر

في رحاب القرآن



من سورة مريم إلى سورة الروم




رحلة تدبر
في رحاب القرآن
٤



الطبعة الأولى
١٤٤٤هـ - ٢٠٢٢م

تُطلب جميع كتبنا من:

دار القلم - دمشق
هاتف: ٢٢٢٩١٧٧ فاكس: ٢٢٥٥٧٣٨ ص.ب: ٤٥٢٣
kalam-sy@hotmail.com

الدار الشامية - بيروت
هاتف: ٨٥٧٢٢٢ (٠١) فاكس: ٨٥٧٤٤٤ (٠١)
ص.ب: ١١٣/٦٥٠١

توزّع جميع كتبنا في السعودية عن طريق:

دار البشير - جدّة
٢١٤٦١ ص.ب: ٢٨٩٥ هاتف: ٦٦٥٧٦٢١ فاكس: ٦٦٠٨٩٠٤



رِحلةُ تدبُّرٍ

في رِحَابِ القُرآنِ

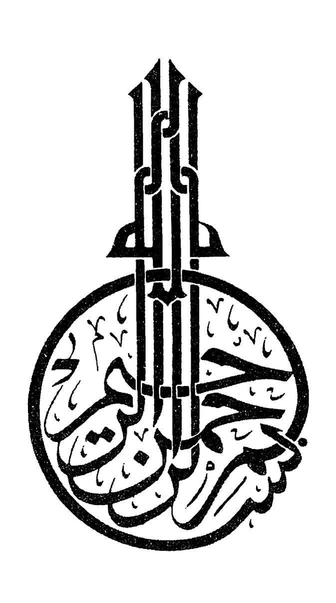


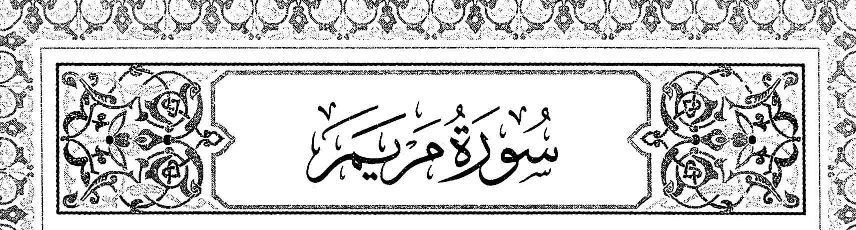
مِنْ سُورَةِ مَرْيَمَ إِلَى سُورَةِ الرُّومِ



الدكتور مشعل عبد العزيز الفلاحي







بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

كٓهيعٓصٓ ﴿١﴾ ذِكۡرُ رَحۡمَتِ رَبِّكَ عَبۡدَهُۥ زَكَرِيَّآ ﴿٢﴾ إِذۡ
نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيّٗا ﴿٣﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلۡعَظۡمُ مِنِّي
وَٱشۡتَعَلَ ٱلرَّأۡسُ شَيۡبٗا وَلَمۡ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيّٗا ﴿٤﴾
وَإِنِّي خِفۡتُ ٱلۡمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِي وَكَانَتِ ٱمۡرَأَتِي عَاقِرٗا
فَهَبۡ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيّٗا ﴿٥﴾ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنۡ ءَالِ يَعۡقُوبَۖ
وَٱجۡعَلۡهُ رَبِّ رَضِيّٗا ﴿٦﴾ يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسۡمُهُۥ
يَحۡيَىٰ لَمۡ نَجۡعَل لَّهُۥ مِن قَبۡلُ سَمِيّٗا ﴿٧﴾ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ
لِي غُلَٰمٞ وَكَانَتِ ٱمۡرَأَتِي عَاقِرٗا وَقَدۡ بَلَغۡتُ مِنَ ٱلۡكِبَرِ
عِتِيّٗا ﴿٨﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٞ وَقَدۡ خَلَقۡتُكَ
مِن قَبۡلُ وَلَمۡ تَكُ شَيۡـٔٗا ﴿٩﴾ قَالَ رَبِّ ٱجۡعَل لِّيٓ ءَايَةٗۖ قَالَ
ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٖ سَوِيّٗا ﴿١٠﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ
قَوۡمِهِۦ مِنَ ٱلۡمِحۡرَابِ فَأَوۡحَىٰٓ إِلَيۡهِمۡ أَن سَبِّحُواْ بُكۡرَةٗ وَعَشِيّٗا ﴿١١﴾

التفسير

- ﴿كٓهيعٓصٓ ۝١﴾ من الحروف المقطَّعة التي تدلُّ على إعجاز القرآن.

- ﴿ذِكْرُ﴾ سنذكر ونقصُّ عليك ﴿رَحْمَتِ رَبِّكَ﴾ لطفه ومنته ونعمته على ﴿عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ ۝٢﴾ أحد أنبياء بني إسرائيل.

- ﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ﴾ دعاه ﴿نِدَآءً خَفِيًّا ۝٣﴾ دعاءً مخفياً بينه وبين الله تعالى.

- ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي﴾ ضَعُفَ ﴿وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا﴾ كثر فيه الشيب حتى غطاه ﴿وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ۝٤﴾ محروماً، بل كلَّما دعوتك استجبت لي.

- ﴿وَإِنِّي خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِيَ﴾ الأقارب ﴿مِن وَرَآءِى﴾ من بعدي ألا يقوموا بدينك كما أمرت ﴿وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِي عَاقِرًا﴾ لا تلد ﴿فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ﴾ من عندك ﴿وَلِيًّا ۝٥﴾ يلي أمر الدين من بعدي.

- ﴿يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ﴾ في العلم والنبوة ﴿وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ۝٦﴾ مرضياً مقبولاً عند عبادك.

- ﴿يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ﴾ إجابة لطلبك ﴿لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ۝٧﴾ لم يُسَمَّ به أحد من قبل.

- ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ﴾ كيف يكون لي ولد ﴿وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِي عَاقِرًا﴾ لا تلد ﴿وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا ۝٨﴾ سنّاً لا يولد لمثله فيها.

- ﴿قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ﴾ سهل يسير ﴿وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا ۝٩﴾ من العدم.

• ﴿ قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةً ﴾ علامة على حصول هذه البشرى ﴿ قَالَ ءَايَتُكَ ﴾ علامة ذلك ﴿أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ﴿١٠﴾﴾ ألا تستطيعَ كلام الناس ثلاثَ ليالٍ من غير علة.

• ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ﴾ حين حُبس لسانه عن الكلام ﴿مِنَ ٱلْمِحْرَابِ﴾ المصلى الذي يصلي فيه ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ﴾ إشارة دون نطق ﴿أَن سَبِّحُواْ﴾ اذكروا الله ﴿بُكْرَةً﴾ في الصباح ﴿وَعَشِيًّا ﴿١١﴾﴾ وفي المساء.

التدبر

١ ـ القصة تأتي على مرادك بأقل كلفة وأيسر طريق ﴿كٓهيعٓصٓ ﴿١﴾ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ ﴿٢﴾﴾.

٢ ـ ركِّز في كلمتك وخطبتك ورسالتك على قصة مختصرة تُلفت بها انتباه قرائك وسامعيك، وتأتي منها على مقصودك في الوقت ذاته ﴿كٓهيعٓصٓ ﴿١﴾ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ ﴿٢﴾﴾.

٣ ـ حتَّى في حديثك إلى ولدك وزوجك أَدْلِفْ إلى قلوبهم من خلال القصة، وتصل رسالتك من خلالها بإمعان ﴿كٓهيعٓصٓ ﴿١﴾ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ ﴿٢﴾﴾.

٤ ـ من فقه الدعاء أن تدلفَ إلى ربك بظروفك وفقرك وحاجتك وتلقي بها بين يدي الله تعالى ﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ﴿٣﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴿٤﴾﴾.

٥ ـ يا الله! ما أفقهه! ألقى بظروفه بين يدي ربه؛ وتوسَّل إليه بأنه لم يَحْدُثْ أنْ عاد خائباً في شيء رجاه منه ﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ۝٣ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ۝٤﴾.

٦ ـ ﴿وَإِنِّي خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِى وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝٥ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ۖ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ۝٦﴾ رسالة في هموم الكبار!

٧ ـ ما قضيتك التي تشغلك! وهمومك التي ترزح في قلبك! وشجونك التي تستولي على مشاعرك! ﴿وَإِنِّي خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِى وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝٥ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ۖ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ۝٦﴾ خاف هذا الكبير ألا تقوم قرابته بهمومه بعد موته فسأل الله تعالى مُلحَّاً أن يرزقه من يحمل تلك الهموم بعد الرحيل، ويمضي بها في العالمين!

٨ ـ لم يودِّع شيخنا ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ الدنيا حتى وزَّع فنون العلم على طلابه وفي المسجد ذاته، فانداحت بعد رحيله الأفراح ﴿وَإِنِّي خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِى وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝٥ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ۖ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ۝٦﴾.

٩ ـ إذا لم يهبك الله تعالى ولداً من صلبك يرعى شجونك بعد موتك، فولد العلم يأتي على أمانيك كما تريد ﴿وَإِنِّي خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِى وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝٥ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ۖ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ۝٦﴾.

١٠ ـ إن كنت طالب علم فرتِّب من يستوعب درسك وفنك ومجالك، وإن كنت صاحب مال فألق به في تأهيل طالب علم، وستجري عليك أحلام الدارين

﴿وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِن وَرَاءِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝٥ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ۝٦﴾.

١١ ـ حين يخرج دعاؤك من فجاج قلبك ومشاعرك يدق باب الفرج، وتأتي أحداثه كالغيث على أرض مجدبة ﴿يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ۝٧﴾.

١٢ ـ من واجب ولدك عليك أن تختار له اسماً حسناً على الألسن، ومقبولاً في النفوس ﴿يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ۝٧﴾.

١٣ ـ إذا رأيت أسرتك أو مجتمعك تتهافت على بعض الأسماء فانزع باسم يكون قصيداً في مسرح الشعراء ﴿يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ۝٧﴾.

١٤ ـ كان آباؤنا يسمون أسماء غريبة موحشة، فجاء الجيل الجديد بأسماء أجنبية. عارٌ على تاريخ هذا الجيل ﴿يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ۝٧﴾ وهكذا يقع الإنسان بين نقيضين، لا يكاد ينفك عنهما (إفراطٌ وتفريط).

١٥ ـ إن بقي الحال على ما هو عليه في أسماء البنات خاصة؛ فسيأتي جيل غربي في أعظم الدلائل عليه (اسمه وما يعرّف به) ﴿يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ۝٧﴾.

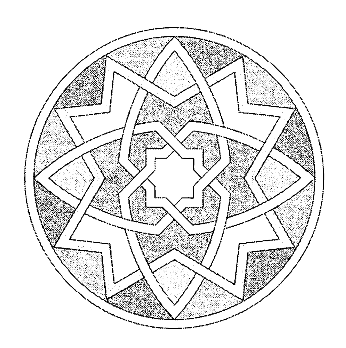
١٦ ـ (تولين، ريلام، إيلين، ميرال، أرانسي، جولين، بيلسان، كرلين، راما، نرسيان) هل تتصوَّر أن هذه أسماء بنات المسلمين وفي قعر ديارهم! ﴿يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ۝٧﴾.

١٧ ـ الاستعمار الحقيقي ليس استعمار الأرض، بل استعمال الأفكار والمفاهيم (الأسماء أنموذجاً) ﴿ يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ﴿٧﴾ ﴾.

١٨ ـ استيلاء المشاريع فنٌّ يملكه أصحاب القلوب الحية ﴿ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا ﴿٨﴾ ﴾ استغرق في مشروعه للدرجة التي سأل فيها أن يهبه الله تعالى ولداً، ونسي التبعات، فلما جاءه الخبر عاد سائلاً كيف تأتي تلك الأحداث!

١٩ ـ الأحداث المفجعة تحتاج إلى مقدِّمات تمهِّد لها ﴿ قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّىٓ ءَايَةً قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ﴿١٠﴾ ﴾.

❀ ❀ ❀



يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍۢ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ﴿١٢﴾ وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةً ۖ وَكَانَ تَقِيًّا ﴿١٣﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا ﴿١٤﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴿١٥﴾ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ ۖ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا ۚ وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿٢١﴾ ۞ فَحَمَلَتْهُ فَٱنتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٢﴾ فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ قَالَتْ يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴿٢٣﴾ فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِى قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾ وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾

التفسير

• ﴿يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ﴾ بجدٍّ واجتهاد ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ﴾ معرفة أحكام الله تعالى، والحكم بها ﴿صَبِيًّا ﴿١٢﴾﴾ في حال صغره.

• ﴿وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا﴾ رحمة ورأفة به أوجبت له تيسير أموره وصلاح حاله ﴿وَزَكَوٰةً﴾ طهارة من الذنوب ﴿وَكَانَ تَقِيًّا ﴿١٣﴾﴾ مقيماً لأوامر الله معظماً لها متجنِّباً لمعاصيه.

• ﴿وَبَرًّا بِوَٰلِدَيْهِ﴾ لطيفاً معهما، محسناً إليهما ﴿وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا﴾ متكبراً ﴿عَصِيًّا ﴿١٤﴾﴾ عاصياً.

• ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَيْهِ﴾ أمان من الآفات والعواقب ﴿يَوْمَ وُلِدَ﴾ حين ولادته ﴿وَيَوْمَ يَمُوتُ﴾ حين موته ﴿وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴿١٥﴾﴾ حين بعثه.

• ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ﴾ قُصَّ عليهم يا رسول الله سيرة هذه المرأة الصالحة ﴿إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا﴾ تباعدت عنهم ﴿مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾﴾ في الجهة الشرقية من المسجد.

• ﴿فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا﴾ ساتراً بينها وبينهم ﴿فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا﴾ جبريل ﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾﴾ جاءها في صورة إنسان.

• ﴿قَالَتْ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ﴾ أعتصم وألتجأ إلى الله منك ﴿إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾﴾ ممن يتقي الله؛ فيقوم بأمره، ويبتعد عن نهيه.

• ﴿قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ﴾ إنما أرسلني الله إليك ﴿لِأَهَبَ لَكِ﴾ بإذن الله تعالى وأمره ﴿غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾﴾ طاهراً زاكياً من الرذائل.

• ﴿قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ﴾ كيف يكون لي ولد ﴿وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ﴾ ولم يقربني زوج ﴿وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾﴾ ولست زانية.

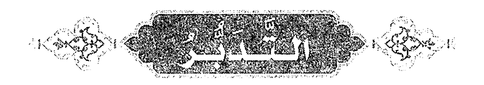
• ﴿قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ﴾ سهل يسير ﴿وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِّلنَّاسِ﴾ كونه لا أب له ﴿وَرَحْمَةً مِّنَّا﴾ لما يأتي به من الخير والهدى ﴿وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿٢١﴾﴾ قدراً مقدوراً.

• ﴿فَحَمَلَتْهُ﴾ نفخ في درع جيبها، ثــم حملته في بطنها ﴿فَانتَبَذَتْ بِهِ﴾ ابتعدت به عن أهلها ﴿مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٢﴾﴾ بعيداً.

• ﴿فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ﴾ حالة الولادة ﴿إِلَىٰ جِذْعِ النَّخْلَةِ﴾ عند جذع نخلة ﴿قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا﴾ قبل ما أنا فيه ﴿وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴿٢٣﴾﴾ لا ذكر لي.

• ﴿فَنَادَاهَا﴾ جبريل ﴿مِن تَحْتِهَا﴾ من أسفل الوادي ﴿أَلَّا تَحْزَنِي﴾ لا تجزعي ولا تخافي ﴿قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾﴾ نهراً صغيراً تشربين منه.

• ﴿وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ﴾ أي النخلــة ﴿رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾﴾ تمراً طرياً.



التدبر

١ ـ الهموم الكبيرة تحتاج إلى ناهضين يتحمّلون أثقالها، ويقومون بتبعاتها في واقع الأحداث ﴿يَا يَحْيَىٰ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا ﴿١٢﴾﴾.

٢ ـ إذا كان مشروعك مثيراً فابعث له صاحب أحلام يدفع برايته إلى المعالي ﴿يَا يَحْيَىٰ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا ﴿١٢﴾﴾.

٣ ـ أثر مشـروعك فرعٌ عن همومك ﴿يَٰيَحۡيَىٰ خُذِ ٱلۡكِتَٰبَ بِقُوَّةٖۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحُكۡمَ صَبِيّٗا ١٢﴾.

٤ ـ المشاريع الضخمة تحتاج إلى رجال يثيرون أحلامها في واقع الحياة ﴿يَٰيَحۡيَىٰ خُذِ ٱلۡكِتَٰبَ بِقُوَّةٖۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحُكۡمَ صَبِيّٗا ١٢﴾.

٥ ـ إذا أحبك الله تعالى يسّر لك الطريق ﴿وَحَنَانٗا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةٗۖ وَكَانَ تَقِيّٗا ١٣﴾.

٦ ـ من أصلح ما بينه وبين ربه، هيأ الله تعالى له أسباب الفلاح والتوفيق ﴿وَحَنَانٗا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةٗۖ وَكَانَ تَقِيّٗا ١٣ وَبَرَّۢا بِوَٰلِدَيۡهِ وَلَمۡ يَكُن جَبَّارًا عَصِيّٗا ١٤ وَسَلَٰمٌ عَلَيۡهِ يَوۡمَ وُلِدَ وَيَوۡمَ يَمُوتُ وَيَوۡمَ يُبۡعَثُ حَيّٗا ١٥﴾.

٧ ـ النهايات نتائج لتلك البدايات ﴿وَحَنَانٗا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةٗۖ وَكَانَ تَقِيّٗا ١٣ وَبَرَّۢا بِوَٰلِدَيۡهِ وَلَمۡ يَكُن جَبَّارًا عَصِيّٗا ١٤﴾.

٨ ـ إذا أردت شيئاً فأحسـن بدايات الطريق أولاً ﴿وَحَنَانٗا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةٗۖ وَكَانَ تَقِيّٗا ١٣ وَبَرَّۢا بِوَٰلِدَيۡهِ وَلَمۡ يَكُن جَبَّارًا عَصِيّٗا ١٤﴾.

٩ ـ امرأة تصنع حلمها، وتكتب واقعها، وتثير أحلامها أقصى ما يكون ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَرۡيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتۡ مِنۡ أَهۡلِهَا مَكَانٗا شَرۡقِيّٗا ١٦﴾.

١٠ ـ التاريخ صناعة يملكها كل إنسان دون النظر إلى جنسه أو لونه، أو فقره وغناه، أو صغره وكبره ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَرۡيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتۡ مِنۡ أَهۡلِهَا مَكَانٗا شَرۡقِيّٗا ١٦﴾.

١١ ـ النهايات الكبيـرة وقف على البدايات المثيـرة ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَرۡيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتۡ مِنۡ أَهۡلِهَا مَكَانٗا شَرۡقِيّٗا ١٦﴾.

١٢ ـ الذين يحسـنون البداية يعانقون أمانيهم في النهاية كما يشاؤون ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَرۡيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتۡ مِنۡ أَهۡلِهَا مَكَانٗا شَرۡقِيّٗا ١٦﴾.

١٣ ـ الحوار هو الأسلوب الأنجع لإيصال رسالتك وتحقيق هدفك ﴿فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا ۚ وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿٢١﴾﴾.

١٤ ـ كثير من قضايانا تحتاج إلى حوارٍ هـادئٍ، حتى نبلغ منها مقصودنا، ونأتي منها على أمانينا ﴿فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا ۚ وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿٢١﴾﴾.

١٥ ـ لو أن كل زوج جعل مـن القواعد والأهداف الكبرى لديـه: ألَّا يقطع رأياً في مسألةٍ من المسائل مع زوجه وولده وصديقه إلَّا بعد أن يجري لها حواراً لتحقَّقَ له ما يريـد ﴿فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا ۚ وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿٢١﴾﴾.

١٦ ـ مضت سنن الله تعالى أن لكل شيء قدراً وسبباً ﴿فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾﴾.

١٧ ـ النفوس الكبيرة لا تحتمل ما يثير الشبه حولها ﴿فَحَمَلَتْهُ فَٱنتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٢﴾ فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ قَالَتْ يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴿٢٣﴾﴾.

١٨ ـ إذا أحب الله تعالى عبداً احتفى به غاية الاحتفاء ﴿فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾ وَهُزِّيٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾﴾.

١٩ ـ لا تقلق على ما يواجهك من عقبات الطريق؛ فالله تعالى معك ﴿فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾ وَهُزِّيٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾﴾.

٢٠ ـ في عمق ظروفك ومشكلاتك وأحداث يومك تحفُّك رعاية الله تعالى، وتصنع لك الحياة ﴿فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾ وَهُزِّيٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾﴾.

٢١ ـ المهمات الشاقة تحتاج إلى عون وحسن تدبير ﴿فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾ وَهُزِّيٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾﴾.

٢٢ ـ الخطوة الأولى كفيلة بصناعة مباهج الحياة ﴿وَهُزِّيٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾﴾ ما تصنع بجذع نخلة وهي نفاس! لكنها السنن!

٢٣ ـ خطوتك الأولى باتجاه حلمك كفيلة بصناعة مستقبلك ﴿وَهُزِّيٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾﴾.

٢٤ ـ لا تنتظر على قارعة الطريق! تحرك وابحث عن المركب القادم لتبلغ أمانيك ﴿وَهُزِّيٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾﴾.

٢٥ ـ السماء لا تمطر ذهباً ولا فضة ﴿وَهُزِّيٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾﴾.

❀ ❀ ❀

فَكُلِي وَٱشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا ۖ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِيٓ
إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴿٢٦﴾
فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ ۖ قَالُوا۟ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا
فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ
أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ۖ قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي
ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي
نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ
وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي
جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ
وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾ ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قَوْلَ ٱلْحَقِّ
ٱلَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ ۖ سُبْحَٰنَهُۥٓ ۚ
إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾ وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ
فَٱعْبُدُوهُ ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٣٦﴾ فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ
بَيْنِهِمْ ۖ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٣٧﴾ أَسْمِعْ بِهِمْ
وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا ۖ لَٰكِنِ ٱلظَّٰلِمُونَ ٱلْيَوْمَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾

التفسير

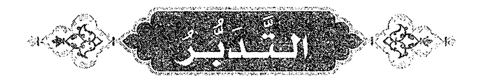
- ﴿فَكُلِي﴾ من التمر ﴿وَٱشْرَبِي﴾ من النهر ﴿وَقَرِّي عَيْنًا﴾ بما آتاك الله من الولد ﴿فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا﴾ فإذا رأيت أحداً من الناس ﴿فَقُولِيٓ﴾ له ﴿إِنِّي نَذَرْتُ﴾ أوجبت على نفسي ﴿لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا﴾ سكوتاً ﴿فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴿٢٦﴾﴾ فلن أكلم اليوم إنساناً.
- ﴿فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ قَالُوا۟ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾﴾ منكراً وخيماً.
- ﴿يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ﴾ سيئاً في حياته ﴿وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾﴾ زانية.
- ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ﴾ إلى ولدها عيسى ﴿قَالُوا۟﴾ قومها: ﴿كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾﴾ صغيراً لا يتمكن من الرد.
- ﴿قَالَ﴾ عيسى وهو في مهده وصباه: ﴿إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ﴾ عبدٌ من عبيد الله ﴿ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ الإنجيل ﴿وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾﴾ من أنبيائه.
- ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا﴾ كثير النفع للعباد ﴿أَيْنَ مَا كُنتُ﴾ في أي مكان وزمان ﴿وَأَوْصَٰنِي﴾ الله تعالى ﴿بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾﴾ مدة حياتي.
- ﴿وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِي﴾ وأمرني أن أبرَّ والدتي ﴿وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا﴾ متكبراً ﴿شَقِيًّا ﴿٣٢﴾﴾ بمعصيته ومخالفته.
- ﴿وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ﴾ أمان من الله تعالى من الآفات ﴿يَوْمَ وُلِدتُّ﴾ حين ولادتي ﴿وَيَوْمَ أَمُوتُ﴾ حين موتي ﴿وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾﴾ يوم القيامة.
- ﴿ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾ الموصوف بتلك الصفات ﴿قَوْلَ ٱلْحَقِّ﴾ ما قيل عنه ووصف به حقٌّ ثابت ﴿ٱلَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾﴾ يختلفون.

• ﴿مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ﴾ كعيسى أو غيره ﴿سُبْحَانَهُ﴾ تعالى عن ذلك ﴿إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا﴾ قدَّره ﴿فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾﴾ كائن لا محالة.

• ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ﴾ أخلصوا له العبادة ﴿هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٣٦﴾﴾ ما ذكرت من شأن العبادة؛ طريق مستقيم لا عوج فيه.

• ﴿فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ﴾ من اليهود والنصارى ﴿مِنۢ بَيْنِهِمْ﴾ فيما بينهم ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٣٧﴾﴾ يوم القيامة.

• ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ﴾ ما أسمعهم وأبصرهم ﴿يَوْمَ يَأْتُونَنَا﴾ يوم القيامة ﴿لَٰكِنِ ٱلظَّٰلِمُونَ ٱلْيَوْمَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾﴾ واضح بيِّن.



التَّدَبُّرُ

١ ـ عندما ينوء بعضكم بمهمات هذا الدين الكبرى كونوا بالقرب منه حتى يأتي على مراده ﴿فَكُلِى وَٱشْرَبِى وَقَرِّى عَيْنًا ۖ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِىٓ إِنِّى نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴿٢٦﴾﴾.

٢ ـ إذا تولى الله تعالى ولياً من أوليائه رعاه جسدياً ﴿فَكُلِى وَٱشْرَبِى﴾ وعوَّضه بمشاعر الرضا ﴿وَقَرِّى عَيْنًا﴾ ودفع عنه عقبات الطريق ﴿فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِىٓ إِنِّى نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا﴾.

٣ ـ بعض الأحداث تحتاج إلى قدرات فوق العادة ﴿فَكُلِى وَٱشْرَبِى وَقَرِّى عَيْنًا ۖ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِىٓ إِنِّى نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴿٢٦﴾﴾ خرجت إلى قومها متوكلة على ربها لا تأبه بحوادث الزمان.

٤ ـ لا تبعث أحداً في مهمة إلا وقد أبنتَ له كيف يجتاز الطريق، ويصل إلى أمانيه ﴿فَكُلِي وَٱشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِيٓ إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴿٢٦﴾﴾.

٥ ـ جزء من مشكلات القادة أنهم يُملِّكون غيرهم إداراتٍ ومشاريعَ ولا يُعينونهم حتى يبلغوا بها الأمان ﴿فَكُلِي وَٱشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِيٓ إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴿٢٦﴾﴾.

٦ ـ في بدايات الطريق كن معهم، علِّمهم الخطوات الأولى، وتكفَّل برعايتهم حتى يكبروا مع الأيام ﴿فَكُلِي وَٱشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِيٓ إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴿٢٦﴾﴾.

٧ ـ الأدلة الكافية تصفع قطاع الطريق على وجوههم، وتُلْقِمْهُمْ رماداً حارًّا ﴿فَكُلِي وَٱشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِيٓ إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴿٢٦﴾﴾.

٨ ـ إذا كنت على الطريق فلا تبالِ بمثيري الشغب ﴿فَكُلِي وَٱشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِيٓ إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴿٢٦﴾﴾.

٩ ـ إياك أن تهب شيئاً من وقتك للناعقين في الطرقات، الأدلة القادمة ستكشف القناع ﴿فَكُلِي وَٱشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِيٓ إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴿٢٦﴾﴾.

١٠ ـ واجه مشكلتك بنفسك؛ فالهروب لا يصنع لك نجاحاً ﴿فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ﴾.

١١ ـ كثير من مشكلاتنا تنتهي بالمواجهة ﴿فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ﴾.

١٢ ـ أُخْرُجْ من ضيقك وهمومك ومشكلاتك التي تحاصرك، وواقعك الذي تعيشه، وواجه أحداثك في عرض الطريق ﴿فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ﴾.

١٣ ـ لا تنشغل بالشغب الذي تناله قضيتك في البداية؛ سينتهي كل شيء ﴿فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ ۖ قَالُوا۟ يَـٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَـٰٓأُخْتَ هَـٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ۖ قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَـٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَـٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَٱلسَّلَـٰمُ عَلَىَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾﴾.

١٤ ـ إذا أردت أن تقرر بعض المسائل الكبار؛ فأَوْجِدْ لها واقعاً مختلفاً ﴿ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ ۖ سُبْحَـٰنَهُۥٓ ۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾ وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ هَـٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٣٦﴾﴾.

١٥ ـ ثمة أناس لا يمكن أن تقنعهم بشيء، قَرِّر قضيتك، ودعهم يصنعون ما يشاؤون ﴿فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ ۖ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٣٧﴾ أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا ۖ لَـٰكِنِ ٱلظَّـٰلِمُونَ ٱلْيَوْمَ فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾﴾.

١٦ ـ لن تستطيع أن تجمع كل الناس على فكرتك ومشروعك ورسالتك ﴿فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ ۖ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٣٧﴾ أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا ۖ لَـٰكِنِ ٱلظَّـٰلِمُونَ ٱلْيَوْمَ فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾﴾.

١٧ ـ وطِّن نفسك! كثيرون لا تعنيهم الأدلة والبراهين في شيء، خُلِقوا للضلال، وسيبقون ﴿فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ ۖ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٣٧﴾ أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا ۖ لَـٰكِنِ ٱلظَّـٰلِمُونَ ٱلْيَوْمَ فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾﴾.

وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ ٱلْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٤٠﴾ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى قَدْ جَآءَنِى مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِىٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِى يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ ۖ وَٱهْجُرْنِى مَلِيًّا ﴿٤٦﴾ قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيْكَ ۖ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا ﴿٤٧﴾ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُوا۟ رَبِّى عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّى شَقِيًّا ﴿٤٨﴾ فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٤٩﴾ وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴿٥٠﴾

التفسير

• ﴿وَأَنذِرْهُمْ﴾ حذِّرهم ﴿يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ﴾ الندامة ﴿إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ﴾ فعرف كل إنسان مصيره ونهايته ﴿وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ﴾ عن هذه النهايات في أيام الدنيا ﴿وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٩﴾﴾ بالله تعالى ورسوله ﷺ.

• ﴿إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ ٱلْأَرْضَ﴾ في نهاية الأمر ﴿وَمَنْ عَلَيْهَا﴾ من المخلوقين ﴿وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٤٠﴾﴾ في يوم القيامة.

• ﴿وَٱذْكُرْ﴾ يا رسول الله ﴿فِى ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ﴾ قصته وسيرته ﴿إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا﴾ من أهل الصدق في حياته كلها ﴿نَّبِيًّا ﴿٤١﴾﴾ من أنبياء الله تعالى.

• ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ﴾ آزر: ﴿يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾﴾ كيف تعبد آلهة عاجزة لا تسمع ولا تبصر ولا تنفع في شيء؟

• ﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّى قَدْ جَآءَنِى مِنَ ٱلْعِلْمِ﴾ مما أدعوك إليه ﴿مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِىٓ﴾ فيما آمرك به ﴿أَهْدِكَ﴾ أدلُّك ﴿صِرَٰطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾﴾ إلى طريقٍ مستقيم.

• ﴿يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ﴾ لا تطعه فيما يأمرك به ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾﴾ كان عاصياً لله تعالى.

• ﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ بسبب طاعتك للشيطان ﴿فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾﴾ قريناً مصاحباً في النار.

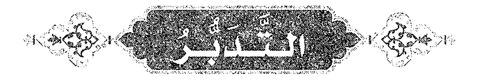
• ﴿قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِى يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ﴾ تاركٌ لآلهتي، مجانبٌ لها ﴿لَئِن لَّمْ تَنتَهِ﴾ عن هجرك لهذه الآلهة ﴿لَأَرْجُمَنَّكَ﴾ بالحجارة ﴿وَٱهْجُرْنِى مَلِيًّا ﴿٤٦﴾﴾ فارقني زمناً طويلاً.

• ﴿ قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيْكَ ﴾ لن يأتيك مني شيء تكرهه ﴿سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّيٓ ﴾ سأطلب لك المغفرة والهداية من الله تعالى ﴿إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيًّا ﴿٤٧﴾﴾ كثير البر واللطف.

• ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ سأفارقكم وأفارق آلهتكم ﴿وَأَدْعُواْ رَبِّي عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيًّا ﴿٤٨﴾﴾ خائباً خاسراً غير مجاب.

• ﴿ فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ ابتعد عنهم ﴿وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ ﴾ ولداً ﴿وَيَعْقُوبَ﴾ ابن ابنه ﴿وَكُلًّا﴾ من إسحاق ويعقوب ﴿جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٤٩﴾﴾ جعلناهم أنبياء.

• ﴿وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا ﴾ أعطيناهم النبوة والعلم والذرية ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴿٥٠﴾﴾ ثناءً حسناً على ألسنة الناس.



١ ـ لا تتوقف عن إنذار المفرِّطين، تلك وظائف الرسل، ومهمات الكبار وصانعي الحياة ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٩﴾﴾.

٢ ـ بناء التصورات والمفاهيم قضية كبرى يجب أن تأخذَ حقَّها من أوقات المصلحين ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ ٱلْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٤٠﴾﴾ كم من ضائعٍ لا يدرك هذا المعنى؟!

٣ ـ قراءة السير الذاتية للأنبياء نافذة على أطلال الكبار، وتاريخ الشرفاء، وأمجاد العظماء ﴿ وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾﴾.

٤ ـ إذا أردت أن تحمل راية أو فكرة ناهضة أو مشروعاً كبيراً في واقع أمتك؛ فأدِم النظر في سير العظماء ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ إِبْرَٰهِيمَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾﴾.

٥ ـ التاريخ صناعة! خاصة تاريخ مَنْ يصفه ويمدحه ويثني عليه ربه ومولاه ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ إِبْرَٰهِيمَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾﴾.

٦ ـ إذا أردت أن تزرع فضيلة في نفس زوجك وولدك وصديقك وطالبك؛ فافتح لهم نافذة من خلال الثناء عليه، وذكر محاسنه، وجمال أيامه ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ إِبْرَٰهِيمَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾﴾.

٧ ـ عشت زمناً مع معلم في فن من فنون العلم لا يحسن سوى التكريم! ولم أشعر يوماً واحداً معه بأسًى ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ إِبْرَٰهِيمَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾﴾.

٨ ـ ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَـٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾﴾ ﴿يَـٰٓأَبَتِ﴾ رسالة في مخاطبة المشاعر، والولوج إلى القلوب: من باب الأدب والتكريم والتقدير.

٩ ـ ﴿يَـٰٓأَبَتِ﴾ رغم كفره وشركه وبعده وإبائه؛ فما أنتم صانعون بآبائكم يا أهل الإيمان؟!

١٠ ـ الحوار فن يحتاج إلى حسن إدارة ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَـٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾ يَـٰٓأَبَتِ إِنِّى قَدْ جَآءَنِى مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِىٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَـٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَـٰنَ ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَـٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَـٰٓأَبَتِ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَـٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَـٰنِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾﴾.

١١ ـ حين يكون التكرار فنّاً يُعَلِّمُهُ الكبار للأجيال! ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَـٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾ يَـٰٓأَبَتِ إِنِّى قَدْ جَآءَنِى مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ

فَٱتَّبِعۡنِيٓ أَهۡدِكَ صِرَٰطٗا سَوِيّٗا ﴿٤٣﴾ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ عَصِيّٗا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيۡطَٰنِ وَلِيّٗا ﴿٤٥﴾﴾ ﴿يَٰٓأَبَتِ﴾ أربع مرات ولم تزد السياق إلا ثراءً!

١٢ ـ تأمل هذا الموقف من والد لولده ﴿قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنۡ ءَالِهَتِي يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُۖ لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ لَأَرۡجُمَنَّكَۖ وَٱهۡجُرۡنِي مَلِيّٗا ﴿٤٦﴾﴾ ثم اقرأ كيف اســتقبل الولد هذا الإباء ﴿قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيۡكَۖ سَأَسۡتَغۡفِرُ لَكَ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيّٗا ﴿٤٧﴾﴾.

١٣ ـ من قال لك بأن من مصلحة الدين ممارسة الدعوة في أوساط البطالين كل حين؟! ﴿وَأَعۡتَزِلُكُمۡ وَمَا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدۡعُواْ رَبِّي عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيّٗا ﴿٤٨﴾﴾ الاعتزال منهج يثريه الأنبياء في تلك المساحات.

١٤ ـ مصلحة الدعوة ليست شــمّاعة نُعلِّقها متى ما طابت لنا مسامرة الأصحاب؛ بل هي منهج تقرره الشريعة ﴿وَأَعۡتَزِلُكُمۡ وَمَا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدۡعُواْ رَبِّي عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيّٗا ﴿٤٨﴾﴾.

١٥ ـ المنهج يعلِّمك الاســتعلاء ﴿وَأَعۡتَزِلُكُمۡ وَمَا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدۡعُواْ رَبِّي عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيّٗا ﴿٤٨﴾﴾.

١٦ ـ قراءة سيرة الكبار مدرسة في الاستعلاء ﴿وَأَعۡتَزِلُكُمۡ وَمَا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدۡعُواْ رَبِّي عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيّٗا ﴿٤٨﴾﴾.

١٧ ـ أراد ليلة أن يتفسَّــح مع أصدقائه في مزرعة أو استراحة مجاورة، ولا يخلو المجلس من منكرات قولية وفعلية، لكنه استطاب مسامرة الأصدقاء وأَنِسَ بهم وعاد رفيقاً لهم مع الأيــام ﴿وَأَعۡتَزِلُكُمۡ وَمَا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدۡعُواْ رَبِّي عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيّٗا ﴿٤٨﴾﴾ ثم لاحت فيه آثار القصور، فلم يعد يأتي الصلاة لوقتها، وبدأ يأخذ من شعرات وجهه، ويتخلَّف عن بعض مشاهد الفضيلة،

وفي النهاية شارك مأزوراً في حفلات الباطل، وباركها وَكَثَّرَ سوادها، هذه نتائج التفريط في هذه القيمة!

١٨ ـ كل من رأيته يتهاون في قيمة الاستعلاء على مواطن الباطل فارصد له مشاهد مخزية في قادم الأيام إن لم يتداركه الله تعالى بفضلٍ منه ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُواْ رَبِّي عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيًّا ﴿٤٨﴾﴾.

١٩ ـ يخرجون من المنكر ويستغيثون بالله.. ما أروعهم! ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُواْ رَبِّي عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيًّا ﴿٤٨﴾﴾.

٢٠ ـ تعظيم شعائر الله تعالى موجبٌ للكرامات ﴿فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٤٩﴾ وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴿٥٠﴾﴾ يخرج من المنكرات؛ فتنهال عليه البركات.

٢١ ـ خطوتك الأولى هي التي تصنع حاضرك ومستقبلك ﴿فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٤٩﴾ وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴿٥٠﴾﴾ اعتزَلَ؛ ثم جاءت الهبات!

٢٢ ـ إذا دار منكر في واقعك؛ فتذكَّر مواقف هذا الكبير، وخواتيم ذلك الاستعلاء ﴿فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٤٩﴾ وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴿٥٠﴾﴾ إما أن تصنعَ فيه واقعاً بهيجاً من خلال التغيير، وإما أن تستعلي عليه بالاعتزال!

❀ ❀ ❀

وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ مُوسَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥١﴾ وَنَٰدَيْنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَٰهُ نَجِيًّا ﴿٥٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥ مِن رَّحْمَتِنَآ أَخَاهُ هَٰرُونَ نَبِيًّا ﴿٥٣﴾ وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥٤﴾ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا ﴿٥٥﴾ وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ إِدْرِيسَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٥٦﴾ وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴿٥٧﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَٱجْتَبَيْنَآ ۚ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَبُكِيًّا ۩ ﴿٥٨﴾

۞ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْـًٔا ﴿٦٠﴾ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ وَعْدُهُۥ مَأْتِيًّا ﴿٦١﴾ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَٰمًا ۖ وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿٦٢﴾ تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِى نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا ﴿٦٣﴾ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ ۖ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ ۚ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴿٦٤﴾ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾

التفسير

• ﴿وَٱذۡكُرۡ﴾ يا رسول الله ﴿فِي ٱلۡكِتَٰبِ مُوسَىٰٓۚ﴾ قصته وخبره ﴿إِنَّهُۥ كَانَ مُخۡلَصٗا﴾ اختاره الله واستخلصه واصطفاه ﴿وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا ٥١﴾ جمع الله له بين النبوّة والرسالة.

• ﴿وَنَٰدَيۡنَٰهُ﴾ كلّمناه ﴿مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ﴾ الجبل ﴿ٱلۡأَيۡمَنِ﴾ بالنسبة لموقع موسى عليه السلام ﴿وَقَرَّبۡنَٰهُ﴾ أدنيناه ﴿نَجِيّٗا ٥٢﴾ حال مناجاته لنا.

• ﴿وَوَهَبۡنَا لَهُۥ مِن رَّحۡمَتِنَآ﴾ من لطفنا به؛ وإكرامنا له ﴿أَخَاهُ هَٰرُونَ نَبِيّٗا ٥٣﴾ جعلنا هارون نبيّاً.

• ﴿وَٱذۡكُرۡ﴾ يا رسول الله ﴿فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِسۡمَٰعِيلَۚ﴾ قصته وخبره ﴿إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلۡوَعۡدِ﴾ يفي به؛ ولا يخلفه ﴿وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا ٥٤﴾ جمع الله له بين النبوّة والرسالة.

• ﴿وَكَانَ يَأۡمُرُ أَهۡلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ﴾ بأدائها كما أمر الله تعالى ﴿وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرۡضِيّٗا ٥٥﴾ محبوباً مرضيّاً عنه.

• ﴿وَٱذۡكُرۡ﴾ يا رسول الله ﴿فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِدۡرِيسَۚ﴾ قصته وخبره ﴿إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا﴾ من أهل الصدق ﴿نَّبِيّٗا ٥٦﴾ نبيّاً من أنبياء الله تعالى.

• ﴿وَرَفَعۡنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ٥٧﴾ ذكراً ومنزلة.

• ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ من مرَّ ذكرهم ﴿ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم﴾ بفضله وإحسانه ﴿مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنۡ حَمَلۡنَا مَعَ نُوحٖ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنۡ هَدَيۡنَا﴾ إلى الحق ﴿وَٱجۡتَبَيۡنَآۚ﴾ اصطفينا ﴿إِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُ ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾ إذا قرئ عليهم القرآن ﴿خَرُّواْۤ سُجَّدٗا﴾ سجدوا لله تعالى ﴿وَبُكِيّٗا۩ ٥٨﴾ يبكون خشية لله تعالى.

- ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ﴾ جاء من بعدهم قوم ﴿أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ لم يقيموها ﴿وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِ﴾ فعلوا ما تشتهيه أنفسهم ﴿فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا ۝٥٩﴾ عذاباً شديداً.

- ﴿إِلَّا مَن تَابَ﴾ مما فعل ﴿وَءَامَنَ﴾ بالله تعالى وبرسوله ﴿وَعَمِلَ صَٰلِحٗا﴾ مما يُتقَرَّبُ به إلى الله ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ﴾ يوم القيامة ﴿وَلَا يُظۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا ۝٦٠﴾ من أعمالهم.

- ﴿جَنَّٰتِ عَدۡنٍ﴾ إقامة دائمة ﴿ٱلَّتِي وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلۡغَيۡبِ﴾ أي الجنة التي وعدهم إياها وعداً غائباً لم يروه ﴿إِنَّهُۥ كَانَ وَعۡدُهُۥ مَأۡتِيّٗا ۝٦١﴾ لا بدَّ من وقوعه.

- ﴿لَّا يَسۡمَعُونَ فِيهَا﴾ في الجنة ﴿لَغۡوًا﴾ كلاماً لاغياً لا فائدة فيه ﴿إِلَّا سَلَٰمٗا﴾ قولاً سالماً من النقص والعيب ﴿وَلَهُمۡ رِزۡقُهُمۡ فِيهَا﴾ أكلهم وشربهم فيها ﴿بُكۡرَةٗ﴾ في الصباح ﴿وَعَشِيّٗا ۝٦٢﴾ في المساء.

- ﴿تِلۡكَ ٱلۡجَنَّةُ ٱلَّتِي نُورِثُ مِنۡ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيّٗا ۝٦٣﴾ نجعلها ميراثاً لأهل التقوى.

- ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمۡرِ رَبِّكَ﴾ أي جبريل لا ينزل إلا بأمر ربه تعالى ﴿لَهُۥ مَا بَيۡنَ أَيۡدِينَا وَمَا خَلۡفَنَا وَمَا بَيۡنَ ذَٰلِكَ﴾ لا يغيب عنه منها شيء ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيّٗا ۝٦٤﴾ ناسياً لشيء أو تاركاً له.

- ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا﴾ كلُّها تحت ملكه وتصرفه ﴿فَٱعۡبُدۡهُ﴾ أخلص له العبادة ﴿وَٱصۡطَبِرۡ لِعِبَٰدَتِهِۦ﴾ اصبر عليها، وجاهد نفسك فيها ﴿هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا ۝٦٥﴾ مثيلاً، أو شبيهاً، أو نظيراً.

التدبر

١ ـ افقه ما تقرأ! هذا ثناء ربك على رسوله وكليمه ﷺ ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مُوسَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥١﴾﴾.

٢ ـ من كمال عقلك ووعيك أن تتَّبع مواطن سير الكبار في كتاب ربك؛ وتقرأ مآثرهم وأحداث واقعهم ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مُوسَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥١﴾﴾.

٣ ـ إذا صدقت مع ربك أقبلتْ إليك عطاياه تتهادى في الطريق ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مُوسَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥١﴾ وَنَٰدَيْنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَٰهُ نَجِيًّا ﴿٥٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥ مِن رَّحْمَتِنَآ أَخَاهُ هَٰرُونَ نَبِيًّا ﴿٥٣﴾﴾.

٤ ـ لا تسل كيف وصلوا! من سار على الطريق عانق أمانيه ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مُوسَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥١﴾ وَنَٰدَيْنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَٰهُ نَجِيًّا ﴿٥٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥ مِن رَّحْمَتِنَآ أَخَاهُ هَٰرُونَ نَبِيًّا ﴿٥٣﴾﴾.

٥ ـ حدِّثني عن خطواتك في اقتفاء آثار الأنبياء؛ وسأحدثك عن آمالك التي تنتظرك في قادم الأيام ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مُوسَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥١﴾ وَنَٰدَيْنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَٰهُ نَجِيًّا ﴿٥٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥ مِن رَّحْمَتِنَآ أَخَاهُ هَٰرُونَ نَبِيًّا ﴿٥٣﴾﴾.

٦ ـ الأعمال المثيرة والأحداث الكبيرة تتحدث نيابة عن أصحابها ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥٤﴾ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا ﴿٥٥﴾﴾.

٧ ـ ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥٤﴾ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا ﴿٥٥﴾﴾ رسالةٌ في أنَّ أثمن ما فيك هو أبرز ما تُعرف به! مشروع العمر ذو الفكرة والمفهوم!

٨ ـ ﴿إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ﴾ نحتاج أن نقيم لها عرساً في زمن التخلف!

٩ ـ يأسرك ذلك الذي لم يتخلَّف عن موعده، ولم يتأخر يوماً، ولم يأتِ في عداد الفوضويين ﴿إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ﴾.

١٠ ـ لم نعد نرى تلك القدوات التي تثير في نفوسنا هذه المعاني ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥٤﴾ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا ﴿٥٥﴾﴾.

١١ ـ رأيت بعضهم من سنين طويلة لم يتخلف أحدٌ مِنْ أولاده عن المسجد، وآخرين لم يَصْحبوا أولادهم إليه إلا نادراً ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥٤﴾ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا ﴿٥٥﴾﴾.

١٢ ـ بقايا من قدوة في زمانٍ قَلَّ فيه الصادقون ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِدْرِيسَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٥٦﴾ وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴿٥٧﴾﴾.

١٣ ـ الصدق سمة الكبار ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِدْرِيسَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٥٦﴾ وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴿٥٧﴾﴾ وفي حديث نبيك ﷺ: «**أنا زعيم ببيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحاً**»[1]. وفي سنن أبي داود من حديث عبد الله بن عامر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: دعتني أمي يوماً ورسولُ اللهِ ﷺ قاعدٌ في بيتنا، فقالت: ها تعال أعطيك، فقال لها ﷺ: «**وما أردتِ أن تعطيه؟**» قالت: أعطيه تمراً!! فقال ﷺ: «**أما إنَّكِ لو لم تعطِهِ شيئاً كُتبتْ عليك كذبةٌ**». هكذا تزن الشريعة الخلل في مقام الصدق؛ وتحاسب عليه.

١٤ ـ هؤلاء صناع الحياة في أمتك؛ فمن يرابط على مشاهد القدوة من تلك الذكريات؟ ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّۦنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَٱجْتَبَيْنَآ ۚ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَبُكِيًّا ۩ ﴿٥٨﴾﴾.

١٥ ـ من فقهك بدرس القدوة أن تتَّبع سير هؤلاء، وتأخذ منهم معالم تلك الأحداث حتى تُصبح واقعاً في حياتك ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّۦنَ مِن

---

(١) رواه أبو داود رقم (٤٨٠٠) عن أبي أمامة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بإسناد صحيح.

ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَٱجْتَبَيْنَآ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّواْ سُجَّدًا وَبُكِيًّا ۩ (٥٨)﴾.

١٦ ـ الذل والخشوع والافتقار إلى الله تعالى من سيما تلك القدوات ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَٱجْتَبَيْنَآ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّواْ سُجَّدًا وَبُكِيًّا ۩ (٥٨)﴾.

١٧ ـ ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا (٥٩)﴾ أجيال الضياع!

١٨ ـ أي أسـرة أو مجتمع أو حتى دولة اجتمع في أجيالها إضاعة الصلاة واتباع الشهوات؛ فمصيرها الضياع ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا (٥٩)﴾.

١٩ ـ ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا (٥٩)﴾ الأجيال التي تضيِّع الصلاة غالباً ما تكون سادرة في الشهوات!

٢٠ ـ الأصل إذا تخلفت الصلاة من واقع إنسان لم تعقبها إلا الفوضى ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا (٥٩)﴾.

٢١ ـ التوبة تأتي على مخلفات الماضي كلِّها، وتلقي بها في ربيع العفو والغفران ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْـًٔا (٦٠) جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلْغَيْبِ إِنَّهُۥ كَانَ وَعْدُهُۥ مَأْتِيًّا (٦١) لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَٰمًا وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا (٦٢) تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِى نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا (٦٣)﴾.

٢٢ ـ التوبة التي تصدِّقها الأعمال لا توبة الدعاوى الفارغة من المضمون ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْـًٔا (٦٠) جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلْغَيْبِ إِنَّهُۥ كَانَ وَعْدُهُۥ مَأْتِيًّا (٦١) لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَٰمًا وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا (٦٢) تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِى نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا (٦٣)﴾.

٢٣ ـ سبحانه! كل مشاهد الكون تجري بإرادته وبحكمته ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ ۚ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴿٦٤﴾﴾.

٢٤ ـ يستحق ربك تعالى منك هذا الإجلال والإكرام ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾﴾.

٢٥ ـ ماذا لو أقبلت بقلبك ومشاعرك على هذا المعنى الكبير ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾﴾ ما حق هذا إلا التعظيم والتسليم!

٢٦ ـ قبل أن تبحث عن علاج لظروفك ومشكلاتك وأدوائك، يكفي أن تضعها في رحاب هذا الجلال ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾﴾.

٢٧ ـ كل شيء في هذا الكون ملك ربك، لا يخرج منه شيء ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾﴾ فلِمَ تبحث عن علاج مرضك وحلول ظروفك عند غيره تعالى!

٢٨ ـ إذا ضاقت بك الظروف والحيل؛ فيمِّمْ وجهك لصاحب الملك؛ تجد أمانيك ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾﴾.

٢٩ ـ للعبادة جهد وعناء يحتاج إلى مصابرة ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾﴾.

٣٠ ـ الذي قعد بكثيرين عن العبادة هو الجهد الذي يصحب رحلة العمل فيها ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾﴾.

٣١ ـ خذ من الصبر عوناً لقيامك بواجبات الله تعالى ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾﴾.

وَيَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ﴿٦٦﴾ أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا ﴿٦٧﴾ فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَٱلشَّيَٰطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴿٦٨﴾ ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا ﴿٦٩﴾ ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِٱلَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا ﴿٧٠﴾ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ﴿٧٣﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَٰثًا وَرِءْيًا ﴿٧٤﴾ قُلْ مَن كَانَ فِى ٱلضَّلَٰلَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ مَدًّا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا۟ مَا يُوعَدُونَ إِمَّا ٱلْعَذَابَ وَإِمَّا ٱلسَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا ﴿٧٥﴾ وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ هُدًى ۗ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا ﴿٧٦﴾

التفسير

- ﴿وَيَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ﴾ المنكر للبعث ﴿أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ﴿٦٦﴾﴾ هل أُبعَثُ بعد الموت؟!

- ﴿أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَٰنُ﴾ المنكر للبعث ﴿أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا ﴿٦٧﴾﴾ حاله أول مرَّة حين خلقناه من العدم.

- ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ﴾ هؤلاء المنكرين للبعث والحساب ﴿وَٱلشَّيَٰطِينَ﴾ الذين أغووهم، وزيَّنوا لهم الكفر ﴿ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ﴾ مع بعضهم البعض ﴿حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴿٦٨﴾﴾ جاثين على ركبهم من هول ما يرون من العذاب.

- ﴿ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ﴾ لنخرجن من كل طائفة ﴿أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا ﴿٦٩﴾﴾ أكثرهم كفراً وظلماً.

- ﴿ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِٱلَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا ﴿٧٠﴾﴾ أعلم بمن هو أولى من يصلى النار ويقاسي حرَّها من هؤلاء.

- ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ أي النار، وورودها المرور على الصراط ﴿كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ﴾ ذلك الورود ﴿حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾﴾ أمراً محتوماً قد قضاه الله تعالى.

- ﴿ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟﴾ من النار ﴿وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾﴾ جاثين فيها معذبين.

- ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ﴾ واضحات ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ﴾ منا ومنكم ﴿خَيْرٌ مَّقَامًا﴾ في الدنيا من كثرة المال والولد والرزق ﴿وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ﴿٧٣﴾﴾ أحسن مجلساً.

• ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ﴾ أمة أو جماعة ﴿هُمْ أَحْسَنُ أَثَاثًا﴾ متاعاً من متاع الدنيا ﴿وَرِءْيًا ﴿٧٤﴾﴾ أحسن منظراً.

• ﴿قُلْ مَن كَانَ فِي الضَّلَالَةِ﴾ الغواية والضلال ﴿فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَٰنُ مَدًّا﴾ فإن الله تعالى يمدُّ له في ذلك، ويتركه يسير في عماه لا يستفيق ﴿حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ﴾ في الدنيا بالقتل أو غيره ﴿وَإِمَّا السَّاعَةَ﴾ القيامة ﴿فَسَيَعْلَمُونَ﴾ حين ذلك ﴿مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا﴾ مجلساً ﴿وَأَضْعَفُ جُندًا ﴿٧٥﴾﴾ أقل عدداً.

• ﴿وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى﴾ توفيقاً وصلاحاً ﴿وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ﴾ من أعمال الخير ﴿خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا﴾ أجراً ﴿وَخَيْرٌ مَّرَدًّا ﴿٧٦﴾﴾ مرجعاً وعاقبة.



١ ـ الذي لم تقنعه دلائل الكون كلُّها سيعيش تائهاً عن الحقائق ما حيي ﴿وَيَقُولُ الْإِنسَانُ أَإِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ﴿٦٦﴾ أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا ﴿٦٧﴾﴾.

٢ ـ لو استقبل هذا الكون صادقاً للقي ألف جواب عن سؤال الضياع الذي يعيشه ﴿وَيَقُولُ الْإِنسَانُ أَإِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ﴿٦٦﴾ أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا ﴿٦٧﴾﴾.

٣ ـ هذه نهايات التيه والضلال ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴿٦٨﴾ ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا ﴿٦٩﴾ ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا ﴿٧٠﴾﴾.

٤ ـ كم من مجرم سيقاد لعرصات يوم القيامة ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴿٦٨﴾ ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا ﴿٦٩﴾ ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا ﴿٧٠﴾﴾.

٥ ـ ليتهم استدركوا قبل الفوات ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴿٦٨﴾ ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا ﴿٦٩﴾ ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا ﴿٧٠﴾﴾.

٦ ـ حملة الأفكار الضالَّة في مستنقع النهايات البائسة ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴿٦٨﴾ ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا ﴿٦٩﴾ ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا ﴿٧٠﴾﴾.

٧ ـ الجزاء من جنس العمل ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴿٦٨﴾ ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا ﴿٦٩﴾ ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا ﴿٧٠﴾﴾.

٨ ـ تخيَّل مَنْ بنى فكرة الضلال، وأغرى غيره بمواقعة الفساد، وكان رأس الضلالة! ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴿٦٨﴾ ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا ﴿٦٩﴾ ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا ﴿٧٠﴾﴾.

٩ ـ إياك أن تكون رأساً في باطل، أو قائداً في فكرة شاذة، أو مسؤولاً عن منكر من المنكرات ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴿٦٨﴾ ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا ﴿٦٩﴾ ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا ﴿٧٠﴾﴾.

١٠ ـ رأيتــه يرتِّب لمنكر، ويتواصل فــي إقامة باطل، ويدفع مــالاً لإحياء ليالي الضلال، غــداً يــرى جــزاء الاســتكبار ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا (٦٨) ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا (٦٩) ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا (٧٠)﴾.

١١ ـ إنك وارد على جسر الحسرات، فخذ من الزاد ما يعينك على مجاوزته ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا (٧١) ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا (٧٢)﴾.

١٢ ـ كل الخلائق ترد؛ والسؤال كيف تجوز؟! ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا (٧١) ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا (٧٢)﴾.

١٣ ـ هذا ناجٍ مُسَلَّمٌ، وذاك ناج مخدوش، وثالثهم مكدوسٌ في النار[1]، هذه قصة الورود على جسر الحسرات ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا (٧١) ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا (٧٢)﴾.

١٤ ـ منهم من يمر كالبرق، وآخر كالريح، وثالث كأجاويد الخيل، ورابع يمشي وخامس، وسادس، وكلّما تأخر بقاؤك عليه نالك من عذاب النار ما تود أن تفتدي منه بكلِّ ما تملك ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا (٧١) ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا (٧٢)﴾.

١٥ ـ أما ورودك فحتمٌ لا مفرَّ منه، وأما صدورك فعلى قدر عملك ﴿وَإِن مِّنكُمْ

---

(١) حديث أخرجه البخاري (٧٤٣٩) ومسلم (١٨٣) عن أبي سـعيد الخدري رضي الله عنه عن النبيّ ﷺ نضيف فيه الصــراط: «**مدحضة مزلّــة، ... المؤمن عليهــا كالطرف، وكالبــرق، وكالريح، وكأجاويد الخيل والركاب، فناج مسلم، وناج مخدوش، ومكدوس في نار جهنم، حتى يمرَّ آخرهم يسحب سحباً**».

إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾﴾.

١٦ ـ مشكلة الأفكار والمفاهيم والتصورات ما زالت تصنع واقع أصحابها ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ﴿٧٣﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَٰثًا وَرِءْيًا ﴿٧٤﴾﴾.

١٧ ـ فساد التصورات ألقى بكثيرين في مستنقع الضلال ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ﴿٧٣﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَٰثًا وَرِءْيًا ﴿٧٤﴾﴾.

١٨ ـ لا تعجب إذا رأيت الله تعالى يمدُّ لهم في الضلال ﴿قُلْ مَن كَانَ فِى ٱلضَّلَٰلَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ مَدًّا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا۟ مَا يُوعَدُونَ إِمَّا ٱلْعَذَابَ وَإِمَّا ٱلسَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا ﴿٧٥﴾﴾.

١٩ ـ من مكر الله تعالى بأصحاب الضلال أنه يمد لهم وهم لا يشعرون ﴿قُلْ مَن كَانَ فِى ٱلضَّلَٰلَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ مَدًّا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا۟ مَا يُوعَدُونَ إِمَّا ٱلْعَذَابَ وَإِمَّا ٱلسَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا ﴿٧٥﴾﴾.

٢٠ ـ في ساحات الدنيا لا تنتظر نتائج عاجلة ﴿قُلْ مَن كَانَ فِى ٱلضَّلَٰلَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ مَدًّا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا۟ مَا يُوعَدُونَ إِمَّا ٱلْعَذَابَ وَإِمَّا ٱلسَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا ﴿٧٥﴾﴾.

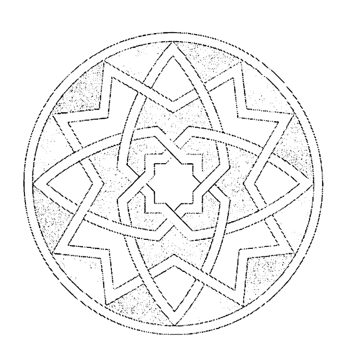
٢١ ـ ثمة موعد للنهايات تنكشف فيه الحقائق ﴿قُلْ مَن كَانَ فِى ٱلضَّلَٰلَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ مَدًّا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا۟ مَا يُوعَدُونَ إِمَّا ٱلْعَذَابَ وَإِمَّا ٱلسَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا ﴿٧٥﴾﴾.

٢٢ ـ الخطـوة الأولى تصنع لـك الحيـاة ﴿وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ هُدًى ۗ وَٱلْبَـٰقِيَـٰتُ ٱلصَّـٰلِحَـٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا ﴿٧٦﴾﴾.

٢٣ ـ ابدأ صادقاً؛ وسـتلقى مسـاحات الربيع التي تحلم بها في مستقبل أيامك ﴿وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ هُدًى ۗ وَٱلْبَـٰقِيَـٰتُ ٱلصَّـٰلِحَـٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا ﴿٧٦﴾﴾.

٢٤ ـ استثمر وقتك، وواقعك، وابنِ مجدك ولا تتواكل؛ فالحياة فرصةٌ ﴿وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ هُدًى ۗ وَٱلْبَـٰقِيَـٰتُ ٱلصَّـٰلِحَـٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا ﴿٧٦﴾﴾.

❀ ❀ ❀



أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٧٧﴾ أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴿٧٨﴾ كَلَّا ۚ سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلْعَذَابِ مَدًّا ﴿٧٩﴾ وَنَرِثُهُۥ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا ﴿٨٠﴾ وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُوا۟ لَهُمْ عِزًّا ﴿٨١﴾ كَلَّا ۚ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴿٨٢﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴿٨٣﴾ فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا ﴿٨٤﴾ يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾ وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴿٨٦﴾ لَّا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴿٨٧﴾ وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْا۟ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا ﴿٩٧﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًۢا ﴿٩٨﴾

التفسير

- ﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَـٰتِنَا﴾ جحدها ولم يؤمن بها ﴿وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٧٧﴾﴾ في الجنة زيادة لي في النعيم.
- ﴿أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ﴾ علم الغيب ﴿أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَـٰنِ عَهْدًا ﴿٧٨﴾﴾ بأنه سيحصل على ما قال.
- ﴿كَلَّا﴾ ليس الأمر كما يقول ﴿سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ﴾ سنكتب كذبه على الله ﴿وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلْعَذَابِ مَدًّا ﴿٧٩﴾﴾ نزيده عذاباً فوق عذابه.
- ﴿وَنَرِثُهُۥ مَا يَقُولُ﴾ ونرث ما تركه من مال وولد بعد هلاكه ﴿وَيَأْتِينَا فَرْدًا ﴿٨٠﴾﴾ لا أحد معه.
- ﴿وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً﴾ يعبدونهم من دونه ﴿لِّيَكُونُوا۟ لَهُمْ عِزًّا ﴿٨١﴾﴾ أعواناً ونصراء.
- ﴿كَلَّا﴾ ليس الأمر كما ظنوا ﴿سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ﴾ ستجحد هذه الآلهة عبادتهم يوم القيامة ﴿وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴿٨٢﴾﴾ عكس ما أَمَّلُوْهُ منها.
- ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَـٰطِينَ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴿٨٣﴾﴾ تحركهم وتدفعهم على فعل المعاصي، وتهيجهم إليها بقوة.
- ﴿فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ﴾ بطلب الهلاك لهم ﴿إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا ﴿٨٤﴾﴾ أيام آجالهم ومواعيد نهاياتهم.
- ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَـٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾﴾ وافدين إليه مكرمين معززين.
- ﴿وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴿٨٦﴾﴾ عطاشاً.

- ﴿لَّا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ﴾ لا أحد من هؤلاء يملك أن يشفع لأحد، ولا أحد يشفع له ﴿إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴿٨٧﴾﴾ كونه مؤمناً بالله تعالى مصدقاً برسله.

- ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾﴾ كاليهود الذين قالوا: عزير ابن الله، والنصارى الذين قالوا: المسيح ابن الله، والمشركين الذين قالوا: الملائكة بنات الله.

- ﴿لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ﴿٨٩﴾﴾ عظيماً في حق الله تعالى.

- ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾﴾ تندك من ذلك.

- ﴿أَن دَعَوْاْ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾﴾ بسبب ما قالوا في ذات الله تعالى.

- ﴿وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾﴾ لا يليق بالله تعالى ذلك.

- ﴿إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾﴾ ذليلاً منقاداً.

- ﴿لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾﴾ أحاط بعددهم لا يفوته منهم أحد.

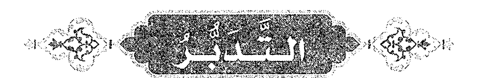
- ﴿وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾﴾ ليس معه أحد.

- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾﴾ محبة في قلوب الخلق.

- ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ﴾ أي القرآن ﴿بِلِسَانِكَ﴾ العربي ﴿لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ بما فيه من وعد الله تعالى ونعيمه.

- ﴿وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا ﴿٩٧﴾﴾ ذوي خصومة ونزاع عظيم.

• ﴿ وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم مِّن قَرۡنٍ ﴾ أمة وجماعة سابقة لهم ﴿هَلۡ تُحِسُّ مِنۡهُم مِّنۡ أَحَدٍ ﴾ هل تشعر بأحد منهم أو تراه ﴿أَوۡ تَسۡمَعُ لَهُمۡ رِكۡزَۢا ﴿٩٨﴾﴾ صوتاً خفياً.



١ ـ إذا بلغ الكبر مداه أتى على كل شيء في حياة صاحبه ﴿أَفَرَءَيۡتَ ٱلَّذِي كَفَرَ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالٗا وَوَلَدًا ﴿٧٧﴾ أَطَّلَعَ ٱلۡغَيۡبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحۡمَٰنِ عَهۡدٗا ﴿٧٨﴾ كَلَّاۚ سَنَكۡتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلۡعَذَابِ مَدّٗا ﴿٧٩﴾ وَنَرِثُهُۥ مَا يَقُولُ وَيَأۡتِينَا فَرۡدٗا ﴿٨٠﴾﴾.

٢ ـ لا تقل هذه صورة بادت مع الزمن! بل باتت تتكاثر في زماننا ﴿أَفَرَءَيۡتَ ٱلَّذِي كَفَرَ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالٗا وَوَلَدًا ﴿٧٧﴾ أَطَّلَعَ ٱلۡغَيۡبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحۡمَٰنِ عَهۡدٗا ﴿٧٨﴾ كَلَّاۚ سَنَكۡتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلۡعَذَابِ مَدّٗا ﴿٧٩﴾ وَنَرِثُهُۥ مَا يَقُولُ وَيَأۡتِينَا فَرۡدٗا ﴿٨٠﴾﴾.

٣ ـ ثمة أفرادٌ اليوم يعتدون على الذات الإلهية بأسوأ التصرفات، يسيرون في ذات الطريق ﴿أَفَرَءَيۡتَ ٱلَّذِي كَفَرَ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالٗا وَوَلَدًا ﴿٧٧﴾ أَطَّلَعَ ٱلۡغَيۡبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحۡمَٰنِ عَهۡدٗا ﴿٧٨﴾ كَلَّاۚ سَنَكۡتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلۡعَذَابِ مَدّٗا ﴿٧٩﴾ وَنَرِثُهُۥ مَا يَقُولُ وَيَأۡتِينَا فَرۡدٗا ﴿٨٠﴾﴾.

٤ ـ لا تحسب أن ما يصنعه الضالُّون يخفى على الله تعالى، كلا! إنما يضعون أنفسهم في الموبقات ﴿أَفَرَءَيۡتَ ٱلَّذِي كَفَرَ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالٗا وَوَلَدًا ﴿٧٧﴾ أَطَّلَعَ ٱلۡغَيۡبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحۡمَٰنِ عَهۡدٗا ﴿٧٨﴾ كَلَّاۚ سَنَكۡتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلۡعَذَابِ مَدّٗا ﴿٧٩﴾ وَنَرِثُهُۥ مَا يَقُولُ وَيَأۡتِينَا فَرۡدٗا ﴿٨٠﴾﴾.

٥ ـ كثيرة هي الأوهام التي بنى عليها الناس مستقبلاً، وذهبت مع الأيام ﴿ وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُوا۟ لَهُمْ عِزًّا ﴿٨١﴾ كَلَّا ۚ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴿٨٢﴾ ﴾.

٦ ـ تأجير العقول مسألة أخذت مساحتها من حياة كثيرين ﴿ وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُوا۟ لَهُمْ عِزًّا ﴿٨١﴾ كَلَّا ۚ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴿٨٢﴾ ﴾.

٧ ـ كل ما تراه من صنائع أهل الضلال إنما هي من استيلاء الشياطين ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴿٨٣﴾ فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا ﴿٨٤﴾ ﴾.

٨ ـ لا تعجب من تواردهم على المنكرات، تلك صنائع الشياطين ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴿٨٣﴾ فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا ﴿٨٤﴾ ﴾.

٩ ـ كم مرة رأيت هذه الصورة ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴿٨٣﴾ ﴾ رأي عين؟!

١٠ ـ في التراث المشؤوم لدى بعض مجتمعاتنا صورة حية لمشهد الشياطين مع الضالين ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴿٨٣﴾ ﴾.

١١ ـ لا يغرنَّكم طول أمد الكافرين، فلهم موعد مع النهايات ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴿٨٣﴾ فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا ﴿٨٤﴾ ﴾.

١٢ ـ هذه بعض مشاهد الكرامة للمتقين ﴿ يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾ ﴾ يحشرون إلى ربهم معزَّزين مكرَّمين!

١٣ ـ وهذه بعض مشاهد الخزي والنكال والعذاب ﴿ وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴿٨٦﴾ ﴾ يُساقون عطاشاً إلى مواقع الجزاء والحساب.

١٤ ـ الجـزاء من جنس العمـل ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾ وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴿٨٦﴾﴾.

١٥ ـ لكل شـيء نهاية؛ وإن طال زمان انتظارها ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾ وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴿٨٦﴾﴾.

١٦ ـ القول على الله تعالى بلا علمٍ فرعٌ عـن الجهل بالله تعالى ﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْا۟ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾﴾.

١٧ ـ من أعظم الجنايات في دين الله تعالى أن يقول فيه قائل كما يشـاء دون دليـل وبرهـان ﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْا۟ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾﴾.

١٨ ـ وَصْفُ الله تعالى بما لم يصف به نفسـه أو يصفه به رسـوله ﷺ سـفهٌ في العقل، وضعفٌ في العلم، وسـوءُ توفيق ﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْا۟ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾﴾.

١٩ ـ إذا أردت أن تعرف حجم مسـؤوليتك بين يدي الله تعالى فاقرأ هذا المعنى بإمعان ﴿إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾﴾.

٢٠ ـ تخيَّل وأنت تتهادى إلى ربك في موقف عَرَصات يوم القيامَة لا يحول بينكم شـيء ﴿إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾﴾.

٢١ ـ كل مَنْ حولك لن يقفوا معك عند الجزاء والحساب؛ فتنبه قبل الفوات! ﴿إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾﴾.

٢٢ ـ حين يحبك الله تعالـى لا يبقى في الكون شـيءٌ إلا أحبَّك ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾﴾.

٢٣ ـ لا أعرف طريقـاً في الحياة يولِّد مثل هذا الـذوق البديع في الحياة! ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾﴾.

٢٤ ـ هل تخيلـت أن ربك حين يحبك ينادي جبريل إنـي أحب فلاناً، وجبريل ينادي في أهل السماء: إن الله يحبُّ فلاناً فأحبُّوه! وذلك أمر مشاهد الحياة ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾﴾.

٢٥ ـ ما تراه من مشاهد الحب في الدنيا؛ هو فرع عن مشاهد الرضا والقبول في السماء ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾﴾.

٢٦ ـ يمِّمْ وجهك نحو ربك وسترى الحياة كلَّها تمدُّ يدها تستقبلك ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾﴾.

٢٧ ـ القرآن ثورة في عالم الحياة لم تُستكمل فصولها بعد ﴿ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا ﴿٩٧﴾ ﴾.

٢٨ ـ أثر الداعية على قدر ما معه من هذا المنهج ﴿ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا ﴿٩٧﴾ ﴾.

٢٩ ـ استثمروا أيها الدعاة فصول هذا المشروع في هداية الناس ﴿ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا ﴿٩٧﴾ ﴾.

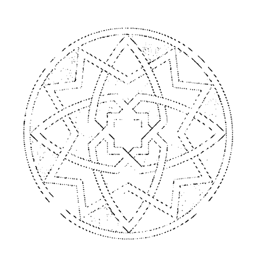
٣٠ ـ أيها الدعاة! ما أنتم آتون على قلوب الناس بمثل هذا القرآن ﴿ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا ﴿٩٧﴾ ﴾.

٣١ ـ فصل من فصول مشاهد الإعراض عن منهج الله تعالى ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا ﴿٩٨﴾ ﴾.

٣٢ ـ درس التاريخ أكثر الدروس أثراً وعبرة ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا ﴿٩٨﴾ ﴾.

٣٣ ـ لا تكلِّف نفسك في البحث عن نهايات الظالمين، فقط مُدَّ عينك إلى ما حولك لترى مصارعهم رأي عين ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا ﴿٩٨﴾ ﴾.







بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

طه ﴿١﴾ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ﴿٢﴾ إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ﴿٣﴾ تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى ﴿٤﴾ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ ﴿٦﴾ وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ﴿٧﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾ وَهَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿٩﴾ إِذْ رَءَا نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى ﴿١٠﴾ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ يَٰمُوسَىٰٓ ﴿١١﴾ إِنِّىٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٢﴾

التفسير

• ﴿طه ﴿١﴾﴾ من الحروف المقطعة التي تدل على إعجاز القرآن.

• ﴿مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ ﴿٢﴾﴾ لتشقى به نفسك وحالك.

• ﴿إِلَّا تَذۡكِرَةٗ لِّمَن يَخۡشَىٰ ﴿٣﴾﴾ إنما أنزلناه تذكيراً لمن يخشى الله تعالى.

• ﴿تَنزِيلٗا﴾ أي القرآن ﴿مِّمَّنۡ خَلَقَ ٱلۡأَرۡضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلۡعُلَى ﴿٤﴾﴾ من الله تعالى فهو كلامه.

• ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾ سبحانه ﴿عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ﴿٥﴾﴾ استواء يليق بجلاله وعظمته.

• ﴿لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا﴾ من كائنات وموجودات ﴿وَمَا تَحۡتَ ٱلثَّرَىٰ ﴿٦﴾﴾ وما تحت التراب وطبقات الأرض.

• ﴿وَإِن تَجۡهَرۡ بِٱلۡقَوۡلِ﴾ تُعلنه وتبديه ﴿فَإِنَّهُۥ﴾ أي الله تعالى ﴿يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ﴾ الكلام الخفي ﴿وَأَخۡفَى ﴿٧﴾﴾ وأخفى من الكلام الذي في القلب.

• ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ فلا معبود بحقٍّ سواه ﴿لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ ﴿٨﴾﴾ فأسماؤه تعالى كاملة في الحسن.

• ﴿وَهَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿٩﴾﴾ هل بلغك خبر موسى النبي الكريم.

• ﴿إِذۡ رَءَا نَارٗا﴾ في حال عودته من مدين إلى مصر ﴿فَقَالَ لِأَهۡلِهِ﴾ زوجه ﴿ٱمۡكُثُوٓاْ﴾ انتظروا ﴿إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ نَارٗا﴾ أبصرت ناراً ﴿لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنۡهَا بِقَبَسٍ﴾ شعلة نستضيئ بها ﴿أَوۡ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدٗى ﴿١٠﴾﴾ يهديني الطريق.

• ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا﴾ النارَ ﴿نُودِيَ يَٰمُوسَىٰٓ ﴿١١﴾﴾ ناداه ربه تعالى.

• ﴿إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ﴾ ألقهما بعيداً عنك تهيُّؤاً لمناجاة الله تعالى ﴿إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ﴾ المطهر المبارك ﴿طُوٗى ١٢﴾ اسم للوادي.

التَّدَبُّر

١ ـ القرآن كتاب هداية ﴿طه ١ مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ ٢ إِلَّا تَذۡكِرَةٗ لِّمَن يَخۡشَىٰ ٣ تَنزِيلٗا مِّمَّنۡ خَلَقَ ٱلۡأَرۡضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلۡعُلَى ٤﴾ وقَدْرُ هذه الهداية في قلبك على قدرِ إقبالك عليها.

٢ ـ دفع الشبه والأوهام العارضة لا يتأتى إلا من خلال عرض الحقائق، وإثراء واقعها في حياة الناس ﴿طه ١ مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ ٢ إِلَّا تَذۡكِرَةٗ لِّمَن يَخۡشَىٰ ٣ تَنزِيلٗا مِّمَّنۡ خَلَقَ ٱلۡأَرۡضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلۡعُلَى ٤﴾.

٣ ـ كم أنقذ هذا القرآن من شقي! وكم أجرى في نفوس الناس من حياة! ﴿طه ١ مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ ٢ إِلَّا تَذۡكِرَةٗ لِّمَن يَخۡشَىٰ ٣ تَنزِيلٗا مِّمَّنۡ خَلَقَ ٱلۡأَرۡضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلۡعُلَى ٤﴾.

٤ ـ إذا أردت أن تدلف بقوم على مباهج الربيع فاقرأ عليهم من أنوار الوحي ما يعود بهم إلى نهر الحياة ﴿طه ١ مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ ٢ إِلَّا تَذۡكِرَةٗ لِّمَن يَخۡشَىٰ ٣ تَنزِيلٗا مِّمَّنۡ خَلَقَ ٱلۡأَرۡضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلۡعُلَى ٤﴾.

٥ ـ قرئ هذا القرآن على عمر، فألقى بأوزار الشرك والكفر هامشاً، وأقبل على الحياة من جديد ﴿طه ١ مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ ٢ إِلَّا تَذۡكِرَةٗ لِّمَن يَخۡشَىٰ ٣ تَنزِيلٗا مِّمَّنۡ خَلَقَ ٱلۡأَرۡضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلۡعُلَى ٤﴾ وقُرئ على آخرين فآمنوا؛ ولم يبرحوا مواقعهم التي سمعوا فيها ذلك القرآن.

٦ ـ الداعيـة الواعـي هو الذي يدلـف على قلـوب السامعين بآي القرآن، ويبلِّغهم رسالة رب العالمين من خلال آياتـه ﴿طه ﴿١﴾ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ﴿٢﴾ إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ﴿٣﴾ تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى ﴿٤﴾﴾.

٧ ـ تعرَّف على ربـك ﴿تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى ﴿٤﴾ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ ﴿٦﴾ وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ﴿٧﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾﴾.

٨ ـ ماذا لو قرأ الإنسـان هذا الوصف بإجلال؟! ﴿تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى ﴿٤﴾ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ ﴿٦﴾ وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ﴿٧﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾﴾ آيات الصفات لم تلق حظها من القراءة الواعية بعد!

٩ ـ لا تيـأس من واقعك؛ فالله تعالى يدير شـأن هذا الكـون بإمعان ﴿لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ ﴿٦﴾﴾ مـاذا بقـي لأصحاب الظروف والمشكلات والحاجات والله تعالى يملك كل شيء؟!

١٠ ـ اعرف قدر كلمتك، وتهيَّأ للسؤال عنها؛ فلا يخفى على الله تعالى منها شيء ﴿وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ﴿٧﴾﴾.

١١ ـ إذا أردت أن تلج إلى قلوب سامعيك بإمعان فاختر قصة تختصر عليك مسافة الطريق، وتأتي على أمانيك ﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿٩﴾﴾ كم من درس جاء بعد هذه الفاتحة وأثرى واقع القُرَّاء!

١٢ ـ إذا أراد الله تعالى شيئاً صنع له الأسباب ﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿٩﴾ إِذْ رَءَا نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ

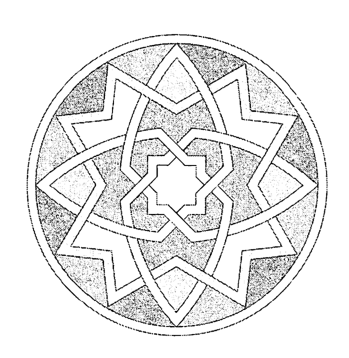
هُدًى ﴿١٠﴾ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ يَٰمُوسَىٰٓ ﴿١١﴾ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٢﴾﴾.

١٣ ـ كل الأحداث التي وقعت للعالمين كانت مبنية على سـبب، وصناعة حياتك كذلك تحتاج إلى أسباب ﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿٩﴾ إِذْ رَءَا نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى ﴿١٠﴾ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ يَٰمُوسَىٰٓ ﴿١١﴾ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٢﴾﴾.

١٤ ـ إذا أردت شـأناً كبيراً ومقاماً يصلح للاحتفاء؛ فكـن على قدر تلك الآمال ﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿٩﴾ إِذْ رَءَا نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى ﴿١٠﴾ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ يَٰمُوسَىٰٓ ﴿١١﴾ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٢﴾﴾.

١٥ ـ تهيأ لمثل هذه المواقف الكبرى من خلال صدقك وإقبالك وإجلالك لشعائر الله تعالـى ﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿٩﴾ إِذْ رَءَا نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى ﴿١٠﴾ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ يَٰمُوسَىٰٓ ﴿١١﴾ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٢﴾﴾.





وَأَنَا ٱخۡتَرۡتُكَ فَٱسۡتَمِعۡ لِمَا يُوحَىٰٓ ﴿١٣﴾ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ﴿١٤﴾ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخۡفِيهَا لِتُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا تَسۡعَىٰ ﴿١٥﴾ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنۡهَا مَن لَّا يُؤۡمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرۡدَىٰ ﴿١٦﴾ وَمَا تِلۡكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيۡهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخۡرَىٰ ﴿١٨﴾ قَالَ أَلۡقِهَا يَٰمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَلۡقَىٰهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٞ تَسۡعَىٰ ﴿٢٠﴾ قَالَ خُذۡهَا وَلَا تَخَفۡۖ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلۡأُولَىٰ ﴿٢١﴾ وَٱضۡمُمۡ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخۡرُجۡ بَيۡضَآءَ مِنۡ غَيۡرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخۡرَىٰ ﴿٢٢﴾ لِنُرِيَكَ مِنۡ ءَايَٰتِنَا ٱلۡكُبۡرَى ﴿٢٣﴾ ٱذۡهَبۡ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرۡ لِيٓ أَمۡرِي ﴿٢٦﴾ وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةٗ مِّن لِّسَانِي ﴿٢٧﴾ يَفۡقَهُواْ قَوۡلِي ﴿٢٨﴾ وَٱجۡعَل لِّي وَزِيرٗا مِّنۡ أَهۡلِي ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ أَخِي ﴿٣٠﴾ ٱشۡدُدۡ بِهِۦٓ أَزۡرِي ﴿٣١﴾ وَأَشۡرِكۡهُ فِيٓ أَمۡرِي ﴿٣٢﴾ كَيۡ نُسَبِّحَكَ كَثِيرٗا ﴿٣٣﴾ وَنَذۡكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرٗا ﴿٣٥﴾ قَالَ قَدۡ أُوتِيتَ سُؤۡلَكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَلَقَدۡ مَنَنَّا عَلَيۡكَ مَرَّةً أُخۡرَىٰٓ ﴿٣٧﴾

التفسير

- ﴿وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ﴾ من بين الناس ﴿فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ ﴿١٣﴾﴾ اسمع ما أوحيه إليك في هذا المقام؛ وقم به امتثالاً لربك.

- ﴿إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠﴾ المستحق للعبادة والطاعة ﴿فَٱعْبُدْنِى﴾ في كل ما أمرتك به ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ أدِّها كما أمرتك ﴿لِذِكْرِىٓ ﴿١٤﴾﴾ لتذكرني فيها.

- ﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ﴾ واقعة ﴿أَكَادُ أُخْفِيهَا﴾ عن نفسي ﴿لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ ﴿١٥﴾﴾ حتى توفَّى النفوس أجرها وثوابها كاملاً.

- ﴿فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا﴾ لا يشغلك عن الإيمان بها والعمل لها ﴿مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا﴾ بالساعة ﴿وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ﴾ في الشهوات والشبهات ﴿فَتَرْدَىٰ ﴿١٦﴾﴾ تهلك وتشقى.

- ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾﴾ وما هذه التي في يمينك مع علمه تعالى بها؟

- ﴿قَالَ هِىَ عَصَاىَ أَتَوَكَّؤُا۟ عَلَيْهَا﴾ أعتمد عليها في سيري ﴿وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِى﴾ أضرب بها الشجر ليتساقط ورقه وثمره ﴿وَلِىَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ ﴿١٨﴾﴾ مقاصد أخرى غير ما ذكرت.

- ﴿قَالَ أَلْقِهَا يَٰمُوسَىٰ ﴿١٩﴾﴾ ارْمِها من يدك.

- ﴿فَأَلْقَىٰهَا﴾ رمى بها ﴿فَإِذَا هِىَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴿٢٠﴾﴾ ثعبانٌ يمشي.

- ﴿قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ﴾ منها ﴿سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ ﴿٢١﴾﴾ حال كونها عصا.

- ﴿وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ﴾ أدخل يدك في جيبــك، وضمَّ عليك عضدك ﴿تَخْرُجْ بَيْضَآءَ﴾ تخرج يدك من جيبك بيضاء ﴿مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ﴾ بياضاً من غير مرض ﴿ءَايَةً أُخْرَىٰ ﴿٢٢﴾﴾ فيكون بياض يدك آية أخرى.
- ﴿لِنُرِيَكَ مِنْ ءَايَٰتِنَا ٱلْكُبْرَى ﴿٢٣﴾﴾ إنما أريناك تلك الآيات لنطلعك على عظيم قدرتنا، وكبير سلطاننا.
- ﴿ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٢٤﴾﴾ تجاوز حدَّه.
- ﴿قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى ﴿٢٥﴾﴾ وسِّعه وافسح فيه لتحمُّل الأذى.
- ﴿وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى ﴿٢٦﴾﴾ اجعل أموري سهلة مُيَسَّرة.
- ﴿وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا۟ قَوْلِى ﴿٢٨﴾﴾ وقد كان في لسانه ثقل. فسأل الله تعالى أن يحله وييسر له الكلام.
- ﴿وَٱجْعَل لِّى وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِى ﴿٢٩﴾﴾ معيناً يعاونني.
- ﴿هَٰرُونَ أَخِى ﴿٣٠﴾ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِى ﴿٣١﴾﴾ قوِّني به، وشد به ظهري.
- ﴿وَأَشْرِكْهُ فِىٓ أَمْرِى ﴿٣٢﴾﴾ بأن تجعله نبياً معي.
- ﴿كَىْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾﴾ من أجل أن نتعاون على عبادتك.
- ﴿إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا ﴿٣٥﴾﴾ تعلم حالنا وضعفنا وافتقارنا إليك.
- ﴿قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٣٦﴾﴾ أعطيناك كل ما سألت.
- ﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰٓ ﴿٣٧﴾﴾ أنعمنا عليك مرة ثانية.

التَّدَبُّر

١ ـ من فقه الداعية والمربي والقائد ألَّا يدلف على عقول مَنْ يربيهم حتى يلج إلى قلوبهم أولاً ﴿وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ ﴿١٣﴾﴾ فنٌّ في عناق القلوب؛ وقدح زناد المشاعر قبل أي توجيه أو رسالة أو طلب.

٢ ـ إذا كلَّفت أحداً بمهمة فأَبِنْ له أهدافه، واشــرح لــه كل ما تريد منه في ثنايا الطريق ﴿إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ ﴿١٤﴾ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ ﴿١٥﴾ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرْدَىٰ ﴿١٦﴾﴾.

٣ ـ كثير من الإخفاقات التي نقع فيها مع أبنائنا ومَنْ نربيهم: أنَّ الأهدافَ والآمالَ التي نريدها ونرقبها منهم في قادم الأيام غيرُ واضحة ﴿إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ ﴿١٤﴾ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ ﴿١٥﴾ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرْدَىٰ ﴿١٦﴾﴾.

٤ ـ مَنْ أنت! عرِّف بنفسك قبل أن تدلي إلى غيرك بمهمتك ﴿إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ ﴿١٤﴾﴾ معرفة تبين عن استحقاقك لما تطلبه من الآخرين، لا معرفةً مجرَّدةً لا قيمة لها في وجدان متلقِّيها.

٥ ـ التوحيد أولاً، والصلاة ثانياً ﴿إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ ﴿١٤﴾﴾.

٦ ـ الاستسلام لله تعالى أول عتبات العبودية وأهمها على الإطلاق ﴿إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ ﴿١٤﴾﴾.

٧ ـ أدِّ صلاتك بعناية تلج إلى أمانيــك ﴿ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ١٤ ﴾.

٨ ـ يا لله! لو أقمنا التوحيد في نفوسنا! وأقمنا شأن الصلاة بخشوع. ﴿ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ١٤ ﴾.

٩ ـ الرؤية تصنع فارق الأحداث ﴿ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخۡفِيهَا لِتُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا تَسۡعَىٰ ١٥ ﴾ الذين يعرفون هذا المعنى يجتهدون لبلوغ غاياته!

١٠ ـ أقم شأن مَنْ تربِّيه على حوافز الأمد البعيد تصل لمناك ﴿ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخۡفِيهَا لِتُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا تَسۡعَىٰ ١٥ ﴾ ولا يمنع أن تضع شيئاً قريباً لتلك الأماني الكبار.

١١ ـ لا تنشغل بعوارض الطريق ﴿ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنۡهَا مَن لَّا يُؤۡمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرۡدَىٰ ١٦ ﴾.

١٢ ـ كثيرة هي العقبات الحائلة دون أحلامك؛ فتنبَّه لها، وأدر شأنك باقتدار ﴿ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنۡهَا مَن لَّا يُؤۡمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرۡدَىٰ ١٦ ﴾.

١٣ ـ ما أكثر ما يئد أحلامَنا قطَّاعُ الطريق ﴿ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنۡهَا مَن لَّا يُؤۡمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرۡدَىٰ ١٦ ﴾ الصــادون، والمرجفون، وزملاء العمــل، وأصدقاء البيئة، وضعيفو الهمم كلُّهم ممَّن يصد عن أمانيك.

١٤ ـ إدارة شــأن القصة فن! ﴿ وَمَا تِلۡكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ١٧ ﴾ سأله الله تعالى عنها وهو أعلم ما يكون بها لإدارة مشاهد القصة، وتعميق المفاهيم من خلالها.

١٥ ـ قدرة الله تعالى فوق خيالــك ﴿ قَالَ أَلۡقِهَا يَٰمُوسَىٰ ١٩ فَأَلۡقَىٰهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٞ تَسۡعَىٰ ٢٠ قَالَ خُذۡهَا وَلَا تَخَفۡۖ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلۡأُولَىٰ ٢١ وَٱضۡمُمۡ يَدَكَ إِلَىٰ

جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخْرَىٰ ﴿٢٢﴾﴾ ولو آمنت القلوب بهذه المعاني لصنعت فارقاً.

١٦ ـ المهمات الضخمة تحتاج إلى مقدمات كبرى ﴿لِنُرِيَكَ مِنْ ءَايَٰتِنَا ٱلْكُبْرَى ﴿٢٣﴾ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى ﴿٢٦﴾ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا۟ قَوْلِى ﴿٢٨﴾ وَٱجْعَل لِّى وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِى ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ أَخِى ﴿٣٠﴾ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِى ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِىٓ أَمْرِى ﴿٣٢﴾ كَىْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا ﴿٣٥﴾﴾ سأل الله تعالى أن يكون جاهزاً لهذه المهمة الشاقة، ومستعداً للقيام بحقوقها.

١٧ ـ قبل أن تبدأ في مشروعك خذ كافة وسائل النجاح الممكنة والمتاحة ﴿لِنُرِيَكَ مِنْ ءَايَٰتِنَا ٱلْكُبْرَى ﴿٢٣﴾ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى ﴿٢٦﴾ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا۟ قَوْلِى ﴿٢٨﴾ وَٱجْعَل لِّى وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِى ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ أَخِى ﴿٣٠﴾ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِى ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِىٓ أَمْرِى ﴿٣٢﴾ كَىْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا ﴿٣٥﴾﴾.

١٨ ـ إياك أن تبدأ مشروعك وأنت غير مستكمل لأدوات نجاحه وتفوقه ﴿لِنُرِيَكَ مِنْ ءَايَٰتِنَا ٱلْكُبْرَى ﴿٢٣﴾ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى ﴿٢٦﴾ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا۟ قَوْلِى ﴿٢٨﴾ وَٱجْعَل لِّى وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِى ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ أَخِى ﴿٣٠﴾ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِى ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِىٓ أَمْرِى ﴿٣٢﴾ كَىْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا ﴿٣٥﴾﴾ وغالباً ما يأتي الفشل والإخفاق من خلال ذلك التفريط.

١٩ ـ طريقان للنجاح (ملكاتك وقدراتك الداخليـة، وإمكاناتك الخارجية) ركِّز كيف تعتني بها وتستثمرها لصالح مشـروعك الكبير! ﴿لِنُرِيَكَ مِنْ ءَايَٰتِنَا ٱلْكُبْرَى ﴿٢٣﴾ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى ﴿٢٦﴾ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا۟ قَوْلِى ﴿٢٨﴾ وَٱجْعَل لِّى وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِى ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ أَخِى ﴿٣٠﴾

ٱشۡدُدۡ بِهِۦٓ أَزۡرِي ﴿٣١﴾ وَأَشۡرِكۡهُ فِيٓ أَمۡرِي ﴿٣٢﴾ كَيۡ نُسَبِّحَكَ كَثِيرٗا ﴿٣٣﴾ وَنَذۡكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرٗا ﴿٣٥﴾﴾.

٢٠ ـ كثيرون لا يدركون شأن الملكات الداخلية، فيخفقون من هذا الباب. ﴿ قَالَ رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرۡ لِيٓ أَمۡرِي ﴿٢٦﴾﴾ فمن شرح الله تعالى صدره، ويسر أمره لم يفته شيء من أسباب التوفيق.

٢١ ـ ومثل ذلك الاستعداد الروحي: من أعظم ما يبلِّغ الإنسان أمانيه (الورد الذي يفسح للمشاعر ألقها الكبير) ﴿ قَالَ رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرۡ لِيٓ أَمۡرِي ﴿٢٦﴾﴾.

٢٢ ـ غالب السقوط والإخفاق يأتي من عدم جاهزية الروح رغم توافر الاستعدادات الخارجية في كل شيء ﴿ قَالَ رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرۡ لِيٓ أَمۡرِي ﴿٢٦﴾﴾.

٢٣ ـ إدارة الأولويات شأن الكبار! ﴿لِنُرِيَكَ مِنۡ ءَايَٰتِنَا ٱلۡكُبۡرَى ﴿٢٣﴾ ٱذۡهَبۡ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرۡ لِيٓ أَمۡرِي ﴿٢٦﴾ وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةٗ مِّن لِّسَانِي ﴿٢٧﴾ يَفۡقَهُواْ قَوۡلِي ﴿٢٨﴾ وَٱجۡعَل لِّي وَزِيرٗا مِّنۡ أَهۡلِي ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ أَخِي ﴿٣٠﴾ ٱشۡدُدۡ بِهِۦٓ أَزۡرِي ﴿٣١﴾ وَأَشۡرِكۡهُ فِيٓ أَمۡرِي ﴿٣٢﴾ كَيۡ نُسَبِّحَكَ كَثِيرٗا ﴿٣٣﴾ وَنَذۡكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرٗا ﴿٣٥﴾﴾ بدأ بتأهيل قدراته الداخلية، ثم سأل الله تعالى عونه في المؤهلات الخارجية.

٢٤ ـ أول مدارج النجاح وقواعد التفوُّق أن تعتني بقدراتك ومؤهلاتك الداخلية، ثم تذهب تبحث عن روافد النجاح الأخرى ﴿لِنُرِيَكَ مِنۡ ءَايَٰتِنَا ٱلۡكُبۡرَى ﴿٢٣﴾ ٱذۡهَبۡ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرۡ لِيٓ أَمۡرِي ﴿٢٦﴾ وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةٗ مِّن لِّسَانِي ﴿٢٧﴾ يَفۡقَهُواْ قَوۡلِي ﴿٢٨﴾ وَٱجۡعَل لِّي وَزِيرٗا مِّنۡ أَهۡلِي ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ أَخِي ﴿٣٠﴾ ٱشۡدُدۡ بِهِۦٓ أَزۡرِي ﴿٣١﴾ وَأَشۡرِكۡهُ فِيٓ أَمۡرِي ﴿٣٢﴾ كَيۡ نُسَبِّحَكَ كَثِيرٗا ﴿٣٣﴾ وَنَذۡكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرٗا ﴿٣٥﴾﴾ كنوزك الداخلية تحتاج منك إلى تنقيب.

٢٥ ـ الدعاء فن! سأل الله تعالى أن يشرح صدره، ويُيَسِّر له أمره، ويحلل عقدة من لسانه، ويهب له وزيراً من أهله ﴿لِنُرِيَكَ مِنْ ءَايَٰتِنَا ٱلْكُبْرَى ﴿٢٣﴾ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى ﴿٢٦﴾ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا۟ قَوْلِى ﴿٢٨﴾ وَٱجْعَل لِّى وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِى ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ أَخِى ﴿٣٠﴾ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِى ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِىٓ أَمْرِى ﴿٣٢﴾ كَىْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا ﴿٣٥﴾﴾ فآتاه الله كل شيء طلبه.

٢٦ ـ أَحْسِنْ قرع باب الرجاء تُفْتَحْ لك أبواب التوفيق ﴿لِنُرِيَكَ مِنْ ءَايَٰتِنَا ٱلْكُبْرَى ﴿٢٣﴾ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى ﴿٢٦﴾ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا۟ قَوْلِى ﴿٢٨﴾ وَٱجْعَل لِّى وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِى ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ أَخِى ﴿٣٠﴾ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِى ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِىٓ أَمْرِى ﴿٣٢﴾ كَىْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا ﴿٣٥﴾﴾.

٢٧ ـ إذا يمّمت وجهك في طريقٍ ما؛ فأوّلُ أمرك وقاعدته وذروة سنامه أن تقبل على ربك؛ وتسأله شرح صدرك، وتيسير أمرك، وتحقيق مرادك في الدارين؛ فذلك فقه ووعي ﴿لِنُرِيَكَ مِنْ ءَايَٰتِنَا ٱلْكُبْرَى ﴿٢٣﴾ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى ﴿٢٦﴾ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا۟ قَوْلِى ﴿٢٨﴾ وَٱجْعَل لِّى وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِى ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ أَخِى ﴿٣٠﴾ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِى ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِىٓ أَمْرِى ﴿٣٢﴾ كَىْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا ﴿٣٥﴾﴾.

٢٨ ـ ما أحوجنا إلى أعوان في الطريق ﴿وَٱجْعَل لِّى وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِى ﴿٢٩﴾﴾.

٢٩ ـ اختر صاحبك ورفيق دربك وعونك في مشروعك بعناية ﴿وَٱجْعَل لِّى وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِى ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ أَخِى ﴿٣٠﴾﴾ وغالب المخذولين لم يجدوا مَنْ يعينهم في أكثر القضايا أهمية وإلحاحاً، بل وجدوا من يثبطهم عن مواصلة الطريق.

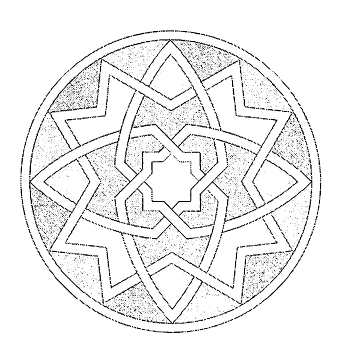
٣٠ ـ من سأل الله تعالى صادقاً بلغ ما يريد ﴿قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَٰمُوسَىٰ ٣٦﴾.

٣١ ـ من فضلك! احسـب منن الله تعالى عليك بعناية ﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰٓ ٣٧﴾ لا تحسب أن هذه لموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ فحسب، فأنت عليك مننٌ تحتاج إلى تذكُّر.

٣٢ ـ لا تنشغل بحساب منن الله تعالى على خلقه، بل أدر هذا العمل في شأنك الخاص ﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰٓ ٣٧﴾.

٣٣ ـ مشكلتنا أننا نفكِّر مرات كثيرة في غير دوائر تأثيرنا ودوائرنا الممكنة ﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰٓ ٣٧﴾ حتى النعم ما زلنا نقول ونـردد نعم الله تعالى على الآخرين ولَمْ نتحدث يوماً عن آثار نعمه علينا.

❀ ❀ ❀



إِذْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ ﴿٣٨﴾ أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِى ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِى ٱلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّى وَعَدُوٌّ لَّهُۥ ۚ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ ﴿٣٩﴾ إِذْ تَمْشِىٓ أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُۥ ۖ فَرَجَعْنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ۚ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَٰكَ مِنَ ٱلْغَمِّ وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا ۚ فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٠﴾ وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى ﴿٤١﴾ ٱذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِى وَلَا تَنِيَا فِى ذِكْرِى ﴿٤٢﴾ ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴿٤٥﴾ قَالَ لَا تَخَافَآ ۖ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾ فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ ۖ قَدْ جِئْنَٰكَ بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكَ ۖ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٤٧﴾ إِنَّا قَدْ أُوحِىَ إِلَيْنَآ أَنَّ ٱلْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٤٨﴾ قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾

التفسير

- ﴿إِذْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ ﴿٣٨﴾﴾ ألهمناها.
- ﴿أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِى ٱلتَّابُوتِ﴾ ضعي موسى في صندوق من الصناديق إذا جاء جنود فرعون يطلبونه ﴿فَٱقْذِفِيهِ فِى ٱلْيَمِّ﴾ ارميه في البحر ﴿فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ﴾ على اليابس ﴿يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّى وَعَدُوٌّ لَّهُۥ﴾ فرعون ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى﴾ فكل من رآك أحبك ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ ﴿٣٩﴾﴾ ولتتربى على حفظي ورعايتي.
- ﴿إِذْ تَمْشِىٓ أُخْتُكَ﴾ تبحث عنك فتجدك في بيت فرعون ﴿فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُۥ﴾ يقوم برعايته وكفالته ﴿فَرَجَعْنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ﴾ بعد موافقتهم على طلب أخته ﴿كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا﴾ برؤيته وعودته ﴿وَلَا تَحْزَنَ﴾ على فراقه وبعده ﴿وَقَتَلْتَ نَفْسًا﴾ القبطي ﴿فَنَجَّيْنَٰكَ مِنَ ٱلْغَمِّ﴾ خوف القتل الذي حلَّ بك، وهَمَّ المعصية ﴿وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا﴾ اختبرناك وبلوناك ﴿فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ﴾ حين خرجت هارباً من فرعون ﴿ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٠﴾﴾ جئت في وقتٍ قدَّره الله تعالى.
- ﴿وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى ﴿٤١﴾﴾ اصطفيتك واجتبيتك رسولاً لي.
- ﴿ٱذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِى﴾ الحجج الدالة على ديني ﴿وَلَا تَنِيَا فِى ذِكْرِى ﴿٤٢﴾﴾ لا تفترا ولا تكسلا عن الدعوة إليَّ.
- ﴿ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾﴾ تجاوز حده.
- ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا﴾ سهلاً لطيفاً ﴿لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ﴾ ما ينفعه ﴿أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾﴾ ما يضره فيتركه.

- ﴿قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ﴾ يبادرنا بالعقوبة قبل تمام البلاغ ﴿أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴿٤٥﴾﴾ يتجاوز في الاعتداء علينا.

- ﴿قَالَ لَا تَخَافَآ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾﴾ أنتما في حفظي ورعايتي.

- ﴿فَأْتِيَاهُ﴾ فرعون ﴿فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ﴾ نحن رسل من ربك ﴿فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ فكهم من الأسر، واجعلهم أحراراً ﴿وَلَا تُعَذِّبْهُمْ﴾ بالحبس والتعبيد ﴿قَدْ جِئْنَٰكَ بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكَ﴾ تدلك على صدقنا؛ كالعصا واليد ونحوها من الآيات ﴿وَٱلسَّلَٰمُ﴾ السلامة من الآفات ﴿عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٤٧﴾﴾ الطريق المستقيم.

- ﴿إِنَّا قَدْ أُوحِىَ إِلَيْنَآ أَنَّ ٱلْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ﴾ بآيات الله تعالى ﴿وَتَوَلَّىٰ ﴿٤٨﴾﴾ أعرض عنها.

- ﴿قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾﴾ يسأل على وجه الإنكار.

- ﴿قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ﴾ الذي خلق المخلوقات، وأعطى كل مخلوق خلقه اللائق به الدال على حسن صنيعه فيه ﴿ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾﴾ أرشد كل مخلوق إلى ما خلق له.



التَّدَبُّر

١ ـ إذا أراد الله تعالى أمراً أجراه كيف يشاء ﴿إِذْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ ﴿٣٨﴾ أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِى ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِى ٱلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّى وَعَدُوٌّ لَّهُۥ ۚ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ ﴿٣٩﴾ إِذْ تَمْشِىٓ أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن

يَكْفُلُهُۥ ۖ فَرَجَعْنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ۚ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَٰكَ مِنَ ٱلْغَمِّ وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا ۚ فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٠﴾﴾.

٢ ـ أراد فرعون أمراً، وأراد الله تعالى أموراً، ما أعظم الله! ﴿إِذْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ ﴿٣٨﴾ أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِى ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِى ٱلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّى وَعَدُوٌّ لَّهُۥ ۚ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ ﴿٣٩﴾ إِذْ تَمْشِىٓ أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُۥ ۖ فَرَجَعْنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ۚ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَٰكَ مِنَ ٱلْغَمِّ وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا ۚ فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٠﴾﴾ أراد فرعون أن يطارده في بيته، فبعثه الله تعالى إليه ليربيه بنفسه، ولا يحتاج أن يتكلَّف العناء كل يوم يبحث عن الأعداء!

٣ ـ إذا فاقك عدوك عدداً وعدة فألق بقلبك ومشـاعرك إلى مشاهد هذه القصة ﴿إِذْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ ﴿٣٨﴾ أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِى ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِى ٱلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّى وَعَدُوٌّ لَّهُۥ ۚ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ ﴿٣٩﴾ إِذْ تَمْشِىٓ أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُۥ ۖ فَرَجَعْنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ۚ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَٰكَ مِنَ ٱلْغَمِّ وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا ۚ فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٠﴾﴾ يُصْدِرُ فرعون أمراً ألَّا يبقى أحدٌ حيَّاً من المواليد الذكور، ويجري الله تعالى قدراً أن يتولى فرعون تربية عدوه بنفسه، ويرعاه حتى يحين يوم الوفاء.

٤ ـ ﴿إِذْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ ﴿٣٨﴾ أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِى ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِى ٱلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّى وَعَدُوٌّ لَّهُۥ ۚ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ ﴿٣٩﴾ إِذْ تَمْشِىٓ أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُۥ ۖ فَرَجَعْنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ۚ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَٰكَ مِنَ ٱلْغَمِّ وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا ۚ فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٠﴾﴾ قصة إدارة شأن الصالحين والأولياء والمتقين!

٥ - حتى الأقدار الكبرى لا بد أن تجري في فلك الأسباب الحسية ﴿إِذْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ ﴿٣٨﴾ أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِى ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِى ٱلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّى وَعَدُوٌّ لَّهُۥ ۚ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ ﴿٣٩﴾ إِذْ تَمْشِىٓ أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُۥ ۖ فَرَجَعْنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ۚ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَٰكَ مِنَ ٱلْغَمِّ وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا ۚ فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٠﴾﴾ بعضهم يريد مشروعاً كبيراً، وينتظر أن يجلبَ له الدعاء كل شيء، وهو على الأرض لم يتحرك شبراً.

٦ - مشكلة بعض المتواكلين أنهم يريدون خوارق العادة تتنزَّل عليهم مفصولة عن الأسباب ﴿إِذْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ ﴿٣٨﴾ أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِى ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِى ٱلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّى وَعَدُوٌّ لَّهُۥ ۚ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ ﴿٣٩﴾ إِذْ تَمْشِىٓ أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُۥ ۖ فَرَجَعْنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ۚ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَٰكَ مِنَ ٱلْغَمِّ وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا ۚ فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٠﴾﴾.

٧ - في شأنه الصحي شعر بأعراض السكر، ثم يمَّمَ وجهه إلى برنامج رياضي مكثَّف، وأدمن الدعاء لله تعالى أن يحول بينه وبين الأعراض؛ فانتهت قصة ذلك المرض من أصله، ووئد في بدايته ﴿إِذْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ ﴿٣٨﴾ أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِى ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِى ٱلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّى وَعَدُوٌّ لَّهُۥ ۚ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ ﴿٣٩﴾ إِذْ تَمْشِىٓ أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُۥ ۖ فَرَجَعْنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ۚ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَٰكَ مِنَ ٱلْغَمِّ وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا ۚ فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٠﴾﴾ وفي شأنه المعنوي ومشروعه الشخصي ينتظر فواتح الغيب.

٨ - مشهد في فصول قدرة الله تعالى ﴿إِذْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ ﴿٣٨﴾ أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِى ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِى ٱلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّى وَعَدُوٌّ لَّهُۥ ۚ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً

مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ ﴿٣٩﴾ إِذْ تَمْشِيٓ أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُۥ فَرَجَعْنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ۚ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَٰكَ مِنَ ٱلْغَمِّ وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا ۚ فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِيٓ أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٠﴾﴾ أَلْقِيْهِ في البحر؛ وَثِقِي أن الذي أمرك بذلك، سيجري له الأسباب الكفيلة بالنجاة.

٩ ـ لا تيأس فالفرج قد يأتي من ثقب إبرة! ﴿إِذْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ ﴿٣٨﴾ أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِي ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِي ٱلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَّهُۥ ۚ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ ﴿٣٩﴾ إِذْ تَمْشِيٓ أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُۥ فَرَجَعْنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ۚ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَٰكَ مِنَ ٱلْغَمِّ وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا ۚ فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِيٓ أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٠﴾﴾ كيف ألقيه في البحر! وكيف سيخرج! وأين سيذهب! ومن يتولى طفلاً لا يعرف من الحياة سوى حضن أمه! وكيف تجده مرة أخرى! وكيف يعود من أحضان القصر إلى حضن الأم الرؤوم! هذه أسئلة تصلح مع المخلوقين، أما تدبير الله تعالى ففوق كل تدبير.

١٠ ـ ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ﴾ فصل من فصول الحب! ورواية مثيرة في عالم الأولياء! وقصة طويلة الذيول في عناية الله تعالى بمن يحب! وا شوقاه لأحاديث الحب والأشواق! حين فقدنا الإيمان بهذه المعاني فقدنا كل شيء.

١١ ـ إذا أحبك الله تعالى خرق لك مشاهد العادة ﴿أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِي ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِي ٱلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَّهُۥ ۚ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ ﴿٣٩﴾﴾.

١٢ ـ سل نفسك كيف تبلغ شؤون هذا الكبير! ثم اجهد في تحقيق ما ترجوه من آمال ﴿أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِي ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِي ٱلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَّهُۥ ۚ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ ﴿٣٩﴾﴾.

١٣ ـ قراءة قصص الكبار حياة ﴿أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِي ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِي ٱلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَّهُۥ ۚ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ ﴿٣٩﴾﴾.

١٤ ـ الدعوة فرض ﴿ٱذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي ﴿٤٢﴾ ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾﴾ يا حسرة على القاعدين في الهوامش؛ والمنتظرين لمنن الله تعالى وهم في قارعة الطريق!

١٥ ـ ﴿ٱذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي ﴿٤٢﴾ ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾﴾ وأنتم أيها القاعدون في الهوامش، اذهبوا إلى أُسَرِكُم، إلى أولادكم، إلى أحلامكم، وأقيموا صروح الأمل من جديد.

١٦ ـ ﴿ٱذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي ﴿٤٢﴾ ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾﴾ قوموا إلى شوارعكم العامة، وأنديتكم الرياضية، ولقاءات طلابكم وأبنائكم؛ فقد ملُّوا انتظاركم يا سادة!

١٧ ـ مشاهد الكفر والفساد العارض في الأرض لا تسقط فرض الدعوة عن المتمكنين ﴿ٱذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي ﴿٤٢﴾ ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾﴾ اخرج إلى الأرض التي تبسط فيها واقعك، وإياك وعوارض الطريق.

١٨ ـ قوة عدوك ليست عذراً في التخلُّف عن مواجهته ﴿ٱذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي ﴿٤٢﴾ ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾﴾.

١٩ ـ تعبيد الناس لله تعالى ضرورة قصوى ﴿ٱذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي ﴿٤٢﴾ ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾﴾ وإياك أن يحول دَعِيٌّ أو جاهل أو صاحب مسؤولية بين العالمين وأعظم مقاصدهم.

٢٠ ـ أعظم مقاصد الدعوة هداية العالمين ﴿ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾﴾.

٢١ ـ من الخطأ الكبير جعل قضية الدعوة إقامة الحجة على العالمين ﴿ ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ ﴾ لعله يتذكر أو يخشى، وليس يسمع ويرى!

٢٢ ـ القسوة ليست من شأن المصلحين ﴿ ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ ﴾ هذا الذي جالد الدعوة وحارب الدين قولا له قولاً ليناً! ما أشد قسوتنا وما أكثر بعدنا عن القرآن!

٢٣ ـ اصبر على ولدك وزوجك وطالبك وصديق عمرك، وتلطَّف في إيصال رسالة الله تعالى إليهم أجمعين ﴿ ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ ﴾.

٢٤ ـ في كل ظرف أو مشكلة أو محنة أدر درس العقيدة بإتقان ﴿ قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴿٤٥﴾ قَالَ لَا تَخَافَآ ۖ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾ ﴾.

٢٥ ـ من كمال وعيك إذا لقيت مريضاً أو مصاباً فألق عليه من درس العقيدة ما يحيل أحزانه وآلامه إلى أفراح ﴿ قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴿٤٥﴾ قَالَ لَا تَخَافَآ ۖ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾ ﴾.

٢٦ ـ لا تحزن! فالله معك في كل شأن ﴿ قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴿٤٥﴾ قَالَ لَا تَخَافَآ ۖ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾ ﴾.

٢٧ ـ رأيت بعضهم إذا اجتمع مع إخوانه في مناقشة عمل دعوي ألقى إليهم بكلمة مقروءة أو موقف مسجل يستنهض به هممهم، ويثير بواعث الشوق للعمل في كل حين ﴿ قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴿٤٥﴾ قَالَ لَا تَخَافَآ ۖ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾ ﴾.

٢٨ ـ في مثل كوارث هذا الزمان بُثَّ بشائر الأمل، وألق على الناس فواتح النصر، وعِدْهُمْ بأن ما يجري في كون الله تعالى آتٍ بكل أحلامهم وأحداثهم في الحياة ﴿قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴿٤٥﴾ قَالَ لَا تَخَافَآ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾﴾.

٢٩ ـ ﴿قَالَ لَا تَخَافَآ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾﴾ اجعلها رسول أفراحك في كل موقف، وشجون قلبك في كل لقاء، وحديث شوقك في كل اجتماع.

٣٠ ـ التدريب والتأهيل ضرورة لصناعة الحياة ﴿فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ ۖ قَدْ جِئْنَٰكَ بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكَ ۖ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٤٧﴾ إِنَّا قَدْ أُوحِىَ إِلَيْنَآ أَنَّ ٱلْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٤٨﴾﴾ دَرِّبْهُ وأَهِّلْهُ وعَلِّمْهُ ما يقول في لقاء الطغاة وغيرهم.

٣١ ـ الدعوة مشروع كبير يحتاج إلى صُنَّاعٍ للحياة ﴿فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ ۖ قَدْ جِئْنَٰكَ بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكَ ۖ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٤٧﴾ إِنَّا قَدْ أُوحِىَ إِلَيْنَآ أَنَّ ٱلْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٤٨﴾﴾ مَنْ لهذا الشقي لولا الدعاة والمصلحون! يا سقى الله تعالى أرضاً تجري فيها أحداث الإصلاح كما يريد الله!

٣٢ ـ يجب على صانع القرار في مثل هذه المسؤوليات أن يعتني بمعاهد ومراكز التأهيل والتدريب للدعاة حتى يأتوا على ما يريدون ﴿فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ ۖ قَدْ جِئْنَٰكَ بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكَ ۖ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٤٧﴾ إِنَّا قَدْ أُوحِىَ إِلَيْنَآ أَنَّ ٱلْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٤٨﴾﴾.

❀ ❀ ❀

قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ ﴿٥١﴾ قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٍۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ﴿٥٣﴾ كُلُوا۟ وَٱرْعَوْا۟ أَنْعَٰمَكُمْۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّأُو۟لِي ٱلنُّهَىٰ ﴿٥٤﴾ ۞ مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴿٥٥﴾ وَلَقَدْ أَرَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ ﴿٥٦﴾ قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٥٧﴾ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِۦ فَٱجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَّا نُخْلِفُهُۥ نَحْنُ وَلَآ أَنتَ مَكَانًا سُوًى ﴿٥٨﴾ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحًى ﴿٥٩﴾ فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُۥ ثُمَّ أَتَىٰ ﴿٦٠﴾ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍۖ وَقَدْ خَابَ مَنِ ٱفْتَرَىٰ ﴿٦١﴾ فَتَنَٰزَعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَىٰ ﴿٦٢﴾ قَالُوٓا۟ إِنْ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلْمُثْلَىٰ ﴿٦٣﴾ فَأَجْمِعُوا۟ كَيْدَكُمْ ثُمَّ ٱئْتُوا۟ صَفًّاۚ وَقَدْ أَفْلَحَ ٱلْيَوْمَ مَنِ ٱسْتَعْلَىٰ ﴿٦٤﴾

التفسير

• ﴿قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ ۝٥١﴾ ما شأنها وما خبرها؟ وقد سَبَقَتْنا إلى الإنكار والتكذيب.

• ﴿قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى﴾ لا يفوت من خبرها شيء ﴿فِى كِتَٰبٍ﴾ في اللوح المحفوظ ﴿لَّا يَضِلُّ رَبِّى﴾ لا يخطئ في علمه ﴿وَلَا يَنسَى ۝٥٢﴾ شيئاً ممَّا علمه.

• ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا﴾ ممهَّدةً مستقرة ﴿وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا﴾ طرقاً ﴿وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ۝٥٣﴾ أنبت لكم أنواعاً كثيرة ومختلفة من النباتات.

• ﴿كُلُوا۟﴾ أنتم ﴿وَٱرْعَوْا۟ أَنْعَٰمَكُمْ﴾ في هذه النعم ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ﴾ عبر ﴿لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ ۝٥٤﴾ لأصحاب العقول.

• ﴿مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ﴾ أي من الأرض، وهو أصل خلق آدم ﴿وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ﴾ عند الموت ﴿وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ﴾ يوم القيامة ﴿تَارَةً أُخْرَىٰ ۝٥٥﴾ مرة أخرى.

• ﴿وَلَقَدْ أَرَيْنَٰهُ﴾ أي فرعون ﴿ءَايَٰتِنَا كُلَّهَا﴾ الدالة على ربوبيتنا ﴿فَكَذَّبَ﴾ بها ﴿وَأَبَىٰ ۝٥٦﴾ عن اتباع الحق.

• ﴿قَالَ﴾ فرعون: ﴿أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَٰمُوسَىٰ ۝٥٧﴾ بما جئت من السحر وتدَّعي أنه رسالة.



- ﴿فَلَنَأۡتِيَنَّكَ بِسِحۡرٖ مِّثۡلِهِۦ﴾ نقابل سحرك بسحر ﴿فَٱجۡعَلۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكَ مَوۡعِدٗا﴾ وقتاً وزمناً للمُحَاجَّةِ والغلبة ﴿لَّا نُخۡلِفُهُۥ نَحۡنُ وَلَآ أَنتَ﴾ لا نتخلَّف عنه ﴿مَكَانٗا سُوٗى ٥٨﴾ وسط بيننا.

- ﴿قَالَ مَوۡعِدُكُمۡ يَوۡمُ ٱلزِّينَةِ﴾ يوم العيد عندكم ﴿وَأَن يُحۡشَرَ ٱلنَّاسُ﴾ يُجمع الناس ﴿ضُحٗى ٥٩﴾ في وقت الضحى.

- ﴿فَتَوَلَّىٰ فِرۡعَوۡنُ فَجَمَعَ كَيۡدَهُۥ ثُمَّ أَتَىٰ ٦٠﴾ جمع كل ما لديه.

- ﴿قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ﴾ أي للسحرة: ﴿وَيۡلَكُمۡ﴾ تذكير بالله تعالى ﴿لَا تَفۡتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا﴾ لا تنصروا الباطل بسحركم وتغالبوا أمر الله ودينه ﴿فَيُسۡحِتَكُم بِعَذَابٖ﴾ يستأصلكم بهلاك ﴿وَقَدۡ خَابَ﴾ خسر ﴿مَنِ ٱفۡتَرَىٰ ٦١﴾ كذب على الله.

- ﴿فَتَنَٰزَعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡ﴾ تنازع السحرة فيما بينهم لما سمعوا موعظة موسى ﴿وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجۡوَىٰ ٦٢﴾ أخفوا ما بينهم من حديث، مبالغةً في عدم سماع موسى لما يتناجون به فيما بينهم.

- ﴿قَالُوٓاْ﴾ السحرة بعد ما دار بينهم من نجوى: ﴿إِنۡ هَٰذَٰنِ﴾ موسى وأخاه هارون ﴿لَسَٰحِرَٰنِ يُرِيدَانِ أَن يُخۡرِجَاكُم مِّنۡ أَرۡضِكُم بِسِحۡرِهِمَا﴾ يخرجاكم من أرضكم، ويستوليا عليها ﴿وَيَذۡهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلۡمُثۡلَىٰ ٦٣﴾ يذهبا بطريقتكم في السحر، فيأخذاها ويشتهرا بها.

- ﴿فَأَجۡمِعُواْ كَيۡدَكُمۡ﴾ اجتمعوا على أمركم ﴿ثُمَّ ٱئۡتُواْ صَفّٗا﴾ واحداً لا تختلفوا ﴿وَقَدۡ أَفۡلَحَ﴾ فاز ﴿ٱلۡيَوۡمَ مَنِ ٱسۡتَعۡلَىٰ ٦٤﴾ من طلب العلو والفوز والغلبة على الآخر.

التَّدَبُّر

١ ـ القدرة على الحوار فرع عن التأهيل ﴿ قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾ قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ ﴿٥١﴾ قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى فِى كِتَٰبٍ ۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ﴿٥٣﴾ ﴾ إذا كنت لا تملك تأهيلاً كافياً فإنك لا تستطيع أن تدير حواراً جاداً ومؤثراً.

٢ ـ تجهَّز لخوض غمار رسالتك بعزٍّ وشموخ ﴿ قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾ قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ ﴿٥١﴾ قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى فِى كِتَٰبٍ ۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ﴿٥٣﴾ ﴾ ماذا لو لم تكن لدى موسى هذه الأجوبة المباشرة على أسئلة هذا الضالِّ؟!

٣ ـ (لا أعلم) في موضعها اللائق بها من فتوحـات التوفيـق على صاحبهـا ﴿ قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ ﴿٥١﴾ قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى فِى كِتَٰبٍ ۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾ ﴾.

٤ ـ من الجناية على العلم أن يجيب صاحبه بالأوهام والظنون ﴿ قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ ﴿٥١﴾ قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى فِى كِتَٰبٍ ۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾ ﴾.

٥ ـ إذا أردت أن تُعرِّف بربك فألقِ بنظر السـائل إلى مشاهد هذا الكون الفسيح ﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ﴿٥٣﴾ كُلُوا۟ وَٱرْعَوْا۟ أَنْعَٰمَكُمْ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ ﴿٥٤﴾ ۞ مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴿٥٥﴾ ﴾ تكفيه عن ألف جواب.

٦ ـ الضلال مانع من قبول الهدى وإن جاء في أبهج معانيه ﴿وَلَقَدْ أَرَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ ﴿٥٦﴾﴾.

٧ ـ الإصرار على الضلال فرع عن سوء التوفيق ﴿وَلَقَدْ أَرَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ ﴿٥٦﴾﴾.

٨ ـ إذا أعمى الله القلوب تنكَّبت الحقائق كلها ﴿وَلَقَدْ أَرَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ ﴿٥٦﴾﴾.

٩ ـ من علامات الشقاء أن تجادل في الحقائق ﴿قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٥٧﴾ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِۦ فَٱجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَّا نُخْلِفُهُۥ نَحْنُ وَلَآ أَنتَ مَكَانًا سُوًى ﴿٥٨﴾﴾.

١٠ ـ إذا أراد الله تعالى أمراً أجرى له الأسباب الكفيلة بنجاحه ﴿فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِۦ فَٱجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَّا نُخْلِفُهُۥ نَحْنُ وَلَآ أَنتَ مَكَانًا سُوًى ﴿٥٨﴾ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحًى ﴿٥٩﴾﴾.

١١ ـ من فقه إدارة المعركة أن تجعلها في مشهد عام حتى يتبيَّن عوار الضالين ﴿قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحًى ﴿٥٩﴾﴾.

١٢ ـ الحوارات التي تولاها متمكنون في بعض القنوات الفضائية أجهضت على جملة من مشاريع الأعداء ﴿فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِۦ فَٱجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَّا نُخْلِفُهُۥ نَحْنُ وَلَآ أَنتَ مَكَانًا سُوًى ﴿٥٨﴾ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحًى ﴿٥٩﴾﴾.

١٣ ـ الباطل يبني بيتاً من زجاج ﴿فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُۥ ثُمَّ أَتَىٰ ﴿٦٠﴾﴾.

١٤ ـ تأجير العقول مشكلة مزمنة في تاريخ أصحابها، أما قال هذا الضالُّ بالأمس: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النازعات: ٢٤] فما له اليوم يبحث عن أعوان للنصر في مواقع النزال! ﴿فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُۥ ثُمَّ أَتَىٰ ﴿٦٠﴾﴾.

١٥ ـ إدارة الحرب النفسية جزء من فقه إدارة المعركة الكبرى بوعي ﴿ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنِ ٱفْتَرَىٰ ﴿٦١﴾ فَتَنَٰزَعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَىٰ ﴿٦٢﴾ ﴾.

١٦ ـ إذا رأيته يقبل على فجيعة فاضرب على مشاعره بسوط مواعظ الخشية والذكرى ﴿ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنِ ٱفْتَرَىٰ ﴿٦١﴾ فَتَنَٰزَعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَىٰ ﴿٦٢﴾ ﴾.

١٧ ـ ما أحوجنا لهذا الأسلوب في كل نقاش وخلاف وفكرة نديرها مع الآخرين! ﴿ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنِ ٱفْتَرَىٰ ﴿٦١﴾ فَتَنَٰزَعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَىٰ ﴿٦٢﴾ ﴾.

١٨ ـ كم من حجرٍ أُلقي في ماءٍ راكدٍ فبعثر سكونه! وكم من ذكرى أُلقيت في قلبٍ غافلٍ فأقبلت به إلى مواطن الفلاح ﴿ فَتَنَٰزَعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَىٰ ﴿٦٢﴾ ﴾.

١٩ ـ من فضلك أدر شأن موعظتك بإتقان ﴿ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنِ ٱفْتَرَىٰ ﴿٦١﴾ فَتَنَٰزَعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَىٰ ﴿٦٢﴾ ﴾.

٢٠ ـ لا تيأس! كن مع الله تعالى، واملأ ساحاتك بالأمل ﴿ فَتَنَٰزَعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَىٰ ﴿٦٢﴾ ﴾.

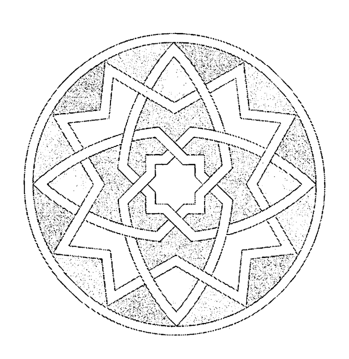
٢١ ـ مواجهة القلوب والمشاعر تقضي على كثيرٍ من أوهام العقول ﴿ فَتَنَٰزَعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَىٰ ﴿٦٢﴾ ﴾.

٢٢ ـ كن لبيباً وضع سنارتك في موقعها الصحيح ﴿ فَتَنَٰزَعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَىٰ ﴿٦٢﴾ ﴾.

٢٣ ـ لا تحسب كم هي عوائد درســك وموعظتك، كم من ناجٍ وقد أوشك على جرفٍ هارٍ! ﴿ فَتَنَٰزَعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجۡوَىٰ ﴿٦٢﴾ ﴾.

٢٤ ـ جراح النفوس لا تلتئم مبكراً ﴿ قَالُوٓاْ إِنۡ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ يُرِيدَانِ أَن يُخۡرِجَاكُم مِّنۡ أَرۡضِكُم بِسِحۡرِهِمَا وَيَذۡهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلۡمُثۡلَىٰ ﴿٦٣﴾ فَأَجۡمِعُواْ كَيۡدَكُمۡ ثُمَّ ٱئۡتُواْ صَفّٗاۚ وَقَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡيَوۡمَ مَنِ ٱسۡتَعۡلَىٰ ﴿٦٤﴾ ﴾ قاموا يحاولون استرداد قوتهم المعنوية وهيهات!

❀ ❀ ❀



قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِيَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ ﴿٦٥﴾ قَالَ بَلْ أَلْقُواْۖ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾ وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓاْۖ إِنَّمَا صَنَعُواْ كَيْدُ سَٰحِرٍۖ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾ فَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ﴿٧٠﴾ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِي عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَۖ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ﴿٧١﴾ قَالُواْ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِي فَطَرَنَاۖ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍۖ إِنَّمَا تَقْضِي هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ﴿٧٢﴾ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِۗ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿٧٣﴾ إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿٧٤﴾ وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ ﴿٧٦﴾

التفسير

- ﴿قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ﴾ أي السحرة ﴿إِمَّآ أَن تُلۡقِيَ﴾ عصاك ﴿وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنۡ أَلۡقَىٰ ۝٦٥﴾ أو نلقي نحن ما بأيدينا.

- ﴿قَالَ بَلۡ أَلۡقُواْۖ﴾ ابدؤوا أنتم ﴿فَإِذَا حِبَالُهُمۡ وَعِصِيُّهُمۡ﴾ التي رموا بها في الأرض ﴿يُخَيَّلُ إِلَيۡهِ﴾ إلى موسى ﴿مِن سِحۡرِهِمۡ أَنَّهَا تَسۡعَىٰ ۝٦٦﴾ أنها حيات تجري على الأرض.

- ﴿فَأَوۡجَسَ فِي نَفۡسِهِۦ خِيفَةٗ مُّوسَىٰ ۝٦٧﴾ أحسَّ في نفسه خيفةً ممَّا رأى.

- ﴿قُلۡنَا لَا تَخَفۡ﴾ مما ترى ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡأَعۡلَىٰ ۝٦٨﴾ الأغلب والأظهر.

- ﴿وَأَلۡقِ مَا فِي يَمِينِكَ﴾ عصاك ﴿تَلۡقَفۡ مَا صَنَعُوٓاْۖ﴾ تبتلعه ﴿إِنَّمَا صَنَعُواْ كَيۡدُ سَٰحِرٖۖ﴾ إنما فعلهم ذلك من كيد السحرة ﴿وَلَا يُفۡلِحُ ٱلسَّاحِرُ﴾ لا يربح ولا يفوز ﴿حَيۡثُ أَتَىٰ ۝٦٩﴾ أين اتجه.

- ﴿فَأُلۡقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدٗا﴾ لله تعالى ﴿قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ۝٧٠﴾ صدَّقنا بأنه الرب تعالى.

- ﴿قَالَ ءَامَنتُمۡ لَهُۥ قَبۡلَ أَنۡ ءَاذَنَ لَكُمۡۖ﴾ كيف تؤمنون به دون إذني ﴿إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ﴾ أي موسى ﴿ٱلَّذِي عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحۡرَۖ﴾ فنونه وأوضاعه ﴿فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيۡدِيَكُمۡ وَأَرۡجُلَكُم مِّنۡ خِلَٰفٖ﴾ اليد اليمنى مع الرجل اليسرى ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمۡ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخۡلِ﴾ على جذوعها ﴿وَلَتَعۡلَمُنَّ أَيُّنَآ﴾ أنا أو ربكم ﴿أَشَدُّ عَذَابٗا﴾ أقواه وأشدُّه ألماً ﴿وَأَبۡقَىٰ ۝٧١﴾ أثراً في أجسادكم ونفوسكم.

- ﴿قَالُواْ لَن نُّؤْثِرَكَ﴾ لن نختارك ﴿عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ الدلائل الواضحة على ربنا ﴿وَٱلَّذِى فَطَرَنَا﴾ خلقنا وأوجدنا ﴿فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ﴾ افعل ما أنت فاعل ﴿إِنَّمَا تَقْضِى﴾ تفعل ﴿هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ﴿٧٢﴾﴾ لا تتجاوزها.
- ﴿إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا﴾ ذنوبنا التي اقترفناها بسبب الكفر ﴿وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ﴾ ويغفر لنا السحر الذي أكرهتنا على عمله لمعارضة الحق ﴿وَٱللَّهُ خَيْرٌ﴾ في عطائه وثوابه ﴿وَأَبْقَىٰٓ ﴿٧٣﴾﴾ في جزائه.
- ﴿إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا﴾ عاصياً لله تعالى ﴿فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ﴾ يوم القيامة ﴿لَا يَمُوتُ فِيهَا﴾ فيستريح من عذابها ﴿وَلَا يَحْيَىٰ ﴿٧٤﴾﴾ حياة فيها راحة.
- ﴿وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا﴾ بالله تعالى وبرسوله ﴿قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ الأعمال الصالحة ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾﴾ المنازل العالية.
- ﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ﴾ إقامة دائمة في بساتين ﴿تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ زيادة في نعيمها ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ لا يحولون عنها ﴿وَذَٰلِكَ﴾ النعيم ﴿جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ ﴿٧٦﴾﴾ تطهَّر من الشرك وعمل الصالحات.

التَّدَبُّر

١ ـ حين يبلغ الباطل مداه ﴿قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ ﴿٦٥﴾﴾.

٢ ـ من فقه إدارة المعركة أن تترك العدو يلقي بشبهه وأوهامه أولاً، ثم تبطلها في النهاية كأنها لا شيء ﴿قَالَ بَلْ أَلْقُواْ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾﴾.

٣ ـ ما هو ناتج عن بشريتك فلا تلام عليه ﴿فَأَوْجَسَ فِى نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾﴾.

٤ ـ خوفك على مشروعك وقلقك على نجاحه طبيعة لا يكاد ينفك عنها الإنسان ﴿ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ ﴾.

٥ ـ لا تقلق، فالله معك ﴿ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾ وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓاْۖ إِنَّمَا صَنَعُواْ كَيْدُ سَٰحِرٖۖ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾ ﴾ درس العقيـدة والأمل لا يجوز بحال أن يتوقـف، خاصة في مواقف المرض والألم والحوادث والمشكلات والأزمات وفجائع الزمان.

٦ ـ حين لا يبقى من جهدك شـيء يُتِمُّ توفيقُ الله تعالـى النهايات ﴿ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾ وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓاْۖ إِنَّمَا صَنَعُواْ كَيْدُ سَٰحِرٖۖ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾ ﴾.

٧ ـ إذا استنفدت أسبابك الشرعية تنزَّلت عليك العناية الإلهية ﴿ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾ وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓاْۖ إِنَّمَا صَنَعُواْ كَيْدُ سَٰحِرٖۖ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾ ﴾.

٨ ـ حين تصـرع الحقائقُ الأوهامَ فتبطلهـا ﴿ وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓاْۖ إِنَّمَا صَنَعُواْ كَيْدُ سَٰحِرٖۖ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾ ﴾.

٩ ـ حين تكشَّـفت عورات الباطل في ضحى النهار ﴿ وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓاْۖ إِنَّمَا صَنَعُواْ كَيْدُ سَٰحِرٖۖ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾ ﴾.

١٠ ـ للباطل زمن يخرُّ فيه على وجهه مهزوماً ﴿ وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓاْۖ إِنَّمَا صَنَعُواْ كَيْدُ سَٰحِرٖۖ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾ ﴾.

١١ ـ الحقائق تجهض الخرافات ﴿ فَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدٗا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ﴿٧٠﴾ ﴾.

١٢ ـ المناظرات إذا أُحْسِنَ اختيارها يمكن أن تجتال كثيرين إلى مساحات الحقائق ﴿ فَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدٗا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ﴿٧٠﴾ ﴾.

١٣ ـ مواجهة الباطل وجهاً لوجه يقشع أوهامه، وينزع ستره ولباسه ﴿ فَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ﴿٧٠﴾ ﴾.

١٤ ـ النفوس التي قضت زمناً في الباطل لا تأتي إلى الحق إلا بصدمات كبرى، تُغَيِّرُ مسارها في التاريخ ﴿ فَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ﴿٧٠﴾ ﴾.

١٥ ـ المدمنون على شـيء يحتاجون إلى قدرة كبيرة تنتشلهم من ذلك الواقع الذي عاشوا فيه زمناً طويلاً ﴿ فَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ﴿٧٠﴾ ﴾.

١٦ ـ هزائم الملأ لا تدع فرصاً للتفكير ﴿ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ ۖ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ﴿٧١﴾ ﴾.

١٧ ـ حين يطيش الكبار! ﴿ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ ۖ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ﴿٧١﴾ ﴾.

١٨ ـ حتى الإيمان يحتاج إلى اسـتئذان! منكر في صورة شريعة! ﴿ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ ۖ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ﴿٧١﴾ ﴾.

١٩ ـ التفكيـر الأخرق يصنـع بوائق الزمـان ﴿ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ ۖ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ﴿٧١﴾ ﴾.

٢٠ ـ إذا قامت الحقائق في القلوب؛ فلا تسل عن التضحيات ﴿ قَالُواْ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ۖ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ﴿٧٢﴾ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ ۗ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿٧٣﴾ ﴾.

٢١ ـ التوحيد يواجه القـوة بالقوة ﴿قَالُوا۟ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ۖ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ﴿٧٢﴾ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ ۗ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿٧٣﴾﴾ الذيـن سـجدوا بالأمس لصنم؛ رفضوا أن يسجدوا اليوم لطاغوت وهو يتوعدهم بالموت!

٢٢ ـ ﴿قَالُوا۟ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ۖ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ﴿٧٢﴾ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ ۗ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿٧٣﴾﴾ هكذا يصنع الإيمان إذا لامَسَتْ بشاشته القلوب!

٢٣ ـ من عبيدٍ لبشرٍ إلى أحرار في الحياة ﴿قَالُوا۟ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ۖ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ﴿٧٢﴾ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ ۗ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿٧٣﴾﴾.

٢٤ ـ أيها الدعاة! أميطوا لثام الحقائق من جديد ﴿قَالُوا۟ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ۖ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ﴿٧٢﴾ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ ۗ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿٧٣﴾﴾ رددوا هـذه القصة على أصحاب الوهم لعلهم يفيقون!

٢٥ ـ إذا أميط لثام الحقائق جاءت التصورات الصحيحة ﴿إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿٧٤﴾ وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ ﴿٧٦﴾﴾.

٢٦ ـ من أعظم واجبات الدعوة إزالة الشبه العارضة في الطريق ﴿إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿٧٤﴾ وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ ﴿٧٦﴾﴾.

❀ ❀ ❀

وَلَقَدْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِى فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِى ٱلْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ ﴿٧٧﴾ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِۦ فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴿٧٨﴾ وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُۥ وَمَا هَدَىٰ ﴿٧٩﴾ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ قَدْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ عَدُوِّكُمْ وَوَٰعَدْنَٰكُمْ جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنَ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ﴿٨٠﴾ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَلَا تَطْغَوْا۟ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِى ۖ وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِى فَقَدْ هَوَىٰ ﴿٨١﴾ وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾ ۞ وَمَآ أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٨٣﴾ قَالَ هُمْ أُو۟لَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِى وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ﴿٨٤﴾ قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنۢ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِىُّ ﴿٨٥﴾ فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا ۚ أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ ٱلْعَهْدُ أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِى ﴿٨٦﴾ قَالُوا۟ مَآ أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَٰكِنَّا حُمِّلْنَآ أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ ٱلْقَوْمِ فَقَذَفْنَٰهَا فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى ٱلسَّامِرِىُّ ﴿٨٧﴾

التفسير

• ﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ﴾ بلَّغناه وأمرناه ﴿أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِى﴾ اخرج بهم ليلاً من مصر ﴿فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِى ٱلْبَحْرِ﴾ اتخذ لهم طريقاً في البحر ﴿يَبَسًا﴾ لا ماء فيه ﴿لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا﴾ لا تخاف أن يدركك فرعون ﴿وَلَا تَخْشَىٰ ﴿٧٧﴾﴾ ولا تخاف منه.

• ﴿فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِۦ﴾ لحقهم بعد خروجهم ﴿فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴿٧٨﴾﴾ عَلَاهُم وغَمَرَهُم من الماء شيء كثير ﴿وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُۥ﴾ بما زين لهم من الكفر ﴿وَمَا هَدَىٰ ﴿٧٩﴾﴾ وما هداهم إلى الحق.

• ﴿يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ أي الناجين مع موسى من فرعون ﴿قَدْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ عَدُوِّكُمْ﴾ من فرعون وجنوده ﴿وَوَٰعَدْنَٰكُمْ﴾ واعدنا موسى ﴿جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنَ﴾ لنبلِّغه التوراة ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ﴾ مادة حلوة تشبه العسل كانت تسقط على الشجر ﴿وَٱلسَّلْوَىٰ ﴿٨٠﴾﴾ طائر لذيذ الطعم.

• ﴿كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾ تنعَّموا واشكروا الله تعالى على ذلك ﴿وَلَا تَطْغَوْا۟ فِيهِ﴾ في رزقه فتستعملوه في معاصيه ﴿فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِى﴾ سخطي وعقوبتي ﴿وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِى فَقَدْ هَوَىٰ ﴿٨١﴾﴾ سقط في الهلاك.

• ﴿وَإِنِّى لَغَفَّارٌ﴾ كثير المغفرة ﴿لِّمَن تَابَ﴾ من المعاصي ﴿وَءَامَنَ﴾ بالله تعالى وبرسله ﴿وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ من أعمال البر ﴿ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾﴾ سلك الطريق المستقيم.

• ﴿وَمَآ أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٨٣﴾﴾ ما الذي أقدمك قبل قومك؟!

• ﴿قَالَ هُمْ أُو۟لَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِى﴾ قريباً مني وسيصلون بعدي مباشرة ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ﴿٨٤﴾﴾ وأعجلني إليك محبة رضاك ﴿قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ

مِنۢ بَعۡدِكَ ﴾ بعبادتهم العجل ﴿وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِيُّ ﴿٨٥﴾﴾ كان سبباً في ضلالهم؛ حيث أمرهم بعبادة العجل فتبعوه.

- ﴿فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ﴾ بعد كمال أربعين ليلة ﴿غَضۡبَٰنَ أَسِفٗاۚ﴾ متغيضاً على عبادتهم العجل ﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ أَلَمۡ يَعِدۡكُمۡ رَبُّكُمۡ وَعۡدًا حَسَنًاۚ﴾ بإنزال التوراة عليكم، وهلاك عدوكم ﴿أَفَطَالَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡعَهۡدُ﴾ مدة غيابي عنكم ﴿أَمۡ أَرَدتُّمۡ أَن يَحِلَّ عَلَيۡكُمۡ غَضَبٞ مِّن رَّبِّكُمۡ﴾ بعبادتكم العجل ﴿فَأَخۡلَفۡتُم مَّوۡعِدِي ﴿٨٦﴾﴾ ما وعدتموني من الصبر على الطريق.
- ﴿قَالُواْ مَآ أَخۡلَفۡنَا مَوۡعِدَكَ بِمَلۡكِنَا﴾ باختيارنا ﴿وَلَٰكِنَّا حُمِّلۡنَآ أَوۡزَارٗا﴾ أثقالاً وأحمالاً ﴿مِّن زِينَةِ ٱلۡقَوۡمِ﴾ من حلي القبط أخذناها بدون حق فتأثّمنا منها ﴿فَقَذَفۡنَٰهَا﴾ ألقيناها في النار التي أوقدها السامري في الحفرة ﴿فَكَذَٰلِكَ﴾ كما ألقينا نحن هذه الزينة ﴿أَلۡقَى ٱلسَّامِرِيُّ ﴿٨٧﴾﴾ ألقى ما معه من الزينة.

التَّدَبُّر

١ ـ كل مشهد من مشاهد الحياة يحتاج إلى خطوات الطريق ﴿وَلَقَدۡ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَسۡرِ بِعِبَادِي فَٱضۡرِبۡ لَهُمۡ طَرِيقٗا فِي ٱلۡبَحۡرِ يَبَسٗا لَّا تَخَٰفُ دَرَكٗا وَلَا تَخۡشَىٰ ﴿٧٧﴾﴾.

٢ ـ عافيتك من أزمات واقعك، وخروجك من مشكلاتك التي تعيشها متوقف على الخطوة الأولى ﴿وَلَقَدۡ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَسۡرِ بِعِبَادِي فَٱضۡرِبۡ لَهُمۡ طَرِيقٗا فِي ٱلۡبَحۡرِ يَبَسٗا لَّا تَخَٰفُ دَرَكٗا وَلَا تَخۡشَىٰ ﴿٧٧﴾﴾.

٣ ـ حين تتحرك في واقعك، وتبذل الأسباب الممكنة، لا تكترث بعد ذلك بعقبات الطريق، وأحداث الغيب القادمة ﴿وَلَقَدۡ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَسۡرِ بِعِبَادِي فَٱضۡرِبۡ لَهُمۡ طَرِيقٗا فِي ٱلۡبَحۡرِ يَبَسٗا لَّا تَخَٰفُ دَرَكٗا وَلَا تَخۡشَىٰ ﴿٧٧﴾﴾.

٤ ـ الحياة فرع عن الحركة الفاعلة في واقعك ﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِى فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِى ٱلْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ ﴿٧٧﴾﴾ تحرك، واخرج من واقعك، وابحث عن النجاة والتحديات، واذهب تَخْلُقُ لك الحياةُ ربيعاً في عُرْض الطريق.

٥ ـ في أوامر الله تعالى لا تسل كيف! إذا دق جرس البداية انطلق، وإياك والالتفات ﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِى فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِى ٱلْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ ﴿٧٧﴾﴾.

٦ ـ الغفلة تصنع ظلاماً لصاحبها ﴿فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِۦ فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴿٧٨﴾﴾.

٧ ـ كم من معصيةٍ أودت بصاحبها إلى الهلاك! ﴿فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِۦ فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴿٧٨﴾﴾.

٨ ـ كم من متأسف بعد الفوات! ﴿فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِۦ فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴿٧٨﴾﴾.

٩ ـ لا تقل: ألم يَرَ فرعون كيف أنَّ بحراً انفلق فيعتبر! تلك المعاصي تصنع مثل هذه الخواتيم ﴿فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِۦ فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴿٧٨﴾﴾.

١٠ ـ نجا من حادث مروِّع وعاد كأن لم يخرج من عنق الزجاجة ﴿فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِۦ فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴿٧٨﴾ وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُۥ وَمَا هَدَىٰ ﴿٧٩﴾﴾.

١١ ـ كم من ضال دخل السجن وخرج منه، ثم عاد بعد زمن إلى المكان ذاته ﴿فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِۦ فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴿٧٨﴾﴾.

١٢ ـ كم من كبيرٍ أضلَّ قومه في النهايات ﴿وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُۥ وَمَا هَدَىٰ ﴿٧٩﴾﴾.

١٣ ـ كثير من الغرقى كان سببهم السادة والكبراء ﴿وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُۥ وَمَا هَدَىٰ ﴿٧٩﴾﴾.

١٤ ـ رأيت أتباعاً يحللون ويحرمون وفقاً لشـيخهم وكبيرهم ورئيسهم؛ فأوردهم نهايات السوء ﴿وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُۥ وَمَا هَدَىٰ ﴿٧٩﴾﴾.

١٥ ـ الإمَّعات يستحقون نهايات السوء ﴿وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُۥ وَمَا هَدَىٰ ﴿٧٩﴾﴾.

١٦ ـ لا تحدثني عن الأتباع الضالِّين، حدثني عن الناجين السالمين، هؤلاء صُنَّاع الأحلام ﴿وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُۥ وَمَا هَدَىٰ ﴿٧٩﴾﴾.

١٧ ـ كثرة النعمـة موجبة للامتنان والعرفـان ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ قَدۡ أَنجَيۡنَٰكُم مِّنۡ عَدُوِّكُمۡ وَوَٰعَدۡنَٰكُمۡ جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلۡأَيۡمَنَ وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَنَّ وَٱلسَّلۡوَىٰ ﴿٨٠﴾ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَلَا تَطۡغَوۡاْ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيۡكُمۡ غَضَبِيۖ وَمَن يَحۡلِلۡ عَلَيۡهِ غَضَبِي فَقَدۡ هَوَىٰ ﴿٨١﴾﴾.

١٨ ـ إذا رأيتم من تتعدد نعم الله تعالى في واقعه وهو يقابلها بالجحود؛ فتلك من علامات الشقاء ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ قَدۡ أَنجَيۡنَٰكُم مِّنۡ عَدُوِّكُمۡ وَوَٰعَدۡنَٰكُمۡ جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلۡأَيۡمَنَ وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَنَّ وَٱلسَّلۡوَىٰ ﴿٨٠﴾ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَلَا تَطۡغَوۡاْ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيۡكُمۡ غَضَبِيۖ وَمَن يَحۡلِلۡ عَلَيۡهِ غَضَبِي فَقَدۡ هَوَىٰ ﴿٨١﴾﴾.

١٩ ـ الطغيان موجبٌ لحلول مقت الله تعالى وغضبه ﴿وَلَا تَطۡغَوۡاْ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيۡكُمۡ غَضَبِيۖ وَمَن يَحۡلِلۡ عَلَيۡهِ غَضَبِي فَقَدۡ هَوَىٰ﴾.

٢٠ ـ ما أكثر النعم التي ما زالت تجابه بالعقوق! ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ قَدۡ أَنجَيۡنَٰكُم مِّنۡ عَدُوِّكُمۡ وَوَٰعَدۡنَٰكُمۡ جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلۡأَيۡمَنَ وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَنَّ وَٱلسَّلۡوَىٰ ﴿٨٠﴾ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَلَا تَطۡغَوۡاْ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيۡكُمۡ غَضَبِيۖ وَمَن يَحۡلِلۡ عَلَيۡهِ غَضَبِي فَقَدۡ هَوَىٰ ﴿٨١﴾﴾ ليس في واقع بني إسرائيل فحسب بل في واقع كثير من المسلمين!

٢١ ـ الموفق مَنْ رزقه الله تعالى شكر نعمه وآلائه ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ قَدۡ أَنجَيۡنَٰكُم مِّنۡ عَدُوِّكُمۡ وَوَٰعَدۡنَٰكُمۡ جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلۡأَيۡمَنَ وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَنَّ وَٱلسَّلۡوَىٰ ﴿٨٠﴾ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَلَا تَطۡغَوۡاْ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيۡكُمۡ غَضَبِيۖ وَمَن يَحۡلِلۡ عَلَيۡهِ غَضَبِي فَقَدۡ هَوَىٰ ﴿٨١﴾﴾.

٢٢ ـ مشكلة الكثيرين إما أنهم لا يشعرون بالنعمة في أصلها، أو لا يعرفون كيف يشكرونها في النهاية ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ قَدۡ أَنجَيۡنَٰكُم مِّنۡ عَدُوِّكُمۡ وَوَٰعَدۡنَٰكُمۡ جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلۡأَيۡمَنَ وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَنَّ وَٱلسَّلۡوَىٰ ﴿٨٠﴾ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَلَا تَطۡغَوۡاْ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيۡكُمۡ غَضَبِيۖ وَمَن يَحۡلِلۡ عَلَيۡهِ غَضَبِي فَقَدۡ هَوَىٰ ﴿٨١﴾﴾.

٢٣ ـ تخيَّل ! يكفرون بنعم الله تعالى؛ ثم يدعوهم للتوبة؛ ويعدهم بالغفران ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٞ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا ثُمَّ ٱهۡتَدَىٰ ﴿٨٢﴾﴾ ما أحلم الله!

٢٤ ـ ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٞ لِّمَن تَابَ﴾ مثلك يصنع منها حلماً عريضاً في الحياة!

٢٥ ـ التوبة ليست تلك التي تجريها على لسانك، وإنما تلك التي تصنع بها واقعاً في الحياة ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٞ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا ثُمَّ ٱهۡتَدَىٰ ﴿٨٢﴾﴾.

٢٦ ـ رأيت نماذج من التائبين إذا بدأت رحلتها تُغيِّرُ فيه كل شيء، ورأيت نماذج أخرى زعمت أنها تتوب، ولم تبرح واقعها في شيء ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٞ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا ثُمَّ ٱهۡتَدَىٰ ﴿٨٢﴾﴾.

٢٧ ـ خرج من مجلسه نادماً عن الحديث في عورات المسلمين، وتمتم بالتوبة، ومن الغد أتمَّ التسلق على تلك العورات البريئة، وزعم أنه تاب ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٞ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا ثُمَّ ٱهۡتَدَىٰ ﴿٨٢﴾﴾.

٢٨ ـ الذي يتوب من الغيبة تجده ممسكاً لسانه عن الخوض في مباح الكلام أياماً خوفاً من الوقوع في أحداثها من جديد ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٞ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا ثُمَّ ٱهۡتَدَىٰ ﴿٨٢﴾﴾.

٢٩ ـ يا الله! حدث يستحق الحياة ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ﴾.

٣٠ ـ ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ﴾ رسالة من قلب يُهْرَعُ إلى من يحب!

٣١ ـ ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ﴾ معنى يُغني عن ألف رسالة في الحب!

٣٢ ـ ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ﴾ رسالة شجب واستنكار لكل المتخلفين عن أوامر الله تعالى حتى هذه اللحظة!

٣٣ ـ مِنْ لهفته، خلَّف قومه، وأقبل مسرعاً نحو الأشواق ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ﴾.

٣٤ ـ الذين يقومون للصلاة عند النداء يستحقون هذا المعنى بإجلال ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ﴾.

٣٥ ـ من فضلك: كم مرة عجلت إلى ربك من أجل هذا المعنى! ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ﴾.

٣٦ ـ هذا عجَّل من أجل ربه، وذاك عجَّل من أجل هواه، ما أبعد الفرق! ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ﴾.

٣٧ ـ يستحق صاحب هذا المعنى ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ﴾ أحداث قول ربه تعالى له: ﴿وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى﴾ [طه: ٤١]!

٣٨ ـ يحسب أن أشواقهم كشوقه؛ فخلَّفهم وذهب مسرعاً ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ﴾.

٣٩ ـ غالباً لا تجد مجتمعاً ناهضاً لم يرزقه الله تعالى بصاحب راية ﴿وَمَآ أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٨٣﴾ قَالَ هُمْ أُوْلَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِى وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ﴿٨٤﴾ قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنۢ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِىُّ ﴿٨٥﴾﴾ تخلَّفتْ عنهم القدوة زمناً يسيراً؛ فتاهوا في الضلال! فما بالك بالمجتمعات التي لم يهبها الله تعالى قدوة حتى الآن!!

٤٠ ـ وأقول لك من تجربة وواقع: إذا رأيت مجتمعاً متآلفاً متآزراً متعاوناً فاعلاً مثيراً؛ فاعلم أن الله تعالى مَنَّ عليه بصاحب راية ومشروع، وإذا رأيته متخلفاً متنازعاً متخاصماً ضعيفاً بارداً خاملاً؛ فاعلم أن الله تعالى لم يمن عليه بقدوة وصاحب راية ﴿وَمَآ أَعۡجَلَكَ عَن قَوۡمِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٨٣﴾ قَالَ هُمۡ أُوْلَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِي وَعَجِلۡتُ إِلَيۡكَ رَبِّ لِتَرۡضَىٰ ﴿٨٤﴾ قَالَ فَإِنَّا قَدۡ فَتَنَّا قَوۡمَكَ مِنۢ بَعۡدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِيُّ ﴿٨٥﴾﴾.

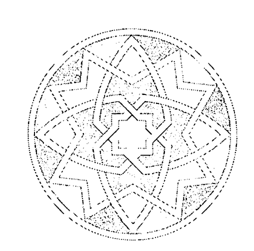
٤١ ـ كل مجتمع يخلو من القدوة تتآكل قيمه، وتذبل مبادئه، ويعود خاوياً من كل فضيلة ﴿وَمَآ أَعۡجَلَكَ عَن قَوۡمِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٨٣﴾ قَالَ هُمۡ أُوْلَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِي وَعَجِلۡتُ إِلَيۡكَ رَبِّ لِتَرۡضَىٰ ﴿٨٤﴾ قَالَ فَإِنَّا قَدۡ فَتَنَّا قَوۡمَكَ مِنۢ بَعۡدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِيُّ ﴿٨٥﴾﴾.

٤٢ ـ لولا الرسل في الأرض لم يختلف الإنسان عن الأنعام في شيء ﴿وَمَآ أَعۡجَلَكَ عَن قَوۡمِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٨٣﴾ قَالَ هُمۡ أُوْلَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِي وَعَجِلۡتُ إِلَيۡكَ رَبِّ لِتَرۡضَىٰ ﴿٨٤﴾ قَالَ فَإِنَّا قَدۡ فَتَنَّا قَوۡمَكَ مِنۢ بَعۡدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِيُّ ﴿٨٥﴾﴾.

٤٣ ـ فقدوا القدوة لحظة؛ فضاعوا في تيه الضلال ﴿قَالَ فَإِنَّا قَدۡ فَتَنَّا قَوۡمَكَ مِنۢ بَعۡدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِيُّ ﴿٨٥﴾﴾.

٤٤ ـ الأعذار الباردة لا تصلح إلا من مثل هؤلاء ﴿قَالُواْ مَآ أَخۡلَفۡنَا مَوۡعِدَكَ بِمَلۡكِنَا وَلَٰكِنَّا حُمِّلۡنَآ أَوۡزَارٗا مِّن زِينَةِ ٱلۡقَوۡمِ فَقَذَفۡنَٰهَا فَكَذَٰلِكَ أَلۡقَى ٱلسَّامِرِيُّ ﴿٨٧﴾﴾.





فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ فَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ
وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِىَ ﴿٨٨﴾ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا
يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴿٨٩﴾ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَٰرُونُ مِن قَبْلُ
يَٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ ۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِى وَأَطِيعُوٓا۟
أَمْرِى ﴿٩٠﴾ قَالُوا۟ لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ
﴿٩١﴾ قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓا۟ ﴿٩٢﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِ ۖ
أَفَعَصَيْتَ أَمْرِى ﴿٩٣﴾ قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِى وَلَا بِرَأْسِىٓ ۖ إِنِّى
خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِى
﴿٩٤﴾ قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَٰسَٰمِرِىُّ ﴿٩٥﴾ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ
يَبْصُرُوا۟ بِهِۦ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا
وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِى نَفْسِى ﴿٩٦﴾ قَالَ فَٱذْهَبْ فَإِنَّ
لَكَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ ۖ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن
تُخْلَفَهُۥ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا ۖ
لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِى ٱلْيَمِّ نَسْفًا ﴿٩٧﴾ إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ
ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴿٩٨﴾

التفسير

• ﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ﴾ السامري ﴿عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ﴾ صوت كصوت البقر، قيل: إن الله تعالى خلق فيه الحياة ابتلاءً لهم واختباراً، وقيل: بل السامري صنعه لهم، وجعل فيه منافذ إذا دخلت فيه الريح أخرج صوتاً كخوار البقر ﴿فَقَالُواْ﴾ بنو إسرائيل: ﴿هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ﴾ أي العجل ﴿فَنَسِيَ ﴿٨٨﴾﴾ نسيَ موسى إلهه هنا أي العجل.

• ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ﴾ أن العجل ﴿أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا﴾ لا يتكلم ﴿وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴿٨٩﴾﴾ ولا يملك لهم شيئاً من الضر والنفع.

• ﴿وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَٰرُونُ مِن قَبْلُ﴾ من قبل رجوع موسى إليهم ﴿يَٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ﴾ بالعجل ﴿وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ المستحق للعبادة ﴿فَٱتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوٓاْ أَمْرِي ﴿٩٠﴾﴾ في الثبات على الحق.

• ﴿قَالُواْ لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴿٩١﴾﴾ سنستمر على عبادة العجل، ولن نتركها حتى يعود إلينا موسى.

• ﴿قَالَ﴾ موسى لائماً وعاتباً لهارون: ﴿يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓاْ ﴿٩٢﴾﴾.

• ﴿أَلَّا تَتَّبِعَنِ﴾ في الغضب عليهم، ومقاومتهم ونهيهم عن الكفر بالله تعالى ﴿أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي ﴿٩٣﴾﴾ فلم تقم بواجب الإصلاح في قومك.

• ﴿قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِيٓ﴾ لا تمسك بهما لائماً لي على ما حدث ﴿إِنِّي خَشِيتُ﴾ إن وقفت موقفاً حازماً معهم ﴿أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ بما فعلت ﴿وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ﴿٩٤﴾﴾ في الإصلاح الذي أردت.

- ﴿قَالَ﴾ موسى: ﴿فَمَا خَطْبُكَ يَٰسَٰمِرِيُّ ﴿٩٥﴾﴾ ما شأنك وما خبرك فيما فعلت؟!
- ﴿قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا۟ بِهِۦ﴾ علمت ورأيت ما لم يعلموه أو يروه، وهو أنه رأى جبريل على فرس وقت غرق فرعون ونجاتهم ﴿فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ﴾ أثر حافر الفرس، قيل: إنه عاين موضع أثر الفرس ينبت فيه النبات؛ فتفرّس أن الله جعل فيها خاصية الحياة ﴿فَنَبَذْتُهَا﴾ فأخذ تلك القبضة من التراب، واحتفظ بها، فلما أرادوا أن يطرحوا الحلي في النار ألقى السامري عليه تلك القبضة من التراب، وقال له: كن عجلاً جسداً له خوار فجعله الله تعالى عجلاً جسداً له خوار ﴿وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِى نَفْسِى ﴿٩٦﴾﴾ سولت لي أن أفعل هذا الفعل.
- ﴿قَالَ فَٱذْهَبْ﴾ تباعد عني ﴿فَإِنَّ لَكَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ﴾ تُعاقب عقوبة لا يدنو منك أحد، ولا تمسُّه، ولا يمسَّك ﴿وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُۥ﴾ يوم القيامة ﴿وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا﴾ أي العجل ﴿لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ﴾ بالنار ﴿ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ﴾ نذرّه ونفرّقه ﴿فِى ٱلْيَمِّ نَسْفًا ﴿٩٧﴾﴾ في البحر.
- ﴿إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ فلا رب سواه ﴿وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴿٩٨﴾﴾ أحاط علمه بكل شيء.



١ ـ ليس من السهولة بمكان أن تقنع العقول المفتونة بالضلال ﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ فَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِىَ ﴿٨٨﴾﴾.

٢ ـ الذين ذاقوا ذل الاستعباد لا يمكنهم الإفاقة من غفلتهم بسهولة ﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ فَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِىَ ﴿٨٨﴾﴾.

٣ ـ المؤجِّرون لعقولهم لا يسعهم الوقت للتفكير! ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴿٨٩﴾﴾ كثيرون الذين يسيرون مع الرعاع ولو استوقفتهم ساعة في الطريق لعرفوا الضلال!

٤ ـ مشكلة الكثيرين أنهم لم يعد لديهم وقتٌ كافٍ للتفكر والتأمل ومعرفة الصواب ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴿٨٩﴾﴾.

٥ ـ عبيد الأوهام لا تقنعهم الحقائق ﴿وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَٰرُونُ مِن قَبْلُ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ ۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِى وَأَطِيعُوٓا۟ أَمْرِى ﴿٩٠﴾ قَالُوا۟ لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴿٩١﴾﴾ يحتاجون زمناً للخلاص!

٦ ـ كم من إنسان عبد لفكرةٍ ووهم! ﴿وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَٰرُونُ مِن قَبْلُ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ ۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِى وَأَطِيعُوٓا۟ أَمْرِى ﴿٩٠﴾ قَالُوا۟ لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴿٩١﴾﴾.

٧ ـ النفوس الكبيرة تضجُّ للباطل، وتتلاوم من أجل فوات الحقائق ﴿قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓا۟ ﴿٩٢﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِ ۖ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِى ﴿٩٣﴾﴾.

٨ ـ الكبار يعيشون مشاريعهم ويحيون لها، ويجدون لفوات آثارها في نفوسهم ألماً وحسرات ﴿قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓا۟ ﴿٩٢﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِ ۖ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِى ﴿٩٣﴾﴾.

٩ ـ عاد مغضَباً متحسِّراً على تخلُّف قومه، وأخذ برأس أخيه ولحيته لائماً وعاتباً، وأوقع بالسامري عقوبة وألماً، كذلك تصنع حسرات المشاريع في واقع أصحابها ﴿قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓا۟ ﴿٩٢﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِ ۖ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِى ﴿٩٣﴾ قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِى وَلَا بِرَأْسِىٓ ۖ إِنِّى خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ

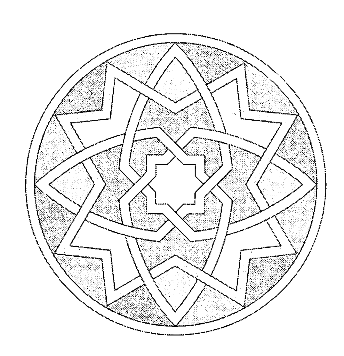
تَرْقُبْ قَوْلِي ﴿٩٤﴾ قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَٰسَٰمِرِيُّ ﴿٩٥﴾ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُواْ بِهِۦ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِى نَفْسِى ﴿٩٦﴾ قَالَ فَٱذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ ۖ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُۥ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا ۖ لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِى ٱلْيَمِّ نَسْفًا ﴿٩٧﴾﴾.

١٠ ـ لوثات الشرك لا تحررها إلا العقائد ﴿إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴿٩٨﴾﴾.

١١ ـ العقائد الخربة لا يعيد بناءها إلا التوحيد ﴿إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴿٩٨﴾﴾.

١٢ ـ أول شروط إصلاح واقع أمةٍ إقامةُ جسر العقائد في نفوس أصحابها ﴿إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴿٩٨﴾﴾.

❀ ❀ ❀



كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَۚ وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا ﴿٩٩﴾ مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُۥ يَحْمِلُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وِزْرًا ﴿١٠٠﴾ خَٰلِدِينَ فِيهِۖ وَسَآءَ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ حِمْلًا ﴿١٠١﴾ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِۚ وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴿١٠٢﴾ يَتَخَٰفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا ﴿١٠٣﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا ﴿١٠٤﴾ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا ﴿١٠٧﴾ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِىَ لَا عِوَجَ لَهُۥۖ وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴿١٠٨﴾ يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِىَ لَهُۥ قَوْلًا ﴿١٠٩﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴿١١٠﴾ ۞ وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَىِّ ٱلْقَيُّومِۖ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴿١١١﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴿١١٢﴾ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴿١١٣﴾

التفسير

- ﴿ كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ ﴾ من الأمم والمرسلين ﴿وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ مِن لَّدُنَّا﴾ من عندنا ﴿ذِكْرًا ﴿٩٩﴾﴾ أي القرآن الكريم.
- ﴿مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ ﴾ فلم يؤمن به، ولم ينتفع بما فيه ﴿فَإِنَّهُۥ يَحْمِلُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وِزْرًا ﴿١٠٠﴾﴾ ذنباً بسبب هذا الإعراض.
- ﴿ خَٰلِدِينَ فِيهِ﴾ في عذاب وزرهم ﴿وَسَآءَ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ حِمْلًا ﴿١٠١﴾﴾ بئس ما حملوا يوم القيامة.
- ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ﴾ يوم القيامة حين ينفخ إسرافيل النفخة الثانية ﴿وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ نجمعهم ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ يوم القيامة ﴿زُرْقًا ﴿١٠٢﴾﴾ زرق العيون.
- ﴿يَتَخَٰفَتُونَ بَيْنَهُمْ ﴾ يتسارُّون بالحديث فيما بينهم ﴿إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا ﴿١٠٣﴾﴾ إذ يقول بعضهم إن بقيتم في الدنيا إلا عشرة أيام.
- ﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ ﴾ ما يتناجون بينهم ويتسارُّون فيه ﴿إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً ﴾ أحسنهم وأقربهم رأياً ﴿إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا ﴿١٠٤﴾﴾ يوماً واحداً، وإنما كان أمثلهم طريقة لا لكونه أقرب إلى الصدق، وإنما لكونه أدل على شدة الهول.
- ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ﴾ ماذا يصنع الله بها يوم القيامة؟! ﴿فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ﴿١٠٥﴾﴾ يزيلها ويقلعها من أماكنها فلا يبقي لها أثراً.
- ﴿فَيَذَرُهَا﴾ أي الأرض ﴿قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾﴾ مستوية كأنها صف واحد.
- ﴿لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا﴾ اعوجاجاً ﴿وَلَآ أَمْتًا ﴿١٠٧﴾﴾ ولا ترى فيها انخفاضاً وارتفاعاً.

• ﴿يَوۡمَئِذٖ﴾ يوم القيامة ﴿يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِيَ﴾ يتبعون الملك الذي يدعوهم إلى مواقف القيامة للحساب ﴿لَا عِوَجَ لَهُۥ﴾ لدعوة الداعي بل تكون حقاً وصدقاً ﴿وَخَشَعَتِ ٱلۡأَصۡوَاتُ لِلرَّحۡمَٰنِ﴾ في يوم القيامة ﴿فَلَا تَسۡمَعُ إِلَّا هَمۡسٗا ١٠٨﴾ إلا صوتاً خفياً خافتاً.

• ﴿يَوۡمَئِذٖ﴾ ذلك اليوم ﴿لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنۡ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾ أن يشفع ﴿وَرَضِيَ لَهُۥ قَوۡلٗا ١٠٩﴾ ورضي عنه.

• ﴿يَعۡلَمُ﴾ أي الله تعالى ﴿مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ﴾ مما يتعلّق بأمور الدنيا ﴿وَمَا خَلۡفَهُمۡ﴾ ما يتعلّق بأمور الآخرة ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلۡمٗا ١١٠﴾ بالله تعالى.

• ﴿وَعَنَتِ ٱلۡوُجُوهُ﴾ ذلّت وخضعت ﴿لِلۡحَيِّ﴾ الذي لا يموت ﴿ٱلۡقَيُّومِ﴾ القائم بأمر الخلق ﴿وَقَدۡ خَابَ﴾ خسر ﴿مَنۡ حَمَلَ ظُلۡمٗا ١١١﴾ شركاً أو فسقاً ومعصية.

• ﴿وَمَن يَعۡمَلۡ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ﴾ بالله تعالى ﴿فَلَا يَخَافُ ظُلۡمٗا﴾ زيادة في سيئاته ﴿وَلَا هَضۡمٗا ١١٢﴾ نقصاً من حسناته.

• ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلۡنَٰهُ﴾ هذا الكتاب ﴿قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا﴾ بلسانٍ عربيّ ﴿وَصَرَّفۡنَا﴾ نوّعنا ﴿فِيهِ مِنَ ٱلۡوَعِيدِ﴾ من العذاب ﴿لَعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ﴾ يجعلون فيما بينهم وبين عذاب الله وقاية ﴿أَوۡ يُحۡدِثُ لَهُمۡ ذِكۡرٗا ١١٣﴾ تذكراً لأوامر الله تعالى.

التَّدَبُّر

١ ـ من فقه الداعية والمربي الاستفادة من القصة، وتوظيف ما فيها في تربية مَنْ حوله ﴿كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ مَا قَدۡ سَبَقَۚ وَقَدۡ ءَاتَيۡنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكۡرٗا ٩٩﴾.

٢ ـ احتفل بكتاب الله تعالى، ووظف ما فيه في تأهيل ذاتك ومَنْ حولك، تجد مناك، وتبلغ ما ترجوه من آمال ﴿كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ ۚ وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا ﴿٩٩﴾﴾.

٣ ـ ليس في تاريخ أمم الأرض كلها كتاب يصنع تاريخها، ويكتب حظها من الحياة ككتاب الله تعالى ﴿كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ ۚ وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا ﴿٩٩﴾﴾.

٤ ـ ما لم يُتَّخذْ هذا القرآن مائدة تدار في لقاءات الأفراد والمجموعات، ويُسْتَثْمَرْ في تعميق مفاهيمها وتأهيل طاقاتها، فسيفوت الأمة خير كبير ﴿كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ ۚ وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا ﴿٩٩﴾﴾.

٥ ـ من شؤم الأمة أن يهب الله تعالى لها ما به عناق مجدها، ثم لا تمنحه الوقت الكافي للاستثمار ﴿مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُۥ يَحْمِلُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وِزْرًا ﴿١٠٠﴾ خَٰلِدِينَ فِيهِ ۖ وَسَآءَ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ حِمْلًا ﴿١٠١﴾﴾.

٦ ـ إلى كل الذين لم يبدأ القرآن في حياتهم واقعاً عملياً تطبيقياً ﴿مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُۥ يَحْمِلُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وِزْرًا ﴿١٠٠﴾ خَٰلِدِينَ فِيهِ ۖ وَسَآءَ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ حِمْلًا ﴿١٠١﴾﴾.

٧ ـ ثمة موعد مع النهايات ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ ۚ وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴿١٠٢﴾ يَتَخَٰفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا ﴿١٠٣﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا ﴿١٠٤﴾﴾.

٨ ـ كم من حسرات أحاطت بأصحابها في ذلك اليوم! ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ ۚ وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴿١٠٢﴾ يَتَخَٰفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا ﴿١٠٣﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا ﴿١٠٤﴾﴾.

٩ ـ لم يبق من نعيم العاجلة شيء ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ ۚ وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴿١٠٢﴾ يَتَخَٰفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا ﴿١٠٣﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا ﴿١٠٤﴾﴾.

١٠ ـ ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا ﴿١٠٧﴾﴾ مشهد من مشاهد النهاية.

١١ ـ تخيَّل هذه الجبال وهي تجري بين عينيك! ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا ﴿١٠٧﴾﴾ ثم ارصد لتلك اللحظات أعمالاً تُؤَمِّنُكَ من روعها.

١٢ ـ ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا ﴿١٠٧﴾﴾ رسالة للمتشبثين بالحياة، الغارقين في همومها، الغافلين عن نهاياتها!

١٣ ـ تخيَّل مشاهد الأمم وهي تُدعى إلى مواقف السؤال! ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِىَ لَا عِوَجَ لَهُۥ ۖ وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴿١٠٨﴾ يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِىَ لَهُۥ قَوْلًا ﴿١٠٩﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴿١١٠﴾ ۞ وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَىِّ ٱلْقَيُّومِ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴿١١١﴾﴾.

١٤ ـ هذه هي اللحظة التي جرى من أجلها العمل ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِىَ لَا عِوَجَ لَهُۥ ۖ وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴿١٠٨﴾ يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِىَ لَهُۥ قَوْلًا ﴿١٠٩﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴿١١٠﴾ ۞ وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَىِّ ٱلْقَيُّومِ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴿١١١﴾﴾.

١٥ ـ كَمْ مِنْ فَرِحٍ بنهايته! وكم من مَغْبُوْنٍ في مواقف السؤال! ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴿١٠٨﴾ يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا ﴿١٠٩﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا ﴿١١٠﴾ ۞ وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴿١١١﴾﴾.

١٦ ـ تخلَّص من كل أعباء الظلم في حياتك قبل حلول لحظات الجزاء ﴿وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴿١١١﴾﴾.

١٧ ـ إياك والظلم، فثمة يومٌ للحساب! ﴿وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴿١١١﴾﴾.

١٨ ـ ماذا تقول للمظلومين الذين سيقفون في وجهك يوم الحسرات؟! ﴿وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴿١١١﴾﴾.

١٩ ـ تُبْ من كل معصية ألقت بك في تيه الضلال قبل أن تأتي مُحَمَّلاً بأوزارها يوم الجزاء ﴿وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴿١١١﴾﴾ وتُبْ من كل عدوان وظلم على زوجك أو ولدك أو والديك أو عاملك أو جارك أو وظيفتك قبل حلول يوم الحسرات!

٢٠ ـ أخذ أوراق قضية وفي ظلام الليل غَيَّرَ بعض تواقيعها، وسَرَّبَ بعض أوراقها، وغَيَّرَ بعض معالمها، ثم أعادها إلى الدرج ونسي أن يوماً سيأتي لإعادة ترتيب تلك الأوراق من جديد ﴿وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴿١١١﴾﴾.

٢١ ـ استنزف جهد عاملٍ وخادم، ثم حَرَمَه جهده وعرقه، وفاتَهُ أن يوماً سيأتي لإعادة تلك الحقوق ﴿وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴿١١١﴾﴾.

٢٢ ـ يأتي بعمال إلى مؤسسة وهمية، ثم يشغِّلهم، ويأخذ مقابلاً من عرقهم وجهدهم وأيام تعبهم ﴿وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴿١١١﴾﴾.

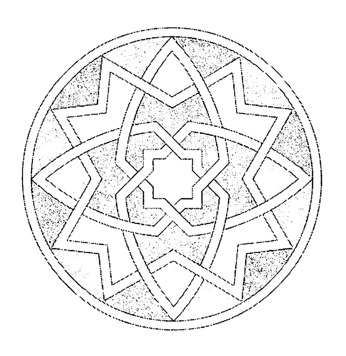
٢٣ ـ حين يكون العمل مصدر أمن من الروعات ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴿١١٢﴾﴾.

٢٤ ـ الجزاء من جنس العمل، الذين خافوا العقاب أمنوا يوم الجزاء ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴿١١٢﴾﴾.

٢٥ ـ كان القرآن وما زال واعظاً لو تدبَّروه! ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴿١١٣﴾﴾.

٢٦ ـ تدبَّروا القرآن، فالعملُ به عاصمٌ من نهايات السوء ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴿١١٣﴾﴾.

❀ ❀ ❀



فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۗ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ۖ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴿١١٤﴾ وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴿١١٥﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ ﴿١١٦﴾ فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٧﴾ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴿١١٩﴾ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۚ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾ قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا ۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾

التفسير

- ﴿فَتَعَلَى ٱللَّهُ﴾ جل وارتفع ﴿ٱلْمَلِكُ﴾ من له الملك ﴿ٱلْحَقُّ﴾ في كل شيء ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ﴾ لا تعجل في حفظه وضبطه قبل أن ينتهي الملك من قراءته عليك ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴿١١٤﴾﴾ سل الله تعالى زيادة العلم.
- ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ﴾ وصّيناه وأمرناه بأن يتخذ الشيطان عدواً ﴿فَنَسِىَ﴾ نسي ما أمرناه به ﴿وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴿١١٥﴾﴾ صبراً على ما أمرناه به.
- ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ﴾ بياناً لشرفه وتكريماً لمقامه ﴿فَسَجَدُوٓا۟﴾ كلهم ﴿إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ ﴿١١٦﴾﴾ رفض أن يسجد له.
- ﴿فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا﴾ إبليس ﴿عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ﴾ بوسوسته وتزيينه ووعده الكاذب ﴿فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٧﴾﴾ تحرم من النعيم.
- ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا﴾ في الجنة ﴿وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾﴾ من ثيابك.
- ﴿وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا﴾ تعطش ﴿وَلَا تَضْحَىٰ ﴿١١٩﴾﴾ لا يصيبك حرُّ الشمس في الضحى.
- ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ زيّن له ﴿قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ﴾ إذا أكلت منها خلدت فلا تموت ﴿وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾﴾ لا ينقطع.
- ﴿فَأَكَلَا مِنْهَا﴾ من الشجرة ﴿فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا﴾ عوراتهما ﴿وَطَفِقَا﴾ شرعا ﴿يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا﴾ يلزقان عليهما ﴿مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ﴾ على عوراتهما ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ﴾ بالأكل من الشجرة ﴿فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾﴾ أخطأ وخالف الطريق.

- ﴿ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ﴾ اصطفاه، واختاره، ويسَّر له التوبة ﴿فَتَابَ عَلَيْهِ﴾ مما وقع فيه ﴿وَهَدَىٰ ١٢٢﴾ دلَّه على طريق الحق.
- ﴿قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا﴾ من الجنة ﴿جَمِيعًا﴾ هو وزوجه ﴿بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ أنتم والشيطان ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى﴾ من طريق الرسل أو الكتب ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ﴾ عن الحق ﴿وَلَا يَشْقَىٰ ١٢٣﴾ في الدنيا ولا في الآخرة.
- ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ﴾ تولى عنه، ولم يستفد منه ﴿عَن ذِكْرِى﴾ كتابي ﴿فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ شديدة الضيق ﴿وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ١٢٤﴾ لا يبصر.
- ﴿قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ١٢٥﴾ في الدنيا.
- ﴿قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا﴾ بإعراضك عنها ﴿وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ١٢٦﴾ تُتْرك في العذاب.

التَّدَبُّرُ

١ ـ ما أحوج قلوبنا إلى تعظيم الله تعالى ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ﴾ تعالى وتقدَّس وجلَّ في ملكه وعلاه!

٢ ـ ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ﴾ أَدِرْ شأن تعظيم الله تعالى في قلبك، وانتظر الأفراح!

٣ ـ من قرأ هذا المعنى بإمعان أدرك ما يستحق من عمل وإجلال ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ﴾.

٤ ـ ماذا لو أخذ هذا المعنى ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ﴾ موقعه في قلوبنا بإمعان!

٥ ـ الأشـواق إلى العلم يصنعها الإقبال عليه بصدق ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ﴾ من شدة أشواقه يبادر في تلقُّفه!

٦ ـ ما أحوج حِلَقَ العلم ودروس الكبار إلى هذا المعنى من طلاب العلم ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ﴾.

٧ ـ حين يكون العلم أشواقاً في قلب صاحبه ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ﴾ ألا يوجـد في الأمة طـلاب علمٍ يعيدون لنـا أفراح هذا النبيّ ﷺ بمشروعه وفكرته وقضيته في الحياة؟!

٨ ـ يا طلاب العلم! لا تَعْجَلُوا في طلب العلم عجلةً تذهب بأمانيكم في النهايات ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ﴾.

٩ ـ العجلة في طلب العلم مفضيةٌ إلى ضياع أشـواق صاحبها في النهاية ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ﴾.

١٠ ـ ليس أضر علـى طالب العلم مـن العجلة في بدايـة الطريق ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ﴾.

١١ ـ من العجلة المذمومة في طلب العلم ألا يشـاور في كتاب البداية، وطريقة القراءة، وكيفية المراجعة، فيطول زمانه، ولا يلقى أحلامه التي يريد ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ﴾.

١٢ ـ غالب الذين استعجلوا في حفظ القرآن الكريم عادوا في النهاية عواماً فيه ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ﴾ ومثل ذلك سنة نبي الله ﷺ.

١٣ ـ نصف صفحة في كتاب الله تعالى يومياً، وحديث واحد، وبيت شعر مكرر ومضبوط تأتي بك إلى نهايات مشـروعك كما تريد ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ﴾.

١٤ ـ (أدومه وإن قل) ما صَحِبَتْ صاحبَ مشروعٍ إلا بلغت به النهايات كما يريد ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ﴾.

١٥ ـ وإني قائل لك عن تجربة: ما ندمت على شـــيء قط ندمي على التفريط في هذه القاعـــدة النبوية (أدومه وإن قـــل) ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ﴾.

١٦ ـ من فقهك وكمال وعيك إدمان هذا السؤال ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا﴾.

١٧ ـ لا تتكل على ذكائك، وقوة حافظتك، وشدة رغبتك في طلب العلم بل أدم سؤال ربك ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا﴾.

١٨ ـ تخلَّص من حظوظ نفسك، وأقبل على ربك سائلاً متضرعاً منيباً ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا﴾ لعل دعوةً تلقَ ساعةَ إجابةٍ، فيفيض الله تعالى عليك من خزائنه!

١٩ ـ ما جرى على أبيك آدم سيجري عليك فلا تبتئس ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴿١١٥﴾﴾.

٢٠ ـ لا تكن الخطيئة خندقاً يحاصرك عـــن التوبة ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴿١١٥﴾﴾.

٢١ ـ لا تكرر أخطاء الماضي مســـتدلاً ببعض الأوهام ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴿١١٥﴾﴾.

٢٢ ـ تذكَّر أن ما بينك وبين عدوك إبليس معركة زمن ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ ﴿١١٦﴾﴾.

٢٣ ـ إياك أن تركع لعدوك في موقف ذل وقد رفض السجود لأبيك في موقف عز ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ ﴿١١٦﴾﴾.

٢٤ ـ مشكلة كثيرين أنهم لا يشعرون بالمعركة ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ ﴿١١٦﴾﴾.

٢٥ ـ شعورك بالمعركة يرزقك اليقظة مع عدوك في مواقف الحياة ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ ﴿١١٦﴾﴾.

٢٦ ـ حين لا يجدي الحذر من القدر شيئاً ﴿فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٧﴾ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُاْ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴿١١٩﴾﴾.

٢٧ ـ الوسوسة أمضى سلاح يستخدمه الشيطان معك ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾﴾.

٢٨ ـ الوسوسة أن يحدِّثك سرّاً بأمانيك، ويفتح شهيتك لمباهجَ تنتظرك، ويحاول جاهداً إقناعك ﴿هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ﴾.

٢٩ ـ الزينة التي تنتظرك هي قاعدة الانطلاق، وأول مدارج الخطة معك ﴿هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ﴾.

٣٠ ـ الإقناع فن! ﴿هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ﴾ فتح له أعظم أمانيه: منّاه بعدم الموت، ووعده بالملك.

٣١ ـ إذا أردت أن تقنع أحداً فافتح له نوافذ على مشاهد الحياة في مستقبل الأيام ﴿هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ﴾.

٣٢ ـ كشفُ عورتِك أول بوادر المعصية في تاريخك ﴿فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا﴾.

٣٣ ـ المعصية تكشف سترك، وتهدر قيمك، وتضيع كرامتك ﴿فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا﴾.

٣٤ ـ تأمل بوعـي لحظة الانتهـاء من معصيتـك لربك، ومخالفتـك لأوامره ﴿ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا ﴾.

٣٥ ـ المخالفة أسقطت ثياب أبويك، وهي في الوقت ذاته تسقط كرامتك، وتلقي بك في سراديب الضياع ﴿ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا ﴾.

٣٦ ـ كم من كرامة كبير أُلقي بها ـ بسـبب المخالفة ـ من شفير الحياة إلى قعر الهوان؟! ﴿ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا ﴾.

٣٧ ـ العري، والفضيحة، والخزي، والعار هي مخلَّفات الخطايا في حق أصحابها ﴿ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا ﴾.

٣٨ ـ استطاع أبواك أن يخصفا عليهما من ورق الجنة لستر عوراتهما، وقد تبقى زمناً طويلاً لا تستطيع أن تستر عوارك في العالمين ﴿وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ﴾.

٣٩ ـ كم من خطيئة أسقطت صاحبها من قوائم الفضيلة للأبد! ﴿وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ﴾.

٤٠ ـ من حقك أن تشرع في إلباس عورتك ما يسترها، ولكنك لا تملك أن تحبس حديث الناس عن تلك العورة التي انكشفت زمناً طويلاً ﴿وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ﴾.

٤١ ـ إذا أمكنك ألا تكشف عورتك أمام أعين الشـامتين فاجتهد لذلك وسعك ﴿وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ﴾.

٤٢ ـ ثمـة إمكانية لإعادة الحياة من جديد ﴿ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾﴾.

٤٣ ـ الرق الذي أداره إبليس على معصمك يمكنك أن تلبس مكانه سـواراً من ذهب ﴿ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾﴾.

٤٤ ـ إياك أن تقول: لا مخرج من الظلام ﴿ثُمَّ ٱجْتَبَـٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾﴾.

٤٥ ـ لا تيأس، حتى لو كنت في خندق الظلام، حاول أن تعود للضوء من جديد ﴿ثُمَّ ٱجْتَبَـٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾﴾.

٤٦ ـ بدأت المعركة من جديد ﴿قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا ۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾﴾.

٤٧ ـ معركتك الكبرى مع ألد أعدائك (إبليس)؛ فكن منه على حذر ﴿قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا ۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾﴾.

٤٨ ـ من أخرج أبويك من الجنة لا يمكن أن يرضى بأن تعود إليها من جديد فتنبَّه! ﴿قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا ۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾﴾.

٤٩ ـ من كمال وعيك وفقهك أن تعرف عدوك، وتقدِّر له قدره ﴿قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا ۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾﴾.

٥٠ ـ من فقهك بحجم معركتك مع عدوك أن تقرأ خططه وأساليبه التي يحاول بها إركاسك في الهوان ﴿قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا ۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾﴾.

٥١ ـ قراءة الوحي، والاعتصام به، كفيلة بالانتصار الكبير على أشد أعدائك في الحياة كلها ﴿قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا ۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾﴾.

٥٢ ـ تدبُّر الوحي كفيلٌ بكشف خطط عدوك، وفضح أسراره ﴿ قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًاۢ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ ﴾.

٥٣ ـ الإعراض عن ذكر الله تعالى موجبٌ للحسرات ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِيٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ ﴾.

٥٤ ـ ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِيٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ ﴾ قصة ستدور فصولها غداً في ساحات القيامة.

٥٥ ـ ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِيٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ ﴾ ذكر الله شامل لكل طاعة أمرك الله تعالى بها وأعرضت عنها يوماً ما.

٥٦ ـ حتى القرآن لا يتمكن من فتحه زمناً طويلاً ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِيٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ ﴾.

٥٧ ـ يُؤذَّنُ مراراً على مسمع منه، ولكنه لم يتمكن من أداء أعظم شعيرة في دين الله تعالى ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِيٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ ﴾.

٥٨ ـ أكثر الأسئلة غباءً وبروداً ﴿ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِيٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ ﴾ وما يصنع بصرك الحسي وقد بلغ العمى من حياتك المعنوية كل موضع!

٥٩ ـ كثيرون يظنون أن الحياة هي الروح التي تجري في أجســادهم، وفاتَهُم أنه الإيمان الذي تعيش به أرواحهم ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ (١٢٤) قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا (١٢٥)﴾.

٦٠ ـ الجـزاء من جنـس العمـل ﴿قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ (١٢٦)﴾.

٦١ ـ تخيَّل وأنت في مواقف الحساب ولا أحد يسأل عنك ﴿قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ (١٢٦)﴾ مجرد النسيان عذاب!

٦٢ ـ كثيرة هي المرات التي لم يعيروا فيها شرع الله تعالى شأناً، فجاءت أحداث القصاص كذلك ﴿قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ (١٢٦)﴾.

٦٣ ـ لا يعتني بشأن الصلاة، ولا يجلُّ قدرها، ويسأل: لماذا لم يجد راحة فيها حتى الآن؟! الجزاء من جنس العمل ﴿قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ (١٢٦)﴾.

٦٤ ـ لم يقم بواجب ولده من الإصلاح؛ فلم يستفد منه بشيء في النهايات ﴿قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ (١٢٦)﴾.

٦٥ ـ لا يشارك في راتبه في شـيء من الخيـر، ويسأل عن قلة البركـة وثقل الديون! الجزاء من جنس العمل ﴿قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ (١٢٦)﴾.

٦٦ ـ لم يقم بحق وظيفته وقدرها من المسؤولية، ولا يجد بركة في راتبه، الجزاء من جنس العمل ﴿قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ (١٢٦)﴾.

٦٧ ـ لم يعتنِ بكتاب ربه تعالى قراءة وحفظاً وتدبراً، ويسأل عن سرِّ عدم الرغبة في الإقبال عليه، الجزاء من جنس العمل ﴿قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ (١٢٦)﴾.

❀ ❀ ❀

وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي مَنۡ أَسۡرَفَ وَلَمۡ يُؤۡمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦۚ وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ
أَشَدُّ وَأَبۡقَىٰٓ ﴿١٢٧﴾ أَفَلَمۡ يَهۡدِ لَهُمۡ كَمۡ أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم مِّنَ ٱلۡقُرُونِ
يَمۡشُونَ فِي مَسَٰكِنِهِمۡۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلنُّهَىٰ ﴿١٢٨﴾ وَلَوۡلَا
كَلِمَةٞ سَبَقَتۡ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامٗا وَأَجَلٞ مُّسَمّٗى ﴿١٢٩﴾ فَٱصۡبِرۡ
عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ قَبۡلَ طُلُوعِ ٱلشَّمۡسِ وَقَبۡلَ
غُرُوبِهَاۖ وَمِنۡ ءَانَآيِٕ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡ وَأَطۡرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرۡضَىٰ ﴿١٣٠﴾
وَلَا تَمُدَّنَّ عَيۡنَيۡكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعۡنَا بِهِۦٓ أَزۡوَٰجٗا مِّنۡهُمۡ زَهۡرَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ
ٱلدُّنۡيَا لِنَفۡتِنَهُمۡ فِيهِۚ وَرِزۡقُ رَبِّكَ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰ ﴿١٣١﴾ وَأۡمُرۡ أَهۡلَكَ
بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصۡطَبِرۡ عَلَيۡهَاۖ لَا نَسۡـَٔلُكَ رِزۡقٗاۖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُكَۗ وَٱلۡعَٰقِبَةُ
لِلتَّقۡوَىٰ ﴿١٣٢﴾ وَقَالُواْ لَوۡلَا يَأۡتِينَا بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّهِۦٓۚ أَوَلَمۡ تَأۡتِهِم بَيِّنَةُ
مَا فِي ٱلصُّحُفِ ٱلۡأُولَىٰ ﴿١٣٣﴾ وَلَوۡ أَنَّآ أَهۡلَكۡنَٰهُم بِعَذَابٖ مِّن
قَبۡلِهِۦ لَقَالُواْ رَبَّنَا لَوۡلَآ أَرۡسَلۡتَ إِلَيۡنَا رَسُولٗا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ
مِن قَبۡلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخۡزَىٰ ﴿١٣٤﴾ قُلۡ كُلّٞ مُّتَرَبِّصٞ فَتَرَبَّصُواْۖ
فَسَتَعۡلَمُونَ مَنۡ أَصۡحَٰبُ ٱلصِّرَٰطِ ٱلسَّوِيِّ وَمَنِ ٱهۡتَدَىٰ ﴿١٣٥﴾

التفسير

- ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ﴾ تجاوز محارم الله تعالى ﴿وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ﴾ الدالة على ربوبية الله تعالى ﴿وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ﴾ أقوى من عذاب الدنيا ﴿وَأَبْقَىٰ (١٢٧)﴾ لا ينقطع ولا يتوقف.

- ﴿أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ﴾ أولم يتبين لهم ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ﴾ ممن مضوا قبلهم ﴿يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ﴾ ويرون ما فعلنا بهم ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ الذي فعلناه بهم ﴿لَآيَاتٍ﴾ عبر وعظات ﴿لِأُولِي النُّهَىٰ (١٢٨)﴾ لأصحاب العقول.

- ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ﴾ بأن لكل إنسان وأمة أجل محدد ﴿لَكَانَ لِزَامًا﴾ إهلاكهم عاجلاً ﴿وَأَجَلٌ مُسَمًّى (١٢٩)﴾ ولولا الأجل المسمى لكان معاجلتهم بالعذاب أمراً لازماً.

- ﴿فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ هؤلاء المكذبون لك ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ﴾ صلاة الصبح ﴿وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾ صلاة المغرب ﴿وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ﴾ ساعات الليل ﴿فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ﴾ أوله وآخره ﴿لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ (١٣٠)﴾ رجاء أن تنال مما عند الله ما ترضىٰ به نفسُك.

- ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ﴾ لا تنظر ﴿إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ﴾ لا تمدن عينك إلى أصناف من الناس معهم من الجاه والسلطان والأزواج والمال والمتاع فإنما هو ﴿زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ زينة الحياة الدنيا ﴿لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾ لنختبرهم ﴿وَرِزْقُ رَبِّكَ﴾ في الآخرة ﴿خَيْرٌ﴾ أفضل ﴿وَأَبْقَىٰ (١٣١)﴾ أدوم.

- ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ﴾ على فعلها والقيام بها ﴿وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ على فعلها وإقامتها ﴿لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا ۖ نَحْنُ نَرْزُقُكَ﴾ فرزقك علينا ﴿وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ (١٣٢)﴾ عاقبة الدنيا والآخرة للمتقين.

• ﴿ وَقَالُواْ لَوْلَا يَأْتِينَا بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّهِۦٓ ﴾ هلَّا يأتينا بآية من ربه ﴿ أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةُ ﴾ بيان ﴿ مَا فِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٣٣﴾ ﴾ هذا القرآن العظيم.

• ﴿ وَلَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَـٰهُم ﴾ أي المشركين ﴿ بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِۦ ﴾ من قبل القرآن ﴿ لَقَالُواْ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَـٰتِكَ ﴾ حججك وأدلّتك الظاهرة ﴿ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ ﴿١٣٤﴾ ﴾ قبل أن يصيبنا الذل والخزي.

• ﴿ قُلْ كُلٌّ مُّتَرَبِّصٌ ﴾ منتظر ﴿ فَتَرَبَّصُواْ ﴾ انتظروا ﴿ فَسَتَعْلَمُونَ ﴾ يوم القيامة ﴿ مَنْ أَصْحَـٰبُ ٱلصِّرَٰطِ ٱلسَّوِىِّ ﴾ المستقيم ﴿ وَمَنِ ٱهْتَدَىٰ ﴿١٣٥﴾ ﴾ على طريق الحق.

التَّدَبُّر

١ ـ ما أكثر العبر! وما أقل الذكرى! ﴿ أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِى مَسَـٰكِنِهِمْ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّأُوْلِى ٱلنُّهَىٰ ﴿١٢٨﴾ ﴾.

٢ ـ تمهَّل في رياض القصص المشرعة في كتاب ربك ففيها من العبر ما يكفي ﴿ أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِى مَسَـٰكِنِهِمْ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّأُوْلِى ٱلنُّهَىٰ ﴿١٢٨﴾ ﴾.

٣ ـ كثيرة هي الذنوب التي تستعجل القصاص لولا ما قضى الله تعالى في كتابه ﴿ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى ﴿١٢٩﴾ ﴾.

٤ ـ لا تستهينن بذنب لم يعاجل الله تعالى صاحبه بعذاب، ربما لم يحن ذلك الميعاد، وقد قطع مسافة طويلة في الطريق ﴿ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى ﴿١٢٩﴾ ﴾.

٥ ـ إذا كثرت جراحك وأمضَّك العدو، فتعبَّد لله تعالى، وتصبَّر في طريقك الطويل ﴿ فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ۖ وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ (١٣٠) ﴾.

٦ ـ الإسلام لا يعدك بشـيء في ثنايا الطريق ﴿ فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ۖ وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ ﴾ ليس إلا الصبر!

٧ ـ الذين ينتظرون نصراً عاجلاً لم يقرؤوا الشريعة بإمعان ﴿ فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ۖ وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ (١٣٠) ﴾.

٨ ـ لا تنتظر ربيعاً في صحـراء عدوك حتى تختتمَ الحياةُ الدنيا كل مشـاهدها ﴿ فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ۖ وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ (١٣٠) ﴾.

٩ ـ ذكِّر من حولك بأن الطريق لا يخلو من عقبات، ويحتاج إلى مصابرة الكبار ﴿ فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ۖ وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ (١٣٠) ﴾.

١٠ ـ ﴿ فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ۖ وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ (١٣٠) ﴾ فنٌّ في إدارة معارك الأعداء!

١١ ـ حسن الصلة بالله تعالى أول الخطوات في طريق النصر الطويل ﴿ فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ۖ وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ (١٣٠) ﴾.

١٢ ـ لن تواجه عدوك بأفضل من الإقبال على ربك ﴿ فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ۖ وَمِنْ ءَانَآيِٕ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ ﴿١٣٠﴾ ﴾.

١٣ ـ الذكر سلاح المعركة الأقوى ﴿ فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ۖ وَمِنْ ءَانَآيِٕ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ ﴿١٣٠﴾ ﴾.

١٤ ـ المنبهرون بالحياة لا يصلحون للمعالي ﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾ ﴾.

١٥ ـ من الاستعلاء على ملاذ هذه الحياة ألَّا يستوقفك شيء من متاعها العارض ﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾ ﴾.

١٦ ـ مهما بلغ نعيمهم لا يعدو أن يكون زهرةً في طريقها للذبول ﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾ ﴾.

١٧ ـ لا تتحسَّر على فائت! كَتَبَ الله تعالى على الحيِّ أن يموت، والجديد أن يبلى، والصغير أن يكبر ويهرم، والريَّان بموارد الحياة أن ييبس ويفنى ﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾ ﴾.

١٨ ـ حافظ على صلاتك، وَأْمُرْ أهلك بها، ودَعْ كل شيء بعد ذلك لله ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾ ﴾.

١٩ ـ إذا أردت فواتح التوفيق فأدر شأن صلاتك بإمعان! ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾ ﴾.

٢٠ ـ الصلاة أعظم أبواب الرزق، وأكثر طريق لمفاتيح التوفيق ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾ ﴾.

٢١ ـ قرعك على باب ولدك ليؤدي الصلاة أعظم من قرعك على باب الوظيفة لترزقه من آثارها ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾﴾.

٢٢ ـ من أكبر أسباب الإخفاق في حياتنا أننا لا نعير للأسباب المعنوية أهمية في حساب الأرزاق الحسية ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾﴾.

٢٣ ـ ﴿وَالْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ في كل شيء، في نفسك، وولدك، ووظيفتك، وفي شأنك كله.

٢٤ ـ أدر قضية التقوى في شأنك، وسترى الفلاح في كل شيء ﴿وَالْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ﴾.

٢٥ ـ ﴿وَالْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ حتى وإن طال أمد انتظار تلك العاقبة!

٢٦ ـ الحق لم يعد بحاجة إلى بيّنات ﴿وَقَالُوا لَوْلَا يَأْتِينَا بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّهِۦٓ أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِى الصُّحُفِ الْأُولَىٰ ﴿١٣٣﴾﴾.

٢٧ ـ كذلك هم في كل زمنٍ وحين ﴿وَلَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَٰهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِۦ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ ﴿١٣٤﴾﴾.

٢٨ ـ ثمة أناس مهما اجتهدت في إقناعهم فإنك لا تصل معهم إلى شيء ﴿وَلَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَٰهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِۦ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ ﴿١٣٤﴾﴾.

٢٩ ـ كم في الأيام القادمة من حقائق صادمة لكثيرين! ﴿قُلْ كُلٌّ مُّتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُوا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَٰبُ الصِّرَٰطِ السَّوِىِّ وَمَنِ اهْتَدَىٰ ﴿١٣٥﴾﴾.

٣٠ ـ انتظروا أيها العابثون بالقيم والأخلاق والمبادئ، وسترون ما كنتم توعدون ﴿قُلْ كُلٌّ مُّتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُوا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَٰبُ الصِّرَٰطِ السَّوِىِّ وَمَنِ اهْتَدَىٰ ﴿١٣٥﴾﴾.

❀ ❀ ❀



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴿١﴾ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٢﴾ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ ۗ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ هَلْ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ۖ أَفَتَأْتُونَ ٱلسِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٣﴾ قَالَ رَبِّى يَعْلَمُ ٱلْقَوْلَ فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٤﴾ بَلْ قَالُوٓا۟ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍۭ بَلِ ٱفْتَرَىٰهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِـَٔايَةٍ كَمَآ أُرْسِلَ ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٥﴾ مَآ ءَامَنَتْ قَبْلَهُم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَآ ۖ أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ ۖ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧﴾ وَمَا جَعَلْنَٰهُمْ جَسَدًا لَّا يَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَمَا كَانُوا۟ خَٰلِدِينَ ﴿٨﴾ ثُمَّ صَدَقْنَٰهُمُ ٱلْوَعْدَ فَأَنجَيْنَٰهُمْ وَمَن نَّشَآءُ وَأَهْلَكْنَا ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٩﴾ لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠﴾

التفسير

- ﴿ٱقۡتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمۡ﴾ قرب يوم القيامة ﴿وَهُمۡ فِي غَفۡلَةٖ مُّعۡرِضُونَ ١﴾ ساهون غافلون معرضون.
- ﴿مَا يَأۡتِيهِم مِّن ذِكۡرٖ مِّن رَّبِّهِم﴾ من القرآن الكريم ﴿مُّحۡدَثٍ﴾ حديث النزول ﴿إِلَّا ٱسۡتَمَعُوهُ وَهُمۡ يَلۡعَبُونَ ٢﴾ غير مبالين به.
- ﴿لَاهِيَةٗ قُلُوبُهُمۡ﴾ منصرفة عن سماعه ﴿وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجۡوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ وتناجى هؤلاء اللاهون فيما بينهم ﴿هَلۡ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ﴾ أي محمد ﷺ ﴿أَفَتَأۡتُونَ ٱلسِّحۡرَ وَأَنتُمۡ تُبۡصِرُونَ ٣﴾ أفتتبعونه وأنتم تدركون أنه بشر مثلكم.
- ﴿قَالَ﴾ رسول الله ﷺ: ﴿رَبِّي يَعۡلَمُ ٱلۡقَوۡلَ فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ لا يخفى عليه منه شيء ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لأقوالكم ﴿ٱلۡعَلِيمُ ٤﴾ بأحوالكم.
- ﴿بَلۡ قَالُوٓاْ أَضۡغَٰثُ أَحۡلَٰمِۭ﴾ ما يقوله محمد مجرد أحلام ﴿بَلِ ٱفۡتَرَىٰهُ﴾ اختلق هذا القرآن، وقاله من قبل نفسه ﴿بَلۡ هُوَ شَاعِرٞ﴾ إنما يقول شعراً ﴿فَلۡيَأۡتِنَا بِـَٔايَةٖ﴾ تُبيِّن صدقه ﴿كَمَآ أُرۡسِلَ ٱلۡأَوَّلُونَ ٥﴾ كما جاءت به الرسل السابقة.
- ﴿مَآ ءَامَنَتۡ قَبۡلَهُم﴾ قبل قريش ﴿مِّن قَرۡيَةٍ﴾ من القرى السابقة بما جاءت به الرسل ﴿أَهۡلَكۡنَٰهَآ﴾ لتكذيبهم ﴿أَفَهُمۡ يُؤۡمِنُونَ ٦﴾ فإذا لم يؤمن أولئك فكيف يؤمن هؤلاء؟
- ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ﴾ رسولاً إلى أمة من الأمم الماضية ﴿إِلَّا رِجَالٗا﴾ من الناس ﴿نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡ﴾ بما يبلِّغون به أقوامهم ﴿فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ﴾ أهل

العلم ﴿إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۝٧﴾ هل المرسلون من الملائكة أم من البشر؟ وهذا السؤال عام لكل من كان من أهل الذكر؛ فإنه يسأل عنه عند الجهل به.

• ﴿وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا﴾ أي الرسل الذين أرسلناهم، لم نجعلهم أجساداً، لا تشتهي الأكل؛ كالملائكة ﴿لَّا يَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ﴾ لا يشتهونه ﴿وَمَا كَانُوا۟ خَٰلِدِينَ ۝٨﴾ لا يموتون.

• ﴿ثُمَّ صَدَقْنَٰهُمُ ٱلْوَعْدَ﴾ الرسل ﴿فَأَنجَيْنَٰهُمْ﴾ من العذاب الذي نزل بأعدائهم ﴿وَمَن نَّشَآءُ﴾ وأنجينا من نشاء معهم كذلك ﴿وَأَهْلَكْنَا ٱلْمُسْرِفِينَ ۝٩﴾ المتجاوزين للحدود والحرمات.

• ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا﴾ أي القرآن الكريم ﴿فِيهِ ذِكْرُكُمْ﴾ شرفكم وعزُّكم وحياتكم ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۝١٠﴾ عن الله تعالى أمره.

التَّدَبُّر

١ ـ الغفلة فاصل بين آمال الإنسان وأحلامه الكبرى ﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ۝١﴾.

٢ ـ ﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ۝١﴾ إن لم تضرب الآية في عمق قلبك؛ وإلا فأنت بحاجة إلى استلهام موارد الخيرات!

٣ ـ ماذا معك من عمل لتلك الأحداث التي تنتظرك؟! ﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ۝١﴾.

٤ ـ من أكثر علامات سـوء التوفيق هذا الإعراض الذي تراه في حياة كثيرين عن الوحي ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٢﴾﴾.

٥ ـ من إجلال الله تعالى إجلال وحيه وشريعته وهداه ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٢﴾﴾.

٦ ـ الذين نقلهم الوحي للحياة هم الذين ألقوا إليه بقلوبهم ومشاعرهم ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٢﴾﴾ واسـتجابوا إليـه، وعملوا بما فيه.

٧ ـ إذا أردت صورة لإجلال الوحي أو الإعراض عنه؛ فتأمل مشاهد الناس في يوم الجمعة ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٢﴾ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ ۗ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ هَلْ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ۖ أَفَتَأْتُونَ ٱلسِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٣﴾﴾ وتأملهم في كل صلاة، وانظر إليهم مع القرآن وسترى!

٨ ـ هذا يأتي إلى صلاة الجمعة مبكراً، ويأخذ عن الخطيب كل شيء، وذاك يأتي متخلِّفاً، ولا يكاد يُدْرِكُ شيئاً ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٢﴾ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ ۗ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ هَلْ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ۖ أَفَتَأْتُونَ ٱلسِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٣﴾﴾.

٩ ـ رأيت من يسمع شـيئاً من الوحي؛ فيبني منه آمالاً ويصنع منه حدثاً، ورأيت مَنْ يسمع أشياءً ولا تعنيه في شيء ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٢﴾ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ ۗ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ هَلْ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ۖ أَفَتَأْتُونَ ٱلسِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٣﴾﴾.

١٠ ـ الكِبْرُ مانع من الخيرات ﴿لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ ۗ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ هَلْ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ۖ أَفَتَأْتُونَ ٱلسِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٣﴾﴾ كالذين يقومون عن سماع الموعظة وفي نفوسهم أنها لا تزيدهم شيئاً.

١١ ـ اصنع ما تشاء؛ فالله تعالى يرقب كل شيء ﴿قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ ٱلْقَوْلَ فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۝٤﴾.

١٢ ـ حملة الأفكار يثيرون المساحة التي يعيشون فيها بإمعان ﴿بَلْ قَالُوٓاْ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍۭ بَلِ ٱفْتَرَىٰهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِـَٔايَةٍ كَمَآ أُرْسِلَ ٱلْأَوَّلُونَ ۝٥﴾ أقلقهم الرسول ﷺ، وفرَّق جمعهم، وهدم أفكارهم، وغيَّر قناعاتهم؛ فثاروا عليه منكرين. وإذا لم يكن الداعية بهذا الحماس وحمل الأفكار؛ وإلا فلا مفروح به في أي واقع.

١٣ ـ من صفاء فكرتك ووضوحها وحجمها أنها تمثِّل قلقاً لأصحاب الشهوات ﴿بَلْ قَالُوٓاْ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍۭ بَلِ ٱفْتَرَىٰهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِـَٔايَةٍ كَمَآ أُرْسِلَ ٱلْأَوَّلُونَ ۝٥﴾.

١٤ ـ التاريخ شاهدٌ على زلّات المفترين ﴿مَآ ءَامَنَتْ قَبْلَهُم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَآ ۖ أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ ۝٦﴾.

١٥ ـ كم مرة سألوا أشياء ثم نكصوا على أدبارهم في النهاية! ﴿مَآ ءَامَنَتْ قَبْلَهُم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَآ ۖ أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ ۝٦﴾.

١٦ ـ قاعدة في احترام التخصص وأصحاب الشأن في كل علم ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ ۖ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۝٧﴾.

١٧ ـ ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ ۖ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۝٧﴾ ضبط لمتسوِّري محاريب الشريعة، ومنتهكي حرماتها بالفوضى.

١٨ ـ إذا اشتكى بطنه ذهب لاستشاري متخصص، وإذا احتاج لفقهِ مسألةٍ في دينه عرضها على الجاهلين ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ ۖ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۝٧﴾.

١٩ ـ لا تستفتي في شريعة الله تعالى إلا متمكناً في علمه، وأميناً تقياً في دينه ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ ۖ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧﴾﴾.

٢٠ ـ مهما بلغت وسعك مع المعرضين فلا سبيل لإقناعهم ﴿وَمَا جَعَلْنَٰهُمْ جَسَدًا لَّا يَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَمَا كَانُوا۟ خَٰلِدِينَ ﴿٨﴾﴾ مع أن الله تعالى بعث لهم أنبياء من جنسهم، ومع ذلك لم يعتبروا.

٢١ ـ لم يتخلَّف وعدُ الله تعالى يوماً لأوليائه ﴿ثُمَّ صَدَقْنَٰهُمُ ٱلْوَعْدَ فَأَنجَيْنَٰهُمْ وَمَن نَّشَآءُ وَأَهْلَكْنَا ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٩﴾﴾.

٢٢ ـ لا تفتَّ في عضدك الأحداثُ التي تراها في واقعك ﴿ثُمَّ صَدَقْنَٰهُمُ ٱلْوَعْدَ فَأَنجَيْنَٰهُمْ وَمَن نَّشَآءُ وَأَهْلَكْنَا ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٩﴾﴾.

٢٣ ـ شرفكم وعزُّكم ومجدكم وتاريخكم في كتاب الله، ما لكم لا تعقلون؟! ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠﴾﴾.

٢٤ ـ ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ لو قالها لك صديق لأقمت الدنيا على أثرها، فما بالك والقائل الله!

٢٥ ـ رغم كل ما قيل عن القرآن، ما زال كتاباً يُقرأ للبركة!! ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠﴾﴾.

٢٦ ـ لو قرئت الفاتحة والمعوذات من كتاب الله تعالى قراءةً تدبريةً لوَرَدَ منها صاحبها على نهر الحياة ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠﴾﴾ فما بالك بالقرآن كله!

❀ ❀ ❀

وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴿١١﴾ فَلَمَّآ أَحَسُّواْ بَأْسَنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ ﴿١٢﴾ لَا تَرْكُضُواْ وَٱرْجِعُوٓاْ إِلَىٰ مَآ أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَٰكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْـَٔلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُواْ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿١٤﴾ فَمَا زَالَت تِّلْكَ دَعْوَىٰهُمْ حَتَّىٰ جَعَلْنَٰهُمْ حَصِيدًا خَٰمِدِينَ ﴿١٥﴾ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿١٦﴾ لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّٱتَّخَذْنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٧﴾ بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌۚ وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾ أَمِ ٱتَّخَذُوٓاْ ءَالِهَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ ﴿٢١﴾ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾ أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةًۖ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْۖ هَٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِيَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِيۗ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْحَقَّۖ فَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٤﴾

التفسير

• ﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ﴾ كثيرة هي القرى التي أهلكناها ﴿كَانَتْ ظَالِمَةً﴾ بسبب ظلمها ﴿وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴿١١﴾﴾ بعد هلاك من سبقهم.

• ﴿فَلَمَّآ أَحَسُّواْ بَأْسَنَآ﴾ عاينوه ورأوه ﴿إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ ﴿١٢﴾﴾ يهربون مسرعين.

• ﴿لَا تَرْكُضُواْ﴾ لا تهربوا ﴿وَٱرْجِعُوٓاْ﴾ عودوا ﴿إِلَىٰ مَآ أُتْرِفْتُمْ فِيهِ﴾ من النعيم ﴿وَمَسَٰكِنِكُمْ﴾ التي كنتم تسكنونها ﴿لَعَلَّكُمْ تُسْـَٔلُونَ ﴿١٣﴾﴾ من دنياكم.

• ﴿قَالُواْ يَٰوَيْلَنَآ﴾ يا حسرتنا ﴿إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿١٤﴾﴾ لأنفسنا.

• ﴿فَمَا زَالَت تِّلْكَ دَعْوَىٰهُمْ﴾ اعترافهم بذنوبهم وإقرارهم بها ﴿حَتَّىٰ جَعَلْنَٰهُمْ حَصِيدًا خَٰمِدِينَ ﴿١٥﴾﴾ كالنبات اليابس لا أثر للحياة فيه.

• ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿١٦﴾﴾ ما خلقناهما عبثاً ولا باطلاً.

• ﴿لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا﴾ مما يتلهَّى به ﴿لَّٱتَّخَذْنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ﴾ من عندنا ﴿إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٧﴾﴾ قادرين على فعل ذلك، لكننا لم نشأه، ولا نريده.

• ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ﴾ ندفعه به ﴿فَيَدْمَغُهُۥ﴾ يمحقه ويزيله ﴿فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾ زائل ﴿وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ﴾ الهلاك ﴿مِمَّا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾﴾ تكذبون على الله.

• ﴿وَلَهُۥ﴾ أي لله تعالى ﴿مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ ملكاً وتدبيراً ﴿وَمَنْ عِندَهُۥ﴾ من الملائكة ﴿لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ﴾ لا يتكبرون، ولا يتعالون على عبادته ﴿وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾﴾ ولا يكلُّون ولا يتعبون.

• ﴿يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ﴾ ينزِّهون الله تعالى عما لا يليق بجلاله ﴿لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾﴾ لا يتوقَّفون.

• ﴿أَمِ ٱتَّخَذُوٓاْ ءَالِهَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾ أي المشركون ﴿هُمْ يُنشِرُونَ ٢١﴾ يُحيون الأموات، ويَبعثونهم بعد موتهم.

• ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ﴾ أي السماء والأرض ﴿ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ غير الله تستحق العبادة ﴿لَفَسَدَتَا﴾ أي السماء والأرض ولفسد من فيها من المخلوقات ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ﴾ تعالى وتنزه ﴿عَمَّا يَصِفُونَ ٢٢﴾ من الكذب والبهتان.

• ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ﴾ لماذا فعله؛ وذلك لكمال قدرته وعظمته ﴿وَهُمْ﴾ أي المخلوقين ﴿يُسْـَٔلُونَ ٢٣﴾ عن كل ما فعلوه.

• ﴿أَمِ ٱتَّخَذُواْ﴾ هؤلاء المشركون ﴿مِن دُونِهِۦٓ﴾ من دون الله ﴿ءَالِهَةً﴾ يعبدونهم ﴿قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ﴾ دليلكم على صحة ما فعلتم ﴿هَٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِىَ﴾ أي القرآن ﴿وَذِكْرُ مَن قَبْلِى﴾ أي كتب الأنبياء تدل على صدق ما جئت به ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْحَقَّ﴾ جاهلون به ﴿فَهُم مُّعْرِضُونَ ٢٤﴾ عن قبول الحق واتباعه.

التَّدَبُّر

١ ـ ما أكثر عِبَرَ الله تعالى في الأرض! ﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ١١﴾.

٢ ـ لا يعبأ الله تعالى بالمعرضين والضالِّين في النهاية ﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ١١﴾ يمدُّ لهم فإذا أخذهم لم يبالِ بأحدٍ منهم.

٣ ـ لا قيمة للاعتبار بعد فوات وقته وفرصه ﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴿١١﴾ فَلَمَّآ أَحَسُّواْ بَأْسَنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ ﴿١٢﴾ لَا تَرْكُضُواْ وَٱرْجِعُوٓاْ إِلَىٰ مَآ أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَٰكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْـَٔلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُواْ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿١٤﴾ فَمَا زَالَت تِّلْكَ دَعْوَىٰهُمْ حَتَّىٰ جَعَلْنَٰهُمْ حَصِيدًا خَٰمِدِينَ ﴿١٥﴾﴾ تأمل في نفسك! كم من أشياءٍ تتمنَّى التخلُّص منها قبل الفوات؟!

٤ ـ كم مرة نعتذر بعد الفوات! ﴿قَالُواْ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿١٤﴾﴾.

٥ ـ فتِّش في نفسك، وتفقد حالك، واقرأ سيرتك قبل أن يأتي موعد الويلات ﴿قَالُواْ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿١٤﴾﴾.

٦ ـ لا تتخلَّف عن أمر الله تعالى، أو تنتهك وعيده، أو لا تعظِّم شعائره ثم تأتي بعد ذلك تبكي من سوء النهايات ﴿قَالُواْ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿١٤﴾﴾ بإمكانك أن تكون ولياً لله تعالى.

٧ ـ العامل الذي لم نعطه حقه، والوالد الذي لم نَفِ له بواجباته، والوظيفة التي بخسنا أماناتها، والأحداث التي وقعت منا ونحن ندرك آثارها، سيأتي يوم نبحث فيه عن الخلاص ﴿قَالُواْ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿١٤﴾﴾.

٨ ـ هذا الكون لغايات، فأدر شأنك بإمعان! ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿١٦﴾ لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّٱتَّخَذْنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٧﴾﴾.

٩ ـ لو التفتَّ يميناً وشمالاً، وسماءً وأرضاً، لألقيتَ بقلبك في رحاب قدرة الكبير المتعال ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿١٦﴾ لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّٱتَّخَذْنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٧﴾﴾ ماذا لو أنَّ قلوبنا عقلت ما خلق الله؟!

١٠ ـ قل لقلبك وعقلك: أَمَا بعث هذا الكونُ في مشاعرك الإعجابَ؟! ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿١٦﴾ لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّٱتَّخَذْنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٧﴾﴾.

١١ ـ كلمتك يا صاحب الحق ورسالتك ومشروعك الذي تبذله في سبيل الله تعالى أثمن من قصة الباطل كلهــا في الحياة ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾.

١٢ ـ والله لو اجتمع أصحاب الباطل كل ثانية، ودفعوا على كل مشروع مليارات الدنيا، وجهدوا في كل لحظة، لبدَّدَتْ ســننُ الله تعالى كل ذلك حتى كأنها لا شــيء ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾ ارفع رأسك؛ فلن تُهزم في طريق.

١٣ ـ يا لخسارة الحياة! تقعد في بيتك يائساً، وسيل الأمل يجري في كل طريق ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾.

١٤ ـ بشــروا كل صاحب ضلالة ومعول هدم بهذه السنة الربانية في الكون ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾.

١٥ ـ درسك الذي تقيمه في مسجدك، وكلمتك التي تلقيها في مساجد الأحياء، وحلقة التحفيظ التي ترعاها في حيِّك، ودورك التربوي الذي تجتهد في بنائه في مسرح العمل ستقضي على جهود الباطل ولو ملأت الأرض، فإياك والتخلُّف عن ساحات العمل والبناء ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾.

١٦ ـ إياك أن تعظِّم جهــداً للباطل وأنت تردد فــي الوحي ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾.

١٧ ـ كل ما يجري على لسانك سيأتي فيه موعد القصاص ﴿وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾.

١٨ ـ ﴿وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾ وعيــد يســتنهض القلــوب الحيــة، ويذكِّرهــا بالاستعتاب قبل الوقوع.

١٩ ـ إذا تكلمت في شأن العقيدة؛ فإياك أن تصف ربك بما لم يصف به نفسه، أو يصفه به رسولك ﷺ ﴿وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾.

٢٠ ـ كلما قرب الإنسان من الحقائق أجلَّها وعظَّمها، وقام بشؤونها كما يليق ﴿وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾﴾ انظر ماذا تصنع الملائكة حين عَرَفَتِ الله.

٢١ ـ لا تذهب بشعاب قلبك إلى غير الله، ليس إلا هو ﴿وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾﴾.

٢٢ ـ من فقهك في تربية من تحت يدك أن تقبل به على العمل، وتفتح له باب التعظيم ﴿وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾﴾.

٢٣ ـ حين تسلب العقول حرية التفكير ﴿أَمِ ٱتَّخَذُوٓا۟ ءَالِهَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ ﴿٢١﴾ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾ أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ۖ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ ۖ هَٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِىَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِى ۗ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْحَقَّ ۖ فَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٤﴾﴾.

٢٤ ـ ﴿قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ﴾ اصفع بها قولَ كلِّ متسلِّقٍ لأسوار الشريعة بلا براهين!

٢٥ ـ الشريعة أكبر من أن يتسوَّر محاربيها الجُهَّال ﴿قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ﴾.

٢٦ ـ العالم من يملك الحجج والأدلة والبراهين، وما عداه فلا قيمة لقوله، ولا اعتبار لرأيه ﴿قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ﴾.

٢٧ ـ ما ثمة إلا هذه الشريعة ﴿هَٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِىَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِى﴾ وكلُّ دليلٍ لا يأتي من الوحي؛ فهو وَهْمٌ لا قيمة له.

وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴿٢٥﴾ وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗاۗ سُبۡحَٰنَهُۥۚ بَلۡ عِبَادٞ مُّكۡرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسۡبِقُونَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ وَهُم بِأَمۡرِهِۦ يَعۡمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡ وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ وَهُم مِّنۡ خَشۡيَتِهِۦ مُشۡفِقُونَ ﴿٢٨﴾ ۞ وَمَن يَقُلۡ مِنۡهُمۡ إِنِّيٓ إِلَٰهٞ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجۡزِيهِ جَهَنَّمَۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ أَوَلَمۡ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ كَانَتَا رَتۡقٗا فَفَتَقۡنَٰهُمَاۖ وَجَعَلۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ كُلَّ شَيۡءٍ حَيٍّۚ أَفَلَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٣٠﴾ وَجَعَلۡنَا فِي ٱلۡأَرۡضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمۡ وَجَعَلۡنَا فِيهَا فِجَاجٗا سُبُلٗا لَّعَلَّهُمۡ يَهۡتَدُونَ ﴿٣١﴾ وَجَعَلۡنَا ٱلسَّمَآءَ سَقۡفٗا مَّحۡفُوظٗاۖ وَهُمۡ عَنۡ ءَايَٰتِهَا مُعۡرِضُونَ ﴿٣٢﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ كُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ ﴿٣٣﴾ وَمَا جَعَلۡنَا لِبَشَرٖ مِّن قَبۡلِكَ ٱلۡخُلۡدَۖ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلۡخَٰلِدُونَ ﴿٣٤﴾ كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۗ وَنَبۡلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلۡخَيۡرِ فِتۡنَةٗۖ وَإِلَيۡنَا تُرۡجَعُونَ ﴿٣٥﴾

التفسير

- ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا﴾ بعثنا ﴿مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ﴾ من رسل الله تعالى ﴿إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ﴾ نبلغه ﴿أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠﴾ لا معبود بحق إلا أنا ﴿فَٱعۡبُدُونِ ٢٥﴾ فامتثلوا أمري، ولا تشركوا بي شيئاً.
- ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗا﴾ من الملائكة ﴿سُبۡحَٰنَهُۥ﴾ تنزَّه عن قولهم ﴿بَلۡ عِبَادٞ مُّكۡرَمُونَ ٢٦﴾ أي الملائكة عبادٌ لله مكرمون بعبادته.
- ﴿لَا يَسۡبِقُونَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ﴾ لا يتكلمون قبله بشيء ﴿وَهُم بِأَمۡرِهِۦ يَعۡمَلُونَ ٢٧﴾ يمتثلون أمره، ويعملون به.
- ﴿يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡ﴾ لا يغيب عنه من ذلك شيء ﴿وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ﴾ لا يشفعون لأحدٍ من خلقه إلا من بعد إذنه ورضاه ﴿وَهُم مِّنۡ خَشۡيَتِهِۦ مُشۡفِقُونَ ٢٨﴾ خائفون وَجِلُون.
- ﴿وَمَن يَقُلۡ مِنۡهُمۡ﴾ من الملائكة ﴿إِنِّيٓ إِلَٰهٞ مِّن دُونِهِۦ﴾ من دون الله ﴿فَذَٰلِكَ نَجۡزِيهِ جَهَنَّمَ﴾ نجعله من أهل النار ﴿كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلظَّٰلِمِينَ ٢٩﴾ هذا فعلنا في كلِّ ظالم.
- ﴿أَوَلَمۡ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ كَانَتَا رَتۡقٗا﴾ صمَّاء لا ثُقب فيهما ﴿فَفَتَقۡنَٰهُمَا﴾ فصَدَعْناهما وفَرَجْناهما ﴿وَجَعَلۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ كُلَّ شَيۡءٍ حَيٍّ﴾ أحيينا بالماء كل شيء ﴿أَفَلَا يُؤۡمِنُونَ ٣٠﴾ بالله تعالى.
- ﴿وَجَعَلۡنَا فِي ٱلۡأَرۡضِ رَوَٰسِيَ﴾ جبالاً ﴿أَن تَمِيدَ بِهِمۡ﴾ حتى لا تضطرب الأرض بهم ﴿وَجَعَلۡنَا فِيهَا فِجَاجٗا سُبُلٗا﴾ طرقاً ﴿لَّعَلَّهُمۡ يَهۡتَدُونَ ٣١﴾ بذلك إلى عبادة الله تعالى.

• ﴿وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا﴾ للأرض ﴿مَّحْفُوظًا﴾ من السقوط ﴿وَهُمْ عَنْ ءَايَٰتِهَا مُعْرِضُونَ ﴿٣٢﴾﴾ غافلون عن التدبر فيها.

• ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٣٣﴾﴾ في طريقه ومداره، لا ينحرف عنه، ولا يميل.

• ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ﴾ دوام البقاء في الدنيا ﴿أَفَإِي۟ن مِّتَّ﴾ يا رسول الله ﴿فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ ﴿٣٤﴾﴾ الباقون الدائمون!

• ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ ميتة منتقلة من الدنيا ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ﴾ الشدة والضيق والأمراض ﴿وَٱلْخَيْرِ﴾ النعم ﴿فِتْنَةً﴾ ابتلاءً ﴿وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾﴾ يوم القيامة.

التَّدَبُّر

١ ـ الدعوات الصحيحة هي التي تملك البراهين الكافية ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾.

٢ ـ من أعظم مقاصد الرسالة: الدعوة إلى التوحيد ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾.

٣ ـ كل دعوة لا تجعل التوحيد رأسها، وقاعدة أمرها، وذروة سنامها؛ فلا قيمة لها في الحياة ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾.

٤ ـ ركِّز في دعوتك، وأدر شأن الأصول، تلج إلى مبتغاك من أقرب الطرق ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾.

٥ ـ إذا قام التوحيد في قلب صاحبه أقبل عليه بعد ذلك كلُّ شيء ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾.

٦ ـ ﴿أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾ إذا بلغت فجاجَ قلبك بصدق بسطت لك مساحات الربيع!

٧ ـ ﴿أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾ دعوة لأن تتخلَّى عن كل مطمع من المخلوقين؛ وتقبل صادقاً إلى الله.

٨ ـ ﴿أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾ دعوة لتعظيم الله تعالى، وإجلال أمره وشعائره.

٩ ـ ﴿أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾ حين تعمر قلبك، لا يبقى فيه ذرة شرك لمخلوق.

١٠ ـ ﴿أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾ النافع الضار المعطي المانع الواهب الكبير، المتعال، جلَّ في علاه.

١١ ـ إن لم تجعلنا هذه الكلمة عبيداً لله تعالى في كل شيء؛ فلا قيمة لها في حياتنا! التوحيد هو الذي يعزز في قلب صاحبه أن الذي ينفعه ويضره، ويعطيه ويمنعه، ويمرضه ويشفيه هو الله.

١٢ ـ من الجهل بالله تعالى القول عليه بلا علم ﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾ ۞ وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّىٓ إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾﴾ هل تصورت أن بشراً لا يعرفون ما سيحدث لهم بعدَ ثانيةٍ من أعمارهم، ثم يتقوّلون على الله تعالى بأن له ولداً! كذلك يصنع الجهل في لحظة!

١٣ ـ إذا خلت القلوب من تعظيم الله تعالى لم تُلْقِ بالاً لما تقول ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَانَهُ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾ ۞ وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾.

١٤ ـ إلى كل مسؤول استعبد العالمين، وسَـنَّ لهم أنظمة الجاهلية، وحال بينهم وبين هذا الدين ﴿وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾.

١٥ ـ الماء الذي تشربه، وتستعين به على الحياة آيةٌ تحتاج منك إلى تفكر وإمعان ﴿ أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ جزء من مشكلاتنا أننا لا نحسب عوائد النعم ولا تقع في قلوبنا موقع الإجلال.

١٦ ـ تخيَّل أنك فقدتَ الماء؛ فلا تجد ما تشربه، ولا ما تغسل به ﴿ أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾.

١٧ ـ من السـفه أن يكون الماء آيةً يحيا به كلُّ شـيء، وتذهـب مقدَّراته نتيجةَ إسـرافٍ أو فوضـى ﴿ أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾.

١٨ ـ هذه الجبال الشاهقة في الأرض، وهذه الطرقات الممتدة هي بعض آيات الله تعالى في الكون لو كنّـا نتدبَّر ﴿وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣١﴾ وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا ۖ وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾.

١٩ ـ خذ جولة في رحاب هذه السماء الزرقاء لترى جلال قدرة الله تعالى في الكون ﴿وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا ۖ وَهُمْ عَنْ ءَايَٰتِهَا مُعْرِضُونَ ﴿٣٢﴾﴾ تخيَّل لو أن سقف بيتك بلا أعمدة تحمله! وتخيَّل في المقابل هذه السماء التي لا تحتاج إلى عمود يمسك بناءها! ﴿وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا ۖ وَهُمْ عَنْ ءَايَٰتِهَا مُعْرِضُونَ ﴿٣٢﴾﴾.

٢٠ ـ كل بناء يمتد طولاً إذا لم يجد ما يمسكه تمزَّق وتخرَّق وتشقق إيذاناً بالسقوط، إلَّا هذه السماء لا تكاد ترى فيها نقباً ﴿وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا ۖ وَهُمْ عَنْ ءَايَٰتِهَا مُعْرِضُونَ ﴿٣٢﴾﴾ يا لجلال ملك الله تعالى!

٢١ ـ وإذا أقبلت ببصرك في الشمس والقمر والليل والنهار متأملاً أدركت عظيم قدرة الله تعالى في الكون ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٣٣﴾﴾.

٢٢ ـ هذا الكون المنتظم من أكبر الأدلة على العليم الخبير! ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٣٣﴾﴾.

٢٣ ـ الدعوة لا تُعرف بالرجال ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ ۖ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ ﴿٣٤﴾﴾.

٢٤ ـ كل مخلوق ستحلُّ به عواصف الموت ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ ۖ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ ﴿٣٤﴾﴾.

٢٥ ـ رتِّب وضعك، وأدِرْ شأنك، وتخلَّص من نوافذ الظلام قبل حلول هذه اللحظات ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾.

٢٦ ـ هذا الطارق ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ يأتي دون موعد، ويخرجك من الحياة الدنيا إلى الحياة الآخرة.

٢٧ ـ ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ حتى لو كانت ترتع في النعم، وتجري في ساحات الأمل.

٢٨ ـ ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ ولو كانت تدير ملكاً، أو تقف على رأس الهرم!

٢٩ ـ ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ حتى لو كانت سالمةً من الأمراض، ومعافاةً من الألم.

٣٠ ـ ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ حتى لو كان هو الطبيب الذي يعالج من المرض، والمسؤول الذي يدير شأن العالمين.

٣١ ـ ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ حلَّ بإنسان على فراش نومه، وقبض أنفاسَ آخرَ وهو في سيارته، وداهم ثالثاً وهو على خشبة مسرح زواجه وفرحه؛ فأَدِرْ شأن لحظتك بإمعان.

٣٢ ـ صروف الدهر ونعماؤه التي تجري في حياتك إنما تجري لغايات ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً﴾.

٣٣ ـ حتى عافيتك، ومهارتك، وبيتك، ووظيفتك، وولدك، ومالك، وكل شأن نعمك، إنما هي للاختبار والابتلاء؛ فتنبَّه ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً﴾.

٣٤ ـ مرضك، وموت ولدك، وذهاب مالك أحداث لا تجري سدًى، إنما هي لاختبار إيمانك، وابتلاء رضاك ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً﴾.

٣٥ ـ ﴿وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ رسالة في إعادة بوصلة إيمانك إلى موقعها الحقيقي!

٣٦ ـ ﴿وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ دعوة لمراجعة حساباتك الشخصية قبل فوات الأوان.

❀ ❀ ❀

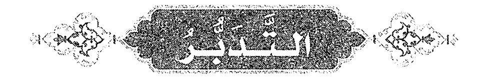
وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَـٰذَا ٱلَّذِى يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ وَهُم بِذِكْرِ ٱلرَّحْمَـٰنِ هُمْ كَـٰفِرُونَ ﴿٣٦﴾ خُلِقَ ٱلْإِنسَـٰنُ مِنْ عَجَلٍۚ سَأُوْرِيكُمْ ءَايَـٰتِى فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴿٣٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَـٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾ لَوْ يَعْلَمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ ٱلنَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٣٩﴾ بَلْ تَأْتِيهِم بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٤٠﴾ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُواْ مِنْهُم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٤١﴾ قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحْمَـٰنِۗ بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٢﴾ أَمْ لَهُمْ ءَالِهَةٌ تَمْنَعُهُم مِّن دُونِنَاۚ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ وَلَا هُم مِّنَّا يُصْحَبُونَ ﴿٤٣﴾ بَلْ مَتَّعْنَا هَـٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ طَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُۗ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَآۚ أَفَهُمُ ٱلْغَـٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾

التفسير

- ﴿وَإِذَا رَءَاكَ﴾ يا رسول الله ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ بالله تعالى ﴿إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا﴾ سخريةً واستهزاءً ﴿أَهَٰذَا ٱلَّذِى يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ﴾ يعيبها ﴿وَهُم بِذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ الذي خلقهم وأنعم عليهم ﴿هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٦﴾﴾ جاحدون.
- ﴿خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ﴾ أي آدم ﴿مِنْ عَجَلٍ﴾ مجبولاً على العجلة والسرعة ﴿سَأُو۟رِيكُمْ ءَايَٰتِى﴾ الدالة على عقابي وانتقامي من المخالفين ﴿فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴿٣٧﴾﴾ عذاب الله تعالى.
- ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾﴾ وعد العذاب الذي سيحلُّ بنا.
- ﴿لَوْ يَعْلَمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ حالهم ومآلهم ﴿حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ ٱلنَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمْ﴾ لا يستطيعون دفع النار عن وجوههم، ولا عن ظهورهم ﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٣٩﴾﴾ لا ناصر لهم من الله.
- ﴿بَلْ تَأْتِيهِم﴾ النار ﴿بَغْتَةً﴾ فجأة ﴿فَتَبْهَتُهُمْ﴾ تدهشهم وتحيِّرهم ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا﴾ عن أنفسهم ﴿وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٤٠﴾﴾ يؤخرون عن موعد العذاب.
- ﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُواْ مِنْهُم﴾ نزل بالمستهزئين ﴿مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٤١﴾﴾ من العذاب والنكال.
- ﴿قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم﴾ من يحرسكم ﴿بِٱلَّيْلِ﴾ إذ كنتم نائمين ﴿وَٱلنَّهَارِ﴾ وقت انتشاركم ﴿مِنَ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ من أمر الرحمن إن نزل بكم ﴿بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم﴾ أمره ونهيه ﴿مُّعْرِضُونَ ﴿٤٢﴾﴾ لا يعملون به.

• ﴿أَمْ لَهُمْ ءَالِهَةٌ تَمْنَعُهُم مِّن دُونِنَا﴾ إن أردنا إنزال العذاب بهم ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ﴾ فهذه الآلهة لا تستطيع دفع الضرِّ عن نفسها ﴿وَلَا هُم مِّنَّا يُصْحَبُونَ ﴿٤٣﴾﴾ يجارون.

• ﴿بَلْ مَتَّعْنَا هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ طَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ﴾ أنعمنا عليهم، وأطلنا أعمارهم، ولم نُعاجلهم بالعذاب ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَآ﴾ بموت أهلها، وقهرهم، وغلبتهم ﴿أَفَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾﴾ لأقدار الله تعالى وسنته الماضية في الأولين.



التدبُّر

١ ـ لم يجدوا أدلةً يعارضون بها هذا الحق؛ فأقبلوا على إشاعة الأوهام على حاملي راياته ﴿وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِى يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ وَهُم بِذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٦﴾﴾.

٢ ـ السخريةُ من الحق، والاستهزاءُ بأصحابه أسلوبٌ قديم، تتجدَّد بعض صوره وتطبيقاته في واقع الحياة ﴿وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِى يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ وَهُم بِذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٦﴾﴾.

٣ ـ ﴿خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ﴾ جِبلَّةٌ طُبع عليها الإنسان، وستظل ملازمة له ما بقي العمر.

٤ ـ التحلِّي بالتؤدة في كل شأنك، أو في كثير منه هو دورك في مغالبة هذا الطبع ﴿خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ﴾.

٥ ـ كم مرة نَدِمَ هذا الإنسان على عمل؛ بسبب هذا الخلق! التحلِّي بالتؤدة في كل شأنك أو في كثير منه هو مطلب أساس ﴿خُلِقَ ٱلْإِنسَـٰنُ مِنْ عَجَلٍ﴾.

٦ ـ كثير من الديون التي يغالب إنسانُ اليومِ واقعَهَا هي نتيجة هذا الخلق الجِبِلِّي في نفسه ﴿خُلِقَ ٱلْإِنسَـٰنُ مِنْ عَجَلٍ﴾.

٧ ـ كثير من الذين في السجون هم جزء من آثار هذا الخلق في حياتهم ﴿خُلِقَ ٱلْإِنسَـٰنُ مِنْ عَجَلٍ﴾ استعجلوا شهوات أو مباحات؛ فضربت عليهم أبواب السجون وحرموا الحريات.

٨ ـ تدرَّب على تأجيل بعض شؤونك لتتغلَّبَ في النهاية على آثار ذلك الخلق ﴿خُلِقَ ٱلْإِنسَـٰنُ مِنْ عَجَلٍ﴾.

٩ ـ لا تستعجلوا زوال العدو؛ ففي الطريق ما ترجون ﴿سَأُوْرِيكُمْ ءَايَـٰتِى فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ﴾.

١٠ ـ إذا طال عليك زمن الانتظار؛ فتأمَّل هذا الوعد الكبير ﴿سَأُوْرِيكُمْ ءَايَـٰتِى فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ﴾.

١١ ـ كل الذين تراهم بلغوا ذرا الفساد والعلو والتكبر؛ قريباً سترى نهايتهم ﴿سَأُوْرِيكُمْ ءَايَـٰتِى فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ﴾.

١٢ ـ كم من مستعجِلٍ جاءته بنهايات السوء ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَـٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾ لَوْ يَعْلَمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ ٱلنَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٣٩﴾ بَلْ تَأْتِيهِم بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٤٠﴾﴾.

١٣ ـ سنن الله تعالى جاريةٌ في كلِّ زمانٍ ومكان ﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٤١﴾﴾.

١٤ ـ من سنن الله تعالى التي لا تتبدل ولا تتغيَّر أن جنده هم الغالبون، وحزبه هم المنصورون ﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٤١﴾﴾.

١٥ ـ من سنن الله تعالى في الكون أن عدو دينه آيلٌ إلى الهلاك والعذاب ﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٤١﴾﴾.

١٦ ـ إذا أمضَّك الطريق، وضاقت عليك الظروف، ولم تجد معيناً يأخذ بمشاعرك وقلبك؛ فاقرأ وعد الله تعالى، وسُنَّته الثابتة في العالمين ﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٤١﴾﴾.

١٧ ـ يقرأ هذه الآية في ورده كلَّ أسبوع ﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٤١﴾﴾ ويشتكي من استهزاء الآخرين به، وعدم عونهم له في مشروعه الكبير! تخبره الآية بالواقع، وتبيِّن له النهايات، لكنه لم يفقه منها سوى العجز.

١٨ ـ إذا رفعت رايةً في دين الله تعالى؛ فستلقى ذات المعنى ﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ﴾ وإذا جاهدت وبذلت وواصلت الطريق؛ فستجد النهاية نفسها ﴿فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾.

١٩ ـ لعلك لم تتأمل؛ فإن هذا الذي تعصيه هو الذي يحفظك من طوارق الليل والنهار ﴿قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ۗ بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٢﴾﴾ مؤلم أن الذي نعصيه، هو ذاته الذي يُجري علينا سربال النعم، وجوامع الخيرات.

٢٠ ـ ما أكثر نعم الله تعالى علينا! وما أكثر ما نقابلها بالنكران! ﴿قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ۗ بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٢﴾﴾.

٢١ ـ مِنْ ظَنِّ السوءِ بربك أن ترى أن أحداً من العالمين أحدث لك رزقاً، أو منع عنك سوءاً ﴿أَمْ لَهُمْ ءَالِهَةٌ تَمْنَعُهُم مِّن دُونِنَا ۚ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ وَلَا هُم مِّنَّا يُصْحَبُونَ ﴿٤٣﴾﴾.

٢٢ ـ لا يغرنَّك نعيم الكافرين، إنما ذلك استدراج لهم ﴿بَلْ مَتَّعْنَا هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ طَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ ۗ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَآ ۚ أَفَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾﴾.

٢٣ ـ إلى الذين يسألون كيف يكفرون والله تعالى يسبل عليهم النعيم! ﴿بَلْ مَتَّعْنَا هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ طَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ ۗ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَآ ۚ أَفَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾﴾.

٢٤ ـ في التأخير وزيادة النعيم زيادة حجج وإعذار واستدراج لأسوأ مواقف العذاب ﴿بَلْ مَتَّعْنَا هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ طَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ ۗ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَآ ۚ أَفَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾﴾.

٢٥ ـ في الأرض بيِّنات للمتعظين! ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَآ ۚ أَفَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ كم مرة هُزم أهل الباطل، وأديل عليهم! وما زالت ديارهم ماثلة، وصورهم باقية حتى الآن!

٢٦ ـ لو مَدَّ المُعرض بصرَهُ في الكون صادقاً؛ لكانت البيِّنات كافيةً في الذكرى ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَآ ۚ أَفَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾.

❀ ❀ ❀

قُلۡ إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلۡوَحۡيِۚ وَلَا يَسۡمَعُ ٱلصُّمُّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ ﴿٤٥﴾ وَلَئِن مَّسَّتۡهُمۡ نَفۡحَةٞ مِّنۡ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَٰوَيۡلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَضَعُ ٱلۡمَوَٰزِينَ ٱلۡقِسۡطَ لِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَلَا تُظۡلَمُ نَفۡسٞ شَيۡـٔٗاۖ وَإِن كَانَ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٍ أَتَيۡنَا بِهَاۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلۡفُرۡقَانَ وَضِيَآءٗ وَذِكۡرٗا لِّلۡمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ وَهُم مِّنَ ٱلسَّاعَةِ مُشۡفِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَهَٰذَا ذِكۡرٞ مُّبَارَكٌ أَنزَلۡنَٰهُۚ أَفَأَنتُمۡ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٥٠﴾ ۞وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَآ إِبۡرَٰهِيمَ رُشۡدَهُۥ مِن قَبۡلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِيٓ أَنتُمۡ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُواْ وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدۡ كُنتُمۡ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُمۡ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴿٥٤﴾ قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا بِٱلۡحَقِّ أَمۡ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ بَل رَّبُّكُمۡ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٦﴾ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصۡنَٰمَكُم بَعۡدَ أَن تُوَلُّواْ مُدۡبِرِينَ ﴿٥٧﴾

التفسير

• ﴿قُلْ إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلْوَحْيِ﴾ أُبَلِّغكم وحيَ الله تعالى ﴿وَلَا يَسْمَعُ ٱلصُّمُّ﴾ عن الحق ﴿ٱلدُّعَآءَ﴾ ما يدعون إليه سماع قبول ﴿إِذَا مَا يُنذَرُونَ ﴿٤٥﴾﴾ إذا خُوِّفُوْا من عذاب الله تعالى.

• ﴿وَلَئِن مَّسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ﴾ جزءٌ يسيرٌ من العذاب ﴿لَيَقُولُنَّ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٤٦﴾﴾ تحسُّراً وندماً على ما أصابهم.

• ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ﴾ العدل ﴿لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا﴾ لا ينقص من حسناتها، ولا يزاد في سيئاتها ﴿وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ﴾ وزن حبّة ﴿أَتَيْنَا بِهَا﴾ لنجازي عليها ﴿وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾﴾ كفى به تعالى حافظاً لأعمال العباد مجازياً عليها.

• ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ﴾ التوراة ﴿وَضِيَآءً﴾ نوراً ﴿وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾﴾ تذكيراً لمن اتقى الله تعالى بطاعته، واجتناب نهيه.

• ﴿ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ﴾ يخافونه ويعظمونه في حال الخلوات ﴿وَهُم مِّنَ ٱلسَّاعَةِ﴾ يوم القيامة ﴿مُشْفِقُونَ ﴿٤٩﴾﴾ خائفون وَجِلُون.

• ﴿وَهَٰذَا﴾ أي القرآن الكريم ﴿ذِكْرٌ﴾ يتذكر به المؤمنون أوامر الله تعالى ﴿مُّبَارَكٌ﴾ كثير البركة والخيرات ﴿أَنزَلْنَٰهُ أَفَأَنتُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٥٠﴾﴾ معرضون عنه، غير مؤمنين به.

• ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ﴾ وفَّقناه للحق، وهديناه للطريق القويم ﴿مِن قَبْلُ﴾ من قبل موسى وهارون ﴿وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾﴾ أنه أهلٌ لما أعطيناه وخصصناه به.

• ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ﴾ الصور والآلهة ﴿ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾﴾ مقيمون على عبادتها.

• ﴿قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴿٥٣﴾﴾ يعبدونها ففعلنا مثلهم.

• ﴿قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾﴾ واضح بيِّن.

• ﴿قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ﴾ بالجدِّ ﴿أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ﴿٥٥﴾﴾ الهازلين فيما تقول.

• ﴿قَالَ﴾ بل ما أقول لكم هو الحق، والله تعالى الذي أدعوكم لعبادته هو رب كل شيء ﴿بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ﴾ خلقهن ﴿وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٦﴾﴾ أن الله هو الحق، وأن ما دونه باطل.

• ﴿وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم﴾ لأدبرنَّ لأصنامكم ما تكرهون ﴿بَعْدَ أَن تُوَلُّوا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾﴾ حين تولُّون عنها.

التدبر

١ ـ الوحي منهجٌ كافٍ لقيام حجج الله تعالى على العالمين ﴿قُلْ إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلْوَحْىِ ۚ وَلَا يَسْمَعُ ٱلصُّمُّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ ﴿٤٥﴾﴾.

٢ ـ تأهل لمواجهة الحقائق ﴿قُلْ إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلْوَحْىِ ۚ وَلَا يَسْمَعُ ٱلصُّمُّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ ﴿٤٥﴾﴾ بعض الناس لو دفعت كل ما تملك من فنون الخطاب الدعوي ما ألقوا لها سمعاً.

٣ ـ إذا أردت أن تعرف قيمة هذا الوحي في الذكرى؛ فانظر إلى كبراء قريش وشعرائها الذين لم يملك الواحد منهم أمامه إلا الذهول ﴿قُلْ إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلْوَحْىِ ۚ وَلَا يَسْمَعُ ٱلصُّمُّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ ﴿٤٥﴾﴾.

٤ ـ حتى في الغرب إذا تُلِيَ القرآن تركوا ما في أيديهم، وأقبلوا إليك مطرقين ﴿قُلْ إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلْوَحْيِ ۚ وَلَا يَسْمَعُ ٱلصُّمُّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ ﴿٤٥﴾﴾.

٥ ـ مشكلة الكثيرين أنهم لا يشعرون بالخطر إلَّا بعد فوات وقت الذكرى ﴿وَلَئِن مَّسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٤٦﴾﴾.

٦ ـ ثمة نفوس تغشاها الغفلة إلى الدرجة التي لا تؤوب إلا بعد أن تلفحها النار ﴿وَلَئِن مَّسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٤٦﴾﴾.

٧ ـ ﴿يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾ ليست قصةً لسابقين، بل قصص لكثيرٍ من اللاحقين، فإن استطعت ألا يتكرر عليك هذا الثبور والويل؛ فافعل قبل فوات الأوان.

٨ ـ هل تصوَّرت اللحظة التي تقف فيها في عَرَصات يوم القيامة، ويوضع عملك في الميزان ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾﴾ لا أعلم لحظة تأخذ بلبِّ صاحبها كهذه اللحظة في عمر إنسان.

٩ ـ عملك هنا هو ميزانك هناك؛ فلا تبخل على نفسك بشيء ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾﴾.

١٠ ـ كم من جهدٍ وعملٍ ومشروعٍ وبرٍّ ثقل في موازين الحساب! ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾﴾.

١١ ـ يا صاحب السيئة! حتى مثقال الذرة يجري عليها ميزان السؤال والحساب، فإياك والموبقات ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾﴾.

١٢ ـ أخذ بيد أعمى، ومسن، وراجع في معاملة أرامل حتى أثبتها، وما زال بالأيتام حتى سدَّ حاجتهم؛ ستأتي هذه الأعمال في ميزان الحسنات ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾﴾.

١٣ ـ وبِرُّك بأمك، وصلتك لأختك، وعونك لصديقك، ومساعدتك لمريض؛ سيأتي في ميزان الحسنات ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾﴾.

١٤ ـ ربما يُفاجأ يوم القيامة بموقف النجاة متمثل في تلك الساعة المتأخرة من الليل التي وقَفَها إلى جانب مقطوعٍ في الطريق، أو أعان أسرةً على العفاف، أو رعى معوَّقاً محتاجاً إلى عون، أو أوقف سيارته أمام ذلك المسن حتى اجتاز الطريق، أو دفع بكرسيٍّ ذلك المريض إلى أن أدخله العيادة ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾﴾.

١٥ ـ لا تحسب أن دمعة المظلوم لن تأتي شاهدةً في ميزان السيئات في ذلك اليوم! ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾﴾.

١٦ ـ حتى الدرهم الذي ماكست فيه عاملاً، وأخذته دون وجه حق ستجد حسابه في الميزان ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾﴾.

١٧ ـ إذا أردت البركة في نفسك وعملك ومشروعك وولدك؛ فأَنِخْ المطايا في رحاب كتاب ربك تالياً ومتدبِّراً ﴿وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَٰهُ ۚ أَفَأَنتُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٥٠﴾﴾.

١٨ ـ ﴿وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَٰهُ أَفَأَنتُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ۝٥٠﴾ بركة الحسنات شيء، وبركة الأرزاق والمعارف والعلوم والأولاد والتوفيق والحياة الكريمة شيء آخر؛ فإياك وفوات الأرباح!

١٩ ـ ما أكثر الأحداث المثيرة التي تركها إبراهيم عليه السلام في واقع الحياة! ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ۝٥١﴾.

٢٠ ـ إذا رأيت توفيقاً يملأ حياة صاحبه؛ فاعلم أن شيئاً بينه وبين ربه أوجب له تلك الخيرات ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ﴾ أثر من آثار ﴿وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ﴾.

٢١ ـ ﴿وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ﴾ أي إنه يستحق تلك العطايا الكبار!

٢٢ ـ النتائج أثر لتلك الأسباب التي يصنعها أصحابها ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ۝٥١﴾.

٢٣ ـ تأمَّل في نفسك: ما العمل الذي تشعر بأنه سيفتح عليك آمالاً ترجوها من ربك، وتمنحه وقتك وقلبك ومشاعرك في قادم الأيام؟ ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ۝٥١﴾.

٢٤ ـ الأعمال الصالحة التي تخفيها موجبة لأحداث التوفيق ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ۝٥١﴾.

٢٥ ـ قلبك أخص ما يُعرِّف بك ﴿وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ﴾ فأعد النظر فيه، وتأمَّل خباياه، وأعدَّه لفتوحات العليم الخبير!

٢٦ ـ من فقه المربي وصانع الحدث ألَّا يبادر بالإنكار في مسألة حتى يفقه الأسباب والدواعي إليها ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ۝٥٢﴾ بدأ بسؤالهم مع معرفته التامَّة بما يفعلون.

٢٧ ـ كم مـرة جرَّت العجلة في الإنكار من ندم وأسـف على صاحبها ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾﴾.

٢٨ ـ حين تُكبَّل العقـول فـي أغلال التقليـد ﴿قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴿٥٣﴾﴾.

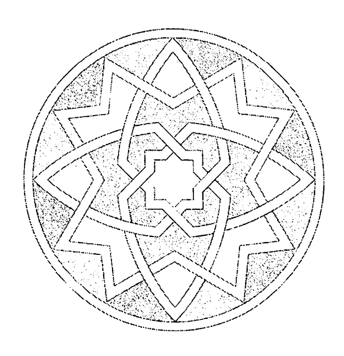
٢٩ ـ العاكفون على الوثنيات يستحقون هذه البدايات الشديدة ﴿قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾﴾.

٣٠ ـ التـدرُّج من سنـن التغيير ﴿قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾﴾ بدأ معهم الإنكار بالقول، ثم انتقل بعد ذلك إلى الفعل.

٣١ ـ متى كانت الدعوة إلى دين الله تعالى لعباً وفوضى إلَّا في أعراف الجاهلين؟! ﴿قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ﴿٥٥﴾﴾؟!

٣٢ ـ لا يتحمَّسـون لقضيتك أصلاً؛ لأنهم يرونها لا تعـدو أن تكون عبثاً ولعباً ﴿قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ﴿٥٥﴾﴾.

❀ ❀ ❀



فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾ قَالُوا مَن فَعَلَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٩﴾ قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَىٰ أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾ قَالُوا أَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾ فَرَجَعُوا إِلَىٰ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنتُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نُكِسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰؤُلَاءِ يَنطِقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾ وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ﴿٧١﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ ﴿٧٢﴾

التفسير

• ﴿فَجَعَلَهُمْ﴾ أي الأصنام ﴿جُذَاذًا﴾ كِسَراً وقِطَعاً ﴿إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ﴾ إلا صنمهم الكبير تركه فلم يكسره ﴿لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾﴾ فيسألونه عن ذلك تقريراً لهم على بطلان عبادته.

• ﴿قَالُوا مَن فَعَلَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٩﴾﴾ المعتدين عليها المنتهكين لمنزلتها.

• ﴿قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ﴾ يعيبهم ويذمُّهم ﴿يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ ﴿٦٠﴾﴾ اسمه إبراهيم.

• ﴿قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَىٰ أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾﴾ لعلهم يشهدون على إقراره بما صنع.

• ﴿قَالُوا أَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿٦٢﴾﴾ أنت الذي كسَّرتها وحطمتها.

• ﴿قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا﴾ بل هذا فِعْلُ هذا الصنم الكبير الذي ترونه ﴿فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾﴾ إن كان لديهم قدرة على النطق فسيجيبونكم عن ذلك.

• ﴿فَرَجَعُوا إِلَىٰ أَنفُسِهِمْ﴾ عرفوا ما هم فيه من الباطل ﴿فَقَالُوا﴾ بعضهم لبعض: ﴿إِنَّكُمْ أَنتُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ بعبادتكم شيئاً لا يدفع عن نفسه الضرَّ.

• ﴿ثُمَّ نُكِسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ﴾ انقلبوا وانتكسوا من جديد قائلين: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰؤُلَاءِ يَنطِقُونَ ﴿٦٥﴾﴾ أن هذه الآلهة لا تتكلم؛ فلماذا تأمرنا بسؤالهم؟

• ﴿قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾﴾ كيف تعبدون ما لا يملك لكم نفعاً ولا يدفع عنكم ضرّاً؟!

- ﴿أُفٍّ لَّكُمْ﴾ قُبحاً لكم ﴿وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ وقُبحاً لآلهتكم التي تعبدونها ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾﴾ قُبْحَ ما تفعلون.
- ﴿قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ﴾ أوقدوا له ناراً وألقـوه فيها ﴿وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ﴾ بتحريقه وقتله ﴿إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾﴾ به عقاباً رادعاً.
- ﴿قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾﴾ فلم يُمَسَّ فيها بسوء.
- ﴿وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا﴾ بتحريقه وإهلاكـه ﴿فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾﴾ في الدنيا والآخرة.
- ﴿وَنَجَّيْنَٰهُ وَلُوطًا﴾ من كيـد الأعداء وبعثنـاه ﴿إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾﴾ الشام.
- ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ﴾ ولداً له ﴿وَيَعْقُوبَ﴾ ولداً لإسحاق ﴿نَافِلَةً﴾ فضلاً من الله وعطية ﴿وَكُلًّا﴾ أي إبراهيم وإسحاق ويعقوب ﴿جَعَلْنَا صَٰلِحِينَ ﴿٧٢﴾﴾ قائمين بحقوق الله تعالى مؤدين لواجباته.

التَّدَبُّرُ

١ ـ الإغـارة على المنكـرات، واجتثاث الأوثـان مـن الأرض دأب الناهضين والمصلحين والكبار في التاريخ، بشـرط أن يكون لدى أولئك قدرةٌ على تغيير ذلك المنكر باليد، ولا تترتَّب على ذلك التغيير مفاسد أعظم ﴿وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾ فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾﴾.

٢ ـ ديـن الله تعالى لا يقـوم إلا على المفاصلـة بين الحـق والباطل ﴿وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾ فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾﴾.

٣ ـ الإصلاح ليس لغة باردة، ولا هموم فارغـة، ولا فكرة ميتة، إن لم تحملك فكرتك، وينهض بك مشروعك إلى محاصرة الشرور ومطاردة الأوثان؛ فلا قيمة لها في واقع الحياة ﴿وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾ فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾﴾.

٤ ـ رعاية المصالح مع غير المسلمين لا تتم على شيء من بقايا الشرك ووثنيات الجاهلية ﴿وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾ فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾﴾.

٥ ـ الحوار فن إذا اسـتطاع صاحبه أن يدير دفته بإمعان بلغ مقاصده من أقرب الطرق ﴿قَالُوٓا۟ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾ فَرَجَعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوٓا۟ إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نُكِسُوا۟ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾﴾.

٦ ـ الطواغيت لا يملكون إلّا أسـلوباً واحداً في مواجهة الحقائق ﴿قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾﴾.

٧ ـ الأوهام لا تثبت أمام الحقائق، والقوة أكثر الأساليب أثراً في إعادة هيبتها من جديد ﴿قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾﴾.

٨ ـ حين يتحوَّل الإنسان إلى عبدٍ لحجرٍ في الأرض ﴿قَالُواْ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ۝٦٨﴾.

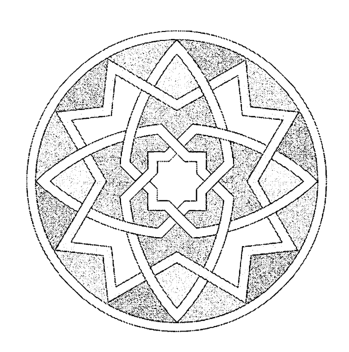
٩ ـ يا لسفاهة هذه العقول! آلهة وتحتاج إلى نصر! ﴿قَالُواْ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ۝٦٨﴾.

١٠ ـ لا حدود لتأجير العقول ﴿قَالُواْ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ۝٦٨﴾.

١١ ـ حين ينتصر الله تعالى لوليٍّ من أوليائه ﴿قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ۝٦٩ وَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ۝٧٠﴾.

١٢ ـ من كان مع الله كان الله معه ﴿قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ۝٦٩ وَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ۝٧٠ وَنَجَّيْنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ ۝٧١ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَٰلِحِينَ ۝٧٢﴾ صارعَ الجاهلية، وقام بواجب الله تعالى؛ فحماه الله تعالى من بطش الظالمين، وأجرى له آيةً من آياته، ووهبه ذريةً صالحة، وكتب له النصر والعز والتمكين.





وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا عَٰبِدِينَ ﴿٧٣﴾ وَلُوطًا ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَت تَّعْمَلُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ ۗ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَٰسِقِينَ ﴿٧٤﴾ وَأَدْخَلْنَٰهُ فِى رَحْمَتِنَآ ۖ إِنَّهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَنَصَرْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٧٧﴾ وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ ۚ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿٧٩﴾ وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ ۖ فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ ﴿٨٠﴾ وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِى بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ۚ وَكُنَّا بِكُلِّ شَىْءٍ عَٰلِمِينَ ﴿٨١﴾

التفسير

• ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً﴾ قادةً في الخير ﴿يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾ يدعون الناس إلى عبادة الله تعالى وحده ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ أن افعلوا الخير وادعوا الناس إليه ﴿وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ﴾ وأتوا بالصلاة على أكمل وجه ﴿وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ﴾ وأدُّوا الزكاة ﴿وَكَانُواْ لَنَا عَٰبِدِينَ ﴿٧٣﴾﴾ طائعين ممتثلين.

• ﴿وَلُوطًا ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا﴾ يفصل به بين المتنازعين ﴿وَعِلْمًا﴾ فقهاً في دين الله تعالى ﴿وَنَجَّيْنَٰهُ﴾ من العذاب الذي أحلَّه الله تعالى بأهل القرية ﴿مِنَ ٱلْقَرْيَةِ﴾ قرية سدوم ﴿ٱلَّتِى كَانَت تَّعْمَلُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ﴾ إتيان الذكران ﴿إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْمَ سَوْءٍ فَٰسِقِينَ ﴿٧٤﴾﴾ خارجين عن طاعة الله تعالى.

• ﴿وَأَدْخَلْنَٰهُ﴾ لوط ﴿فِى رَحْمَتِنَآ﴾ بإنجائنا له ممَّا حلَّ بقومه ﴿إِنَّهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾﴾ القائمين بأمر ربه تعالى.

• ﴿وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ﴾ دعا على قومه حين كذبوه ﴿مِن قَبْلُ﴾ من قبل الرسل ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ﴾ استجبنا دعاءه ﴿فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ﴾ من أهل الإيمان ﴿مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾﴾ عذاب الطوفان الذي حل بقومه.

• ﴿وَنَصَرْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ﴾ نصرناه عليهم، وجعلنا له الغلبة ﴿إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْمَ سَوْءٍ﴾ فساد وشر ﴿فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٧٧﴾﴾ فأهلكناهم بالغرق أجمعين.

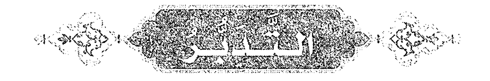
• ﴿وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ﴾ ابنه عليهما السلام ﴿إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ﴾ حيث إن الغنم رَعَتْ ليلاً في حرث صاحب الأرض، فتحاكم

إليه صاحب الحرث وصاحب الغنم فحكم داود بحكم، وحكم سليمان بحكم آخر ﴿وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ ﴿٧٨﴾﴾ عارفين مطّلعين.

• ﴿فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ﴾ جعلنا حكم المسألة الصحيح مع سليمان ﴿وَكُلًّا﴾ من داود وسليمان ﴿ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ أعطيناهما العلم والحكم بين الناس ﴿وَسَخَّرْنَا﴾ ذلّلنا ﴿مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ﴾ لله تعالى ﴿وَٱلطَّيْرَ﴾ تسبح كذلك ﴿وَكُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿٧٩﴾﴾ لهذا التسبيح.

• ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ﴾ أي داود ﴿صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ﴾ صنعة الدروع؛ فهو أول من صنعها وعلّمها ﴿لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ﴾ تقيكم في أيام الحروب ﴿فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ ﴿٨٠﴾﴾ لهذه النعمة العظيمة.

• ﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ﴾ سخّرناها له ﴿عَاصِفَةً﴾ سريعة في مرورها ﴿تَجْرِى بِأَمْرِهِۦٓ﴾ تسير بأمره، وتخضع لطلبه ﴿إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا﴾ أرض الشام مقره؛ فكان يذهب على الريح إلى كل مكان، وتعود به إلى مقرِّه بالشام ﴿وَكُنَّا بِكُلِّ شَىْءٍ عَٰلِمِينَ ﴿٨١﴾﴾ لا يغيب عنّا من ذلك شيء.



١ ـ من فضائل الله تعالى عليك أن يجعلك إماماً في الخير، وداعياً إلى الهدى ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا عَٰبِدِينَ ﴿٧٣﴾﴾ وكم من إنسان عُرض عليه هذا الشرف فرفضه!

٢ ـ ما رأيت إماماً في الدين إلا وكان علماً وراية في حمل رسالته في العالمين ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا عَٰبِدِينَ ﴿٧٣﴾﴾.

٣ ـ كل من قام بواجبه، واستنفد طاقاته في سبيل فكرته ومشروعه فتح الله تعالى له توفيقاً في الدارين ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا عَٰبِدِينَ ﴿٧٣﴾﴾.

٤ ـ أكثر الصفات عمقاً في حياة المصلحين ﴿وَكَانُوا۟ لَنَا عَٰبِدِينَ﴾.

٥ ـ كل من ضرب بسهمٍ في هذا المعنى نال من الشرف على قدر ما بذل فيه ﴿وَكَانُوا۟ لَنَا عَٰبِدِينَ﴾.

٦ ـ تفقّد نفسك: ما علاقتك بهذا المعنى؟! وكم سهمك في تحصيله؟! ﴿وَكَانُوا۟ لَنَا عَٰبِدِينَ﴾.

٧ ـ كل معالم النصر التي تحققت لهؤلاء الكبار كانت نتيجة لهذا المعنى الكبير في حياتهم ﴿وَكَانُوا۟ لَنَا عَٰبِدِينَ﴾.

٨ ـ هذه سُنَّةُ الله تعالى مع أوليائه في كل زمان ﴿وَلُوطًا ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَت تَّعْمَلُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ ۗ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَٰسِقِينَ ﴿٧٤﴾ وَأَدْخَلْنَٰهُ فِى رَحْمَتِنَآ ۖ إِنَّهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَنَصَرْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٧٧﴾﴾.

٩ ـ من أقام لله تعالى شأناً أقام الله تعالى له شؤون التوفيق ﴿وَلُوطًا ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَت تَّعْمَلُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ ۗ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَٰسِقِينَ ﴿٧٤﴾ وَأَدْخَلْنَٰهُ فِى رَحْمَتِنَآ ۖ إِنَّهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَنَصَرْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٧٧﴾﴾.

١٠ ـ النتائج موكولة بأسبابها ﴿وَأَدْخَلْنَٰهُ فِى رَحْمَتِنَآ ۖ إِنَّهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾﴾.

١١ ـ أصلح نفسك يصلح الله تعالى لك شأنك ﴿وَأَدْخَلْنَٰهُ فِي رَحْمَتِنَآۖ إِنَّهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾﴾.

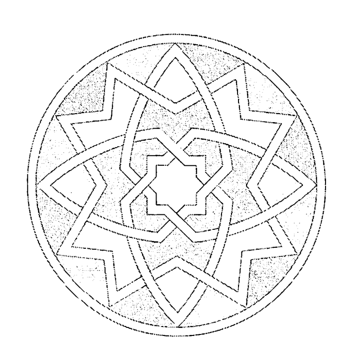
١٢ ـ التوفيق منَّة من الله تعالى ﴿فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ﴾.

١٣ ـ إذا لم يهبك الله تعالى توفيقاً لم ينفعك شيء من قدراتك ومهاراتك وإمكاناتك ﴿فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾.

١٤ ـ **«تعرَّف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدَّة»**[1] ﴿فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾.

١٥ ـ إذا أراد الله تعالى توفيقاً لعبده أجرى له الأسباب ﴿فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًاۚ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَۚ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿٧٩﴾ وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْۖ فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ ﴿٨٠﴾ وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِي بَٰرَكْنَا فِيهَاۚ وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَٰلِمِينَ ﴿٨١﴾﴾.





(١) حديث أخرجه أحمد في مسند ابن عباس، وطرفه: «يا غلام إني أعلمك كلمات...».

وَمِنَ ٱلشَّيَٰطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُۥ وَيَعۡمَلُونَ عَمَلٗا دُونَ ذَٰلِكَۖ وَكُنَّا لَهُمۡ حَٰفِظِينَ ﴿٨٢﴾ ۞ وَأَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ فَكَشَفۡنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرّٖۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ أَهۡلَهُۥ وَمِثۡلَهُم مَّعَهُمۡ رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَا وَذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِدۡرِيسَ وَذَا ٱلۡكِفۡلِۖ كُلّٞ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٨٥﴾ وَأَدۡخَلۡنَٰهُمۡ فِي رَحۡمَتِنَآۖ إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٦﴾ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبٗا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٨٨﴾ وَزَكَرِيَّآ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرۡنِي فَرۡدٗا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَوَهَبۡنَا لَهُۥ يَحۡيَىٰ وَأَصۡلَحۡنَا لَهُۥ زَوۡجَهُۥٓۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾

التفسير

• ﴿وَمِنَ ٱلشَّيَٰطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُۥ﴾ في البحر ﴿وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَٰلِكَ﴾ من البناء، وصناعة التماثيل، والجواب، والقدور؛ مما ذكره الله تعالى في سورة سبأ [١٣] ﴿وَكُنَّا لَهُمْ حَٰفِظِينَ ﴿٨٢﴾﴾ من أن يخرجوا عن طاعته في شيء.

• ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ﴾ البلاء في جسدِهِ ومالِهِ وولدِهِ ﴿وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾﴾ أعظمهم رحمة.

• ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ﴾ أزلنا ضره وكشفنا بلاءه ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ﴾ رددنا عليه أهله وماله ﴿وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ﴾ عوَّضه في أهله وماله ما تقر به عينه، وتسكن به نفسه ﴿رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا﴾ ذلك الذي فعلنا رحمةً به ﴿وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾﴾ عظةً وعبرةً لكلِّ عابدٍ صار له مثل ذلك أن الله تعالى معطيه ومعوضه في ذلك خير الجزاء.

• ﴿وَإِسْمَٰعِيلَ﴾ ولد إبراهيم الخليل عليه السلام ﴿وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ﴾ نبيَّيْنِ من أنبياء بني إسرائيل ﴿كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ ممن اتصف بالصبر.

• ﴿وَأَدْخَلْنَٰهُمْ فِى رَحْمَتِنَآ﴾ فجعلناهما أنبياء، وأدخلناهما الجنة ﴿إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٦﴾﴾ القائمين بأمر الله تعالى.

• ﴿وَذَا ٱلنُّونِ﴾ صاحب الحوت يونس بن متى ﴿إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا﴾ لقومه ﴿فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ﴾ ظن أنه يفوت على الله تعالى لا يجازيه في ترك

قومه ومغاضبته لهم، وقد أمره بدعوتهم، وهذا الظن عارض من عوارض بشريته وضعفه كإنسان ﴿فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ ظلمة الليل والبحر والحوت ﴿أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ﴾ لا شريك لك في ملكك ﴿سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٨٧﴾ بمغاضبتي لقومي وتركي لهم ﴿فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ﴾ أجبنا دعاءه ﴿وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ﴾ الشدة التي وقع فيها ﴿وَكَذَٰلِكَ نُۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٨٨﴾ وهذه سنَّتنا مع كل مؤمن.

- ﴿وَزَكَرِيَّآ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥ﴾ دعاه ﴿رَبِّ لَا تَذَرۡنِي فَرۡدٗا﴾ وحيداً، وقد رأى تقارب أجله، وخاف ألَّا يقوم أحدٌ بعده مقامه في الدعوة إلى الله، والنصح لعباد الله تعالى ﴿وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡوَٰرِثِينَ ٨٩﴾ خير الباقين.

- ﴿وَوَهَبۡنَا لَهُۥ يَحۡيَىٰ﴾ ابناً ووريثاً ﴿وَأَصۡلَحۡنَا لَهُۥ زَوۡجَهُۥٓۚ﴾ جعلناها تلد بعد أن كانت عاقراً ﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ﴾ يبادرون إليها، ويفعلونها في أوقاتها ﴿وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا﴾ رغبةً في نعيمنا ﴿وَرَهَبٗاۖ﴾ خوفاً من عذابنا ﴿وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ٩٠﴾ خاضعين متذلِّلين.

التَّدَبُّرُ

١ ـ حتى الكبار والأولياء يمرضون، ويتعبون، ويجهدون في الحياة ﴿وَأَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ٨٣﴾.

٢ ـ الأولياء يحسنون فنَّ الإقبال على الله تعالى خاصة في وقت الأزمات ﴿وَأَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ٨٣﴾.

٣ ـ الدعاء فنٌّ! ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾﴾ عرض حاله وتوسل برحمته.

٤ ـ يضيق الفارق بين الدعاء والإجابة على قدر صدق الداعي، وحسن إقباله على الله تعالى ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّۢ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾﴾.

٥ ـ كم بين دعوة أيوب عليه السلام ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾﴾ وبين إجابة ربه له ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّۢ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾﴾ ما أقصر هذه المسافات إذا استوفت شروطها!

٦ ـ يا الله! كم يصنع الدعاء من آثارٍ في حياة صاحبه! ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّۢ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾﴾ ما أحوجنا لإدارة شأنه في حياتنا بإجلال.

٧ ـ أصلح نفسك تعمُّك رحمة الله تعالى، وتنالك الخيرات ﴿وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٨٥﴾ وَأَدْخَلْنَٰهُمْ فِي رَحْمَتِنَآ ۖ إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٦﴾﴾.

٨ ـ حمل هموم المشروع مشترك بين الناهضين في كل زمان ومكان ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾﴾ لولا تلك الهموم لما ذهب مغموماً مهموماً في عرض الطريق!

٩ ـ إياك أن تبرح ساحات مشروعك وفكرتك وإن تخطَّفتك الطير! ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٨٧﴾.

١٠ ـ تخلِّيك عن واجبك ومشـروع عمرك تخلُّف تستحق عليه العقاب والعذاب ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٨٧﴾.

١١ ـ من عمق ظرفك ومشـكلتك تنداح أفراح الفـأل والأمل ﴿فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٨٨﴾.

١٢ ـ ثمة ضوءٌ في ظلام الليـل ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٨٧﴾.

١٣ ـ الدعاء فن! سأل الله تعالى بأعظم الأسباب الجالبة لرضاه (التوحيد)، ثم ختم باتهام نفسـه بالظلم ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٨٧﴾.

١٤ ـ الدعاء والابتهال والسؤال أوّلُ بابٍ يَلِجُهُ هؤلاء الكبار عند حدوث طوارق الزمان ﴿وَزَكَرِيَّآ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرۡنِي فَرۡدٗا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡوَٰرِثِينَ ٨٩﴾ ما أحوجنا لهذا الفقه!

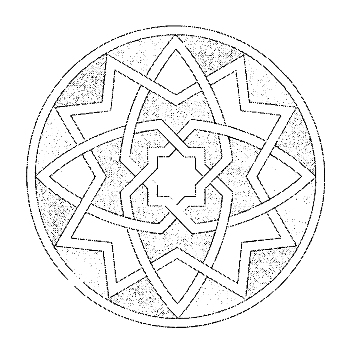
١٥ ـ ﴿فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ﴾ لم تتخلَّف عن واحد من هؤلاء المكروبين.

١٦ ـ إذا أردت أن تبلغ مناك من دعوتك؛ فاضرب فيها بسهمٍ من هذه المعاني الثلاث ﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾.

١٧ ـ رأيت كثيرين أول ما تفجعهم المصائب، وتصدمهم المشكلات يبحثون عن بشر مثلهم؛ فيتوهون من بداية الطريق ﴿وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾﴾.

١٨ ـ هذا دفع مبالغ كبيرة في عيادات الطب من أجل الولد، وذاك راجع مستشفيات كثيرة من أجل العافية من المرض، وثالث، ورابع؛ ولو أنهم سألوا الله تعالى أولاً بإلحاح لتحقَّق لهم ما يريدون ﴿وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾﴾.

❀ ❀ ❀



وَٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا فَنَفَخۡنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا
وَجَعَلۡنَٰهَا وَٱبۡنَهَآ ءَايَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿٩١﴾ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ
أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُونِ ﴿٩٢﴾
وَتَقَطَّعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡۖ كُلٌّ إِلَيۡنَا رَٰجِعُونَ ﴿٩٣﴾
فَمَن يَعۡمَلۡ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَا كُفۡرَانَ
لِسَعۡيِهِۦ وَإِنَّا لَهُۥ كَٰتِبُونَ ﴿٩٤﴾ وَحَرَٰمٌ عَلَىٰ قَرۡيَةٍ
أَهۡلَكۡنَٰهَآ أَنَّهُمۡ لَا يَرۡجِعُونَ ﴿٩٥﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتۡ
يَأۡجُوجُ وَمَأۡجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٖ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾
وَٱقۡتَرَبَ ٱلۡوَعۡدُ ٱلۡحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَٰخِصَةٌ أَبۡصَٰرُ ٱلَّذِينَ
كَفَرُواْ يَٰوَيۡلَنَا قَدۡ كُنَّا فِي غَفۡلَةٖ مِّنۡ هَٰذَا بَلۡ كُنَّا
ظَٰلِمِينَ ﴿٩٧﴾ إِنَّكُمۡ وَمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ
حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمۡ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴿٩٨﴾ لَوۡ كَانَ
هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةٗ مَّا وَرَدُوهَاۖ وَكُلّٞ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٩٩﴾
لَهُمۡ فِيهَا زَفِيرٞ وَهُمۡ فِيهَا لَا يَسۡمَعُونَ ﴿١٠٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ
سَبَقَتۡ لَهُم مِّنَّا ٱلۡحُسۡنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنۡهَا مُبۡعَدُونَ ﴿١٠١﴾

التفسير

• ﴿وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾ فحفظته من الحرام؛ كمريم عليها السلام ﴿فَنَفَخْنَا فِيهَا﴾ في جيب درعها ﴿مِن رُّوحِنَا﴾ جبريل ﴿وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿٩١﴾﴾ كونها حملت به بدون زوج، وتكلَّم ولم يزل في المهد.

• ﴿إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ ملَّتكم ودينكم الإسلام واحد ﴿وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾﴾ فقوموا بما أمرتكم به.

• ﴿وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ﴾ تفرَّقوا وتحزبوا، وصاروا فرقاً وأحزاباً ﴿كُلٌّ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ ﴿٩٣﴾﴾ يوم القيامة للحساب والجزاء ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ﴾ مما أمر الله تعالى به ﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ بالله ورسله ﴿فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ﴾ لا يضيع عمله ﴿وَإِنَّا لَهُ كَاتِبُونَ ﴿٩٤﴾﴾ مثبتون له، ومجازونه عليه أحسن الجزاء.

• ﴿وَحَرَامٌ﴾ ممتنع امتناعاً تامّاً ﴿عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا﴾ أهلكها الله بالعذاب ﴿أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٩٥﴾﴾ إلى الدنيا.

• ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ﴾ يأجوج ومأجوج قبيلتان عظيمتان من بني آدم، سَدَّ عليهم ذو القرنين الطريق حين شُكِيَ إليه إفسادهم في الأرض، وينفتح هذا السد في آخر الزمان؛ فيخرجون إلى الناس ﴿وَهُم﴾ يأجوج ومأجوج ﴿مِّن كُلِّ حَدَبٍ﴾ مرتفع من الأرض ﴿يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ يخرجون مسرعين.

- ﴿ وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ ﴾ يوم القيامة ﴿ فَإِذَا هِيَ شَٰخِصَةٌ أَبْصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾ شاخصة من شدة الفزع والهول ﴿ يَٰوَيْلَنَا ﴾ متندمين متحسرين ﴿ قَدْ كُنَّا فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا ﴾ كنا غافلين معرضين عن يوم القيامة ﴿ بَلْ كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٩٧﴾ ﴾ ليس إعراضاً فحسب؛ وإنما ظلم لأنفسنا.
- ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ من الآلهة ﴿ حَصَبُ جَهَنَّمَ ﴾ وقودها وحطبها ﴿ أَنتُمْ ﴾ مع آلهتكم ﴿ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴿٩٨﴾ ﴾ داخلون.
- ﴿ لَوْ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ﴾ الداخلون معكم النار ﴿ ءَالِهَةً ﴾ جديرة بالعبادة ﴿ مَّا وَرَدُوهَا ﴾ ما دخلوها ﴿ وَكُلٌّ ﴾ العابدون والآلهة ﴿ فِيهَا ﴾ في النار ﴿ خَٰلِدُونَ ﴿٩٩﴾ ﴾ مقيمون.
- ﴿ لَهُمْ فِيهَا ﴾ في النار ﴿ زَفِيرٌ ﴾ أنين من شدة العذاب ﴿ وَهُمْ فِيهَا ﴾ في النار ﴿ لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾ عذاب بعضهم البعض؛ لشدة ما هم فيه من العذاب.
- ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم ﴾ في علم الله تعالى وقدره ﴿ مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ ﴾ العاقبة الحَسَنة ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾ عن النار.

التَّدَبُّر

١ ـ العفاف أفسح طريق لمجدِ امرأةٍ في التاريخ ﴿ وَٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَٰهَا وَٱبْنَهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩١﴾ ﴾.

٢ ـ دَفَعَ الغرب كل ما يملك من مال وتقنيات وأفكار من أجل إسقاط قيمة العفة من حياة النساء وما زال ﴿ وَٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَٰهَا وَٱبْنَهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩١﴾ ﴾.

٣ ـ إذا سقطت قيمة العفاف من حياة المرأة لم يبق لها ما يصلح للفرح ﴿وَٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا فَنَفَخۡنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلۡنَٰهَا وَٱبۡنَهَآ ءَايَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ٩١﴾.

٤ ـ موقف عفاف في مثل زماننا يستحقُّ حفل عرس ﴿وَٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا فَنَفَخۡنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلۡنَٰهَا وَٱبۡنَهَآ ءَايَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ٩١﴾.

٥ ـ حين أراد الغرب أن يغري الفتاة باللباس الفاضح دخل عليها من باب الجمال؛ فما زال بها حتى نسيت الشريعة، وغرقت في الفوضى ﴿وَٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا فَنَفَخۡنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلۡنَٰهَا وَٱبۡنَهَآ ءَايَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ٩١﴾.

٦ ـ بدأت بإظهار عينها لترى الطريق، وما زالت حتى ظهرت الوجنة كاملة، ثم اكتفت بلثمةٍ تسدُّ بعضاً من وجهها وما تزال ﴿وَٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا فَنَفَخۡنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلۡنَٰهَا وَٱبۡنَهَآ ءَايَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ٩١﴾.

٧ ـ استطاع الإعلام في غياب دور العلم أن يصنع المرأة التي يريد، وفَاْتَ الأسرَ وطلَّاب العلم وأصحاب المشاريع أَنَّ أول لبنةٍ في الإصلاح هي الأسرة، وهي آخرها كذلك ﴿وَٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا فَنَفَخۡنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلۡنَٰهَا وَٱبۡنَهَآ ءَايَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ٩١﴾.

٨ ـ إذا سقطت قيم المرأة؛ فماذا بقي من البيت إلَّا الصور الظاهرية! ولا مفروح بعد ذلك بشيء ﴿وَٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا فَنَفَخۡنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلۡنَٰهَا وَٱبۡنَهَآ ءَايَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ٩١﴾.

٩ ـ واجب العلماء وطلاب العلم والخطباء وأئمة المساجد والجهات الخيرية أن تؤدي واجبها في مواجهة تغريب ثغر الإسلام، وحارسة الفضيلة فيه، وصانعة

الأجيال ما أمكن إلى ذلك سبيلاً ﴿وَٱلَّتِىٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا فَنَفَخۡنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلۡنَٰهَا وَٱبۡنَهَآ ءَايَةً لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿٩١﴾﴾.

١٠ ـ ما حاجة الأمة اليوم إلى شيءٍ حاجتها إلى الوحدة والاجتماع والائتلاف ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُونِ ﴿٩٢﴾﴾ ولن يتحقق لها شيء من ذلك إلا من خلال هذا المعنى الكبير.

١١ ـ الجماعات والأحزاب التي نشأت من فكرة الاجتماع، ثم تحولت إلى نزاع وخلاف هي جزء من الهزيمة التي تعانيها الأمة اليوم في واقعها ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُونِ ﴿٩٢﴾﴾.

١٢ ـ الآراء والمدارس الفقهية، بدل أن تكون نوعاً من الثراء الفقهي والعلمي في ساحات الحوار، تحولت ـ في بعض صورها ـ إلى تعصب وولاء لرأي صاحب المذهب وقوله، حتى ولو لم يكن معه الدليل والبرهان ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُونِ ﴿٩٢﴾﴾.

١٣ ـ لن يتحقق هذا المقصد الكبير حتى يبدأ الفرد في الأمة بوأد خلافاته مع أخيه وجاره وزوجه ومسجد حيِّه ومجتمعه ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُونِ ﴿٩٢﴾﴾ فإذا قام أصل البناء وقاعدته تم بعد ذلك وبلغ أعظم صوره ومباهجه.

١٤ ـ كم من قارئ لهذه الآية وهي تخاصمه؛ لأنه لم يعد عضواً من بناء الأمة؛ وإنما بات نشازاً في مجموعها الكبير! ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُونِ ﴿٩٢﴾﴾.

١٥ ـ كل إنسان خرج من صف الأمة الواحدة، ومن جماعتها حتى لو لمشروع علمي، أو منشط خيري، أو رحلة قصيرة، يجب أن يعي أنه جزء من الخرق الذي

يصيب هذه الأمة في النهاية بالفساد ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾﴾.

١٦ ـ أيّاً كان عملك الصالح؛ فهو في ميزان الحسنات، لا يذهب منه شيء ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِۦ وَإِنَّا لَهُۥ كَٰتِبُونَ ﴿٩٤﴾﴾.

١٧ ـ الفرص تَعْرِضُ ولا تعود ﴿وَحَرَٰمٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَآ أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٩٥﴾﴾ وليس هذا في شأن القرى فحسب، وإنما في شأن الأفراد أيضاً.

١٨ ـ ثمة أيام ليس فيها سوى الحسرات ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾ وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ فَإِذَا هِىَ شَٰخِصَةٌ أَبْصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَٰوَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا بَلْ كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٩٧﴾ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴿٩٨﴾ لَوْ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةً مَّا وَرَدُوهَا ۖ وَكُلٌّ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٩٩﴾ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾﴾.

١٩ ـ من حق أهل الإيمان هذه الخواتيم المثيرة في النهايات ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾﴾.

٢٠ ـ واصلوا الطريق، وتغلبوا على أتعابكم؛ فلم يعد إلا القليل ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾﴾.

❀ ❀ ❀

لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا ۖ وَهُمْ فِي مَا ٱشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٢﴾ لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿١٠٣﴾ يَوْمَ نَطْوِي ٱلسَّمَآءَ كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ۚ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٠٤﴾ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ فِي هَٰذَا لَبَلَٰغًا لِّقَوْمٍ عَٰبِدِينَ ﴿١٠٦﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٨﴾ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُلْ ءَاذَنتُكُمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ ۖ وَإِنْ أَدْرِيٓ أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ ﴿١٠٩﴾ إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ ﴿١١٠﴾ وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُۥ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١١١﴾ قَٰلَ رَبِّ ٱحْكُم بِٱلْحَقِّ ۗ وَرَبُّنَا ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١١٢﴾

التفسير

• ﴿لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا﴾ صوت النار وحسَّها ﴿وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ فيما تشتهيه أنفسهم من النعيم.

• ﴿لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ﴾ هول يوم القيامة ﴿وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ﴾ حين بعثهم من قبورهم ﴿هَٰذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ هذا اليوم الذي كنتم تأملونه، وترجون لقاءه.

• ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ﴾ كطيِّ الصحيفة ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ﴾ كما نعيد خلق الناس من جديد بعد موتهم ﴿وَعْدًا عَلَيْنَا﴾ تلك الإعادة ﴿إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ﴿١٠٤﴾﴾ تنفيذ ما وعدنا به.

• ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ﴾ الكتب السماوية قبل القرآن ﴿مِن بَعْدِ الذِّكْرِ﴾ من بعد ما كتبناه في اللوح المحفوظ ﴿أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ الذين فعلوا وامتثلوا أمره ونهيه.

• ﴿إِنَّ فِي هَٰذَا﴾ أي القرآن الكريم ﴿لَبَلَاغًا﴾ كفايةً ﴿لِّقَوْمٍ عَابِدِينَ ﴿١٠٦﴾﴾ قائمين بحق الله تعالى من العبادة.

• ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾ تبيِّن لهم الحق، وتدلُّهم على مواطن الخيرات.

• ﴿قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾ لا شريك له ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٨﴾﴾ منقادون لله تعالى في أمره ونهيه؟!

• ﴿فَإِن تَوَلَّوْا۟﴾ عن الانقياد لله تعالى، والاستجابة لأمره ﴿فَقُلْ﴾ لهم يا رسول الله: ﴿ءَاذَنتُكُمْ﴾ أعلمتكم بالعقوبة ﴿عَلَىٰ سَوَآءٍ﴾ لم أخص بعضكم دون بعض ﴿وَإِنْ أَدْرِىٓ﴾ لا أدري ﴿أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ ﴿١٠٩﴾﴾ من العذاب.

• ﴿إِنَّهُۥ﴾ أي الله ﴿يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾ يعلم ما تظهرون من القول والفعل ﴿وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ ﴿١١٠﴾﴾ ما تخفون من ذلك.

• ﴿وَإِنْ أَدْرِى﴾ ولا أدري ﴿لَعَلَّهُۥ﴾ تأخير العذاب عنكم ﴿فِتْنَةٌ لَّكُمْ﴾ اختبار ﴿وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١١١﴾﴾ إلى حين الموت.

• ﴿قَٰلَ رَبِّ ٱحْكُم بِٱلْحَقِّ﴾ فيما بيننا وبين الكافرين المعرضين ﴿وَرَبُّنَا ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١١٢﴾﴾ والله تعالى خير من نستعين به في رد باطلكم وكذبكم وكفركم.

التَّدَبُّر

١ ـ يا للذة النهايات! ﴿لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا ۖ وَهُمْ فِى مَا ٱشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٢﴾ لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾.

٢ ـ انتهى مشهد الحياة الدنيا، وبدأت رحلة الآخرة ﴿يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ۚ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٠٤﴾﴾.

٣ ـ هل تصورت كيف تُطوى هذه الآية المهولة! دعك من هذا وانشغل بالعمل قبل أن ترى ما لا قدرة بك على تخيُّله ﴿يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ۚ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٠٤﴾﴾.

٤ ـ هذا وعـد الله تعالى وإن طـال ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴿١٠٥﴾ ﴾.

٥ ـ لا تبتئسوا أيها المصلحون وأصحاب المشاريع ودعاة الإصلاح؛ فالنهاية لكم، ولو بعد حين ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴿١٠٥﴾ ﴾.

٦ ـ ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾ وقد كان رسول الله ﷺ كذلك في كل شيء: رحمة في عبادته، وتعامله، وسنته، وأمره، ونهيه.

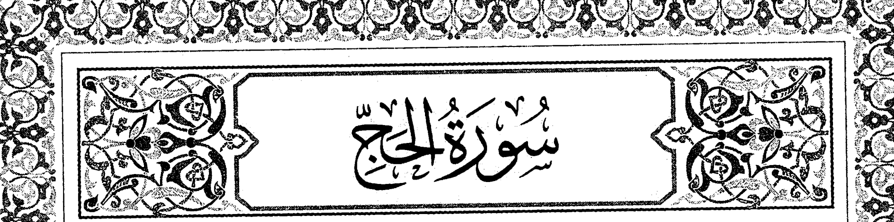
٧ ـ التوحيد أعظم ما جاء به رسول الله ﷺ ﴿ قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٨﴾ ﴾ تخليص الناس من لوثات الشرك والوثنية والبدعة، وكل ما يعارض التوحيد فرضٌ على الدعاة والمصلحين.

٨ ـ أول عتبة العبودية استسلام قلبك لشريعة الله تعالى، والإذعان لها، وتحكيمها في كل شيء من حالك وأمرك ﴿ قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٨﴾ ﴾.

٩ ـ لا يضرك تولي المعرضين، وثمَّةَ موعدٌ للنهايات ﴿ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُلْ آذَنتُكُمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ ۖ وَإِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ ﴿١٠٩﴾ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾.

١٠ ـ كم مستدرَجٍ بإعراضه، وطول أجله، وزيادة أمله، وبغيـه، وعدوانه، وهو لا يدري! ﴿ وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١١١﴾ ﴾.

١١ ـ ﴿ قَالَ رَبِّ احْكُم بِالْحَقِّ ۗ وَرَبُّنَا الرَّحْمَٰنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾ هـذه مفاصلة رسول الله ﷺ لأهل الباطل، وستظل هذ مفاصلة المصلحين في الطريق نفسه إلى أن يقضي الله تعالى أمراً كان مفعولاً. والله المستعان، وعليه التُكلان، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.



سُورَةُ الحَجِّ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ إِنَّ زَلۡزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيۡءٌ عَظِيمٞ ١ يَوۡمَ تَرَوۡنَهَا تَذۡهَلُ كُلُّ مُرۡضِعَةٍ عَمَّآ أَرۡضَعَتۡ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمۡلٍ حَمۡلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٞ ٢ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيۡطَٰنٖ مَّرِيدٖ ٣ كُتِبَ عَلَيۡهِ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ وَيَهۡدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ٤ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّنَ ٱلۡبَعۡثِ فَإِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ مِنۡ عَلَقَةٖ ثُمَّ مِن مُّضۡغَةٖ مُّخَلَّقَةٖ وَغَيۡرِ مُخَلَّقَةٖ لِّنُبَيِّنَ لَكُمۡۚ وَنُقِرُّ فِي ٱلۡأَرۡحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى ثُمَّ نُخۡرِجُكُمۡ طِفۡلٗا ثُمَّ لِتَبۡلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمۡۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرۡذَلِ ٱلۡعُمُرِ لِكَيۡلَا يَعۡلَمَ مِنۢ بَعۡدِ عِلۡمٖ شَيۡـٔٗاۚ وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ هَامِدَةٗ فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡ وَأَنۢبَتَتۡ مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ ٥

التفسير

• ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ﴾ اجعلوا بينكم وبين عذابه وقايةً بفعل أوامره، واجتناب نواهيه ﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ﴾ حركتها وآثارها في الكون ﴿شَيْءٌ عَظِيمٌ ۝١﴾ مهول.

• ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا﴾ أي زلزلة الساعة ﴿تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ﴾ تنشغل كل مرضعة عن رضيعها في يدها ﴿وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا﴾ تُسْقِط ما في بطنها من هول ما ترى ﴿وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ﴾ كهيئة السكارى ﴿وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ﴾ على الحقيقة ﴿وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ۝٢﴾ ولشدته ترى حالهم كذلك.

• ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ﴾ يعارض وينازع ﴿فِي ٱللَّهِ﴾ في أسمائه وصفاته وشرعه وحكمه ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ دون دليل يهديهم إلى الحق ﴿وَيَتَّبِعُ﴾ في مجادلته ﴿كُلَّ شَيْطَٰنٍ مَّرِيدٍ ۝٣﴾ متمرِّد على شرع الله تعالى وطاعته.

• ﴿كُتِبَ عَلَيْهِ﴾ قُدِّر على الشيطان المتمرِّد من الجن والإنس ﴿أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ﴾ من اتبعه ﴿فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ﴾ عن الحق ﴿وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ۝٤﴾ يوصله إلى جهنَّم.

• ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ﴾ في شكٍّ من قيام الساعة ﴿فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ﴾ أصل أبيكم آدم ﴿ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ﴾ منيٍّ دافق ﴿ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ﴾ دم أحمر ﴿ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ﴾ قطعة لحم ﴿مُّخَلَّقَةٍ﴾ واضحة فيها صورة المخلوق ﴿وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ﴾ لم تتبين فيها صورة المخلوق ﴿لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ﴾ أصل خلقتكم ﴿وَنُقِرُّ فِي ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ﴾ نبقي فيها النطف حتى

تكتمل ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ مدة الحمل ﴿ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا﴾ عند انقضاء المدة ﴿ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمْ﴾ بعد ذلك ﴿وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ﴾ قبل بلوغه سن الأشد ﴿وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ﴾ الهرم ﴿لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا﴾ فلا يبقى من علمه شيء ﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً﴾ ساكنة ﴿فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ﴾ الغيث ﴿ٱهْتَزَّتْ﴾ تحرَّكت ﴿وَرَبَتْ﴾ ارتفعت بالنبات ﴿وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ﴾ صنف من أصناف النبات ﴿بَهِيجٍ ۝٥﴾ نظيرٍ جميل.

التَّدَبُّر

١ ـ التقوى أعظم الأسباب الحائلة بينك وبين عذاب الله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ۝١ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ۝٢﴾.

٢ ـ من فضلك! أَلْقِ بمشاعرك وعقلك في تصوُّر تلك اللحظات الحاسمة في عمرك، وأعدَّ لمواقفها جواباً كافياً ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ۝١ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ۝٢﴾.

٣ ـ هذه مرضعةٌ ألقت بأعزِّ ما تملك، وتلك حامل أجهضت ما في بطنها من هول ما رأت، أَفِقْ من غفلتك؛ فالمسألة فوق تصورك وتوقعك ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ۝١ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ

مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ﴿٢﴾﴾.

٤ ـ من أكثر مشكلات زماننا تسوُّر محاريب الشريعة من مجاهيل دون أدلَّةٍ وبراهين ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَٰنٍ مَّرِيدٍ ﴿٣﴾﴾.

٥ ـ الجدل بضاعة المفلسين ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَٰنٍ مَّرِيدٍ ﴿٣﴾﴾.

٦ ـ وطِّن نفسك على مقابلة هؤلاء، فلا يكاد يخلو منهم زمان ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَٰنٍ مَّرِيدٍ ﴿٣﴾﴾.

٧ ـ الجدل وإثارة الشبهات في دين الله تعالى منهجٌ من مناهج أهل الباطل، ومساحة من المعركة التي يديرها أهل الضلال في ساحات الحق ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَٰنٍ مَّرِيدٍ ﴿٣﴾﴾.

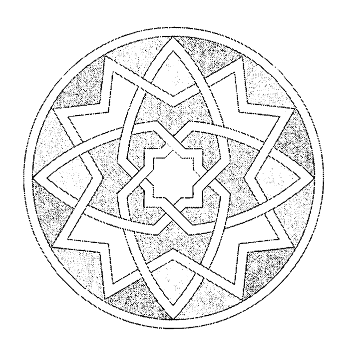
٨ ـ من الوعي في إدارة المعارك العلمية والفكرية ـ على وجه الخصوص ـ تأهيل مجموعات علمية وفكرية، قادرة على إدارة الحوار مع هؤلاء، وإقناعهم أو قطع الطريق على شبهاتهم وأفكارهم ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَٰنٍ مَّرِيدٍ ﴿٣﴾﴾.

٩ ـ على قدر تولي الإنسان عن شريعة الله تعالى، وإعراضه عنها تتولاه الشياطين، وتضلُّه عن الطريق ﴿كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٤﴾﴾.

١٠ ـ من سنن الله تعالى الجارية: أنَّ من أعرض عن الحق ابتلي بغيره من الضلال ﴿كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٤﴾﴾.

١١ ـ خَلْقُ الإنسان، وإحياءُ الأرض بعد موتها، من أعظم الأدلة على إثبات البعث وقيام الساعة ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّنَ ٱلۡبَعۡثِ فَإِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ مِنۡ عَلَقَةٖ ثُمَّ مِن مُّضۡغَةٖ مُّخَلَّقَةٖ وَغَيۡرِ مُخَلَّقَةٖ لِّنُبَيِّنَ لَكُمۡۚ وَنُقِرُّ فِي ٱلۡأَرۡحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى ثُمَّ نُخۡرِجُكُمۡ طِفۡلٗا ثُمَّ لِتَبۡلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمۡۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرۡذَلِ ٱلۡعُمُرِ لِكَيۡلَا يَعۡلَمَ مِنۢ بَعۡدِ عِلۡمٖ شَيۡـٔٗاۚ وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ هَامِدَةٗ فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡ وَأَنۢبَتَتۡ مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ ٥﴾.

❀ ❀ ❀



ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٧﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٨﴾ ثَانِىَ عِطْفِهِۦ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ لَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ ۖ وَنُذِيقُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٩﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿١٠﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ۖ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ ۖ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١١﴾ يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُۥ وَمَا لَا يَنفَعُهُۥ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ ﴿١٢﴾ يَدْعُوا۟ لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِۦ ۚ لَبِئْسَ ٱلْمَوْلَىٰ وَلَبِئْسَ ٱلْعَشِيرُ ﴿١٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿١٤﴾ مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُۥ مَا يَغِيظُ ﴿١٥﴾



التفسير

- ﴿ذَٰلِكَ﴾ الذي ذكرنا لكم من بدء خلقكم وأطواره ﴿بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ﴾ فلا معبود بحقٍّ سواه ﴿وَأَنَّهُۥ يُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ يعيد فيهم الحياة من جديد ﴿وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾﴾ فلا غالبَ لأمره.

- ﴿وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ﴾ قادمة ﴿لَّا رَيْبَ فِيهَا﴾ لا شكَّ فيها ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٧﴾﴾ يوم القيامة.

- ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ﴾ يخاصم وينازع ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ يهديه إلى الطريق ﴿وَلَا هُدًى﴾ يسير عليه ﴿وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٨﴾﴾ يدله على الحق.

- ﴿ثَانِىَ عِطْفِهِۦ﴾ لاوٍ رقبته؛ كنايةً عن كِبْـرِهِ ﴿لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ يضلُّ غيره عن الحق ﴿لَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ﴾ ذلٌّ وندامة ﴿وَنُذِيقُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٩﴾﴾ حريق نار جهنم.

- ﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ﴾ هذا العذابُ الذي تجده؛ بسـبب ما اقترفته من الكفر والمعاصي ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿١٠﴾﴾ فهو الحقُّ العدل.

- ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ﴾ ضعف وشـك ﴿فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ﴾ من هذا الإيمان ﴿ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ﴾ أَنِسَ وسُرَّ ﴿وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ﴾ عذابٌ ومصيبة ﴿ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ﴾ ارتـدَّ كافـراً ﴿خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةَ﴾ جميعهمـا ﴿ذَٰلِكَ﴾ الارتداد عن الحق ﴿هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١١﴾﴾ فلا خسارةَ بعد ذلك.

- ﴿يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُۥ وَمَا لَا يَنفَعُهُۥ﴾ مـن الأصنـام والأنداد ﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ ﴿١٢﴾﴾ غاية الضلال.

- ﴿ يَدْعُواْ لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِۦ ﴾ وهذا عام في كلِّ مدعوٍّ من دون الله تعالى؛ فإن ضرره المحقق أقرب من نفعه المفقود ﴿لَبِئْسَ ٱلْمَوْلَىٰ ﴾ لبئس المعبود ﴿وَلَبِئْسَ ٱلْعَشِيرُ ﴿١٣﴾﴾ القرين.
- ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ يوم القيامة ﴿جَنَّٰتٍ ﴾ بساتين ﴿تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿١٤﴾﴾ فلا رادَّ لقضائه وأمره.
- ﴿ مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنْيَا ﴾ من كان يظن أن الله تعالى لا ينصر رسله، وأولياءه، ودينه على عدوِّه في الدنيا ﴿وَٱلْأٓخِرَةِ ﴾ بالكرامات التي وعدهم إياها؛ من دخول الجنان ونحوها ﴿فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ ﴾ بحبل ﴿إِلَى ٱلسَّمَآءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ ﴾ بأن النصر نازلٌ من السماء ﴿فَلْيَنظُرْ ﴾ بعد ذلك ﴿هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُۥ﴾ الذي وجد في قلبه بسبب عدائه لرسول الله ﴿مَا يَغِيظُ ﴿١٥﴾﴾ ما يغيظه ويؤلمه من هذا النصر، وقيل: فليمدد بحبل إلى سماء بيته فليختنق به، فينظر هل يشفيه ذلك أو لا!

التَّدَبُّر

١ ـ الإقناع فن ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي ٱلْقُبُورِ ﴿٧﴾﴾ قرر عقيدة غيبية، من خلال محسوس ملموس، يجري في حياة الناس وواقعهم كل حين.

٢ ـ عقبات الطريق سنَّةٌ إلهية ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٨﴾ ثَانِيَ عِطْفِهِۦ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ لَهُۥ فِي ٱلدُّنْيَا خِزْيٌ ۖ وَنُذِيقُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٩﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿١٠﴾﴾.

٣ ـ من عظمة القرآن أنه يصف لك حــال الطريق، ويبين لك عقباته قبل حلولها ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَـٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَـٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٨﴾ ثَانِىَ عِطْفِهِۦ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ لَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ ۖ وَنُذِيقُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٩﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّـٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿١٠﴾ ﴾.

٤ ـ من ســنن الله تعالى أن تجد ممسكاً براية الباطل في كل زمان ومكان ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَـٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَـٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٨﴾ ثَانِىَ عِطْفِهِۦ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ لَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ ۖ وَنُذِيقُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٩﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّـٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿١٠﴾ ﴾.

٥ ـ ما أسوأ الضلال! كم من إنسانٍ جعل من نفسه عدوّاً لله تعالى، وعقبة في طريق منهجــه ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَـٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَـٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٨﴾ ثَانِىَ عِطْفِهِۦ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ لَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ ۖ وَنُذِيقُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٩﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّـٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿١٠﴾ ﴾.

٦ ـ احذر أن تكون من جملة هؤلاء يوماً ما ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَـٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَـٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٨﴾ ثَانِىَ عِطْفِهِۦ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ لَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ ۖ وَنُذِيقُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٩﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّـٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿١٠﴾ ﴾ وهم في زمانك كثيرٌ لا كَثَّرهم الله تعالى!

٧ ـ الكبر غالباً ما يلقي بأصحابه في نهايات السوء ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَـٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَـٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٨﴾ ثَانِىَ عِطْفِهِۦ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ لَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ ۖ وَنُذِيقُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٩﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّـٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿١٠﴾ ﴾.

٨ ـ تاريخك هو صناعة تملكه، وتدير شأنه، وتبلغ به آمالك التي تريد ﴿ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّـٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿١٠﴾ ﴾.

٩ ـ كل نهاية تبلغهـــا في الدارين، إنما هي من صنع يـــدك، وخطو قدمك، وأثر فكرك ﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿١٠﴾﴾.

١٠ ـ من أسوأ الحقائق أن نُخْضِعَ شأن الدين لمصالح الدنيا ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ۖ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ ۖ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١١﴾﴾.

١١ ـ ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ۖ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ ۖ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١١﴾﴾ رســالة تحذير أن تجعل دينك سُلَّماً لدنياك!

١٢ ـ رأيت بعضهم إذا انتظر وظيفة أو زواجاً أو ترقية أو تخرجاً أقام لله تعالى شأناً في المسجد؛ فإذا قضى وطره انقلب على عقبيه ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ۖ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ ۖ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١١﴾﴾.

١٣ ـ عبادتك يراد بها معرفة استســلامك لربك، وقيامك بعبوديته، وليســت سُلَّماً لمطامع دنيا عاجلــة ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ۖ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ ۖ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١١﴾﴾.

١٤ ـ من أقبح الصور أن ترى من يلوذ بمخلوق مثله، ويترك خالقه ﴿يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُۥ وَمَا لَا يَنفَعُهُۥ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ ﴿١٢﴾ يَدْعُوا۟ لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِۦ ۚ لَبِئْسَ ٱلْمَوْلَىٰ وَلَبِئْسَ ٱلْعَشِيرُ ﴿١٣﴾﴾.

١٥ ـ من صور الولاء للآلهة: صورة موظف مع مسؤوله، لم يبق إلا أن يقبِّل نعليه ﴿يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُۥ وَمَا لَا يَنفَعُهُۥ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ ﴿١٢﴾ يَدْعُوا۟ لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِۦ ۚ لَبِئْسَ ٱلْمَوْلَىٰ وَلَبِئْسَ ٱلْعَشِيرُ ﴿١٣﴾﴾.

١٦ ـ الإيمان والعمل الصالح أبهج الطرق إلى طموحات الإنسان وآماله القادمة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يُرِيدُ ١٤﴾.

١٧ ـ «**اهتز عرش الرحمن في الليلة التي ودَّع فيها سعد بن معاذ رضي الله عنه الدنيا**»[1]، وأُخبر «**أبو بكر الصديق رضي الله عنه أنه يدخل الجنة من أبوابها الثمانية كلّها يوم القيامة**»[2]، و«**سمع النبي ﷺ قرع حذاء بلال في الجنان**»[3]، وهو لم يغادر ساحات الدنيا بعدُ، وأنت ما تاريخك؟! وما ذكرياتك التي ستخلِّفها في العالمين؟! ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يُرِيدُ ١٤﴾.

١٨ ـ رسالة لكل عدوٍّ بأن دين الله تعالى سيأخذ حظه في العالمين؛ فإن قَدِرَ على أن يمنع نزول هذا النصر فليفعل، أو ليخنق نفسه وليمت غيظاً وكمداً ﴿مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ فَلۡيَمۡدُدۡ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ثُمَّ لۡيَقۡطَعۡ فَلۡيَنظُرۡ هَلۡ يُذۡهِبَنَّ كَيۡدُهُۥ مَا يَغِيظُ ١٥﴾ وبشارة في ذلك الوقت لأولياء الله تعالى وأنصار منهجه، أن دين الله تعالى ماضٍ في طريقه، وسائر لنهايته، رغم كل ما يصنع العدو.

❀ ❀ ❀

---

(١) أخرجه البخاري (٣٨٠٣) ومسلم (٢٤٦٦) من حديث جابر رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٣٤٦٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري (١١٤٩) ومسلم (٢٤٥٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ ءَايَٰتٍ بَيِّنَٰتٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يُرِيدُ ﴿١٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١٧﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ۩ ﴿١٨﴾ ۞ هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ ۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ﴿١٩﴾ يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ ﴿٢٠﴾ وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ ﴿٢١﴾ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٢٣﴾

التفسير

• ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ﴾ القرآن الكريم ﴿ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ﴾ واضحات ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى﴾ إلى الحق ﴿مَن يُرِيدُ ﴿١٦﴾﴾ بفضله وعدله.

• ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ بالنبي ﷺ وصدقوه واتبعوه ﴿وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟﴾ أي اليهود؛ نسبة إلى أحد أولاد يعقوب يهوذا ﴿وَٱلصَّٰبِـِٔينَ﴾ من يعبدون الكواكب والملائكة، والصابئ: كل خارج عن دينه إلى دين آخر ﴿وَٱلنَّصَٰرَىٰ﴾ قوم عيسى؛ نسبة إلى نصران مأخوذ من كونهم أنصاراً لعيسى بن مريم، أو لقرية الناصرة التي نزل بها عيسى ﴿وَٱلْمَجُوسَ﴾ قوم يعبدون الشمس والقمر والنار ﴿وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟﴾ عباد الأصنام والأوثان ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ فيجازي كُلّاً بعمله ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١٧﴾﴾ لا يغيب عنه من ذلك شيء.

• ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ خبر من الله تعالى عن خضوع هذه المخلوقات لخالقها تعالى ﴿وَكَثِيرٌ﴾ من بني آدم ﴿حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ﴾ لكفره وجحوده وتكبره ﴿وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ﴾ يجله ويرفعه ويكرمه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴿١٨﴾﴾ فلا غالبَ لأمره.

• ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ﴾ كل منهما يدعي الحق ﴿فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ﴾ يلبسونها للعذاب ﴿يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ﴿١٩﴾﴾ الماء الحار.

• ﴿يُصْهَرُ بِهِۦ﴾ يُذاب به من شِـدَّةِ الحـرارة ﴿مَا فِي بُطُونِهِمْ﴾ من اللحم والشحم والأمعاء ﴿وَٱلْجُلُودُ ۝٢٠﴾ التي تكسو أجسامهم.

• ﴿وَلَهُم مَّقَـٰمِعُ﴾ مضارب يُضربون بها ﴿مِنْ حَدِيدٍ ۝٢١﴾ مصنوعة من حديد.

• ﴿كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَا﴾ من النار ﴿مِنْ غَمٍّ﴾ كُربة وشدَّة ﴿أُعِيدُواْ فِيهَا﴾ مرة أخرى ﴿وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ۝٢٢﴾ عذاب النار المحرق.

• ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ جَنَّـٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ﴾ يوم القيامة ﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا﴾ يسـوَّرون في أيديهم ﴿مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ﴾ أسـورة من ذهب ﴿وَلُؤْلُؤًا﴾ ويلبسـون فيها اللؤلؤ ﴿وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ۝٢٣﴾ ويلبسون كذلك فيها الحرير.



١ ـ القرآن أعظمُ البيِّنات والدلائل والبراهين لمن أراد الحق ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَـٰهُ ءَايَـٰتٍۭ بَيِّنَـٰتٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يُرِيدُ ۝١٦﴾.

٢ ـ هدايـة الله تعالى لـك وقفٌ علـى طلبك وحرصـك وجدِّك فـي الطريق ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَـٰهُ ءَايَـٰتٍۭ بَيِّنَـٰتٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يُرِيدُ ۝١٦﴾.

٣ ـ للحقائق موعد تتبين فيه نتائج تلك الخلافات بين طوائف الأرض ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّـٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَـٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ۝١٧﴾.

٤ ـ ما أكثـر الدعاوى ومـا أقـل البراهيـن! ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّـٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَـٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ

ٱلْقِيَٰمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١٧﴾﴾ أنت أعرف بواقعك، فأَدِرْ شأنك قبل حلول حقائق الأحداث.

٥ ـ جماداتٌ ودوابٌّ تقوم لله تعالى بحقه فما حظك من هذا الأدب مع الله تعالى! ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ۩ ﴿١٨﴾﴾.

٦ ـ كم من فعل نشازٍ عن هـذا الكون الكبيـر ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ۩ ﴿١٨﴾﴾.

٧ ـ تصوّر حين يأتي العالم كله، وقد أقام لله تعالى شأناً، ويأتي الإنسان معرضاً ومعارضاً ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ۩ ﴿١٨﴾﴾.

٨ ـ دواب تخر ساجدة لله تعالى، وإنسـان ينازع في وجود الله تعالى، ويشكِّكُ في ربوبيته، لا حـدَّ للضـلال ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ۩ ﴿١٨﴾﴾.

٩ ـ حين لا يسعه دين الله تعالى؛ فتلك أسـوأ إهانة يلقاها في حياته كلِّها ﴿وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ﴾.

١٠ ـ تفقَّد سيرك، كم حظك من دين الله تعالى، وكم إعراضك؟ ﴿وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ﴾.

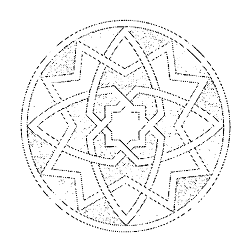
١١ ـ وإن هملجت بهم البراذين؛ فإن ذل المعصية لا يفارقهم، أبى الله إلا أن يذل مَنْ عصاه ﴿وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ﴾.

١٢ ـ يلبسون أبهج الثياب، ويركبون أفضل المراكب، ويسكنون أفضل القصور، وذلُّ المعصية يطاردهم في كل مكان ﴿وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ﴾.

١٣ ـ اقرأ هذا الفصل في دروس النهايات، ومشاهد الختام بإمعان ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ ۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ﴿١٩﴾ يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ ﴿٢٠﴾ وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ ﴿٢١﴾ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٢٣﴾﴾.

١٤ ـ لا تقل: كيف؟! ﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ سترى الحقائق بعينيك كما تشاء!





وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٢٤﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ٱلَّذِى جَعَلْنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلْعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِۚ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍۭ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٥﴾ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿٢٦﴾ وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِّيَشْهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِۖ فَكُلُواْ مِنْهَا وَأَطْعِمُواْ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ ﴿٢٨﴾ ثُمَّ لْيَقْضُواْ تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُواْ نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُواْ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦۗ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْۖ فَٱجْتَنِبُواْ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُواْ قَوْلَ ٱلزُّورِ ﴿٣٠﴾

التفسير

• ﴿وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ﴾ هداهم الله تعالى للقول الطيب الموصل إلى رضوانه ﴿وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡحَمِيدِ ٢٤﴾ وهداهم كذلك إلى صراطه المحمود طريق الجنة.

• ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ في أنفسهم ﴿وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ يصدُّون غيرهم عن الحق ﴿وَٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ﴾ ويصدون الناس عن الوصول إلى المسجد الحرام ﴿ٱلَّذِي جَعَلۡنَٰهُ لِلنَّاسِ﴾ أي المسجد الحرام ﴿سَوَآءً ٱلۡعَٰكِفُ فِيهِ﴾ المقيم المستقر ﴿وَٱلۡبَادِ﴾ الطارئ عليه ﴿وَمَن يُرِدۡ فِيهِ﴾ في الحرم ﴿بِإِلۡحَادِۭ بِظُلۡمٖ﴾ ميلاً عن الحق إلى الظلم والمعاصي ﴿نُّذِقۡهُ مِنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ٢٥﴾ نُمِسُّه عذاباً شديداً موجعاً، جزاءً على إرادته.

• ﴿وَإِذۡ بَوَّأۡنَا لِإِبۡرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلۡبَيۡتِ﴾ بيَّنا له مكانه، وأنزلناه فيه، وأرشدناه إليه؛ لكي يبنيه في موضعه ﴿أَن لَّا تُشۡرِكۡ بِي شَيۡـٔٗا﴾ اجعل العبادة خالصةً لي ﴿وَطَهِّرۡ بَيۡتِيَ﴾ من الشرك والمعاصي والنجاسات ﴿لِلطَّآئِفِينَ﴾ به ﴿وَٱلۡقَآئِمِينَ﴾ للعبادة فيه ﴿وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ٢٦﴾ المصلين.

• ﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَجِّ﴾ نادِ فيهم، وأَعْلِمْهم به، وادعهم إليه ﴿يَأۡتُوكَ رِجَالٗا﴾ يمشون على أرجلهم ﴿وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٖ﴾ ويأتونك كذلك ركباناً، والضامر: الجمل المعدُّ للسفر ﴿يَأۡتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٖ ٢٧﴾ يأتين من كل طريق ومكان بعيد.

• ﴿لِّيَشۡهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمۡ﴾ منافع دينية ودنيوية ﴿وَيَذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ﴾ شاكرين حامدين ﴿فِيٓ أَيَّامٖ مَّعۡلُومَٰتٍ﴾ أيام الحج ﴿عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ



بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾ التي يتقربون بها إلى الله تعالى في تلك الأيام ﴿فَكُلُوا۟ مِنْهَا﴾ من بهيمة الأنعام ﴿وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ ﴿٢٨﴾﴾ شديد الفقر.

• ﴿ثُمَّ لْيَقْضُوا۟ تَفَثَهُمْ﴾ يقضوا نسكهم، ويزيلوا وسخهم الذي علق بهم ﴿وَلْيُوفُوا۟ نُذُورَهُمْ﴾ التي عقدوها، وأوجبوها على أنفسهم ﴿وَلْيَطَّوَّفُوا۟ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴿٢٩﴾﴾ القديم.

• ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ﴾ يُقدّرُ ويُجِلُّ ﴿حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ﴾ ممَّا أمر الله تعالى به، أو نهى عنه ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ﴾ فعوائد هذا التعظيم خير للإنسان في دنياه وآخرته ﴿وَأُحِلَّتْ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمُ﴾ من الإبل والبقر والغنم ﴿إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ إلا ما يُقرأ عليكم في كتاب الله، ممَّا حرم؛ كالميتة، والدم، ولحم الخنزير ﴿فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ﴾ الشيء المستقذر ﴿مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ﴾ الأنداد والآلهة التي اتخذتموها من دون الله تعالى ﴿وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ ﴿٣٠﴾﴾ كل محرم من القول.

التَّدَبُّرُ

١ ـ إذا وجدت انشراحاً في صدرك، وإقبالاً على ربك؛ فاحمد الله تعالى؛ فتلك من عاجل البشرى ﴿وَهُدُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَهُدُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٢٤﴾﴾.

٢ ـ لا تَغْتَرَّنَّ بقدراتك ومواهبك وملكاتك، مَنْ أنت لولا الله؟ ﴿وَهُدُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَهُدُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٢٤﴾﴾ منَّةً من ربك تستحقُّ احتفاءً خاصاً.

٣ ـ ماذا لو استشعرنا هذه الهداية في كل لحظة من حياتنا؟! ﴿وَهُدُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَهُدُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٢٤﴾﴾.

٤ ـ جزء من مشكلاتنا أننا نمنُّ بهذه الهداية على الله تعالى، وهي منّةٌ منه وتفضُّلٌ ﴿وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٢٤﴾﴾.

٥ ـ من أعظم الظلم أن يحول مخلوق بين الناس ودين الله تعالى، صارفاً لهم إلى الضلال ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ٱلَّذِى جَعَلْنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلْعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ ۚ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍۭ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٥﴾﴾.

٦ ـ تخيل! مكّنه الله تعالى من مسؤولية، ثم استنفد جهوده في الحيلولة بين الناس ودينهم ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ٱلَّذِى جَعَلْنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلْعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ ۚ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍۭ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٥﴾﴾.

٧ ـ هذا الحرم لك ﴿وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ٱلَّذِى جَعَلْنَٰهُ لِلنَّاسِ﴾ فأَنِخْ مطاياك في رحابه تجد مناك.

٨ ـ ﴿وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ٱلَّذِى جَعَلْنَٰهُ لِلنَّاسِ﴾ لقلوبهم، ومشاعرهم، وأجسادهم، وأرواحهم، وكل شيء في حياتهم.

٩ ـ مجرد الهمِّ بالمعصية في الحرم متوعَّدٌ عليه بالعذاب الأليم ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍۭ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ فما بالك بمقارفة المعاصي فيه!

١٠ ـ توقَّ الخطايا في حرم الله تعالى قدر وسعك ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍۭ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ ولا تخرج محمَّلاً بأثقال المعاصي من أطهر البقاع.

١١ ـ من تعظيمك لحرم الله تعالى أن تحرص على فقه مشاعره كلها، حتى لا تأتيَ بصورة تخالف الحق في ذلك ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍۭ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾.

١٢ ـ يجب أن ينزَّه حرم الله تعالى عن صور الشـرك والبدع، التي يقع فيها جملةٌ من المسلمين في رحابه ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾.

١٣ ـ إياك أن تمـدَّ بصرك إلـى عورات المسـلمين، أو تخوض بلسـانك في أعراضهم، أو تقع في بدعـة تخالف مقصود دينك، وتشـوِّه مفاهيم العبادة فيه ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾.

١٤ ـ حتى رفـع صوتك في الدعاء، أو القراءة بما يشـوِّش على المسـلمين قد لا تسلم من أثره ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾.

١٥ ـ التزام الأدعية المسطورة في كتب لم ترد في سنة رسول الله ﷺ من الاعتداء في حرم الله تعالى ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾.

١٦ ـ ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ دعوةٌ لاحترام حرم الله تعالى وتعظيمه، والمشاركة في كل صورة تجله عن دنس الفوضى والمحرمات.

١٧ ـ من توفيق الله تعالى لعبده أن يعينه علـى رؤية الحق، ويدلُّه على العمل به ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ﴾ وكـم مـن محـروم مصـروف، والله المستعان!

١٨ ـ إذا أراد الله تعالى لشعيرةٍ من شعائر دينه أن تقوم هيأ لها صاحب راية ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ﴾.

١٩ ـ إذا بعث الله تعالى همَّتك للقيام على رعاية دينه، وتوسيع مساحاته؛ فاحمد الله تعالى؛ فإن ذلك شأن الكبار ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ﴾.

٢٠ ـ إذا توجهت لشـيء من شـأن دينك، فكن قدوة فيه ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ

﴿مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿٢٦﴾﴾ دعوةٌ لهذا المعنى الكبير!

٢١ ـ المشاريع الكبيرة لا تقوم في العادة إلا بوجود قدوة يقوم عليها، ويبرز شأنها، ويثير أحداثها في العالمين ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿٢٦﴾﴾.

٢٢ ـ من كمال فقهك وتوفيقك أن ترعى روّاد فكرتك ومشروعك، وأن تهيئ لهم البيئة الجاذبة للعمل والبقاء ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿٢٦﴾﴾ فالعناية بالبيت، والحرص على طهارته تشمل عناية بالقادمين إليه!

٢٣ ـ ﴿وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾ رسالة للمعتمرين والحجاج والزائرين، وكل من دخل رحاب هذا الحرم أن يحرص ـ قدر وسعه ـ ألا يدنِّس جنباته بشيء من المحرمات والقاذورات.

٢٤ ـ تعاونك مع مسؤولي الحرم في كل ما من شأنه تحقيق هذه الغايات الكبار، من فقهك وكمال وعيك بهذا المعنى الكبير ﴿وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾.

٢٥ ـ حتى المباحات التي تدخل بها حرم الله تعالى يجب عليك أن ترعى شأنها، وألا تكون سبباً في تشويه هذا البيت العظيم ﴿وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾.

٢٦ ـ إذا أراد الله تعالى أمراً شرع له الوسائل الممكنة ﴿وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾﴾ شرع الله تعالى الأذان لتحقيق تلك الغايات.

٢٧ ـ استنفد أسباب التوفيق، ودع النهايات للكبير المتعال ﴿ وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ ﴾.

٢٨ ـ مشكلتنا الكبرى في الخطوة الأولى ﴿ وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ ﴾ (وأذِّن) خطوة البداية التي كانت كفيلة بمشاهد الربيع في رحاب هذا الحرم!

٢٩ ـ غالب أحداثنا الجميلة هي ثمرةُ خطوات البداية ﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ ﴾.

٣٠ ـ إذا يممت وجهك لحرم الله تعالى؛ فسَلْ نفسك عن غايات هذه الرحلة ومقاصدها ﴿ لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَٰفِعَ لَهُمْ ﴾.

٣١ ـ من أعظم منافع الحرم طاعة ربك، وإجلال شعائره، وإحياء سنة نبيك ﷺ، ومغفرة الذنوب، واستجلاب هداية الله تعالى وتوفيقه، والتماس بركاته ﴿ لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَٰفِعَ لَهُمْ ﴾ فلا تَفُتْكَ هذه المقاصد الكبار!

٣٢ ـ ذِكْرُ الله تعالى مِنْ أجلِّ مقاصد الحج ﴿وَيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ﴾.

٣٣ ـ ما أكثر نعم الله تعالى التي تحتاج إلى شكر! ﴿وَيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾.

٣٤ ـ إذا وهبك الله تعالى نعمة؛ فاستشعر مَنْ حولك ﴿فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ ﴾.

٣٥ ـ الشعور بالآخرين من صفات الكبار ﴿فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ ﴾.

٣٦ ـ الطواف من أعظم شعائر الله تعالى في الحج ﴿ ثُمَّ لْيَقْضُوا۟ تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا۟ نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا۟ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴿٢٩﴾ ﴾.

٣٧ ـ من أعظم مقاصد الحج الكبرى تعظيم حرمات الله تعالى ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ ﴾.

٣٨ ـ من توفيق الله تعالى لك أن يرزقك إجلالاً لحرماته ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ ﴾.

٣٩ ـ ﴿ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ ﴾ ترصَّد لكل شعيرة في الحج، وأقم لها شأناً، وانتظر آثارها في قادم الأيام.

٤٠ ـ ما أحوجنا لقراءة هذا المعنى مراراً في شعائر الحج! ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ ﴾.

٤١ ـ إذا تعب جسدك، وكَلَّتْ قدمك في رحلة الحج؛ فتذكَّر هذا الوعد الكبير ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ ﴾.

٤٢ ـ لو قرأنا هذا المعنى بمشاعرنا؛ لأسرعنا بأرواحنا إلى كل مشهد، قبل أن نأتي إليه بأجسادنا ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ ﴾.

٤٣ ـ غالب الذين يترخَّصون لأدنى شيء في رحلة الحج، لم يقرؤوا هذا المعنى بإمعان ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ ﴾.

٤٤ ـ مشهد الحج الطريق الأمثل لتطهير القلوب من العقائد الفاسدة، وتطهير الألسن من أمراضها الشائبة ﴿ فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ ﴾.

❀ ❀ ❀

حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ ٱلرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾ لَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَآ إِلَى ٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴿٣٣﴾ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِۗ فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَلَهُۥٓ أَسْلِمُوا۟ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌۖ فَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا صَوَآفَّۖ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْقَانِعَ وَٱلْمُعْتَرَّۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَٰهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٣٦﴾ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٧﴾ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴿٣٨﴾

التفسير

• ﴿حُنَفَآءَ لِلَّهِ﴾ مستقيمين على دينه، مائلين عمَّا سواه ﴿غَيۡرَ مُشۡرِكِينَ بِهِۦ﴾ غير جاعلين له نِدّاً ولا مثيلاً ﴿وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ﴾ يجعل معه إلهاً آخر ﴿فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ سقط من السماء ﴿فَتَخۡطَفُهُ ٱلطَّيۡرُ﴾ تأخذه قبل سقوطه وتأكله ﴿أَوۡ تَهۡوِي بِهِ ٱلرِّيحُ فِي مَكَانٖ سَحِيقٖ ٣١﴾ بعيد.

• ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمۡ﴾ يقدِّر ويجل ﴿شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ﴾ معالمه ومناسكه ﴿فَإِنَّهَا﴾ تعظيم تلك الشعائر ﴿مِن تَقۡوَى ٱلۡقُلُوبِ ٣٢﴾ دليل على صلاح القلوب.

• ﴿لَكُمۡ فِيهَا﴾ الهدايا التي تنحرونها ﴿مَنَٰفِعُ﴾ كالركوب والصوف والنسل والدر ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى﴾ محدد، وهو وقت ذبحها ﴿ثُمَّ مَحِلُّهَآ إِلَى ٱلۡبَيۡتِ ٱلۡعَتِيقِ ٣٣﴾ محل ذبحها والتقرب بها أرض الحرم.

• ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٖ جَعَلۡنَا مَنسَكٗا﴾ ذبحاً يهرقون فيه الدماء ﴿لِّيَذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلۡأَنۡعَٰمِ﴾ عند ذبحها، شكراً لله تعالى ﴿فَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ﴾ لا شريك له ﴿فَلَهُۥٓ أَسۡلِمُواْ﴾ انقادوا واستسلموا ﴿وَبَشِّرِ ٱلۡمُخۡبِتِينَ ٣٤﴾ الخاضعين المستسلمين لله تعالى.

• ﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ﴾ رَقَّتْ وخشعت ﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمۡ﴾ من المصائب ﴿وَٱلۡمُقِيمِي ٱلصَّلَوٰةِ﴾ المحافظين عليها في أوقاتها ﴿وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٣٥﴾ لوجه الله تعالى.

• ﴿وَٱلۡبُدۡنَ﴾ الإبل ﴿جَعَلۡنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ﴾ من علامات دين الله تعالى الظاهرة ﴿لَكُمۡ فِيهَا خَيۡرٞ﴾ في ذبحها، وأكلها، والتصدُّق بها ﴿فَٱذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ عَلَيۡهَا﴾ عند الذبح ﴿صَوَآفَّ﴾ قائمةً على ثلاثة، ومعقولةَ يَدِها

اليسرى ﴿فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا﴾ سقطت على الأرض ﴿فَكُلُوا مِنْهَا﴾ فللمُهْدي أن يأكل منها ﴿وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ﴾ الفقير الذي لا يسـأل ﴿وَالْمُعْتَرَّ﴾ الفقير السائل ﴿كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ﴾ هذه البدن ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٣٦﴾﴾ لتشكروا الله تعالى على نعمه.

- ﴿لَن يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا﴾ لأنــه غني عن ذلك ﴿وَلَٰكِن يَنَالُهُ التَّقْوَىٰ مِنكُمْ﴾ ينال أجرَهُ وبركَتَهُ وفائدَتَهُ مَنْ فعَلَهُ يريدُ به وجهَ الله تعالى ﴿كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ﴾ أي البــدن ﴿لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ﴾ تعظِّموه وتُجِلُّوه ﴿وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٧﴾﴾ لأقوالهم وأعمالهم.
- ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ كلٌّ بحسب إيمانه وتقواه ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ﴾ خائن في أمانته ﴿كَفُورٍ ﴿٣٨﴾﴾ جحود لنعم الله تعالى.

التَّدَبُّرُ

١ ـ تعليق القلوب بالله تعالى، وتهذيبها، وتنقيتها مما علق بها من الشــرك، من أعظم مقاصد الحج ﴿حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾﴾.

٢ ـ الحج تأهيل للتوحيد، وإعادة لبنائه في قلب صاحبه من جديد ﴿حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾﴾.

٣ ـ التخلص من حظوظ النفس، وتقديم مَحَابِّ الله تعالى، والتعلُّق به، من أعظم مقاصد الحج الكبرى ﴿حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾﴾.

٤ ـ إذا رأيته يُجلُّ شعائر الله تعالى، ويرقب مقامها الكبير، ويستوفي حظه من حياته؛ فذلك من أعظم دلائل التقوى في قلبه ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾﴾.

٥ ـ هذا يترخَّص في كل مشهد، وذاك يتحرَّج من خلاف السنة في كل شيء ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾﴾ ما أبعد الفرق!

٦ ـ حلق رأسه، وليس من عادته، وانتظر في المشعر إلى قبيل شروق شمس يومه رغم حاجته للخروج، وذهب يوم العيد للطواف رغم ظروفه ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾﴾.

٧ ـ ماذا يبقى من الحج لو أن كلَّ الحجاج ترخصوا بالأولى، والأخف، والأقرب ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾﴾.

٨ ـ كلاهما عاد من الحج: الأول أخذ من كل شعيرة بجزء، والآخر لم يبقِ شعيرةً إلا أجلَّها بالقلب والجسد ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾﴾ يا له من فرق!

٩ ـ يسر الشريعة وجمالها ومراعاتها لحاجات الإنسان ﴿لَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَآ إِلَى ٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴿٣٣﴾﴾ حتى في الهدايا التي هي من شعائر الله تعالى الخالصة، جعلت له فيها مساحة من الاستمتاع بالركوب والصوف واللبن، قبل موعد ذبحها.

١٠ ـ إراقة الدماء مظهرٌ كبيرٌ من مظاهر العبودية ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ۗ فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَلَهُۥٓ أَسْلِمُوا۟ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾﴾ ولذلك شُرع في كل أمة.

١١ ـ التسمية التي تذكرها على لسانك عند نسكك تجرُّدٌ خالصٌ منك لربك، وتوجُّهٌ كاملٌ بقلبك ومشاعرك ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ ۗ فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا ۗ وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾﴾.

١٢ ـ إذا لم تعلِّمنا هذه الشعائر كمال الاستسلام لله تعالى؛ وإلا فلا مفروح بها في شيء ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ ۗ فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا ۗ وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾﴾.

١٣ ـ وَجَلُ القلوب عند ذكر الله تعالــى، والصبر على المصائب، وإقامة الصلاة، والإنفاق في ســبيل الله تعالى من أعظم صفات المخبتين لربهم تعالى ﴿وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَىٰ مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾.

١٤ ـ تلمَّس قلبك ومشــاعرك، ومواقفك عند هذه المعاني الأربع؛ لتعرف حقيقة الإخبات فــي واقعــك ﴿وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَىٰ مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾.

١٥ ـ ما أكرم الدمع الذي يجري على خدك أثناء تلاوة القرآن، وما أعظم مواقف الصبر التي تتجلَّد بها في وداع محبيك، وما أبهج تلك الصلاة التي تجلُّ مواقفها في كل حين، وما أروع مواقفك في البذل والعطاء! تلك هي دلائل الحياة ﴿وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَىٰ مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾.

١٦ ـ تلك بدن في الصحراء، وهذه بدن في رحاب منى، الفارق أن هذه من شعائر الله، وإجلالُها ديــن وقربى! ﴿وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُم مِّن شَعَائِرِ اللَّهِ﴾ والعبرة بأثر الشريعة هنا وهناك.

١٧ ـ حج قارناً وأَرْكَبَ هديه في سيارته؛ فقيل له: التمتع أفضل، قال: أريد أن أحيي شعيرة الهدي! ﴿وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ﴾ كذلك تصنع القلوب الحية.

١٨ ـ إذا رأيت هدياً في عرض الطريق، أو في رحاب منى؛ فليقم في قلبك إجلاله وتعظيمه، تلك هي شعائر الله تعالى ﴿وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ﴾.

١٩ ـ ثمة أناس ينتظرون؛ فلا تبخل عليهم بشيء ﴿فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُواْ مِنْهَا وَأَطْعِمُواْ ٱلْقَانِعَ وَٱلْمُعْتَرَّ﴾.

٢٠ ـ الشعور بالآخرين درجة وعي، ودرس يعاد في الحج للذكرى ﴿فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُواْ مِنْهَا وَأَطْعِمُواْ ٱلْقَانِعَ وَٱلْمُعْتَرَّ﴾.

٢١ ـ إذا رأيت الهدي؛ فاستشعر أن ذلك من تسخير الله تعالى لك ﴿كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَٰهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾.

٢٢ ـ إراقة الدماء في مشاعر الحج مشهد من مشاهد التقوى ﴿لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ﴾.

٢٣ ـ وما يصنع الله تعالى بلحوم الهدي والأضاحي! فقط هي دلائل على تقوى قلبك ﴿لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ﴾.

٢٤ ـ حين تختار هديك أو أضحيتك، تذكَّر أنك تستدلُّ بها على مباهج التقوى في حياتك ﴿لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ﴾.

٢٥ ـ إذا اخترت أضحيةً غالية الثمن فإنك لا تخسر شيئاً؛ إنما تدفع فيها شيئاً عائداً إليك ﴿لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ﴾.

٢٦ ـ من هديه وأضحيته ستعرف مدى تقوى قلبه، وإجلاله لشعائر الله تعالى ﴿لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ﴾.

٢٧ ـ هذا يختار سميناً ليستلذ به في العيد، وذاك يختار سميناً ليجلَّ شعائر الله تعالى في الحياة ﴿لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ﴾ وثالث يختار رخيصاً زهيداً استبقاءً لشيء من عاجل الدنيا.

٢٨ ـ هل استشعرت في هديك وأضحيتك نعمة الهداية التي منَّ الله تعالى بها عليك! ﴿كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾.

٢٩ ـ كم من محرومٍ من الشعائر التي يجل الله تعالى بها! ﴿كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾.

٣٠ ـ هذا يكبِّر لأنه يسمع تكبيرات المسلمين! وذاك يكبِّر إجلالاً لربه أن هداه لشعائر الدين ﴿كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾.

٣١ ـ الله أكبر أَنْ سخَّر لك هديك، والله أكبر أَنْ يسَّر لك حجَّك، والله أكبر أَنْ هداك لدينه وإجلال شعائره ﴿كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾.

٣٢ ـ ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ في عباداتهم، ومعاملاتهم، وسائر أحوالهم!

٣٣ ـ ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ على ما ينتظرون من أحداث وآمال وأفراح!

٣٤ ـ ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ في هديهم، وحجهم، وفي تعظيم شعائر ربِّهم وإجلالها.

٣٥ ـ حتى المحسن مع والديه، ومع أهل بيته، ومع جاره، ورحِمِه، وعامله يستحق بشارة الإحسان ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾.

٣٦ ـ وبشر المحسن الذي أركب واقفاً على الطريق، وأطعم جائعاً، ورعى أرملة، وأعان مسكيناً ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾.

٣٧ ـ مشاهد الجزاء على الإحسان فوق تصوراتك، وأعظم من توقعاتك، وأجلُّ من كل ما يجري في خاطرك ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾.

٣٨ ـ ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ على ما ينتظرهم من مشاهد الخير والبر والمعروف في مستقبل الأيام.

٣٩ ـ هذا وعد الله تعالى لكل مؤمن صادق في الطريق ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٖ كَفُورٍ ﴿٣٨﴾﴾.

٤٠ ـ على قدر إيمانك يدفع الله تعالى عنك عدوك ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٖ كَفُورٍ ﴿٣٨﴾﴾.

٤١ ـ هل تصوَّرت يوماً أن الله تعالى يتولى إدارة المعركة ويدافع عنك؟! ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٖ كَفُورٍ ﴿٣٨﴾﴾ إيمانك بهذا يصنع هذا المعنى بإجلال.

٤٢ ـ إياك وأخلاق الناقصين ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٖ كَفُورٍ﴾.

٤٣ ـ خونة العهود والمبادئ، وجاحدو النعم قومٌ لا يحبهم الله تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٖ كَفُورٍ﴾.

٤٤ ـ كم من عهدٍ مُبْرَم مع الله تعالى، جرت فيه أحداث الخيانة، في ضحى النهار! ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٖ كَفُورٍ﴾ وكم من نعمةٍ جرى فيها الجحود!

٤٥ ـ اقرأ تاريخك لعل عهداً نكثت به، أو نعمةً ضاعت في تيه النسيان ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٖ كَفُورٍ﴾.

❀ ❀ ❀

أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًاۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْاْ عَنِ ٱلْمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ ﴿٤٢﴾ وَقَوْمُ إِبْرَٰهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ﴿٤٣﴾ وَأَصْحَٰبُ مَدْيَنَۖ وَكُذِّبَ مُوسَىٰ فَأَمْلَيْتُ لِلْكَٰفِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٤﴾ فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ فَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ﴿٤٥﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَاۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾

التفسير

• ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ﴾ هذا الإذن في المدينة بعد أن كانوا ممنوعين منه في مكة ﴿بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟﴾ بسبب ما حصل عليهم من الظلم ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾ لا يغلبه أحد.

• ﴿ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ دون ذنب ﴿إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾ إلا لأنهم آمنوا بالله تعالى ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ﴾ ولولا ما شرعه الله تعالى لأنبيائه وأوليائه من قتال أعدائه ﴿لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ﴾ أماكن عبادة الرهبان ﴿وَبِيَعٌ﴾ معابد النصارى ﴿وَصَلَوَٰتٌ﴾ كنائس اليهود ﴿وَمَسَٰجِدُ﴾ أماكن عبادة المسلمين ﴿يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا﴾ في دور العبادة التي مَرَّ ذكرها، والمعنى: لولا أن الله تعالى أباح للمؤمنين دفع المشركين لعاثوا في الأرض فساداً، ولهدموا في زمن موسى وعيسى عليهما السلام أماكن العبادة، وعطَّلوا رسالتها ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ﴾ بالغلبة على الأعداء، والتمكين في الأرض ﴿مَن يَنصُرُهُۥٓ﴾ ينصر دينه، ويقيم منهجه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾﴾ لا غالبَ له.

• ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ ملَّكناهم إياها ﴿أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ أدُّوها في أوقاتها ﴿وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ أعطوها مستحقيها ﴿وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ دعوا إلى كل ما تقرُّه العقول ﴿وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ كل ما تستقبحه العقول ﴿وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾﴾ يرجع إليه كل شيء.

• ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ﴾ بما جئتهم به ﴿فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ ﴿٤٢﴾ وَقَوْمُ إِبْرَٰهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ﴿٤٣﴾ وَأَصْحَٰبُ مَدْيَنَ﴾ كل هؤلاء كذبوا رسلهم ﴿وَكُذِّبَ مُوسَىٰ﴾ كذلك فلم يُطع ﴿فَأَمْلَيْتُ لِلْكَٰفِرِينَ﴾ أخَّرت

أجلهم ﴿ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ﴾ بعد ذلك بالعذاب ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٤﴾﴾ كيف كان إنكاري لكفرهم وتكذيبهم.

- ﴿فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ﴾ وكم من قرية ﴿أَهْلَكْنَاهَا﴾ بالعذاب ﴿وَهِيَ ظَالِمَةٌ﴾ بكفرها وتكذيبها لرسل الله ﴿فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾ مهدَّمة مظلمة ﴿وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ﴾ خربةٍ بعد أن كانت حيَّةً يستقي منها الناس ﴿وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ﴿٤٥﴾﴾ تَهدَّمَ بعد تشييده.
- ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ يمشون فيها معتبرين ﴿فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا﴾ يتأملون فيها مواطن العبرة والعظة ﴿أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا﴾ مواعظ القرآن وعبر الماضين ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴿٤٦﴾﴾ بل العمى المهلك هو عمى القلوب.

التَّدَبُّر

١ ـ آمِنْ، وسيجعلُ الله تعالى لك فواتحَ التوفيق ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا ۚ وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾ رعى الله تعالى شأن أهل الإيمان، فمنعهم من القتال حين كانوا غيرَ قادرينَ عليه، ثم أذِنَ لهم فيه بعدما تحقَّق لهم ما يريدون.

٢ ـ الجهاد أوسع الطرق وأشدُّها أثراً في رفع الظلم عن العالمين ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا ۚ وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾.

٣ ـ لكل شيء قَدَرٌ وسَبَبٌ، مع أن الله تعالى على نصرهم لقدير؛ إلا أن الله تعالى جعل ذلك مرهوناً بجهادهم لعدوهم ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا ۚ وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾.

٤ ـ لا تنتظر حلولاً عاجلة لمشكلاتك، لا بد أن تقطع زمناً وسبباً في سبيل الوصول إليها ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾.

٥ ـ حياتــك القادمة وقف على جهادك، وتعبك، ومعاناتــك الكبرى في الطريق ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾ لا تنتظر شيئاً بارداً من السماء.

٦ ـ الإيمان بالله هو سبب ســخط العدو، وخصامه مع المسلمين، في كل مكان وزمان ﴿ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ﴾.

٧ ـ لا تسألوا عن أسباب الحرب المدمرة التي تغتال الأبرياء، في كل مساحة من أرض المسلمين، إنما جريرتهم الكبرى مع عدوهم أنهم آمنوا بالله تعالى ﴿ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ﴾.

٨ ـ من وعيك وكمال عقلك أن تضرب صفحاً عن كل التحليلات الإخبارية في مثل زمانك؛ لأنها لا تملك تفسـيراً للأسـباب الصحيحة، أو أنَّها تتعامــى عن الحقائق ﴿ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ﴾.

٩ ـ لولا الجهاد في سبيل الله تعالى بكل صوره ومعانيه لتهدمت مساحات العبادة في واقع الأرض ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَـٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ﴾.

١٠ ـ قيامك بواجبك على أتم وجه هو جهادك المشروع لعدوك ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَـٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ﴾.

١١ ـ كل أمرٍ أو مشروعٍ يُسـتهدف فيه بيوت الله تعالى، ويقف حائلاً دون الناس ودينهم؛ فهو جزء من المعركة التــي يديرها العدو ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَـٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ﴾.

١٢ ـ استيقظ؛ فالنصر وقفٌ على جهادك ومشاركتك! ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا﴾.

١٣ ـ ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾ هذه سنة الله تعالى التي لا تتخلَّف عن فرد أو جماعة أو دولة وأمة.

١٤ ـ الخطوة الأولى هي الخطوة الكفيلة بصناعة التغيير في واقعك ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾.

١٥ ـ ابدأ؛ ودع النهايات يدبرها الله تعالى كما يشاء ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾ فهو قوي عزيز، قادر على كل شيء!

١٦ ـ إقامة الصلاة، وإيتاء الـزكاة، والأمر بالمعروف، والنهـي عن المنكر، من شروط التمكين في الأرض ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾﴾.

١٧ ـ إقامة هذه الشـعائر يبدأ أولاً من نفسـك، وبيتك، وأسـرتك، ومسؤوليتك ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾﴾.

١٨ ـ كل قضايانا التي اعتراها النقص والتشويه، بدأت من تفريط الفرد في مساحته الممكنة، ثم تنازلت الأمة في النهاية عن قيمها الكبرى، وأصابها الخلل ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾﴾.

١٩ ـ كثيرون هـم الذين يتحدثون عن دور هيئات الأمـر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهم إحدى عقباتها ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾﴾ فرّطوا

في مساحاتهم الممكنة، وواجباتهم الشرعية، ثم يندبون حظ الأمة بفوات دور هذه الهيئات في واقعها.

٢٠ ـ لا تحزن؛ فالظلام قد عَمَّ العالم قبلك ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ ﴿٤٢﴾ وَقَوْمُ إِبْرَٰهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ﴿٤٣﴾ وَأَصْحَٰبُ مَدْيَنَ ۖ وَكُذِّبَ مُوسَىٰ فَأَمْلَيْتُ لِلْكَٰفِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٤﴾﴾ ثم عاد النور للأرض من جديد!

٢١ ـ لم يأت الربيع يوماً إلا بعد أمد من القحط ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ ﴿٤٢﴾ وَقَوْمُ إِبْرَٰهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ﴿٤٣﴾ وَأَصْحَٰبُ مَدْيَنَ ۖ وَكُذِّبَ مُوسَىٰ فَأَمْلَيْتُ لِلْكَٰفِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٤﴾﴾.

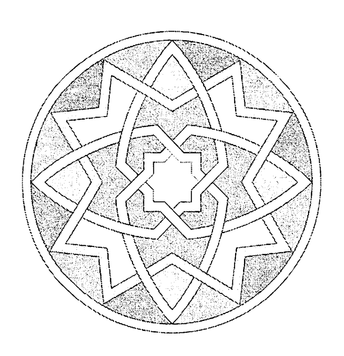
٢٢ ـ للمعركة التي يديرها الباطل يومٌ ينتهي فيه كلُّ شيء ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ ﴿٤٢﴾ وَقَوْمُ إِبْرَٰهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ﴿٤٣﴾ وَأَصْحَٰبُ مَدْيَنَ ۖ وَكُذِّبَ مُوسَىٰ فَأَمْلَيْتُ لِلْكَٰفِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٤﴾﴾.

٢٣ ـ ما أكثر العبر في التاريخ لو كان لنا عقول!! ﴿فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ فَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ﴿٤٥﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾﴾.

٢٤ ـ مُدَّ نظرك إلى ما حولك؛ فشواهد التاريخ ناطقة بما فعل الله تعالى بالأعداء! ﴿فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ فَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ﴿٤٥﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾﴾.

٢٥ ـ كتاب الله تعالى يبعث الأمل في نفوس اليائسين، ويقيم للفأل ألف مشهد في واقـع الحيـاة ﴿فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ﴿٤٥﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴿٤٦﴾﴾ ولن تقرأ حرفاً واحداً في الأحـزان واليأس والإخفاق في ثناياه!

❀ ❀ ❀



وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ ۚ وَإِنَّ يَوْمًا
عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٤٧﴾ وَكَأَيِّن مِّن
قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ
﴿٤٨﴾ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَآ أَنَا۠ لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٩﴾ فَٱلَّذِينَ
ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٥٠﴾
وَٱلَّذِينَ سَعَوْا۟ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ
﴿٥١﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِىٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ
أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ
ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٢﴾ لِّيَجْعَلَ
مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْقَاسِيَةِ
قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ وَلِيَعْلَمَ
ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا۟ بِهِۦ
فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطٍ
مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٤﴾ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ حَتَّىٰ
تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ ﴿٥٥﴾

التفسير

• ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ﴾ يستعجلون حصوله ووقوعه ﴿وَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ﴾ في حلول العذاب عليهم ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ﴾ من العذاب في الآخرة ﴿كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٤٧﴾﴾ كألف سنة من سنيّ الدنيا.

• ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ﴾ وكم من قرية ﴿أَمْلَيْتُ لَهَا﴾ أمهلتها ﴿وَهِيَ ظَالِمَةٌ﴾ رغم ظلمها ﴿ثُمَّ أَخَذْتُهَا﴾ في النهاية بالعذاب ﴿وَإِلَيَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٨﴾﴾ المرجع.

• ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَآ أَنَا۠ لَكُمْ نَذِيرٌ﴾ لكم من عقاب الله تعالى ﴿مُّبِينٌ ﴿٤٩﴾﴾ واضح.

• ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ﴾ لذنوبهم ﴿وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٥٠﴾﴾ ما أعد الله تعالى لهم في الجنة.

• ﴿وَٱلَّذِينَ سَعَوْا۟ فِىٓ ءَايَٰتِنَا﴾ اجتهدوا وبذلوا ﴿مُعَٰجِزِينَ﴾ مشاقِّين لنا، محاولين إعجازنا ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥١﴾﴾ أهل النار.

• ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ﴾ قرأ القرآن ﴿أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ﴾ في قراءته شيئاً غير القرآن ﴿فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ يزيله ويذهبه ﴿ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ﴾ يتقنها، ويحرِّرها، ويحفظها من إلقاء الشيطان، وهذا الإلقاء من الشيطان عارض غير مستقر؛ لأن القرآن محفوظ ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بأفعال العباد ﴿حَكِيمٌ ﴿٥٢﴾﴾ في تدبير أمره وخلقه.

• ﴿لِّيَجۡعَلَ مَا يُلۡقِى ٱلشَّيۡطَٰنُ﴾ في القراءة مما ليس منها ﴿فِتۡنَةً﴾ ابتلاءً واختباراً ﴿لِّلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ مرض شهوة أو شبهة ﴿وَٱلۡقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمۡ﴾ الغليظة ﴿وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِى شِقَاقٍ﴾ مُشاقَّة للحق، ومعاندة له ﴿بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾﴾ عن الصواب.

• ﴿وَلِيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ أَنَّهُ﴾ أي القرآن ﴿ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤۡمِنُواْ بِهِۦ﴾ فيصدقوا به ﴿فَتُخۡبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمۡ﴾ تخشع وتذل ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ مرشدهم ﴿إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسۡتَقِيمٍ ﴿٥٤﴾﴾ لا اعوجاج فيه.

• ﴿وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِى مِرۡيَةٍ مِّنۡهُ﴾ شك ﴿حَتَّىٰ تَأۡتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغۡتَةً﴾ فجأة ﴿أَوۡ يَأۡتِيَهُمۡ عَذَابُ يَوۡمٍ عَقِيمٍ ﴿٥٥﴾﴾ يوم القيامة.



١ ـ مَنْ جهل الله تعالى لم يعرف قدره ﴿وَيَسۡتَعۡجِلُونَكَ بِٱلۡعَذَابِ وَلَن يُخۡلِفَ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥۚ وَإِنَّ يَوۡمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلۡفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٤٧﴾﴾ لو عرفوه حق المعرفة لما سألوه الهلاك.

٢ ـ لا فرق بين استعجال المقال والحال، كلاهما استعجال ﴿وَيَسۡتَعۡجِلُونَكَ بِٱلۡعَذَابِ وَلَن يُخۡلِفَ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥۚ وَإِنَّ يَوۡمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلۡفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٤٧﴾﴾ هذا يدعو الله تعالى استهزاءً وسخريةً، وذلك قابع على المنكرات، ومعارض للحق، لا فرق.

٣ ـ ماذا ينتظر الضالُّون في الطريق ﴿وَإِنَّ يَوۡمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلۡفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ ليتهم أدركوا أنفسهم قبل الفوات!

٤ ـ ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ بعض صور ذلك اليوم في ساحات القيامة.

٥ ـ حسب الدعاة والمصلحين بلاغ دين الله تعالى، وإيصال رسالته للعالمين ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَآ أَنَا۠ لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٩﴾﴾.

٦ ـ الإبانة شرط من شروط القيام بواجب النذارة ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَآ أَنَا۠ لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٩﴾﴾.

٧ ـ من إجلال الله تعالى إجلال الطريق إليه ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَآ أَنَا۠ لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٩﴾﴾ ومن لا يصلح لحمل هذا المعنى؛ فليس من حقه أن يشارك فيه.

٨ ـ تأهب لهذه الوظيفة الكبرى في الحياة ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَآ أَنَا۠ لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٩﴾﴾ ومِنْ شرفِك وعزِّك ومجدِك في الدارين أن تكون تبعاً لرسل الله تعالى!

٩ ـ الجزاء من جنس العمل ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٥٠﴾ وَٱلَّذِينَ سَعَوْا۟ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥١﴾﴾.

١٠ ـ استشعر معركتك مع عدوك الأكبر؛ فلن يتركك ما وسعه الأمر إليك ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِىٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٢﴾﴾ حتى أثناء قراءة رسول الله ﷺ للقرآن يعارضه، ويماكسه، ويلقي أشياءً غير القرآن، مناهضةً له في الطريق!

١١ ـ من سنة الله تعالى حفظه لكتابه من تأويل الضالِّين، وانتحال المبطلين ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِىٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٢﴾﴾.

١٢ ـ لله تعالى حِكَمٌ كبيرة في أقداره التي يجريها في العالمين ﴿لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾﴾ فإذا ما رأيت قدراً في الأرض؛ فاعلم أن وراءه حِكَماً لا يبلغها العقل.

١٣ ـ إذا أردت أن تعرف المنافقين والضالين؛ فارتقب أيام الفتن، تأتي بهم رؤوساً في الضلال ﴿لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾﴾.

١٤ ـ الفتن لا تزيد المؤمنين إلا بصيرة بدينهم، والتزاماً به ﴿لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾﴾ لأن الله تعالى جعل الفتنة لمرضى القلوب؛ فدلَّ على أن أصحاب الإيمان الحق لا تضرهم عوارض الطريق.

١٥ ـ قلَّ أن تجد مؤمناً صادقاً، يسقط في الشبه والضلال ﴿لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾﴾ وإذا رأيت من ذلك شيئاً؛ فاعلم أن في القلوب أشياء، والله المستعان!

١٦ ـ آمِنْ بالحقِّ، وسيتولى الله تعالى أمرك للنهاية ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾.

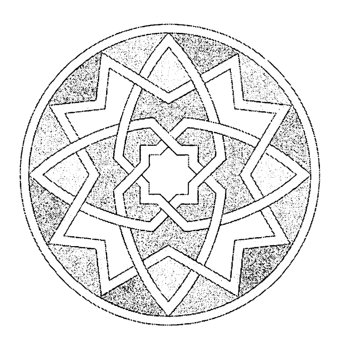
١٧ ـ تكفَّل الله تعالى بهداية كُلِّ مؤمن إلى صراطه المستقيم ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ فتمثل هذا المعنى، وارقب هداية الله تعالى وتوفيقه في كل شيء.

١٨ ـ كل خلل يصحبك، أو يلقاك في الطريق؛ فهو فرع عن تخلفك في الهداية ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾.

١٩ ـ حين يختلُّ عليك قلبك، أو ولدك وزوجك، أو وظيفتك وعملك؛ فاعلم أن هناك خللاً في الهداية أوجب هذه الرزايا ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ لو استقام أمرك لبلغت وعد الله تعالى.

٢٠ ـ لا تُحسِنَنَّ الظن بكافر ﴿وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ ﴿٥٥﴾﴾ ستظل الشكوك ملازمة له وباعثة في قلبه الضلال!

❀ ❀ ❀



ٱلۡمُلۡكُ يَوۡمَئِذٖ لِّلَّهِ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ
وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٥٦﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ
وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ ﴿٥٧﴾
وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوٓاْ أَوۡ مَاتُواْ
لَيَرۡزُقَنَّهُمُ ٱللَّهُ رِزۡقًا حَسَنٗاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ خَيۡرُ
ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٥٨﴾ لَيُدۡخِلَنَّهُم مُّدۡخَلٗا يَرۡضَوۡنَهُۥۗ وَإِنَّ
ٱللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٞ ﴿٥٩﴾ ۞ذَٰلِكَ وَمَنۡ عَاقَبَ بِمِثۡلِ
مَا عُوقِبَ بِهِۦ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيۡهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ
لَعَفُوٌّ غَفُورٞ ﴿٦٠﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي
ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٞ
﴿٦١﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ مِن
دُونِهِۦ هُوَ ٱلۡبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ ﴿٦٢﴾
أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَتُصۡبِحُ ٱلۡأَرۡضُ
مُخۡضَرَّةًۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٞ ﴿٦٣﴾ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ﴿٦٤﴾

التفسير

- ﴿ٱلۡمُلۡكُ يَوۡمَئِذٖ لِّلَّهِ﴾ يوم القيامة ﴿يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡۚ﴾ فيما كانوا يختلفون ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِي جَنَّٰتِ﴾ في بساتين ﴿ٱلنَّعِيمِ ٥٦﴾ كل ما يلذ به القلب والجسد.

- ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ ٥٧﴾ مخزٍ مذلٌّ، وهو عذاب جهنم.

- ﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أخرجوا من ديارهم ابتغاء ما عند الله تعالى ﴿ثُمَّ قُتِلُوٓاْ﴾ في معركة ﴿أَوۡ مَاتُواْ﴾ في بيوتهم ﴿لَيَرۡزُقَنَّهُمُ ٱللَّهُ﴾ في الدنيا من فضله، وفي الآخرة من ثوابه ونعيمه ﴿رِزۡقًا حَسَنٗاۚ﴾ طيباً ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ٥٨﴾ أحسنهم جزاءً.

- ﴿لَيُدۡخِلَنَّهُم مُّدۡخَلٗا يَرۡضَوۡنَهُۥۗ﴾ إما في الدنيا بالنصر على الأعداء، أو في الآخرة بدخول الجنان ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَلِيمٌ﴾ بما في الكون ﴿حَلِيمٞ ٥٩﴾ على من يعصيه.

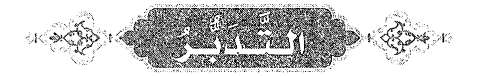
- ﴿ذَٰلِكَۖ وَمَنۡ عَاقَبَ بِمِثۡلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ﴾ فله ذلك ﴿ثُمَّ بُغِيَ عَلَيۡهِ﴾ بعد ذلك ﴿لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُۚ﴾ يتولى نصره وتأييده ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ﴾ يعفو عن المذنبين ﴿غَفُورٞ ٦٠﴾ يغفر ذنوب المخطئين، ويزيل آثارها عنهم.

- ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِ﴾ يدخل بعضهما في بعض ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ﴾ لما يقال ﴿بَصِيرٞ ٦١﴾ بما يُفعل، ويجري في الحياة.

• ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ﴾ لا إلهَ حقٌّ غيره ﴿ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ ﴾ هو الزائل ﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٦٢﴾ ﴾ في ذاته وصفاته.

• ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً ﴾ بما فيها من النبات ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ ﴾ يصل علمه إلى كل دقيق وجليل ﴿ خَبِيرٌ ﴿٦٣﴾ ﴾ بتدبير عباده وقضائه وقدره.

• ﴿ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ ملكاً وتصرفاً ﴿ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْغَنِىُّ ﴾ عن عباده ﴿ ٱلْحَمِيدُ ﴿٦٤﴾ ﴾ المستوجب للحمد في كل حال.



١ ـ لا تستطِلْ زمانك؛ فموعد الآخرة قريب ﴿ ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٥٦﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٥٧﴾ ﴾.

٢ ـ الجزاء من جنس العمل ﴿ ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٥٦﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٥٧﴾ ﴾.

٣ ـ إذا صدقت النية، وصحَّت البداية؛ فلا تسل عن أفراح النهايات ﴿ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوٓا۟ أَوْ مَاتُوا۟ لَيَرْزُقَنَّهُمُ ٱللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٥٨﴾ لَيُدْخِلَنَّهُم مُّدْخَلًا يَرْضَوْنَهُۥ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿٥٩﴾ ﴾.

٤ ـ ﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ دعوة للحركة والبذل والعطاء في ساحات الدنيا.

٥ ـ ﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ تركوا ديارهم وأوطانهم من أجل الله، وفي ذاته تعالى، سل نفسك ماذا قدمت لدين الله؟!

٦ ـ ﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ كثيرون الذين يهاجرون، لكن ما الذي منها لله تعالى؟!

٧ ـ رغم حاجتنا لهذا النوع من الهجرة، ستظل حاجتنا الكبرى لأقرب المسافات، وأشدها لحمة بنا ﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾.

٨ ـ ﴿ثُمَّ قُتِلُوٓاْ أَوْ مَاتُواْ﴾ إذا صح مقصدك؛ فليس مهماً ما تبلغ في الطريق ﴿لَيَرْزُقَنَّهُمُ ٱللَّهُ رِزْقًا حَسَنًاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾.

٩ ـ لا يمكن أن يخذلك الله تعالى بعد أن قطعت خطوات في سبيل الحياة الطويل ﴿لَيَرْزُقَنَّهُمُ ٱللَّهُ رِزْقًا حَسَنًاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾.

١٠ ـ لا تنشغل بالنهايات! احسب جيداً الخطوات الأولى، ودع ما بقي لله تعالى ﴿لَيُدْخِلَنَّهُم مُّدْخَلًا يَرْضَوْنَهُۥۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿٥٩﴾﴾.

١١ ـ يقيمُ الدينُ للحقوق شأناً ﴿ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴿٦٠﴾﴾ فلا يضيع منها الشيء في غير طريق.

١٢ ـ دعك من حسابات المعتدين: لينصرنَّك الله تعالى ﴿ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴿٦٠﴾﴾.

١٣ ـ حتى في مشاهد الأخذ والعطاء، والاستيفاء والترك، تجري كلُّها في نظر الله تعالى، لا يغيب عنه منها شيء ﴿ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴿٦٠﴾﴾.

١٤ ـ من فضلك؛ ألق بعقلك في مشاهد قدرة الله تعالى ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٦١﴾﴾ كم مرة استوقفتنا هذه الآيات للعظة والعبرة!

١٥ ـ إذا لم تدلك هذه الآيات على الحقائق؛ فلا مفروح بها في حياتك كلها ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٦١﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٦٢﴾﴾.

١٦ ـ ما أكثر الآيات الدالة على الغني الحميد ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿٦٣﴾ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٦٤﴾﴾.

١٧ ـ إذا منَّ الله تعالى عليك بالتفكُّر؛ فقد أجرى في قلبك الحياة ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿٦٣﴾ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٦٤﴾﴾ في مرَّاتٍ كثيرةٍ تخضرُّ أرضهم، وتزدان بالربيع، ثم لا تصنع في قلوبهم جديداً!

❀ ❀ ❀

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ
بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَن تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ ۗ إِنَّ
اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٥﴾ وَهُوَ الَّذِي أَحْيَاكُمْ
ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ۗ إِنَّ الْإِنسَانَ لَكَفُورٌ ﴿٦٦﴾
لِّكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ ۖ فَلَا يُنَازِعُنَّكَ فِي
الْأَمْرِ ۚ وَادْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ ۖ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ ﴿٦٧﴾ وَإِن
جَادَلُوكَ فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٦٨﴾ اللَّهُ يَحْكُمُ
بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٦٩﴾ أَلَمْ
تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي
كِتَابٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا
لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَا لَيْسَ لَهُم بِهِ عِلْمٌ ۗ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن
نَّصِيرٍ ﴿٧١﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ
الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنكَرَ ۖ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ
يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا ۗ قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكُمُ ۗ النَّارُ
وَعَدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ۖ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿٧٢﴾

التفسير

• ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ جعله مسخراً لخدمتكم ﴿وَٱلْفُلْكَ﴾ السفن ﴿تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ﴾ لمصالح العباد ﴿وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ﴾ ومن رحمته أنه يمسك السماء من الوقوع على الأرض ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٥﴾﴾ فلا يعاجلهم بالعقوبة.

• ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاكُمْ﴾ أول مرة ﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ﴾ عند حلول الأجل ﴿ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ يوم القيامة ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ ﴿٦٦﴾﴾ جاحد لنعم الله تعالى.

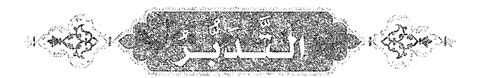
• ﴿لِّكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا﴾ عبادة يعبدون بها الله تعالى ﴿هُمْ نَاسِكُوهُ﴾ عاملون عليه ﴿فَلَا يُنَٰزِعُنَّكَ فِى ٱلْأَمْرِ﴾ يجادلونك وينازعونك في أمر دينك ﴿وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ قم بواجب الدعوة لمن ينازعك في دعوتك ودينك ﴿إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ ﴿٦٧﴾﴾ طريق مستقيم.

• ﴿وَإِن جَٰدَلُوكَ﴾ نازعوك وخاصموك في أمر دينك ﴿فَقُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٦٨﴾﴾ لا يفوته من ذلك شيء، وهو يتولى جزاءكم يوم القيامة ﴿ٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٦٩﴾﴾ فيتولى الحكم والفصل بينكم.

• ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ لا يغيب من علمها عليه شيء ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ﴾ مسجل في اللوح المحفوظ ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾﴾ لا يكلِّفه شيء.

• ﴿وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي المشركون ﴿مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنٗا﴾ حجَّةً ظاهرة ﴿وَمَا لَيۡسَ لَهُم بِهِۦ عِلۡمٞ﴾ صحيح بيِّن ﴿وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٖ ۝٧١﴾ ينصرهم من عذاب الله تعالى.

• ﴿وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٖ﴾ واضحات ﴿تَعۡرِفُ فِي وُجُوهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلۡمُنكَرَ﴾ من بغضها وكراهتها ﴿يَكَادُونَ﴾ الذين كفروا ﴿يَسۡطُونَ بِٱلَّذِينَ يَتۡلُونَ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِنَا﴾ يسطون عليهم بالقتل أو الضرب، من شدة بغضهم، وبغض الحق الذي جاؤوا به ﴿قُلۡ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرّٖ مِّن ذَٰلِكُمُ﴾ أسوأ وأقبح من هؤلاء الذين تكرهونهم ﴿ٱلنَّارُ وَعَدَهَا ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ عذاب النار يوم القيامة ﴿وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ۝٧٢﴾ بئس مقرهم.



١ ـ ما أحوجنا إلى التأمل والتفكُّر في نعم الله تعالى! ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱلۡفُلۡكَ تَجۡرِي فِي ٱلۡبَحۡرِ بِأَمۡرِهِۦ وَيُمۡسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ۝٦٥﴾.

٢ ـ ماذا لو سقطت السماء على الأرض؟! أو توقف الفلك في البحر؟! ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱلۡفُلۡكَ تَجۡرِي فِي ٱلۡبَحۡرِ بِأَمۡرِهِۦ وَيُمۡسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ۝٦٥﴾ كم من نِعَمٍ بحاجةٍ إلى استذكار!

٣ ـ هذه حقيقة الإنسان ﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَكَفُورٞ﴾ وقلَّ من يتفطَّن لها، ويحسن التعامل معها!

٤ ـ من فقهك بنفسك أن تعوِّدها على استذكار نعم الله تعالى، وتدربها على الاعتراف بها وشكرها ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱلۡفُلۡكَ تَجۡرِي فِي ٱلۡبَحۡرِ بِأَمۡرِهِۦ وَيُمۡسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ۝٦٥﴾.

٥ ـ من وعيك وكمال فقهك ألا تنساق وراء دعاوى البطّالين، وألّا تترك رسالتك ومنهجك ﴿لِّكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ ۖ فَلَا يُنَازِعُنَّكَ فِي الْأَمْرِ ۚ وَادْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ ۖ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ (٦٧) وَإِن جَادَلُوكَ فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ (٦٨) اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (٦٩)﴾.

٦ ـ لا تنتظر الحقائق من عدوك، يكفي ما معك من الحق ﴿لِّكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ ۖ فَلَا يُنَازِعُنَّكَ فِي الْأَمْرِ ۚ وَادْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ ۖ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ (٦٧) وَإِن جَادَلُوكَ فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ (٦٨) اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (٦٩)﴾.

٧ ـ لا تنتظر حلّاً عاجلاً في عرض الحياة، الحلول النهائية هناك في ساحات القيامة، وأحداث الآخرة، ليست هنا ﴿اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (٦٩)﴾.

٨ ـ كل ما يدور في شأن الدنيا مرصود محفوظ ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَابٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (٧٠)﴾.

٩ ـ لا تظنن أن شيئاً يفوت على الله تعالى! ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَابٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (٧٠)﴾.

١٠ ـ حتى مثاقيل الذر من الحسنات والسيئات، ستأتي شاهدة في أحداث ذلك اليوم ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَابٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (٧٠)﴾.

١١ ـ يملّكهم الله تعالى عقولاً يحكمون بها، ثم يصادرونها عند أي وارد، ولا يُبالون ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَا لَيْسَ لَهُم بِهِ عِلْمٌ ۗ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ (٧١)﴾.

١٢ ـ القلوب الفارغة تستقبل وارد الشبهات عند أول طارق ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَمَا لَيْسَ لَهُم بِهِۦ عِلْمٌ ۗ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ۝٧١﴾.

١٣ ـ من تقدير الله تعالى للإنسان أن جعل له عقلاً يستوفي به أدلة الحقائق، فإذا ما فرَّط فيه صاحبه استحق هذا التيه الكبير ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَمَا لَيْسَ لَهُم بِهِۦ عِلْمٌ ۗ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ۝٧١﴾.

١٤ ـ من علامات ودلائل أهل الضلال أنهم لا يفرحون باستقبال ذكر الله تعالى في مساحةٍ ما ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمُنكَرَ ۖ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِٱلَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا ۗ قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكُمُ ۗ ٱلنَّارُ وَعَدَهَا ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ۝٧٢﴾.

١٥ ـ إذا رأيتهم يشرقون بالموعظة؛ فاعلم أنك في رحاب عدو ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمُنكَرَ ۖ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِٱلَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا ۗ قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكُمُ ۗ ٱلنَّارُ وَعَدَهَا ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ۝٧٢﴾.

١٦ ـ تصوَّر هذا المشهد ﴿يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِٱلَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا﴾ كأنما يتحفّز ليثب عليك، صورة من صور كراهة الحق!

١٧ ـ هم جالسون للموعظة! مستمعون ضمن الجماعة! قاعدون يسمعون هتاف القرآن، ولكنهم في الوقت نفسه يتمنون لو أوثقوك؛ وألقوا بك في الفلاة ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمُنكَرَ ۖ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِٱلَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا﴾.

❀ ❀ ❀

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٞ فَٱسۡتَمِعُواْ لَهُۥٓۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ
تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخۡلُقُواْ ذُبَابٗا وَلَوِ ٱجۡتَمَعُواْ لَهُۥۖ
وَإِن يَسۡلُبۡهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيۡـٔٗا لَّا يَسۡتَنقِذُوهُ مِنۡهُۚ ضَعُفَ
ٱلطَّالِبُ وَٱلۡمَطۡلُوبُ ٧٣ مَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓۚ إِنَّ
ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ٧٤ ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ
رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٞ ٧٥ يَعۡلَمُ مَا
بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۗ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ ٧٦
يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْۤ وَٱعۡبُدُواْ
رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ۩ ٧٧
وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ وَمَا جَعَلَ
عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ
ٱلۡمُسۡلِمِينَ مِن قَبۡلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيۡكُمۡ
وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِۚ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ
وَٱعۡتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوۡلَىٰكُمۡۖ فَنِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ ٧٨

التفسير

- ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ﴾ ألقوا إليه أسماعكم وافهموه ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ من الأصنام والأنداد ﴿لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا﴾ الذي هو أحقر المخلوقات ﴿وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ﴾ ولو اجتمعوا كلهم على ذلك ما قدروا ﴿وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا﴾ مما عليهم من طيب ونحوه ﴿لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ﴾ لا تستطيع آلهتهم أن تستنقذ ذلك من الذباب ﴿ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ﴾ الذي هو المعبود من دون الآلهة ﴿وَٱلْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾﴾ الذباب.

- ﴿مَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾ ما عظَّموه حق التعظيم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٤﴾﴾ لا غالب لأمره.

- ﴿ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ رُسُلًا﴾ يختار من الملائكة رسلاً ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾ كذلك يصطفي رسلاً ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ﴾ بما يقال ﴿بَصِيرٌ ﴿٧٥﴾﴾ بما يجري في الكون.

- ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ لا يفوت عليه من ذلك شيء ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٧٦﴾﴾ كلها.

- ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟﴾ لله في صلاتكم ﴿وَٱسْجُدُوا۟﴾ له فيها ﴿وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ﴾ ذلُّوا له واخضعوا ﴿وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ﴾ الذي أمركم الله تعالى به ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾﴾ تفوزون بوعد الله تعالى.

- ﴿وَجَـٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ﴾ ابذلوا وسعكم وجهدكم في تحقيق أمر الله تعالى ﴿هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ﴾ اختاركم للدين، وأكرمكم بالإسلام ﴿وَمَا جَعَلَ

عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ مشقَّة وعسر ﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ﴾ أي هذا الدين الذي اختاره الله لكم هو دين إبراهيم ﴿هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ﴾ الله تعالى سماكم بهذا الاسم في الكتب السابقة ﴿وَفِي هَٰذَا﴾ وسماكم كذلك المسلمين في القرآن ﴿لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ﴾ بأعمالكم ﴿وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ تشهدون للرسل على أممهم، وذلك لفضلكم ﴿فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ بشروطها وأركانها ﴿وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ لمستحقيها ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِٱللَّهِ﴾ ثقوا به، وتوكلوا عليه ﴿هُوَ مَوْلَىٰكُمْ﴾ من يتولى أموركم ﴿فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ﴾ أعزُّ من تولى عباده ﴿وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٧٨﴾﴾ أعظم من نصر أولياءه.



١ ـ هذه حقيقة الخَلْقِ من دون الله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾﴾ لا يملكون شيئاً، ولا يستطيعون إنقاذ أنفسهم؛ فكيف يُعبدون ويؤلَّهون!

٢ ـ إذا أردت أن تعرف ضعف هذا الإنسان؛ فتأمل هذا الذباب الذي يكرُّ عليه، ولا يستطيع دفعه عن نفسه ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾﴾.

٣ ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾﴾ دعوة لقراءة فصول ضعف خلق هذا الإنسان.

٤ ـ لو قدروا الله تعالى حق قدره لوحَّدوه، ولم يشركوا به شيئاً ﴿مَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٤﴾﴾.

٥ ـ من الاستهانة بالله تعالى صرف شيء من عبادته للمخلوقين ﴿مَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٤﴾﴾.

٦ ـ الجهل به تعالى موجبٌ لسفاهات كثيرين ﴿مَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٤﴾﴾ ماذا لو علموا أنه القوي العزيز؟!

٧ ـ هو المالك تعالى ويتصرَّف في ملكه كيف شاء ﴿ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٧٥﴾﴾.

٨ ـ الاعتراض على حكم لله تعالى رقَّة في العقل، وجهلٌ بالرب ﴿ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٧٥﴾﴾.

٩ ـ لا يفوت الله تعالى من أمر المخلوقين شيء ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٧٦﴾﴾.

١٠ ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾ وَجَٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ﴾ هذه وصية الله تعالى لك وللعالمين من بعدك إلى يوم الدين.

١١ ـ الصلاة من أعظم مظاهر العبودية لله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾﴾.

١٢ ـ ﴿وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ لا تتوانوا عنه، ولا تتخلوا عن مساحاته؛ فهو الطريق إلى الفلاح!

١٣ ـ على قدر فعلك للخير تزكو فلاحاً وهدًى ﴿وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.

١٤ ـ ﴿وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ اجتهد في سبيل الفلاح كأن تأخذ بيد مُسِنٍّ، أو تعين أرملةً، أو تنهي معاملة يتيم، أو تشفع لمحتاج، أو تجيب على سؤال جاهل، أو تخفف عنه ديناً، أو تلقي عنه همَّاً، أو تعينه برأي، أو تشاركه في حل.

١٥ ـ ﴿وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ في أي مكان وزمان، دون قيد وشرط.

١٦ ـ ﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ﴾ دعوة ألَّا تَدَّخِرَ من جهدك شيئاً في سبيل الله تعالى.

١٧ ـ ﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ﴾ أتدرون ما حق جهاده؟! ألا تبقوا في أنفسكم طاقة إلا وتبذلونها في سبيل الله!

١٨ ـ ﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ﴾ بالكلمة، والمال، والفكرة، والشفاعة، والوظيفة، والمكانة، وكل طريق تبلِّغ به دين الله تعالى في العالمين!

١٩ ـ هل بلَّغ هذه الرسالة ﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ﴾ الذي آتاه الله تعالى علماً أو جاهاً أو مسؤولية أو مهارة؟!

٢٠ ـ كم من عاقلٍ يحتاج أن تصيح في أذنيه بأمر الله تعالى ﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ﴾.

٢١ ـ يا قوم! هذا نداء الله تعالى ﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ﴾ فما لكم عنه قاعدون؟!

٢٢ ـ لا تُبقِ من مهاراتك، وقدراتك، وإمكاناتك شيئاً، لم تدفع به في هذه الغاية الكبرى ﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ﴾.

٢٣ ـ يا قوم! انفروا بهذا المعنى في كل طريق، ولا تُبقوا شيئاً تتأسفون عليه بعد الفوات ﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ﴾.

٢٤ ـ ربك الذي اختارك، وجعل دينك سمحاً، وسَمَّاك مسلماً؛ فأقم لهذا المعنى

تاريخاً ﴿هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا﴾.

٢٥ ـ ﴿هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا﴾ هذه نعم الله تعالى فما أنت صانع في شكرها؟!

٢٦ ـ كم مرة تغيب هذه النعم من ذاكرتنا، ويغيب معها حق الرب جل في علاه! ﴿هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا﴾.

٢٧ ـ من أنت لولا الله تعالى؟! ﴿هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا﴾.

٢٨ ـ كل هذه المظاهر التي تعيشها هي فضل الله تعالى عليك ﴿هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا﴾ وليس لك من ذلك شيء.

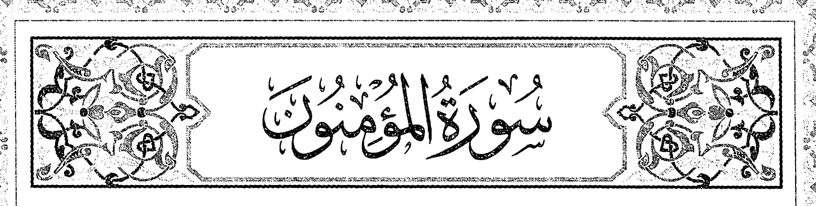
٢٩ ـ من كرامة هذه الأمة أنها تأتي شاهدةً على غيرها من الأمم يوم القيامة ﴿وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾.

٣٠ ـ من كمال توفيقك أن تأتي شاهداً على غيرك، وواقعك يملأ الآخرة فرحاً وبهجة! ﴿وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾.

٣١ ـ ماذا لو قَدِمْتَ على ربك ليستشهدك على غيرك، وأنت أول من تقوم عليك شهادة العالمين؟! ﴿وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾.

٣٢ ـ ﴿وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ دعوة أن تكون جديراً بهذه الشهادة في تلك اللحظات!

٣٣ ـ أقم للعمل شأناً في واقعك، وسيتولى الله تعالى النهايات ﴿فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ﴾.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ﴿٤﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٧﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴿١٤﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ ﴿١٧﴾

التفسير

• ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١﴾ فازوا وسعدوا.

• ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝٢﴾ حضرت قلوبهم، وسكنت جوارحهم.

• ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ﴾ كل كلام أو فعل لا فائدة فيه ﴿مُعْرِضُونَ ۝٣﴾ لا يلتفتون إليه، ولا يشاركون فيه.

• ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ۝٤﴾ يؤدُّون زكاة أموالهم.

• ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ۝٥﴾ عن الحرام.

• ﴿إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ﴾ من الإماء المملوكات ﴿فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٦﴾ غير مؤاخذين.

• ﴿فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ﴾ بعد زوجاته وإمائه ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ۝٧﴾ المعتدون على حرمات الله تعالى.

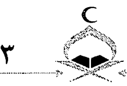
• ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ﴾ التي ائتمنوا عليها ﴿وَعَهْدِهِمْ﴾ عقدهم الذين عقدوه ﴿رَٰعُونَ ۝٨﴾ حافظون، لا يضيعون منه شيئاً.

• ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝٩﴾ فيؤدُّونها كما أمرهم الله تعالى بها.

• ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ۝١٠﴾ للجنة يوم القيامة.

• ﴿ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ﴾ الجنة ﴿هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝١١﴾ ماكثون فيها، لا يتحولون.

• ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ﴾ أي آدم ﴿مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ۝١٢﴾ خلاصة استخرجت من ماء مختلط بتربة الأرض.



• ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ ﴾ جنس بني آدم ﴿ نُطْفَةً ﴾ وهي الماء الدافق ﴿ فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ﴾ الرحم ﴿ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ ﴾ الماء الدافق ﴿ عَلَقَةً ﴾ جعلناها دماً أحمر، وذلك بعد مضي أربعين يوماً ﴿ فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ ﴾ الدم الأحمر ﴿ مُضْغَةً ﴾ قطعة لحم صغيرة ﴿ فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ ﴾ قطعة اللحم ﴿ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ﴾ ألبسنا العظام باللحم ﴿ ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ﴾ بنفخ الروح فيه ﴿ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ ﴾ تعالى وتعاظم ﴿ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾ ﴾ رب العالمين.

• ﴿ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ ﴾ بعد خلقكم ﴿ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ ستموتون.

• ﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ من قبوركم.

• ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَآئِقَ ﴾ سبع سموات ﴿ وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلْخَلْقِ غَٰفِلِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ غافلين عن تدبير شأنهم.



التدبر

١ ـ إذا بلغت وسعك في هذه الصفات الخمس (محافظتك على صلاتك، وخشوعك فيها، وإعراضك عن اللغو، وأداؤك لزكاتك، وحفظك لفرجك، وحفظك لأمانتك وعهدك) فقد بلغتَ وسعك في الإصلاح، وكنتَ فالحاً في الدارين، بإذن الله تعالى ﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ﴿٤﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴿٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٨﴾

وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١١﴾﴾.

٢ ـ من تعظيمك لربك أن تُجِلَّ قدر هذه الصلاة، وتجنِّبها وساوس الشياطين ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾﴾.

٣ ـ من أكبر مشكلاتنا مع الصلاة أننا نحافظ عليها صورة، ويفوتنا حظُّها الكبير من الخشوع ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾﴾.

٤ ـ ماذا لو علم الواحد منا أنَّ الصلاة فرصةٌ للقاء ربه، والحديث إليه، وبث شكواه بين يديه! ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾﴾.

٥ ـ هل تعاني من ألم؟! هل تشتكي من أحد؟! هل تشعر بغربة في قلبك وشعور بالقلق؟! أقبل إلى الصلاة، واشرح كلَّ ذلك لربك، وسله أن يعيد رواءَ الحياة إلى قلبك من جديد ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾﴾ **«قُمْ يا بلال فأرِحْنا بالصَّلاة»**[1].

٦ ـ تواصل معه الديوانُ الملكيُّ للقاء الملك؛ فكاد يُجَنُّ من الفرح! وفاتَهُ أنه في كل يوم يلتقي بملك الملوك! ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾﴾.

٧ ـ (الله أكبر) التي تفتتح بها صلاتك هي التي تزيلُ عنك حُجُبَ المخلوقين، وشهواتِ النفوس، وتجمعك بالحي القيوم ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾﴾.

---

(١) رواه أبو داود (٤٩٨٦) وأحمد (٢٣٠٨٨ و٢٣١٥٤).

٨ ـ خشوعُك في صلاتك هو المساحةُ التي تتيحُ لك شعورَ القرب من ربك ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝٢﴾ وما عدا ذلك صور لا قيمة لها في واقعك.

٩ ـ الكبار لا يلتفتون لهيشـات السفهاء في الشـارع العام ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝٣﴾.

١٠ ـ إذا سمع لغواً أعرض عن التفاهات ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝٣﴾.

١١ ـ كم من كبيـرٍ والغٍ في هذا الواقـع، ولم يُفِقْ بَعْـدُ! ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝٣﴾.

١٢ ـ ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝٣﴾ مِـنَ اللغـو: المشـين: الأحاديث الطويلة في شهوات النفوس!

١٣ ـ ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝٣﴾ مِنَ اللغو: كثرة الاهتمام بشهوات فرجه وبطنه!

١٤ ـ ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝٣﴾ مِـنَ اللغو: الانشـغال بسـاحات التواصل الاجتماعي كل حين!

١٥ ـ في زمن التقنية تسـتحق هذه القيمة أن يقـام لها حفل زفاف ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ۝٥﴾.

١٦ ـ في مثل زمانك من السـهولة أن تُغْتَالَ هـذه القيم ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ۝٥﴾.

١٧ ـ اسـتأجر فندقاً متميزاً، وبقي فيه خمسـة أيام، لم يفتح القنوات الفضائية؛ فسألته عن السبب؟ فقال لي: في فجاج الوحدة إن لم تنتبه سقطت في حضيض الشهوات ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ۝٥﴾.

١٨ ـ يسافرون بقصد انتهاك هذه القيمة، بأسماء مستعارة لنكاح المتعة ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ۝٥﴾.

١٩ ـ يتزوّج امرأةً لأسبوعٍ أو لشهرٍ أو لأقل أو أكثر، ويعقد لها الغرباءُ ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ۝٥﴾.

٢٠ ـ امرأة تتزوَّج في أسبوع واحد بثلاثة رجال، وتشترط على كل واحد إذا أراد أن يأتي أن ينسِّق معها مبكراً ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ۝٥﴾.

٢١ ـ لا تسأل عن فوات هذه القيمة الكبرى في حياة العوام، سل عن فواتها في حياة كثيرٍ من الأتقياء، تحت ستار الأسماء المستعارة، في مثل زمانك ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ۝٥﴾.

٢٢ ـ إذا رأيته يجلُّ الأمانة، ويرعى العهود؛ فتلك سيما الصالحين في هذا الزمان ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ۝٨﴾.

٢٣ ـ استودعه صاحبه أمانةً فمكثت عنده سنين، لم يمد يده إليها لحاجة، وفي إمكانه التعويض ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ۝٨﴾.

٢٤ ـ شعائر الله تعالى من الأمانات التي يجب أن تأخذ حقها من الإجلال ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ۝٨﴾.

٢٥ ـ كلُّ شعيرةٍ أمرك الله تعالى أن تقيمَ شأنها؛ فهي من الأمانات التي تستحقُّ إجلالاً وتعظيماً ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ۝٨﴾.

٢٦ ـ حتى وظيفتك التي تأخذ عليها مقابلاً من مال المسلمين أمانة، يجب أن تستوفيَ حقوقها كاملةً ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ۝٨﴾.

٢٧ ـ بيتك، وأسرتك، وتعليم ولدك دينه، وإلزام زوجك بحقوق الشريعة أمانات ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ۝٨﴾.

٢٨ ـ حتى مالك أمانة، من أين تكسبه! وأين تنفقه! أمانة لا بد أن تجري عليها رقابة الله تعالى ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِأَمَٰنَٰتِهِمۡ وَعَهۡدِهِمۡ رَٰعُونَ ﴿٨﴾﴾.

٢٩ ـ من وفَّقه الله تعالى لإجلال شعيرة الصلاة؛ فقد وفَّقه لكل برٍّ وخير ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمۡ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾﴾.

٣٠ ـ إذا أذَّن المؤذن أوقف كل شيء، وذهب يطرق أبواب التوفيق ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمۡ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾﴾ من أعظم دلائل إجلال الله تعالى!

٣١ ـ تخيَّل لو كنتَ مقيماً لصلاتك كما أراد الله تعالى منك، ومحافظاً على لسانك، ومتجنِّباً لمجالس اللغو، ومؤدِّياً لحقوق مالك، وحافظاً لفرجك، ومرابطاً على عهدك وقائماً بأمانتك. ماذا بقي لك من مباهج الحياة لم تبلغها، ولم تصل إليها بعد! إن كان في الدنيا جنةٌ عاجلةٌ فهذه ـ والله ـ مَنْ وجدها وجد كل شيء، ومن فقدها فَقَدَ كل شيء!

٣٢ ـ إذا تأملت في خَلْقِك عرفت كيف أجرى الله تعالى بقدرته شأنك وأمرك ﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٖ مِّن طِينٖ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلۡنَٰهُ نُطۡفَةٗ فِي قَرَارٖ مَّكِينٖ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقۡنَا ٱلنُّطۡفَةَ عَلَقَةٗ فَخَلَقۡنَا ٱلۡعَلَقَةَ مُضۡغَةٗ فَخَلَقۡنَا ٱلۡمُضۡغَةَ عِظَٰمٗا فَكَسَوۡنَا ٱلۡعِظَٰمَ لَحۡمٗا ثُمَّ أَنشَأۡنَٰهُ خَلۡقًا ءَاخَرَۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾﴾.

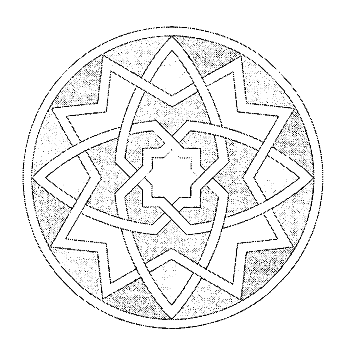
٣٣ ـ ألق بقلبك ومشاعرك إلى صورة هذه النطفة: كيف يصنع الله تعالى منها مخلوقاً كبيراً في عالم الحياة؟ ﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٖ مِّن طِينٖ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلۡنَٰهُ نُطۡفَةٗ فِي قَرَارٖ مَّكِينٖ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقۡنَا ٱلنُّطۡفَةَ عَلَقَةٗ فَخَلَقۡنَا ٱلۡعَلَقَةَ مُضۡغَةٗ فَخَلَقۡنَا ٱلۡمُضۡغَةَ عِظَٰمٗا فَكَسَوۡنَا ٱلۡعِظَٰمَ لَحۡمٗا ثُمَّ أَنشَأۡنَٰهُ خَلۡقًا ءَاخَرَۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾﴾.

٣٤ ـ هذه قصة الحياة باختصار: خَلْقٌ فموتٌ فبعثٌ وحساب ﴿ وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٖ مِّن طِينٖ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلۡنَٰهُ نُطۡفَةٗ فِي قَرَارٖ مَّكِينٖ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقۡنَا

ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾﴾.

٣٥ ـ إذا لم تُلقِ بالاً لِخَلْقِكَ؛ فارفع رأسك في السماء، لترى بعض مشاهد قدرة الله تعالى في الكون ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَآئِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلْخَلْقِ غَٰفِلِينَ ﴿١٧﴾﴾.

❀ ❀ ❀



وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍۭ
بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ ﴿١٨﴾ فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِۦ جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ
لَّكُمْ فِيهَا فَوَٰكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن
طُورِ سَيْنَآءَ تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْءَاكِلِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِنَّ لَكُمْ فِى
ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ كَثِيرَةٌ
وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٢١﴾ وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ
أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ
غَيْرُهُۥٓ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ ٱلْمَلَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا هَٰذَآ
إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ
مَلَٰٓئِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا
رَجُلٌۢ بِهِۦ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا۟ بِهِۦ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى
بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٢٦﴾ فَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ أَنِ ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا
وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ ۙ فَٱسْلُكْ فِيهَا مِن
كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ
مِنْهُمْ ۖ وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ ۖ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٢٧﴾

التفسير

- ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ﴾ الغيث النازل ﴿بِقَدَرٍ﴾ بحسب حاجة الناس ﴿فَأَسْكَنَّٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أبقيناه فيها ﴿وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍۭ بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ ﴿١٨﴾﴾ بعدم إنزاله، أو بذهاب أثره وبركته بعد ذلك.

- ﴿فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِۦ﴾ بذلك الغيث ﴿جَنَّٰتٍ﴾ بساتين ﴿مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ﴾ وخصها بالذكر مع أنها من الجنات؛ لفضلها ومنافعها ﴿لَّكُمْ فِيهَا فَوَٰكِهُ كَثِيرَةٌ﴾ من كل الأنواع ﴿وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿١٩﴾﴾ من هذه الأنواع.

- ﴿وَشَجَرَةً﴾ شجرة الزيتون ﴿تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ﴾ جبل بأرض الشام ﴿تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ﴾ زيتاً على هيئة الدهن ﴿وَصِبْغٍ لِّلْءَاكِلِينَ ﴿٢٠﴾﴾ إداماً للآكلين.

- ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِى ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً﴾ عظة، ترون بها قدرة الله تعالى ﴿نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهَا﴾ لبناً ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ كَثِيرَةٌ﴾ من أصوافها وأوبارها وأشعارها ﴿وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٢١﴾﴾ لحمها.

- ﴿وَعَلَيْهَا﴾ على الأنعام ﴿وَعَلَى ٱلْفُلْكِ﴾ السفن ﴿تُحْمَلُونَ ﴿٢٢﴾﴾ تتنقلون من مكان إلى آخر.

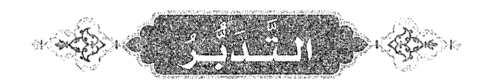
- ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٢٣﴾﴾ تجعلون بينكم وبين عذاب الله وقاية.

- ﴿فَقَالَ ٱلْمَلَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ﴾ الكبار والأشراف: ﴿مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ لم يتميّز عليكم بشيء ﴿يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ﴾ بالرسالة ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ﴾ أراد أن يرسل رسولاً ﴿لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً﴾ تقوم بواجب الرسالة ﴿مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا﴾ بإرسال الرسل ﴿فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾﴾ في من مضى منهم.

• ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌۢ بِهِۦ جِنَّةٌ﴾ مجنون ﴿فَتَرَبَّصُوا۟ بِهِۦ﴾ انتظروا ﴿حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٢٥﴾﴾ حين يأتيه الموت.

• ﴿قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٢٦﴾﴾ انتقم لي منهم.

• ﴿فَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ أَنِ ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ﴾ السفينة ﴿بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا﴾ بأمرنا لك، ومعونتنا، وأنت في حفظنا ورعايتنا ﴿فَإِذَا جَآءَ أَمْرُنَا﴾ بإرسال الطوفان ﴿وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ﴾ بالماء، والتنور الموقد ﴿فَٱسْلُكْ فِيهَا﴾ أدخل فيها ﴿مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ﴾ من كل جنس من الحيوانات ذكراً وأنثى ﴿وَأَهْلَكَ﴾ أدخلهم في السفينة ﴿إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ مِنْهُمْ﴾ كابنه ﴿وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ ۖ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٢٧﴾﴾ فلا فكاك لهم من العذاب.



التدبر

١ ـ حتى الغيث النازل من السماء ينزل بقدر، ويجري وفق حكمة الله تعالى ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍۭ بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ ﴿١٨﴾﴾.

٢ ـ ربط الأسباب بمسبباتها ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍۭ بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ ﴿١٨﴾ فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِۦ جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ لَّكُمْ فِيهَا فَوَٰكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْءَاكِلِينَ ﴿٢٠﴾﴾ جعل الله تعالى الغيث سبباً في حصول هذه الخيرات.

٣ ـ من الأرض ما يصلح للزيتون، ومنها ما لا يصلح لشيء، وكذلك القلوب منها ما يصلح لكلِّ شيء، ومنها ما يصلح لأشياء، ومنها ما لا يصلح لشيء أبداً ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍۭ بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ ﴿١٨﴾ فَأَنشَأْنَا

لَكُم بِهِۦ جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ لَّكُمْ فِيهَا فَوَٰكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْءَاكِلِينَ ﴿٢٠﴾﴾.

٤ ـ تأمل في هذه الأنعام، وما يُجري الله تعالى فيها من خيرات لهذا الإنسان ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِى ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٢١﴾ وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٢٢﴾﴾.

٥ ـ التوحيد هو الأصل الكبير الذي جاء به المرسلون ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٢٣﴾﴾.

٦ ـ كل دعوة لا تبدأ من هذا الطريق، ولا تنطلق من قاعدته، فهي إلى بوار ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٢٣﴾﴾.

٧ ـ التوحيد ليس (لا إله إلا الله) التي يرددها الخلق ولا يعرفون ما فيها، وإنما (لا إله إلا الله) التي تذكِّرك بأنه هو الذي ينفع ويضر، ويعطي ويمنع، ويهب ويرزق، كيف شاء، أين شاء، وفي الوقت الذي يشاء ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٢٣﴾﴾.

٨ ـ التوحيد الذي يدعو إليه الأنبياء أن تعلم أنه تعالى إذا رضي عنك أعطاك كل شيء، وأعانك على كل شيء، وفتح لك التوفيق في كل شيء ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٢٣﴾﴾.

٩ ـ التوحيد أن تعلم أن الذي يدير شأن الكون كله هو الله، وما عداه مخلوقون، لا ينفعون أنفسهم، فضلاً أن ينفعوك، أو يضروك بشيء ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٢٣﴾﴾.

١٠ ـ كم مرة وقف الكِبْرُ حائلاً دون كثير من الخيرات! ﴿ فَقَالَ ٱلْمَلَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾.

١١ ـ مشكلة الكِبْرِ أنه لا يعترف بأحد ﴿ فَقَالَ ٱلْمَلَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾.

١٢ ـ ﴿ مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ العقول المؤجرة لا تُقر بالحقائق، إلَّا من خلال وسائط!

١٣ ـ إلقاء التهم، وتشويش الأفكار، وبناء التصورات الخاطئة منهج الضالين منذ فجر التاريخ إلى يومنا هذا ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌۢ بِهِۦ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا۟ بِهِۦ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٢٥﴾ ﴾.

١٤ ـ ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌۢ بِهِۦ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا۟ بِهِۦ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٢٥﴾ ﴾ أحد الحلول التي يُطارَدُ بها الحق، وتُواجه بها الأفكار الجادة في الحياة.

١٥ ـ إذا بلغت وسعك، ولم تجد مجيباً لدعوتك وفكرتك ومشروعك؛ فمُدَّ يدك لرب السماء ﴿ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٢٦﴾ ﴾.

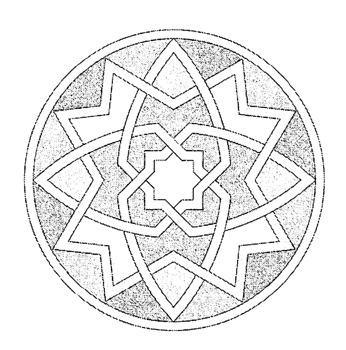
١٦ ـ هدايتك لإدارة شأن النهاية إجابة لدعائك ﴿ فَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ أَنِ ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ ۙ فَٱسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ مِنْهُمْ ۖ وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ ۖ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ هذه الهداية لصناعة الفُلك بعض آثار ذلك الدعاء.

١٧ ـ من حسن تربيتك لولدك وطالبك ومن سألك، ألَّا تعطي له حلولاً جاهزة، وإنما تدرِّبه على إدارة بعض الحلول بنفسه ﴿ فَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ أَنِ ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ ۙ فَٱسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ

وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ مِنْهُمْ ۖ وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ ۖ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾.

١٨ـ التربية التي لا يقوم المتربي بحظوظ العمل فيها، لا قيمة لها في واقعه ﴿ فَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ أَنِ ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ ۙ فَٱسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ مِنْهُمْ ۖ وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ ۖ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾.

❀ ❀ ❀



فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلْفُلْكِ فَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٨﴾ وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِى مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴿٢٩﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ وَإِن كُنَّا لَمُبْتَلِينَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ﴿٣١﴾ فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱلْءَاخِرَةِ وَأَتْرَفْنَٰهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴿٣٤﴾ أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ ﴿٣٥﴾ ۞ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ﴿٣٦﴾ إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٣٧﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُۥ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٣٩﴾ قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَّيُصْبِحُنَّ نَٰدِمِينَ ﴿٤٠﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ بِٱلْحَقِّ فَجَعَلْنَٰهُمْ غُثَآءً ۚ فَبُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤١﴾ ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قُرُونًا ءَاخَرِينَ ﴿٤٢﴾

التفسير

- ﴿فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلْفُلْكِ﴾ علوتم عليها، واستوت بكم ﴿فَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٢٨﴾﴾ احمدوا الله تعالى على نجاتكم.

- ﴿وَقُل رَّبِّ﴾ ادعوه دعاءً آخر ﴿أَنزِلْنِى مُنزَلًا مُّبَارَكًا﴾ بأن ينزلك من السـفينة منزلاً مباركاً ﴿وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴿٢٩﴾﴾ ثناءٌ على الله تعالى مناسبٌ للطلب.

- ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ﴾ عظات وعبر ﴿وَإِن كُنَّا لَمُبْتَلِينَ ﴿٣٠﴾﴾ بهذه الآيات.

- ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ﴾ من بعد قوم نوح ﴿قَرْنًا ءَاخَرِينَ ﴿٣١﴾﴾ قوماً آخرين.

- ﴿فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ فاعبـدوه ووحِّدوه ﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣٢﴾﴾ فتجعلون بينكم وبين عذاب الله وقاية.

- ﴿وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱلْـَٔاخِرَةِ وَأَتْرَفْنَـٰهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ الكبراء والأشراف ﴿مَا هَـٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴿٣٣﴾﴾ لا فرق بينكم وبينه.

- ﴿وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَـٰسِرُونَ ﴿٣٤﴾﴾ بطاعته فيما يأمركم به.

- ﴿أَيَعِدُكُمْ﴾ هذا الرسول ﴿أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَـٰمًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ ﴿٣٥﴾﴾ تبعثون من جديد.

- ﴿هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ﴿٣٦﴾﴾ بعيد بعيد ما يعدكم به.

- ﴿إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٣٧﴾﴾ بعد الموت.

- ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ﴾ هذا الرسـول مجرّد رجلٍ مثلكم ﴿ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ كذب في زعمه أنه رسول من عند الله ﴿وَمَا نَحْنُ لَهُۥ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٣٨﴾﴾ مصدِّقين.

• ﴿ قَالَ رَبِّ ٱنصُرۡنِي بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٣٩﴾ ﴾ انتقم لي منهم؛ بسبب تكذيبهم.

• ﴿ قَالَ عَمَّا قَلِيلٖ لَّيُصۡبِحُنَّ نَٰدِمِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾ انتظر قليلاً لتراهم نادمين على تكذيبهم لـك ﴿ فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلصَّيۡحَةُ ﴾ أي الرجفة ﴿ بِٱلۡحَقِّ فَجَعَلۡنَٰهُمۡ غُثَآءٗۚ ﴾ هشـيماً يابساً ﴿ فَبُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤١﴾ ﴾ ما أبعدهم عن الحق!

• ﴿ ثُمَّ أَنشَأۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِمۡ قُرُونًا ءَاخَرِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾ أمماً خَلَفَتْهم في الأرض.



التدبر

١ ـ يا لله! لو كنا نرصد للنعم ما تسـتحقه من حمد وشكر ﴿ فَإِذَا ٱسۡتَوَيۡتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلۡفُلۡكِ فَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٨﴾ ﴾ الحمـد لله الذي أنعم عليك، ويسر لك الفُلك، وبلغك مناك، ونجّاك من القوم الظالمين!

٢ ـ ﴿ فَإِذَا ٱسۡتَوَيۡتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلۡفُلۡكِ فَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٨﴾ ﴾ ماذا لو تركه الله تعالى وَعَدُوَّه؟! صنع الله تعالى له كل شـيء، ثم سأله أن يعيد النعمة إلى مزجيها.

٣ ـ كم من نعمةٍ تحتاج إلى هذا الاعتراف في حياتنا ﴿ فَإِذَا ٱسۡتَوَيۡتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلۡفُلۡكِ فَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٨﴾ ﴾.

٤ ـ ركب سيارته، ورأى جِدَّتها، فحمد الله؛ ورأى سيارةً في الطريق دون مكيِّف في شدَّة الحر فحمد الله؛ ورأى أناساً يقطعون مسافات الطريق دون سيارة فحمد الله؛ ما أحوجنا لهذه الذكـرى! ﴿ فَإِذَا ٱسۡتَوَيۡتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلۡفُلۡكِ فَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٨﴾ ﴾.

٥ ـ إذا أحبَّك الله تعالى أرشـدك للخيرات ﴿فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلْفُلْكِ فَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٢٨﴾ وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِى مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴿٢٩﴾﴾ ما زال يعلِّمه ويلقِّنه ما يكتب له به النجاة!

٦ ـ أَحْسِـنْ إقبالك على الله تعالى، ودَعِ النهايات يتولاها الله تعالى، كيف يشاء ﴿فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلْفُلْكِ فَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٢٨﴾ وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِى مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴿٢٩﴾﴾.

٧ ـ الخطوات الأولى كفيلةٌ بصناعة نهايات التوفيق في الختام ﴿فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلْفُلْكِ فَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٢٨﴾ وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِى مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴿٢٩﴾﴾.

٨ ـ ﴿فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلْفُلْكِ فَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٢٨﴾ وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِى مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴿٢٩﴾﴾ رسالة في أن الله تعالى يتولى شأن عباده وأوليائه في كل شيء.

٩ ـ ﴿وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱلْـَٔاخِرَةِ وَأَتْرَفْنَـٰهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مَا هَـٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَـٰسِرُونَ ﴿٣٤﴾ أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَـٰمًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ ﴿٣٥﴾ ۞ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ﴿٣٦﴾ إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٣٧﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُۥ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٣٨﴾﴾ أتواصوا به! بل هم قوم طاغون! الفكرة والتهمة ذاتها، تاريخٌ ونسبٌ يجمع أهل الضلال في الطريق نفسه.

١٠ ـ كم من وهمٍ ألقى بأصحابه في تيه الضلال! ﴿أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَـٰمًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ ﴿٣٥﴾ ۞ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ﴿٣٦﴾ إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا

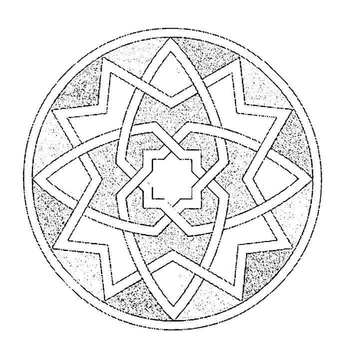
نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٣٧﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُۥ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٣٨﴾ ﴾.

١١ ـ ما توجَّه نبيٌّ ولا وليٌّ ولا صالحٌ إلـى ربه، إلَّا وجاءت الإجابة تتهادى بين يديـه ﴿ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٣٩﴾ قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَّيُصْبِحُنَّ نَٰدِمِينَ ﴿٤٠﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ بِٱلْحَقِّ فَجَعَلْنَٰهُمْ غُثَآءً فَبُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤١﴾ ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قُرُونًا ءَاخَرِينَ ﴿٤٢﴾ مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾.

١٢ ـ ما أكثر عوائد الدعاء على أصحابه! ﴿ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٣٩﴾ قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَّيُصْبِحُنَّ نَٰدِمِينَ ﴿٤٠﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ بِٱلْحَقِّ فَجَعَلْنَٰهُمْ غُثَآءً فَبُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤١﴾ ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قُرُونًا ءَاخَرِينَ ﴿٤٢﴾ مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾.

١٣ ـ الأجيال التي لا تقبل رسالة الله تعالى، ولا تحتفل بدينه، لا تستحقُّ البقاء في الأرض ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ بِٱلْحَقِّ فَجَعَلْنَٰهُمْ غُثَآءً فَبُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤١﴾ ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قُرُونًا ءَاخَرِينَ ﴿٤٢﴾ مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾.

❀ ❀ ❀



مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ ﴿٤٣﴾ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا ۖ كُلَّ مَا جَآءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ ۚ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضًا وَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ ۚ فَبُعْدًا لِّقَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٤٤﴾ ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَٰرُونَ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٤٥﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا عَالِينَ ﴿٤٦﴾ فَقَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ ﴿٤٧﴾ فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْلَكِينَ ﴿٤٨﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴿٥٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ﴿٥٢﴾ فَتَقَطَّعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٥٣﴾ فَذَرْهُمْ فِى غَمْرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٥٤﴾ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾ نُسَارِعُ لَهُمْ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ ﴿٥٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾

التفسير

- ﴿مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا﴾ لا تتقدَّمُ مَوْعِدَ هلاكها ﴿وَمَا يَسْتَـْخِرُونَ ﴿٤٣﴾﴾ عن موعدهم الذي قدَّره الله تعالى.
- ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا﴾ تتابع بعد ذلـك ﴿كُلَّ مَا جَآءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ﴾ فلم يمتثلوا أمره ﴿فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضًا﴾ في الهلاك ﴿وَجَعَلْنَـٰهُمْ أَحَادِيثَ﴾ يتحدث بها الناس ﴿فَبُعْدًا لِّقَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٤٤﴾﴾ فأبعد الله قوماً لا يؤمنون بالله تعالى.
- ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَـٰرُونَ﴾ بعد ذلك ﴿بِـَٔايَـٰتِنَا﴾ الدالَّة على رسالته ﴿وَسُلْطَـٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٤٥﴾﴾ حجَّةٍ بيِّنةٍ ظاهرة.
- ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَٱسْتَكْبَرُوا۟﴾ عن قبول الحق ﴿وَكَانُوا۟ قَوْمًا عَالِينَ ﴿٤٦﴾﴾ متكبرين.
- ﴿فَقَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا﴾ لا فرق بيننا وبينهم ﴿وَقَوْمُهُمَا﴾ بنو إسرائيل ﴿لَنَا عَـٰبِدُونَ ﴿٤٧﴾﴾ مطيعون خاضعون.
- ﴿فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْلَكِينَ ﴿٤٨﴾﴾ بالغرق في البحر.
- ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَـٰبَ﴾ التوراة ﴿لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾﴾ إلى قبول الحق.
- ﴿وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً﴾ كونها تحمل به من دون أب ﴿وَءَاوَيْنَـٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ﴾ مكان مرتفع ﴿ذَاتِ قَرَارٍ﴾ مستقر مريح ﴿وَمَعِينٍ ﴿٥٠﴾﴾ ماءٍ جارٍ.
- ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَـٰتِ﴾ ممـا أحـل الله تعالى ﴿وَٱعْمَلُوا۟ صَـٰلِحًا﴾ يقربكم إلى الله ﴿إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾﴾ لا يغيب عني من عملكم شيء.
- ﴿وَإِنَّ هَـٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ ملَّتكم ملة واحدة، وهي الإسـلام ﴿وَأَنَا۠

رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ ﴿٥٢﴾﴾ اجعلوا بينكم وبين عـذاب الله وقايةً بفعل أوامره، واجتناب نواهيه.

- ﴿فَتَقَطَّعُوٓاْ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ﴾ فتفرَّق أتباعهم بعدهـم في الدين ﴿زُبُرًا﴾ قِطَعاً ﴿كُلُّ حِزْبِۭ﴾ جماعة من هؤلاء ﴿بِمَا لَدَيْهِمْ﴾ مـن العلم والدين ﴿فَرِحُونَ ﴿٥٣﴾﴾ مستبشرون.
- ﴿فَذَرْهُمْ﴾ دَعْهُم ﴿فِى غَمْرَتِهِمْ﴾ في ضلالهم وغيِّهم ﴿حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٥٤﴾﴾ حين أجلهم.
- ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ﴾ نعطيهـم ﴿مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾﴾ مـن الأمـوال والأولاد.
- ﴿نُسَارِعُ لَهُمْ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ مسارعة لهم بذلك في الخيرات ﴿بَل لَّا يَشْعُرُونَ ﴿٥٦﴾﴾ أن ذلك نوع من الاستدراج.
- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾﴾ خائفون وَجِلُون.
- ﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾﴾ يصدِّقون؛ فيعملون بها.
- ﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾﴾ لا يجعلون له شريكاً.

التَّدَبُّر

١ ـ لا تستطيلوا أوان أقدار الهالكين، هم في الطريق إليها ﴿مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ ﴿٤٣﴾﴾.

٢ ـ للذين ملُّوا من بغي الظالمين، ويسألون: متى النصر؟! ﴿مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ ﴿٤٣﴾﴾.

٣ ـ هداية الناس إلى دين الله تعالى، وإخراجهم من الضلال والظلام، هي المهمة التي جاء بها الرسل، والمصلحون من بعدهم إلى يوم القيامة ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا كُلَّ مَا جَآءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبُعْدًا لِّقَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٤٤﴾﴾.

٤ ـ تكذيب الرسل ومعارضة المصلحين أصل في كل دعوة قامت لإعادة تأهيل الناس للحياة ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا كُلَّ مَا جَآءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبُعْدًا لِّقَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٤٤﴾﴾.

٥ ـ بدأ مشروعه في مجتمعه، ثم تنازل عنه بعد أيام، بحجة أن الناس لم تحتفل بالفكرة، ولم ترحب بالمشروع، هذه سيرة من لم يقرأ هذا الوحي بإمعان ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا كُلَّ مَا جَآءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبُعْدًا لِّقَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٤٤﴾﴾.

٦ ـ من لم يفقه العادة الجارية في حياة المصلحين لم يصبر على ما يلقاه في عرض الطريق ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا كُلَّ مَا جَآءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبُعْدًا لِّقَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٤٤﴾﴾.

٧ ـ إلى السائلين: متى يحين موعد النصر الكبير؟! ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا كُلَّ مَا جَآءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبُعْدًا لِّقَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٤٤﴾﴾.

٨ ـ كم مرة وقف الكبر حائلاً دون التوفيق! ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَٰرُونَ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٤٥﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا عَالِينَ ﴿٤٦﴾ فَقَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ ﴿٤٧﴾ فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْلَكِينَ ﴿٤٨﴾﴾ هذه ليست مشكلة فرعون وحده! بل مشكلة المصلحين مع الضالين والمضلين إلى يوم القيامة.

٩ ـ ﴿فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا عَالِينَ﴾ سارت في دثار طالبِ علمٍ، فلم يحضر درساً لعلماء، معتزّاً بقدراته وإمكاناته التي يجد كِبْرَها كل حين.

١٠ ـ ﴿فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا عَالِينَ﴾ هي التي قالت: حزبي أفضل من حزبك، وجماعتي أفطن من جماعتك، ومشروعي أبهج من مشروعك، وتجربتي أقوى من تجربتك، وجهتي الخيرية أفضل تجربةً وممارسةً من جهتك.

١١ ـ حتى شعورك القلبي بالتميُّز عن غيرك قد يلحقك بركب الضالين ﴿فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا عَالِينَ﴾.

١٢ ـ الكتب أنزلها الله تعالى هدايةً للعالمين، وعلى قدر إقبالك عليها تكون هدايتك ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾﴾.

١٣ ـ إذا رأيت حدثاً في الكون؛ فلا تعجل بتحليله حتى تستبين ﴿وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴿٥٠﴾﴾ كم من قائل في حقِّ مريم بسوء، وبَانَ له مع الأيام ما أراد الله تعالى!

١٤ ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾﴾ دعوة للرسل، وللمصلحين من بعدهم، ولعموم العالمين: لا تقعوا في الحرمات، لا تستبدلوا الذي هو أدنى بالذي هو خير.

١٥ ـ تحرَّس في أكلك غاية وسعك في مثل زمانك؛ فالحرام يطرق كل مكان ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾﴾.

١٦ ـ ما أكثر الذين يخالفون وصية الله تعالى في عالم اليوم ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾﴾.

١٧ ـ في مرَّات كثيرة لا تدري من أين دخل الخبث على صاحبه؛ مِنْ تأخُّرٍ وضياعٍ في الوظيفة اليومية، أو مِنْ غشٍّ في بيع أو شراء، أو مِنْ استحقاقِ ما ليس له ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾﴾.

١٨ ـ لا يغيب على الله تعالى من عملك شيء فتنبَّه ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ﴿٥١﴾ ﴾.

١٩ ـ حتى لو كان المال الداخل عليك من تخلُّفٍ في العمل، أو من زيادةٍ ليست لك، أو من انتدابٍ مغشوشٍ. كلُّ ذلك يجري في علم الله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ﴿٥١﴾ ﴾.

٢٠ ـ كم من درهمٍ مغشوشٍ أفسد مالاً صالحاً، وأضاعه في النهايات! ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ﴿٥١﴾ ﴾.

٢١ ـ ﴿ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱتَّقُونِ ﴿٥٢﴾ ﴾ رسالة في ثمن الوحدة وإعادة معالمها في تاريخ الأمة، وكل خلاف يمزِّق هذا الجسد ويخرق هذه الوحدة ويئد هذا الاجتماع الكبير مذموم مبغوض.

٢٢ ـ ﴿ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱتَّقُونِ ﴿٥٢﴾ ﴾ دعوة لكل الطوائف والأحزاب والجماعات أن تعي هذا المعنى وتعيد مشاهده في واقع الأمة من جديد.

٢٣ ـ أسوأ الحروب التي تواجه الأمة، هو هذا الخلاف العارض فيما بينها؛ كجماعات وأحزاب وفرق شتَّى ﴿ فَتَقَطَّعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡ زُبُرٗاۖ كُلُّ حِزۡبِۭ بِمَا لَدَيۡهِمۡ فَرِحُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾.

٢٤ ـ حين يتحوَّل الخلاف في ذاته إلى فرح وإعجاب وكبر ﴿ فَتَقَطَّعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡ زُبُرٗاۖ كُلُّ حِزۡبِۭ بِمَا لَدَيۡهِمۡ فَرِحُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾ تلك هي القواصم.

٢٥ ـ كان السلف يختلفون ويتألمون ويتأسفون، وهؤلاء يختلفون ويفرحون ويتكبرون ﴿ فَتَقَطَّعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡ زُبُرٗاۖ كُلُّ حِزۡبِۭ بِمَا لَدَيۡهِمۡ فَرِحُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾ ما أسوأ النهايات!

٢٦ ـ الذين لا يهتدون للاجتماع متوعَّدون بأسوأ النهايات ﴿ فَذَرۡهُمۡ فِي غَمۡرَتِهِمۡ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٥٤﴾ ﴾.

٢٧ ـ ﴿فَذَرْهُمْ فِي غَمْرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٥٤﴾﴾ دعهم يتخبَّطون في غيِّهم وخلافهم وكبرهم بأنهم على الحق حتى يحل بهم عذاب الله تعالى.

٢٨ ـ ﴿فَذَرْهُمْ فِي غَمْرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٥٤﴾﴾ متى أنتج الخلاف فرحاً استحق هذا النكال.

٢٩ ـ لا تغترّ بكثرة ما أعطاك الله تعالى، كم من نعمةٍ أراد الله تعالى بها الاستدراج! ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ ﴿٥٦﴾﴾ وكم من مُسْتَدْرَجٍ وهو لا يدري!

٣٠ ـ في مثل زمانك قد لا تجد مستشعِراً لهذا المعنى بالكلية ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ ﴿٥٦﴾﴾.

٣١ ـ إذا رأيته فرحاً بما في يديه وما يملكه، ولا يهب منه في توسيع دين الله تعالى، وربما أجرى بعض عمله على حساب دينه؛ فقد بلغ مشهد الخسران ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ ﴿٥٦﴾﴾.

٣٢ ـ كم من مالٍ لا يُجري صاحبه زكاته فضلاً من أن يهب ما يمد به في ساحات دين الله تعالى ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ ﴿٥٦﴾﴾.

٣٣ ـ كن فطناً! كلَّما رأيتَ نعمةً وافرةً في مساحتك؛ فأسبغ منها في دين الله تعالى، وأَجري منها مساحات الفضيلة ما استطعت ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ ﴿٥٦﴾﴾.

٣٤ ـ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾﴾ هذه نفوس الأتقياء، ومشاهد المؤمنين، في مساحات هذه الحياة.

❀ ❀ ❀

وَٱلَّذِينَ يُؤۡتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمۡ وَجِلَةٌ أَنَّهُمۡ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾
أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَهُمۡ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴿٦١﴾ وَلَا نُكَلِّفُ
نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۖ وَلَدَيۡنَا كِتَٰبٞ يَنطِقُ بِٱلۡحَقِّۚ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ﴿٦٢﴾
بَلۡ قُلُوبُهُمۡ فِي غَمۡرَةٖ مِّنۡ هَٰذَا وَلَهُمۡ أَعۡمَٰلٞ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ هُمۡ لَهَا
عَٰمِلُونَ ﴿٦٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذۡنَا مُتۡرَفِيهِم بِٱلۡعَذَابِ إِذَا هُمۡ يَجۡـَٔرُونَ
﴿٦٤﴾ لَا تَجۡـَٔرُواْ ٱلۡيَوۡمَۖ إِنَّكُم مِّنَّا لَا تُنصَرُونَ ﴿٦٥﴾ قَدۡ كَانَتۡ ءَايَٰتِي
تُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَكُنتُمۡ عَلَىٰٓ أَعۡقَٰبِكُمۡ تَنكِصُونَ ﴿٦٦﴾ مُسۡتَكۡبِرِينَ
بِهِۦ سَٰمِرٗا تَهۡجُرُونَ ﴿٦٧﴾ أَفَلَمۡ يَدَّبَّرُواْ ٱلۡقَوۡلَ أَمۡ جَآءَهُم مَّا لَمۡ يَأۡتِ
ءَابَآءَهُمُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ أَمۡ لَمۡ يَعۡرِفُواْ رَسُولَهُمۡ فَهُمۡ لَهُۥ مُنكِرُونَ
﴿٦٩﴾ أَمۡ يَقُولُونَ بِهِۦ جِنَّةُۢۚ بَلۡ جَآءَهُم بِٱلۡحَقِّ وَأَكۡثَرُهُمۡ لِلۡحَقِّ
كَٰرِهُونَ ﴿٧٠﴾ وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلۡحَقُّ أَهۡوَآءَهُمۡ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ
وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ بَلۡ أَتَيۡنَٰهُم بِذِكۡرِهِمۡ فَهُمۡ عَن
ذِكۡرِهِم مُّعۡرِضُونَ ﴿٧١﴾ أَمۡ تَسۡـَٔلُهُمۡ خَرۡجٗا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيۡرٞۖ
وَهُوَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٧٢﴾ وَإِنَّكَ لَتَدۡعُوهُمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٧٣﴾
وَإِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ عَنِ ٱلصِّرَٰطِ لَنَٰكِبُونَ ﴿٧٤﴾

التفسير

- ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا﴾ يقدِّمون لله تعالى ما يقدِّمون من الأعمال ﴿وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾ خائفة مشفقة ألَّا يقبل منهم ذلك ﴿أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴿٦٠﴾﴾ في يوم القيامة.

- ﴿أُولَٰئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ﴾ يبادرون فيها ﴿وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ ﴿٦١﴾﴾ سابقون إليها وسبقوا بها غيرهم.

- ﴿وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ لا نشقُّ على أحدٍ فوق قدرته ﴿وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنطِقُ بِالْحَقِّ﴾ كتاب أعمال الخلق ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٢﴾﴾ من حسابهم شيء.

- ﴿بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ﴾ مغمورة بالجهل والعمى عن الحق ﴿مِّنْ هَٰذَا﴾ من القرآن ﴿وَلَهُمْ أَعْمَالٌ﴾ من المعاصي ﴿مِّن دُونِ ذَٰلِكَ﴾ دون أعمال الكفر ﴿هُمْ لَهَا عَامِلُونَ ﴿٦٣﴾﴾.

- ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَخَذْنَا﴾ عاقبنا ﴿مُتْرَفِيهِم بِالْعَذَابِ﴾ المترفين والمتنعمين منهم ﴿إِذَا هُمْ يَجْأَرُونَ ﴿٦٤﴾﴾ يصيحون ويصرخون.

- ﴿لَا تَجْأَرُوا الْيَوْمَ﴾ لا تتوجَّعوا وتتألَّموا ﴿إِنَّكُم مِّنَّا لَا تُنصَرُونَ ﴿٦٥﴾﴾ لا تجدون مَنْ يدفع عنكم عذاب الله تعالى.

- ﴿قَدْ كَانَتْ آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ في الدنيا ﴿فَكُنتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ تَنكِصُونَ ﴿٦٦﴾﴾ تتأخرون عن سماع الحق.

- ﴿مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ﴾ بالحرم أنكم من أهله ﴿سَامِرًا﴾ وتسمرون بالليل بجواره ﴿تَهْجُرُونَ ﴿٦٧﴾﴾ على الكلام القبيح الذميم.

• ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ﴾ أفلم يتأمَّلوا ما جاء به القرآن ويتدبروه ﴿أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾﴾ منعهم من الإيمان أنه جاءهم رسولٌ وكتابٌ لم يأتِ آباءهم الأولين.

• ﴿أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا۟ رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٦٩﴾﴾ أو منعهم من الإيمان أنهم لا يعرفون رسولهم وينكرونه، بل قد عرفوه حقيقة، وعلموا ما جاء به.

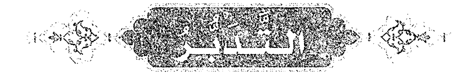
• ﴿أَمْ يَقُولُونَ بِهِۦ جِنَّةٌۢ﴾ مجنون ﴿بَلْ جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ﴾ لم يكن مجنوناً، وإنما مجيئه بالحق سبب اتهامهم له ﴿وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَـٰرِهُونَ ﴿٧٠﴾﴾ فلكرههم للحق قالوا ما قالوا.

• ﴿وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ﴾ فجاء على ما يريدون من الظلم والبغي والعدوان ﴿لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَـٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ﴾ خربت ﴿بَلْ أَتَيْنَـٰهُم بِذِكْرِهِمْ﴾ جئناهم بهذا القرآن، الذي فيه عزّهم وشرفهم ومجدهم ﴿فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ ﴿٧١﴾﴾ عن القرآن منشغلون.

• ﴿أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ خَرْجًا﴾ أجراً على دعوتك لهم؛ فَمَنَعَهُم ذلك من الإيمان بك ﴿فَخَرَاجُ رَبِّكَ﴾ أجره وعوضه ﴿خَيْرٌ﴾ من أجرهم ﴿وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٧٢﴾﴾ خير المُعطين.

• ﴿وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٣﴾﴾ طريق الحق.

• ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ عَنِ ٱلصِّرَٰطِ لَنَـٰكِبُونَ ﴿٧٤﴾﴾ ضالون منحرفون.



١ ـ ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾﴾ قراءةٌ في قلوب المتقين!

٢ ـ يتعبون، ويجهدون، ويستوفون شروط القبول، ويبقون خائفين وجلين ألَّا يُقبل منهم شيء ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴿٦٠﴾﴾ ما أحوجنا إلى إعادة هذه الصور في واقع قلوبنا من جديد!

٣ ـ لا تعجب، النفوسُ التي تُعظِّمُ ربَّها تصنع مثل هذه الفوارق في واقعها ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴿٦٠﴾﴾.

٤ ـ أين هذه الصورة ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴿٦٠﴾﴾ من إنسان قام في ليلةٍ وأصبح مُدِلَّاً على الله تعالى بما صنع؟!

٥ ـ هذه نفوس تعرَّفت على الله تعالى أولاً ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴿٦٠﴾﴾ وتجاوزت الصور!

٦ ـ ﴿ وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنطِقُ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٢﴾﴾ رسالة في يسر الشريعة وسماحتها، وأنها لا تكلِّف أحداً فوق ما يستطيع.

٧ ـ ﴿ وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ دعوةٌ لنبذ الأوهام والتصورات الخاطئة!

٨ ـ ﴿ وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ ردٌّ على كل الظنون التي تُردد أنها شريعة ضيقة حرجة، لا تراعي حاجة المكلفين.

٩ ـ ليس في الأرض شريعة تعامل الإنسان بإجلال كهذه الشريعة ﴿ وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾.

١٠ ـ لو قرئت هذه الشريعة قراءة إمعان، وبنفوس متجردة؛ لآمن بها العالم ﴿ وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾.

١١ ـ تنبَّه، كل عملك يجري في كتاب مسطور ﴿وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنطِقُ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾.

١٢ ـ كم من منشغلٍ عن هذه الحقيقة ببنيات الطريق ﴿وَلَدَيْنَا كِتَٰبٌ يَنطِقُ بِٱلْحَقِّ ۚ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾.

١٣ ـ ماذا لو أدركنا هذه الحقيقة، وجَهِدْنا في ملء هذا الكتاب بالحقائق ﴿وَلَدَيْنَا كِتَٰبٌ يَنطِقُ بِٱلْحَقِّ ۚ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾.

١٤ ـ حين تأتي الغفلة على كل شيء ﴿بَلْ قُلُوبُهُمْ فِى غَمْرَةٍ مِّنْ هَٰذَا وَلَهُمْ أَعْمَٰلٌ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ هُمْ لَهَا عَٰمِلُونَ ﴿٦٣﴾﴾.

١٥ ـ وما يصنعون بهذه الإفاقة بعد الفوات؟! ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِٱلْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْـَٔرُونَ ﴿٦٤﴾ لَا تَجْـَٔرُوا۟ ٱلْيَوْمَ ۖ إِنَّكُم مِّنَّا لَا تُنصَرُونَ ﴿٦٥﴾ قَدْ كَانَتْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ تَنكِصُونَ ﴿٦٦﴾ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِۦ سَٰمِرًا تَهْجُرُونَ ﴿٦٧﴾﴾.

١٦ ـ كل هذه الحجج التي قد يعتذر بها المتأسّـفون في ساحات القيامة ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا۟ رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٦٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ بِهِۦ جِنَّةٌۢ ۚ بَلْ جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴿٧٠﴾﴾ والحقيقة أن كل هذه أعذارٌ لا قيمة لها في تلك الأيام.

١٧ ـ هذه شريعة العليم الخبير! لو صارت تابعة للأهواء لخرب كل شيء ﴿وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ ﴿٧١﴾﴾.

١٨ ـ الأهواء والشـهوات كفيلة بتدمير العالم وخرابه ﴿وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ ﴿٧١﴾﴾.

١٩ ـ متى كانت الدعوة تأخذ مقابلاً على ربيعها؟! ﴿﴿٧١﴾ أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٧٢﴾﴾.

٢٠ ـ الدعوةُ التي تأخذُ مقابلاً على هداية الناس، لا تستحق أن تتنفّس في قلوبهم وأرواحهم كما تشاء ﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿٧٢﴾﴾.

٢١ ـ متى كانت هداية الناس تقوم على لعاعٍ عاجلٍ من الحياة؟! ﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿٧٢﴾﴾.

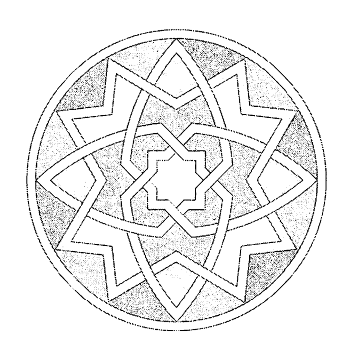
٢٢ ـ إذا شــرط في دعوته فندقاً مميَّزاً، أو سيارةً فارهة، أو درجةً أولى؛ فاضربوا عنه صفحاً، وإياكم أن تجعلوه يتقدَّمُ إلى الناس، وهو يناكف الوحي ﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿٧٢﴾﴾.

٢٣ ـ يا لشـناعتها! يدعون إلى الله تعالى، ويبنون بدعوتهـم صرحاً للدنيا ﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿٧٢﴾﴾.

٢٤ ـ الدعوة تصحيح للطريق، وتوجيه لمسار الحياة الطويل ﴿وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٣﴾﴾.

٢٥ ـ إجلال كل أمرٍ أو نهيٍ في شـريعة الله تعالى؛ هو الطريق إلى الحياة، وكل انحراف عن هذا الطريق؛ هو الهاوية ﴿وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٣﴾﴾.





۞ وَلَوۡ رَحِمۡنَٰهُمۡ وَكَشَفۡنَا مَا بِهِم مِّن ضُرّٖ لَّلَجُّواْ فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ
يَعۡمَهُونَ ﴿٧٥﴾ وَلَقَدۡ أَخَذۡنَٰهُم بِٱلۡعَذَابِ فَمَا ٱسۡتَكَانُواْ لِرَبِّهِمۡ
وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴿٧٦﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا فَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَابٗا ذَا عَذَابٖ شَدِيدٍ
إِذَا هُمۡ فِيهِ مُبۡلِسُونَ ﴿٧٧﴾ وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ
وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۚ قَلِيلٗا مَّا تَشۡكُرُونَ ﴿٧٨﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي ذَرَأَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ
وَإِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ﴿٧٩﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ وَلَهُ ٱخۡتِلَٰفُ
ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿٨٠﴾ بَلۡ قَالُواْ مِثۡلَ مَا قَالَ
ٱلۡأَوَّلُونَ ﴿٨١﴾ قَالُوٓاْ أَءِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا
لَمَبۡعُوثُونَ ﴿٨٢﴾ لَقَدۡ وُعِدۡنَا نَحۡنُ وَءَابَآؤُنَا هَٰذَا مِن قَبۡلُ إِنۡ هَٰذَآ
إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿٨٣﴾ قُل لِّمَنِ ٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهَآ إِن
كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ
﴿٨٥﴾ قُلۡ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبۡعِ وَرَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ
﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلۡ مَنۢ بِيَدِهِۦ
مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيۡهِ إِن
كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ فَأَنَّىٰ تُسۡحَرُونَ ﴿٨٩﴾

التفسير

- ﴿وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ﴾ أي هؤلاء المشركين ﴿وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ﴾ ورفعنا ما بهم من ضر ﴿لَّلَجُّوا فِي طُغْيَانِهِمْ﴾ استمروا في غيِّهم وفسادهم ﴿يَعْمَهُونَ ﴿٧٥﴾﴾ يتردَّدون.
- ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ﴾ ابتليناهم بالمصائب والشدائد ﴿فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ﴾ فما خشعوا لله تعالى ﴿وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴿٧٦﴾﴾ وما دعوا للفرج ممَّا أصابهم.
- ﴿حَتَّىٰ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ يُخْزَون فيه ويذلُّون ﴿إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٧﴾﴾ آيسون من رحمة الله.
- ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ﴾ الذي تسمعون به ﴿وَالْأَبْصَارَ﴾ التي تبصرون بها ﴿وَالْأَفْئِدَةَ﴾ القلوب التي تفقهون بها ﴿قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾﴾ هذه النعم.
- ﴿وَهُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ خلقكم فيها ﴿وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٩﴾﴾ تُجمعون بعد موتكم وبعثكم.
- ﴿وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي﴾ خلقه بعد أن كانوا نطفاً ﴿وَيُمِيتُ﴾ بعد أن كانوا أحياءً ﴿وَلَهُ اخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ تعاقبهما وتناوبهما ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٨٠﴾﴾ قدرة الله تعالى في كل ما ترون.
- ﴿بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ ﴿٨١﴾﴾ سلكوا مثل طريقهم.
- ﴿قَالُوا أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٨٢﴾﴾ يستبعدون بعثهم.
- ﴿لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا هَٰذَا﴾ البعث ﴿مِن قَبْلُ﴾ هذا الزمن ﴿إِنْ هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٨٣﴾﴾ قصصهم وأخبارهم.

• ﴿قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾﴾ مَنْ الخالق الموجد للأرض ومن فيها؟!

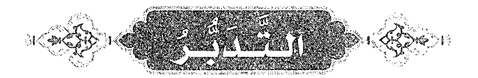
• ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ﴾ هو خالقها ﴿قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾﴾ ما ينفعكم ويعظكم في ذلك.

• ﴿قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾﴾.

• ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ﴾ يعترفون، ويقرُّون أنها لله تعالى ﴿قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾﴾ فتقومون لله تعالى بعبادته.

• ﴿قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ ملك كل شيء ﴿وَهُوَ يُجِيرُ﴾ عباده من كل مكروه ﴿وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ﴾ لا يقدر عليه أحدٌ من العالمين ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾﴾.

• ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ﴾ فهو الذي يملك كل شيء ﴿قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾﴾ أين تذهب عقولكم؟!



ٱلتَّدَبُّرُ

١ ـ القلوب الغافلة غالباً لا تنتفع بالحوادث ﴿وَلَوْ رَحِمْنَٰهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ لَّلَجُّوا۟ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٥﴾ وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ فَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴿٧٦﴾﴾.

٢ ـ من فقهك وكمال وعيك، أن تجعل كل حال وموقف في حياتك موطناً للعظة والعبرة ﴿وَلَوْ رَحِمْنَٰهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ لَّلَجُّوا۟ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٥﴾ وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ فَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴿٧٦﴾﴾.

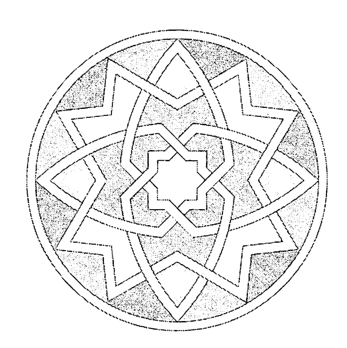
٣ ـ إذا بسط الله تعالى لك توفيقه، أو أجرى عليك بشيءٍ من الابتلاء؛ فاجعل درس التذكر منك على بال ﴿وَلَوْ رَحِمْنَٰهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ لَّلَجُّوا۟ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٥﴾ وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ فَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴿٧٦﴾﴾.

٤ ـ خذ جولة على هذه النعم، وتأمَّل حق الله تعالى عليك ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٩﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ وَلَهُ ٱخْتِلَٰفُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٨٠﴾﴾.

٥ ـ غياب الرؤية وراء كثير من الانحرافات ﴿بَلْ قَالُوا۟ مِثْلَ مَا قَالَ ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٨١﴾ قَالُوٓا۟ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٨٢﴾ لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا هَٰذَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٨٣﴾﴾.

٦ ـ ﴿قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾﴾ إعادةٌ لتصحيح الرؤية، وتوجيهُ البُوْصلةِ من جديدٍ.





بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِٱلْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٩٠﴾ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ
وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا
بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ عَٰلِمِ
ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٩٢﴾ قُل رَّبِّ إِمَّا
تُرِيَنِّى مَا يُوعَدُونَ ﴿٩٣﴾ رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِى فِى ٱلْقَوْمِ
ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٩٤﴾ وَإِنَّا عَلَىٰٓ أَن نُّرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَٰدِرُونَ ﴿٩٥﴾
ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَۚ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴿٩٦﴾
وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ
رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ
ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُۚ كَلَّآۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ
هُوَ قَآئِلُهَاۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾ فَإِذَا نُفِخَ
فِى ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿١٠١﴾
فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ
خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ
خَٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَٰلِحُونَ ﴿١٠٤﴾

التفسير

- ﴿بَلۡ أَتَيۡنَٰهُم بِٱلۡحَقِّ﴾ بهذا الدين ﴿وَإِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ٩٠﴾ في كل ما قالوه.
- ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ﴾ ليس له ولد ﴿وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنۡ إِلَٰهٍ﴾ يشاركه في تدبير الكون ﴿إِذٗا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهِۭ بِمَا خَلَقَ﴾ فلو كان معه إله يشاركه في ذلك؛ لانفرد كل إله بما يملك ﴿وَلَعَلَا بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ﴾ فيكون الغالب إلهاً ﴿سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ٩١﴾ تعالى الله عمَّا يصف هؤلاء من الولد والشريك.
- ﴿عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٩٢﴾ تعاظم عن الشركاء والأنداد.
- ﴿قُل رَّبِّ إِمَّا تُرِيَنِّي مَا يُوعَدُونَ ٩٣ رَبِّ فَلَا تَجۡعَلۡنِي فِي ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ٩٤﴾ قل يا محمد: إن تريني في هؤلاء المشركين ما تعدهم من عذابك؛ فلا تهلكني معهم.
- ﴿وَإِنَّا عَلَىٰٓ أَن نُّرِيَكَ مَا نَعِدُهُمۡ﴾ من العذاب ﴿لَقَٰدِرُونَ ٩٥﴾ في أي وقت.
- ﴿ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ﴾ قابل كل سيئة من الآخرين بالعفو والصفح والإحسان ﴿نَحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ٩٦﴾ الله تعالى أعلم بما يصفه به هؤلاء المشركون.
- ﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ﴾ أعتصم وألتجأ إلى الله ﴿مِنۡ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ٩٧﴾ مباشرة الشياطين لي، ومسِّهم وهمزهم بي ﴿وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحۡضُرُونِ ٩٨﴾ وأعوذ بك من حضورهم في أموري كلها.
- ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ قَالَ رَبِّ ٱرۡجِعُونِ ٩٩﴾ إلى الدنيا.

• ﴿ لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحٗا فِيمَا تَرَكۡتُۚ ﴾ فيما فرَّطت في أيام الدنيا ﴿كَلَّآۚ ﴾ لا رجعة له ﴿إِنَّهَا ﴾ مقالته التي يتمنى فيها ﴿ كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَاۖ ﴾ مجرَّد كلمة لا أثر لهـــا ﴿وَمِن وَرَآئِهِم﴾ أمامهم ﴿بَرۡزَخٌ﴾ حاجز وفاصل بيـــن الدارين، وهو القبر ﴿إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ١٠٠﴾ يوم القيامة.

• ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ ﴾ نفخة البعث ﴿فَلَآ أَنسَابَ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ﴾ لا صِلات ولا رحم ﴿وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ١٠١﴾ عن بعضهم البعض؛ لشدَّة ما يرون.

• ﴿فَمَن ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ بالحسنات ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ١٠٢﴾ الفائزون.

• ﴿ وَمَنۡ خَفَّتۡ مَوَٰزِينُهُۥ ﴾ من الحســنات ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ﴾ أضاعوها وغبنوها ﴿فِي جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ١٠٣﴾ لا يخرجون منها.

• ﴿ تَلۡفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ﴾ تسفعها وتحرقها ﴿وَهُمۡ فِيهَا ﴾ في النار ﴿كَٰلِحُونَ ١٠٤﴾ عابسون.



١ ـ ليست مشكلة الضالِّ في عدم بلوغ الحق ووضوحه، مشكلته الكبرى مع نفسه ﴿بَلۡ أَتَيۡنَٰهُم بِٱلۡحَقِّ وَإِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ٩٠﴾ ما زال مصرًّا على الكذب.

٢ ـ مناقشة الشبه العقلية والردُّ عليها منهجٌ قرآني ﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٖ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنۡ إِلَٰهٍۚ إِذٗا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهِۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ٩١ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٩٢ ﴾.

٣ ـ حتى النفوس الكبيرة تجد مضض الألم، وتعيش أحداثه في نفوسها ﴿قُل رَّبِّ إِمَّا تُرِيَنِّي مَا يُوعَدُونَ ٩٣ ﴾.

٤ ـ من حق الكبار أن يسألوا شفاء قلوبهم من المعرضين ﴿قُل رَّبِّ إِمَّا تُرِيَنِّي مَا يُوعَدُونَ ۝٩٣﴾.

٥ ـ القلوب الكبيرة تقيم لربها شأناً عظيماً! دفع كل ما يملك من أجل ربه، ويسأله في النهاية ألَّا يجعله في زمر الظالمين الهالكين ﴿رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٩٤﴾ ما أحوجنا لهذا الفقه!

٦ ـ أين هذا الفقه ممَّن يقدم فضلاً عارضاً، كأنما يقتطع به صكًّا للجنان ﴿رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٩٤﴾.

٧ ـ من علامات الكبار إجلالهم لربهم، وخوفهم من وعيده وعذابه ﴿رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٩٤﴾.

٨ ـ كم في ساحات الحياة من مشاهد على هذا الوعد الكبير! ﴿وَإِنَّا عَلَىٰٓ أَن نُّرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَٰدِرُونَ ۝٩٥﴾.

٩ ـ إذ ارتاب قلبك من تأخر نصر الله تعالى؛ فاقرأ في سير الغابرين، أو مُدَّ نظرك في تاريخك القريب؛ فسترى الحقائق رأي عين ﴿وَإِنَّا عَلَىٰٓ أَن نُّرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَٰدِرُونَ ۝٩٥﴾.

١٠ ـ ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ ۚ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ۝٩٦﴾ منهج في الاستعلاء على هيشات السفهاء!

١١ ـ المشغولون بالصراع العاجل، تفوتهم روح هذا الاستعلاء ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ ۚ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ۝٩٦﴾.

١٢ ـ إن كنت صادقاً في أن ما تبذله لربك؛ فلا عليك من قطَّاع الطريق ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ ۚ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ۝٩٦﴾.

١٣ ـ حين تأخذ بهذه الوصية ﴿ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ٱلسَّيِّئَةَۚ نَحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ٩٦﴾ في تعاملك مع المسيء إليك، يعود فيسأل عن مباهج دينك التي أوجبت لك هذا التفوّق.

١٤ ـ صحّح نيّتك، وأدِرْ شأن قلبك تُعَنْ على هذا الخُلق الكبير ﴿ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ٱلسَّيِّئَةَۚ نَحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ٩٦﴾.

١٥ ـ كل ما يجري عليك في هذا الطريق لا يغيب عن ربك منه شيء؛ فتجمّل للنهايات ﴿ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ٱلسَّيِّئَةَۚ نَحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ٩٦﴾.

١٦ ـ الذين يخفقون في هذا الاستعلاء، هم الذين فاتهم أن الله تعالى يرى ويرقب كل شيء ﴿ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ٱلسَّيِّئَةَۚ نَحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ٩٦﴾ ما أحوجنا لدرس العقيدة من جديد!

١٧ ـ تخلَّص من حولك وقوتك وقدرتك، وسَلِ الله تعالى أن يحميك من الشياطين ﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنۡ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ٩٧ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحۡضُرُونِ ٩٨﴾.

١٨ ـ لا تستخفَّن بما تصنعه الشياطين، وسَلِ الله تعالى أن يعافيك ﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنۡ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ٩٧ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحۡضُرُونِ ٩٨﴾.

١٩ ـ كم من عثرات تركها الشيطانُ عند الغفلات! ﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنۡ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ٩٧ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحۡضُرُونِ ٩٨﴾.

٢٠ ـ هذه أماني الراحلين؛ فإياك وفوات الفرص! ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ قَالَ رَبِّ ٱرۡجِعُونِ ٩٩ لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحٗا فِيمَا تَرَكۡتُۚ كَلَّآۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَاۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرۡزَخٌ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ١٠٠﴾.

٢١ ـ يـا لمرارتها على لسـان صاحبهـا! ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾﴾.

٢٢ ـ ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ رسـالة للمغترِّين بالحياة، المنشغلين بلهوها العارض!

٢٣ ـ يردد هذه الآية، وما زال يتخلَّف عن صلاة الجماعة، ولا يقيم شأناً لسننها، وتطول أيامه عـن ورد القرآن، ولا علاقة له برحمه، وتذبـل في حياته كثير من الصالحات! ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ مثل هذا متى يفيق؟!

٢٤ ـ هـل تخيَّلت هذا المعنى يوماً مـا؟ ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿١٠١﴾﴾.

٢٥ ـ تراهم وتعرفهم، وتذكر كلَّ شيء معهم، لكن كأنك لم تلق أحداً منهم يوماً ما في حياتك كلها من شدة الهول ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿١٠١﴾﴾.

٢٦ ـ ثمَّة لحظات لا تنفع فيها الوشائجُ ولا العلائقُ ولا الأنسابُ شيئاً ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿١٠١﴾﴾.

٢٧ ـ ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿١٠١﴾﴾ مـع الحقائق وجهاً لوجه!

٢٨ ـ هذه نتائج الحياة الكبرى! ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾.

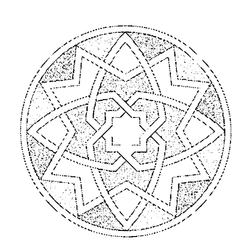
٢٩ ـ استعدَّ، فليس من شيء في ذلك اليوم سوى الموازين ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾.

٣٠ ـ هذا ميزانك في ذلك اليوم، يمكنك أن تكاثر بكلِّ شيء ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾.

٣١ ـ ليس من حقِّ رحلة الضياع أن توزن، إلَّا لتقرير ذلك الضياع ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَٰلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾.

٣٢ ـ ماذا بقي من الشهوات التي أورثت هذا الضياع؟! ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَٰلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾.





أَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٠٥﴾ قَالُواْ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ ﴿١٠٦﴾ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ﴿١٠٧﴾ قَالَ ٱخْسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾ إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِى يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِى وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿١١٠﴾ إِنِّى جَزَيْتُهُمُ ٱلْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوٓاْ أَنَّهُمْ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿١١١﴾ قَٰلَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُواْ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسْـَٔلِ ٱلْعَآدِّينَ ﴿١١٣﴾ قَٰلَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١٤﴾ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾ وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾ وَقُل رَّبِّ ٱغْفِرْ وَٱرْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١١٨﴾

التفسير

• ﴿أَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ لم تصدِّقوها فتعملوا بها ﴿قَالُوا۟ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا﴾ غلبت علينا شقاوتنا في الدنيا، وإعراضنا عن الحق ﴿وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ ﴿١٠٦﴾﴾ عن الطريق.

• ﴿رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا﴾ من النار ﴿فَإِنْ عُدْنَا﴾ إلى ما كنا عليه من الظلم والمعاصي ﴿فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ﴿١٠٧﴾﴾ لأنفسنا، ونستحق ما يأتينا من عذاب.

• ﴿قَالَ ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾﴾ اقعدوا فيها ذليلين مَخْزِيين.

• ﴿إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِى﴾ من أهل الإيمان ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا﴾ بالله تعالى ﴿فَٱغْفِرْ لَنَا﴾ ما سلف من ذنوبنا ﴿وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٠٩﴾﴾ خير من رحم.

• ﴿فَٱتَّخَذْتُمُوهُمْ﴾ الكفرة ﴿سِخْرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِى﴾ تهزؤون بهم، وتحتقرونهم حتى كان ذلك سبباً في نسيانكم ذكر الله تعالى ﴿وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿١١٠﴾﴾ تتعجبون.

• ﴿إِنِّى جَزَيْتُهُمُ ٱلْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوٓا۟﴾ نالوا ذلك النعيم؛ بسبب الصبر ﴿أَنَّهُمْ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿١١١﴾﴾ الرابحون يوم القيامة.

• ﴿قَٰلَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١٢﴾﴾ كم بقيتم في الأرض من مدَّة.

• ﴿قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ لا تزيد على ذلك ﴿فَسْـَٔلِ ٱلْعَآدِّينَ ﴿١١٣﴾﴾ الضابطين للعدد.

• ﴿قَٰلَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١٤﴾﴾ مهما لبثتم في الدنيا؛ فإن ذلك قليل في مقابل الآخرة.

• ﴿أَفَحَسِبْتُمْ﴾ أيها الناس ﴿أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا﴾ لا هدف لكم ولا غاية ﴿وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾﴾ يوم القيامة.

• ﴿فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ﴾ تعاظـم وتقـدَّس ﴿لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾﴾ رب العرش أعظم المخلوقات.

• ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ﴾ فيشرك به ﴿لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ﴾ لا حجَّة له على ذلك ﴿فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ﴾ يوم القيامة ﴿إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴿١١٧﴾﴾ لا يتوفَّقون لعمل خير.

• ﴿وَقُل رَّبِّ اغْفِرْ﴾ ذنوبنا ﴿وَارْحَمْ﴾ أحوالنا ﴿وَأَنتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴿١١٨﴾﴾ أفضلهم وأحسنهم.

التَّدَبُّر

١ ـ ﴿أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ سؤال تبكيت وتقريع!

٢ ـ ﴿قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ ﴿١٠٦﴾﴾ حقيقـة متأخرة جداً قد فات أوانها.

٣ ـ كن فطناً، إياك أن يتكرر عليك هذا السؤال والاعتراف ﴿أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٠٥﴾ قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ ﴿١٠٦﴾﴾.

٤ ـ ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ ﴿١٠٧﴾﴾ كـم هـي الفرص الممكنة للحيلولة دون هذا السؤال؟!

٥ ـ هذا رجاء المفرطين ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ ﴿١٠٧﴾﴾ فما أنت صانع في الفرص نفسها؟!

٦ ـ هل بلغك جوابٌ أسوأ على أصحابه من هذا الجواب ﴿قَالَ ٱخۡسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ١٠٨﴾؟!

٧ ـ في أعظم مواقف الرجاء تأتي أعظم الردود حسرةً وندامة ﴿قَالَ ٱخۡسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ١٠٨﴾.

٨ ـ ﴿إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٞ مِّنۡ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ١٠٩ فَٱتَّخَذۡتُمُوهُمۡ سِخۡرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوۡكُمۡ ذِكۡرِي وَكُنتُم مِّنۡهُمۡ تَضۡحَكُونَ ١١٠﴾ هذه المشكلة الكبرى لأهل الضلال!

٩ ـ ما لهم وللصالحين! ليتهم انشغلوا بأنفسهم ﴿إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٞ مِّنۡ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ١٠٩ فَٱتَّخَذۡتُمُوهُمۡ سِخۡرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوۡكُمۡ ذِكۡرِي وَكُنتُم مِّنۡهُمۡ تَضۡحَكُونَ ١١٠﴾.

١٠ ـ هل تخيلت أن الانشغال بالآخرين، يفضي بك إلى نسيان حياتك، وضياع عمرك! ﴿إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٞ مِّنۡ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ١٠٩ فَٱتَّخَذۡتُمُوهُمۡ سِخۡرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوۡكُمۡ ذِكۡرِي وَكُنتُم مِّنۡهُمۡ تَضۡحَكُونَ ١١٠﴾.

١١ ـ كم من عمرٍ ضاع في أحاديث ولقاءات لا قيمة لها في الحياة! ﴿إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٞ مِّنۡ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ١٠٩ فَٱتَّخَذۡتُمُوهُمۡ سِخۡرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوۡكُمۡ ذِكۡرِي وَكُنتُم مِّنۡهُمۡ تَضۡحَكُونَ ١١٠﴾.

١٢ ـ هذا صنع، وذاك فعل، وثالث أخطأ، ورابع أحدث، وخامس وسادس وعاشر، ثم لا شيء ﴿إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٞ مِّنۡ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ١٠٩ فَٱتَّخَذۡتُمُوهُمۡ سِخۡرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوۡكُمۡ ذِكۡرِي وَكُنتُم مِّنۡهُمۡ تَضۡحَكُونَ ١١٠﴾.

١٣ ـ وسائل التواصل الاجتماعي صورةٌ من صور هذا المعنى ﴿إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٞ مِّنۡ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ١٠٩ فَٱتَّخَذۡتُمُوهُمۡ سِخۡرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوۡكُمۡ ذِكۡرِي وَكُنتُم مِّنۡهُمۡ تَضۡحَكُونَ ١١٠﴾.

١٤ ـ هل تخيلت إنساناً يدفع عشرات الساعات في اليوم الواحد على صور وأحداث متعلقة بالآخرين، لا قيمة لها ﴿إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِى يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِى وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿١١٠﴾﴾.

١٥ ـ هذه نتائج العمل والصبر الطويل في سبيل الله تعالى ﴿إِنِّى جَزَيْتُهُمُ ٱلْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿١١١﴾﴾.

١٦ ـ لا تُلقِ بالاً لكلمة معارض في الطريق، دَعْهُ حتى يأتي موعد النهايات ﴿إِنِّى جَزَيْتُهُمُ ٱلْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿١١١﴾﴾.

١٧ ـ ﴿قَٰلَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسْـَٔلِ ٱلْعَآدِّينَ ﴿١١٣﴾﴾ هذه هي حقيقة الحياة كلها يوماً أو بعض يوم!

١٨ ـ كل نعيم لا يربطك بالآخرة لا قيمة له ﴿قَٰلَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسْـَٔلِ ٱلْعَآدِّينَ ﴿١١٣﴾﴾.

١٩ ـ مات بعض الجادين وهو في الثلاثين أو الأربعين، وخلَّف ما أبهج العالم، ومات كثيرون ممّن لا هدف لهم في الآخرة بعد المئة، ولم تبقَ لهم إلَّا الحسرات ﴿قَٰلَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسْـَٔلِ ٱلْعَآدِّينَ ﴿١١٣﴾﴾.

٢٠ ـ ما ضركم لو أنكم استثمرتم ذلكم القليل في الخيرات؟! ﴿قَٰلَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١٤﴾﴾.

٢١ ـ حاشا لله تعالى أن تكون هذه الحياة فوضى لا غاية لها ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾﴾.

٢٢ ـ غياب الرؤيـة وراء كثيرٍ من الخسـائر التـي تعم العالم في هـذا الزمان ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾﴾.

٢٣ ـ ما أكثر الأوهام التي اقتطعت جزءاً كبيراً من حياة العالمين ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ ۚ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴿١١٧﴾﴾ يدع الحقائق من أجل الأوهام!

٢٤ ـ تفشِّي الأوهام من أكبر العوائق التي وقفت دون غايات كثيرين ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ ۚ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴿١١٧﴾﴾.

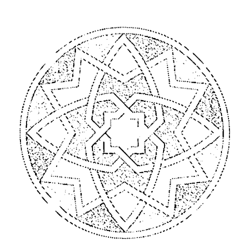
٢٥ ـ ثمَّة ميعاد لكل الضالِّين عن الطريق ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ ۚ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴿١١٧﴾﴾.

٢٦ ـ ﴿إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ وعدٌ من الحيِّ القيوم أَنَّ بين كل كافر والفلاح أمداً بعيداً.

٢٧ ـ ﴿إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ ولو صنعوا حضارة العالمين!

٢٨ ـ ﴿وَقُل رَّبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴿١١٨﴾﴾ رسالةٌ لكلِّ المصلحين: تذكروا أنكم أعجزُ عن إدارة مصالحكم وشأنكم لولا الله!





سُورَةُ النُّورِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سُورَةٌ أَنزَلْنَٰهَا وَفَرَضْنَٰهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَآ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١﴾ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ ٱلزَّانِى لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ۚ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا۟ لَهُمْ شَهَٰدَةً أَبَدًا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٤﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾ وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَٰجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَآءُ إِلَّآ أَنفُسُهُمْ فَشَهَٰدَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ ۙ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٦﴾ وَٱلْخَٰمِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٧﴾ وَيَدْرَؤُا۟ عَنْهَا ٱلْعَذَابَ أَن تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ ۙ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٨﴾ وَٱلْخَٰمِسَةَ أَنَّ غَضَبَ ٱللَّهِ عَلَيْهَآ إِن كَانَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٩﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾

التفسير

- ﴿سُورَةٌ أَنزَلْنَاهَا﴾ أنزلناها عليكم ﴿وَفَرَضْنَاهَا﴾ قدّرنا فيها حدوداً ﴿وَأَنزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ أحكاماً واضحة ﴿لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۝١﴾ بها أمر الله تعالى وعبادته.

- ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي﴾ البِكْرين ﴿فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ﴾ حدُّ الزاني غير المحصن ﴿وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ﴾ فتعطلون إقامة الحد عليهم لقرابة أو لصداقة ﴿إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ فإن مقتضى الإيمان الامتثال ﴿وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا﴾ عذاب الزاني والزانية ﴿طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ۝٢﴾ جماعة من المؤمنين.

- ﴿الزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً﴾ فلا تُقْدِمُ على نكاحه إلَّا مَنْ هي على مثل حاله في الزنى ﴿أَوْ مُشْرِكَةً﴾ لا تؤمن بشرع الله تعالى ﴿وَالزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَا إِلَّا زَانٍ﴾ فلا يقدم على نكاحها إلا شبيهٌ بها في ذلك ﴿أَوْ مُشْرِكٌ﴾ لا يؤمن بشرع الله تعالى ﴿وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ۝٣﴾ نكاح الزناة والزواني.

- ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ﴾ يتّهمون ﴿الْمُحْصَنَاتِ﴾ النساء العفيفات الطاهرات ﴿ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ﴾ على ما رموهم به ﴿فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً﴾ تعزيراً لهم ﴿وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا﴾ بعد ذلك ﴿وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ۝٤﴾ الخارجون عن طاعة الله تعالى.

- ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾ بعد رميهم للمحصنات بالزنى ﴿وَأَصْلَحُوا﴾ فعلهم من التهم الباطلة وسوء الظن إلى العدل، واحترام أعراض المسلمين ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ﴾ لذنبهم ﴿رَّحِيمٌ ۝٥﴾ بهم.

- ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ﴾ يتهمونهم بالزنى ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَاءُ﴾ من الناس ﴿إِلَّا أَنفُسُهُمْ﴾ شاهدوا ذلك ﴿فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ ۙ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ۝٦﴾ فيقول: أشهد بالله إني لصادقٌ فيما رميتها به، أربع مرات متتالية.

- ﴿وَٱلْخَٰمِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ۝٧﴾ بأن يتم هذه الشهادات بالدعاء على نفسه بقوله: فإن كنت كاذباً فعليَّ لعنة الله.

- ﴿وَيَدْرَؤُا۟ عَنْهَا ٱلْعَذَابَ﴾ يُدفع عنها العذابُ الحاصلُ عليها من إقامة الحد ﴿أَن تَشْهَدَ﴾ الزوجة ﴿أَرْبَعَ شَهَٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ ۙ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ۝٨﴾ فتقول: أشهد بالله إنه لمن الكاذبين، أربع مرات.

- ﴿وَٱلْخَٰمِسَةَ أَنَّ غَضَبَ ٱللَّهِ عَلَيْهَآ إِن كَانَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ۝٩﴾ وتؤكِّد في الخامسة: أن غضب الله عليَّ إن كان من الصادقين.

- ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ﴾ لعاجلكم بالعقوبة ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ﴾ على التائبين ﴿حَكِيمٌ ۝١٠﴾ في تدبير أمره وشرعه.

التَّدَبُّر

١ ـ القرآن حياةٌ ﴿سُورَةٌ أَنزَلْنَٰهَا وَفَرَضْنَٰهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَآ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۝١﴾ إنَّ الغاية التي أرادها الله تعالى من هذه السورة، تذكير عباد الله تعالى بأحكامها وآدابها، وما فيها من عبر وعظات.

٢ ـ من فضلك أدر شأن هذه السورة بإمعان ﴿سُورَةٌ أَنزَلْنَٰهَا وَفَرَضْنَٰهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَآ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۝١﴾ فإنها نزلت للذكرى!

٣ ـ اقرأ بقلبك ومشاعرك هذا المعنى ﴿سُورَةٌ أَنزَلْنَٰهَا وَفَرَضْنَٰهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَآ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۝١﴾ أليست كل سور القرآن أنزلها وفرضها؟! بلى، ولكن في هذه السورة ما هو حقيق بأن تهب له وقتك وعقلك.

٤ ـ تأمل قول ربك ﴿وَأَنزَلْنَا فِيهَآ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ﴾ أليس القرآن كله كذلك؟! بلى، ولكن فيها ما يتعلّق بالأعراض!

٥ ـ أعراض المسلمين في شريعة الله تعالى من الأهمية بمكان، وهذا البيان درسٌ كبيرٌ في شأن متسلّقي الأعراض ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾﴾.

٦ ـ الإسلام يربّي أتباعه على الطهر والعفاف والنقاء ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾﴾.

٧ ـ المجتمعات التي تُنتهك فيها الأعراض، لا يصلحها إلا التطهير، حتى ينجلي عنها كير الفواحش، وأدران الكبائر ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾﴾.

٨ ـ هل تصوّرت مجتمعاً أنيقاً، تجري فيه الحياة الكريمة، وهو يلغُ في الفواحش صباحاً ومساءً؟! أو هل تصورت مجتمعاً أفراده كلُّهم أو جزءٌ كبير منهم من نتاج الشوارع؟! ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾﴾.

٩ ـ فوضى الفواحش لا تصلحها إلا العقوبات الزاجرة ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾﴾.

١٠ ـ إذا أردت أن تعرف كيف ينظر الإسلام للزنى وأهله؛ فتأمل عقابه لشاب لم يتزوج، وهو الجلد أمام العالمين مئة جلدة، وبالتغريب عن بلده الذي مارس فيه الفاحشة عاماً كاملاً، وإن كان صاحب الجريمة محصن؛ فيرمى في الشارع العام بالحجارة حتى يودّع الدنيا ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾﴾.

١١ ـ هذه هي المرأة التي أرادها الإسلام أن تكون عنواناً للشرف والطهر والعفاف والفضيلة، لا تلك التي تلقي بنفسها في أحضان الرجال، دون وازع من عقل وشرع ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾﴾.

١٢ ـ العلاقة بين الرجل والمرأة أكبر من أن تبدأ من الشارع، وخلف الباب، وفي ظلام الليل، إن لم تُعلن على رؤوس الملأ؛ وإلّا تستحق هذا العقاب الكبير ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾﴾.

١٣ ـ ﴿وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ درس بأنَّ حمى الأعراض يستحق هذه الثورة الكبرى للتطهير!

١٤ ـ إياك أن تظن أن هذه العقوبة غلظة بغيضة في العقول! كلا إنها سور أمام الوالغين في الأعراض ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾﴾.

١٥ ـ الشريعة التي لا تسنُّ مثل هذه القوانين الصارمة أمام العابثين بالأعراض حقُّها الهوامش ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾﴾.

١٦ ـ كل معترض على هذا الحكم في قلبه زيغ لشــهوة أو شبهة، أما الأصفياء؛ فيقفون مبتهجين أمام نداء الشرف والطهر والعفاف ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجْلِدُوا كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ ۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾﴾.

١٧ ـ هذا الوجــه الحازم من الشــريعة، يجب أن يأخذ حقه فــي البيوت، ومواطن التربية، وكل مكان ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجْلِدُوا كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ ۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾﴾.

١٨ ـ حتى البيوت المتساهلة في العفاف والطهر والفضيلة ودَّعت كثيراً من قيمها ومبادئها دون إدراك ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجْلِدُوا كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ ۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾﴾.

١٩ ـ جرِّب إيمانك في مواطن المشاعر بالذات! ﴿وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾.

٢٠ ـ ﴿ٱلزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ۚ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾﴾ رسالة للمتساهلين في قضايا النكاح!

٢١ ـ من وسائل تطهير المجتمعات من مخلَّفات الزنى ألَّا يتم زواج الزانية حتى تتوب، وتصقل روحها بالتوبة، وإلا كان زواجها دياثة وفوضى ﴿ٱلزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ۚ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾﴾ ومن قبل بهذا فهو إما زانٍ أو مشرك والعياذ بالله.

٢٢ ـ بماذا يجيب الوالغون في الزنى من خلال الأسماء المستعارة للزواج عن هذه الآية ﴿ٱلزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ۚ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ

عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾﴾ يتزوج الواحد منهم امرأة، وهو يعلم أنه الرقم المئة، ولأسابيع محدودة، ثم يتركها لغيره من المنتظرين إلى أن يأتي دوره القادم.

٢٣ ـ كل زواج تمَّ تحت قناع الستر، ووراء الباب، وفي الظلام، ولا يعرف به سوى الرجل والمرأة وثالث غريب فهو من الزنى الذي شدد الله تعالى في النهي عنه، وأوجب عليه العقوبات ﴿ٱلزَّانِى لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ۚ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾﴾.

٢٤ ـ حرمة أعراض المسلمين ﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا۟ لَهُمْ شَهَٰدَةً أَبَدًا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٤﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾﴾.

٢٥ ـ يجب أن تُصان أعراض المسلمين عن كلِّ قالة سوء ﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا۟ لَهُمْ شَهَٰدَةً أَبَدًا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٤﴾﴾ ومن ولغ فيها بغير بيِّنة استحق قوارع التأديب.

٢٦ ـ النفوس التي لا ترعى حقوق الآخرين، وتستهين بأعراضهم تستحق هذه الزواجر من العقاب ﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا۟ لَهُمْ شَهَٰدَةً أَبَدًا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٤﴾﴾.

٢٧ ـ احترام الإسلام للإنسان، وتكريمه له، من خلال سنِّ الأنظمة، والعقوبات الكفيلة بردع المتهوكين في عرضه، والقائلين عليه دون بينات ﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا۟ لَهُمْ شَهَٰدَةً أَبَدًا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٤﴾﴾.

٢٨ ـ ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾﴾ دعوة للاستعتاب والندم والتوبة، والخلاص من أوضار الذنب قبل الفوات.

٢٩ ـ ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ وَأَصۡلَحُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٥﴾ رسالة في أن للأمل بقية في قادم الأيام.

٣٠ ـ ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ وَأَصۡلَحُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٥﴾ ما زال باب المستقبل مفتوحاً للتوبة.

٣١ ـ من رحمة الله تعالى أنه يهب فرصاً، ويبعث أملاً، ويترك مساحات لتحسين المستقبل ما أمكن ذلك ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ وَأَصۡلَحُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٥﴾.

٣٢ ـ أياً كانت مشكلتك فالشريعة وضعت لها حلاً، وكفلت لها مخرجاً ﴿وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ أَزۡوَٰجَهُمۡ وَلَمۡ يَكُن لَّهُمۡ شُهَدَآءُ إِلَّآ أَنفُسُهُمۡ فَشَهَٰدَةُ أَحَدِهِمۡ أَرۡبَعُ شَهَٰدَٰتِۭ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ٦ وَٱلۡخَٰمِسَةُ أَنَّ لَعۡنَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡهِ إِن كَانَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ٧ وَيَدۡرَؤُاْ عَنۡهَا ٱلۡعَذَابَ أَن تَشۡهَدَ أَرۡبَعَ شَهَٰدَٰتِۭ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ٨ وَٱلۡخَٰمِسَةَ أَنَّ غَضَبَ ٱللَّهِ عَلَيۡهَآ إِن كَانَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ٩﴾.

٣٣ ـ من كمال هذه الشريعة أنها صالحةٌ لكل زمان ومكان، وتستوعب ظروف الإنسان، ومشكلاته العارضة، وتسنُّ لها كل الأنظمة والحلول الكافية ﴿وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ أَزۡوَٰجَهُمۡ وَلَمۡ يَكُن لَّهُمۡ شُهَدَآءُ إِلَّآ أَنفُسُهُمۡ فَشَهَٰدَةُ أَحَدِهِمۡ أَرۡبَعُ شَهَٰدَٰتِۭ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ٦ وَٱلۡخَٰمِسَةُ أَنَّ لَعۡنَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡهِ إِن كَانَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ٧ وَيَدۡرَؤُاْ عَنۡهَا ٱلۡعَذَابَ أَن تَشۡهَدَ أَرۡبَعَ شَهَٰدَٰتِۭ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ٨ وَٱلۡخَٰمِسَةَ أَنَّ غَضَبَ ٱللَّهِ عَلَيۡهَآ إِن كَانَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ٩﴾.

٣٤ ـ كل هذه التشريعات من فضل الله تعالى على عباده، ورحمته بهم وحكمته ﴿وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ١٠﴾.

❀ ❀ ❀

إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ
خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ ۚ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ
كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾ لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ
وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾ لَّوْلَا
جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ ۚ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا۟ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ
عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٣﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ
فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِى مَآ أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾
إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ
وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ
قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ
﴿١٦﴾ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُوا۟ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾
وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ
يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ
فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَلَوْلَا
فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾

التفسير

- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلۡإِفۡكِ﴾ الكذب والبهتان، وهو رمي أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وأرضاها ﴿عُصۡبَةٞ مِّنكُمۡۚ﴾ جماعة منكم ﴿لَا تَحۡسَبُوهُ شَرّٗا لَّكُمۖ﴾ ذلك الإفك الحاصل ﴿بَلۡ هُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۚ﴾ بما حصل من آثاره من ذكر أم المؤمنين وبيت الصديق، ورفع شأنهم، ونزول القرآن بذلك، وكشف حقيقة المنافقين ﴿لِكُلِّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُم﴾ ممن شارك في الإفك ﴿مَّا ٱكۡتَسَبَ مِنَ ٱلۡإِثۡمِۚ﴾ قدره ونصيبه ﴿وَٱلَّذِي تَوَلَّىٰ كِبۡرَهُۥ مِنۡهُمۡ﴾ أدار شأن الإفك ودبَّره، وهو عبد الله بن أبي بن سلول ﴿لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٞ ١١﴾ يوم القيامة.
- ﴿لَّوۡلَآ إِذۡ سَمِعۡتُمُوهُ﴾ هلَّا إذ سمعتم هذا الإفك ﴿ظَنَّ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمۡ خَيۡرٗا﴾ ظنوا سلامة إخوانهم من ذلك الإفك، كما هو ظنهم بأنفسهم، لا فرق ﴿وَقَالُواْ هَٰذَآ إِفۡكٞ مُّبِينٞ ١٢﴾ كذب واضح بيِّن.
- ﴿لَّوۡلَا جَآءُو عَلَيۡهِ بِأَرۡبَعَةِ شُهَدَآءَۚ﴾ هلَّا جاؤوا على ذلك ببيِّنةٍ من أربعة شهداء ﴿فَإِذۡ لَمۡ يَأۡتُواْ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُوْلَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡكَٰذِبُونَ ١٣﴾ فيما قالوه وادعوه.
- ﴿وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ﴾ أيها الخائضون في أمر عائشة ﴿لَمَسَّكُمۡ فِي مَآ أَفَضۡتُمۡ فِيهِ﴾ تكلمتم به من ذلك ﴿عَذَابٌ عَظِيمٌ ١٤﴾ شديد.
- ﴿إِذۡ تَلَقَّوۡنَهُۥ بِأَلۡسِنَتِكُمۡ﴾ تتلقفونه، ويلقيه بعضكم إلى بعض ﴿وَتَقُولُونَ بِأَفۡوَاهِكُم مَّا لَيۡسَ لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞ﴾ بل أخذتم ذلك بالسماع ﴿وَتَحۡسَبُونَهُۥ هَيِّنٗا﴾ أمر الإفك ﴿وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٞ ١٥﴾ كبير خطير.
- ﴿وَلَوۡلَآ﴾ هلَّا ﴿إِذۡ سَمِعۡتُمُوهُ﴾ ذلك الإفك ﴿قُلۡتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا﴾ ما ينبغي ولا يليق بنا الحديث في ذلك ﴿سُبۡحَٰنَكَ هَٰذَا بُهۡتَٰنٌ عَظِيمٞ ١٦﴾ كذب كبير.

- ﴿ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُوا۟ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا ﴾ يذكِّركم الله تعالى من العودة إلى مثل هذا القيل ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾﴾ فإن الإيمان يردع صاحبه عن مثل ذلك.
- ﴿وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ ﴾ العبر والعظات ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ ﴾ بكل شيء ﴿حَكِيمٌ ﴿١٨﴾﴾ في تدبير خلقه، وما يصلح شأنهم.
- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَـٰحِشَةُ ﴾ الزنى ونحوه من الأعمال المستقبحة ﴿فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ في أهل الإيمان ﴿لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾﴾ بالعواقب في ذلك كله.
- ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ ﴾ لهلكتم فيما أفضتم فيه من البهتان والوزر العظيم ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾﴾ بعباده المؤمنين.

التَّدَبُّرُ

١ ـ الحرب الدائرة على الإسلام، وإثارة الفتن، وزعزعة الأمن، والتهكم بأعراض المسلمين هي قصة النفاق والمنافقين، في كل زمان ومكان ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ ۚ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾﴾.

٢ ـ مشكلة النفاق الكبرى أنه جزء من الصف، وواحد من الجماعة، وبضعة من الجسد ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ﴾ ويصنع كل شيء باسم الإسلام!

٣ ـ لم تواجه الأمة منذ فجر التاريخ إلى يومنا هذا أخطر من هذه الفئة، ولا أشد منها وقعاً في ثلم الإسلام، وفرقة أصحابه وأعوانه ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ﴾.

٤ ـ ماذا تصنع بمن يسكن بجوارك، ويصلي معك في المسجد، ويشهد محافل الإسلام، ويسمع حديث المسلمين، ويشهد جماعتهم، ثم يستثمر كل هذه المحاسن لهدم صرح الدين، وشل فكرته، ونقض عراه؟! ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ﴾.

٥ ـ ﴿لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ رسالة في أن كل مشكلة وأزمة، وظرف ومعاناة، وألم، مخلوفٌ بخير.

٦ ـ من عمق الحدث ينبعث فجر الأمل، وتشرق شمس الحق فيبدد السراج سجف الظلام! ﴿لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾.

٧ ـ أياً كانت مشكلتك التي تواجهك؛ فثمةَ نوافذ مشرعةٌ على الأمل، وأبواب تأتي بك على مساحات الربيع ﴿لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾.

٨ ـ لا تيأس، حتى وأنت في أحضان الفتن ستأتيك جداول من ربيع ﴿لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾.

٩ ـ مرضك المفاجىء، وقصَّتك مع زوجك، وحادث ولدك، وضياع مالك، والظروف القاهرة التي مرت بك، كلُّها بإذن الله تعالى مشاهد مفضية لآمال كثيرة؛ فلا تبتئس! ﴿لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾.

١٠ ـ في مرَّاتٍ كثيرةٍ بعد ما يأخذ منا البكاء حظَّه، واليأس موضعه، والندم مساحته، يأتي ربيع الأمل، ونكتشف في النهاية أن الله تعالى أراد أن يبني لنا من مواقف الإخفاق حياةً ﴿لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾.

١١ ـ وقع عليه حادث فَشُلَّ شللاً رباعياً، ثم كانت بدايته وتحوُّله من هامش التاريخ إلى مساحته الفاعلة ﴿لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾.

١٢ ـ دخل كلية الطب، وأمضى فيها أربع سنوات، ثم أخفق في مواصلة الطريق ليبدأ رحلته الجديدة في كلية الشريعة، وأصبح قاضياً فاعلاً، يدير شأن الأُمة، ويوسع في تحدياتها ﴿لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾.

١٣ ـ ولد له مولود أعمى وعاش بئيساً، ثم ما لبث أن حفظ القرآن، وأورد والده بعد ذلك مدارج الشرف والتكريم ﴿لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾.

١٤ ـ الجزاء من جنس العمل ﴿لِكُلِّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

١٥ ـ من جمال دينك أنه لا يُحمِّل كل إنسان إلا تبعات عمله، ولا يكلفه إلا ما كان له فيه جهد ومشاركة ﴿لِكُلِّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ﴾.

١٦ ـ لكلِّ مشروعٍ باطلٍ رأس ضلالة ﴿وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ فكن أنت أيها القارئ رأس الحق ورايته الكبرى في واقع الأحداث!

١٧ ـ كل قضية أو مشروع أو فكرة في الحق أو الباطل، ستجد أن وراءها مَنْ بدأها، ثم جمع لها لفيفاً من الأصدقاء ﴿وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ هذه سنة الحياة.

١٨ ـ ما أجمل مشاعر الإخاء ﴿لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾﴾ هلَّا ظنُّوا بإخوانهم كما ظنُّوا بأنفسهم!

١٩ ـ ماذا لو جرى في كل موقف تهمة على مسلم هذا الشعور من بقية المؤمنين! ﴿لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾﴾.

٢٠ ـ إذا بلغك عن أخيك شيء، فظُنَّ به كما تظنُّ بنفسك، وبادر إلى دفع تلك التهم، قبل أن تأخذ حيِّزها من واقع الآخرين ﴿لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾﴾.

٢١ ـ كمال ظنك بأخيك، يريحك من السؤال، وتتبع العثرات والأخطاء، وتحري أحداث السوء ﴿لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾﴾.

٢٢ ـ ظُنَّ بأخيك خيراً، ثم توسَّد فراشك، ودع أقوال الفارغين تذهب سدًى في مهب الريح ﴿لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُواْ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ۝١٢﴾.

٢٣ ـ إذا عَلِقَتْ الظنون بقلبك، وتهيأتَ للخوض فيها؛ فتلك دلائل ضعف إيمانك وإخائك ﴿لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُواْ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ۝١٢﴾.

٢٤ ـ حسن الظن من بواعث الإيمان الصادق، وسوء الظن دليلٌ على خراب القلوب ﴿لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُواْ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ۝١٢﴾.

٢٥ ـ دين الله تعالى يضع الحواجز الكفيلة لحفظ أعراض المسلمين ﴿لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ ۚ فَإِذْ لَمْ يَأْتُواْ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُوْلَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ۝١٣﴾.

٢٦ ـ لعلك تسأل لِمَ أربعة؟! لأن تشويه الأعراض لا يُبقي من بناء الإنسان شيئاً ﴿لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ ۚ فَإِذْ لَمْ يَأْتُواْ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُوْلَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ۝١٣﴾.

٢٧ ـ ما أكثر فضائل الله تعالى على عباده المؤمنين ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِى مَآ أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝١٤﴾ تاب عليهم بعد خطيئتهم، وفسح لهم طريق الأمل من جديد.

٢٨ ـ كم مرة نخطئ في حقوق الآخرين، ويمدُّ الله تعالى لنا في الطريق ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِى مَآ أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝١٤﴾.

٢٩ ـ جزء من مشكلاتنا أننا نتهافت على كثير من الأخبار بمجرد السماع ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ۝١٥﴾.

٣٠ ـ مؤسفٌ أن كثيراً من الأحداث التي تروج في الواقع، لا تأخذ حظَّها من التمحيص ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾﴾.

٣١ ـ سمعت من يلوم ويثرّب ويتّهم، وبعد زمن وقع في القضية نفسها، وكم من مفرّط بعد الفوات ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾﴾.

٣٢ ـ إياك أن تخوض في عرض مؤمن؛ فلربما عادت الدوائر عليك مع الأيام ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾﴾.

٣٣ ـ لا تستصغر ذنباً؛ فلربما ألقى بك في خواتيم السوء ﴿وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ﴾.

٣٤ ـ إذا أظلم قلبك، وساء طريقك، وتغيَّر حالك؛ فتذكَّر، لعلَّ ذنباً لم تُلق له بالاً، وهو عند الله عظيمٌ! ﴿وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ﴾.

٣٥ ـ إلى كل خائضٍ في عرض أخيه بسوء! تذكَّر هذا المعنى الكبير ﴿وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ﴾.

٣٦ ـ لكل جارحة سقطة، وسقطات اللسان موجبةٌ للخذلان ﴿وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ﴾.

٣٧ ـ إياك أن تستخفَّ بذنب؛ فلعله من هذا المعنى ﴿وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ﴾.

٣٨ ـ ما أجمل الورع! ﴿وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾﴾ قالت عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: سأل رَسُولُ اللهِ ﷺ زَيْنَبَ بِنْتَ جَحْشٍ

عَنْ أَمْرِي: «مَا عَلِمْتِ أَوْ مَا رَأَيْتِ»؛ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ أَحْمِي سَمْعِي وَبَصَرِي، وَاللهِ مَا عَلِمْتُ إِلَّا خَيْراً[1].

٣٩ ـ ﴿وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾﴾ صورةٌ من صور المجتمعات المتحضرة.

٤٠ ـ ﴿يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُواْ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾﴾ درسٌ للذكرى!

٤١ ـ الخطأ جِبِلِّيٌّ، لكنَّ تكرارَ المواقف لا يليق بأهل الإيمان ﴿يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُواْ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾﴾ مقتضى الإيمان ألّا نعود إلى الخطايا نفسها!

٤٢ ـ من رحمة الله تعالى هذا البيان الذي يعرضه لقرّاء هذا الوحي ﴿وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْأَيَٰتِۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٨﴾﴾.

٤٣ ـ نزِّه لسانك عن إشاعة قالة السوء، مهما بلغ شأنها ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةِۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾﴾.

٤٤ ـ حبُّ إشاعةِ الفواحش كافٍ لهذا الوعيد الكبير ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةِۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾﴾ يا لشناعة الفواحش!

٤٥ ـ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةِۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾﴾ هذا وعيد لمن أحب إشاعة الفاحشة في الذين آمنوا، فكيف بمن تبنَّى تلك القضية؛ فصنع لها مشروعاً، أو حمل رايتها؟!

---

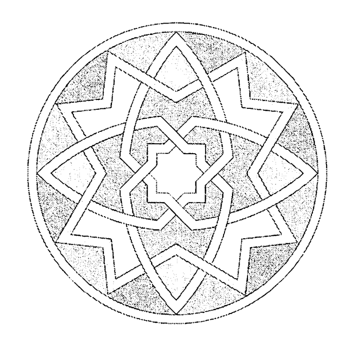
(١) أخرجه البخاري (٤١٤١) ومسلم (٢٧٧٠).

٤٦ ـ من إجلال الله تعالى إجلال أهل الإيمان ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ ألا تراه توعَّد المحبين لإشاعة الفاحشة فيهم!

٤٧ ـ من حقك أن تحتفل بإيمانك، وتصنع لاستقامتك في قلبك ومشاعرك موطناً، فالله يحبُّك ويدافعُ عنك ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ ﴾.

٤٨ ـ هذا هو النفاق، وتلك قصته التي يدفع بها في كل موطن ومساحة للإسلام! إذا أردت معرفة النفاق، فارصد له في أيام الفتن والأحداث، وستراه رأي العين! فهو أكثر من يتحرك، ويتكلم، ويعلِّق، ويلمز، ويتهم في أيام الفتن! ولا يكاد يترك ستراً إلَّا هتكه، ولا مشروعاً إلا خوَّن فيه، ولا صاحب راية إلا لمزه؛ فكن على بيِّنة من أمرك ، وإياك وأخلاق الإمَّعات!





۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَـٰنِ ۚ وَمَن يَتَّبِعْ
خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَـٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۚ وَلَوْلَا فَضْلُ
ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّى
مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢١﴾ وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ
وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينَ وَٱلْمُهَـٰجِرِينَ فِى
سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ
وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَـٰتِ ٱلْغَـٰفِلَـٰتِ
ٱلْمُؤْمِنَـٰتِ لُعِنُواْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾
يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ
﴿٢٤﴾ يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ
ٱلْمُبِينُ ﴿٢٥﴾ ٱلْخَبِيثَـٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَـٰتِ ۖ
وَٱلطَّيِّبَـٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَـٰتِ ۚ أُوْلَـٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ
مِمَّا يَقُولُونَ ۖ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٢٦﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُواْ لَا تَدْخُلُواْ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُواْ
وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهْلِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾

التفسير

- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ طرقه ووساوسه ﴿وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ﴾ ما تستفحشه العقول والشرائع ﴿وَٱلْمُنكَرِ﴾ كل ما تنكره العقول ولا تقره ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا﴾ ما تطهَّر ونما وشرف وزكى بالطاعة ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ﴾ بفضله ورحمته ﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ﴾ لكل قول ﴿عَلِيمٌ ﴿٢١﴾﴾ بكل فعل.

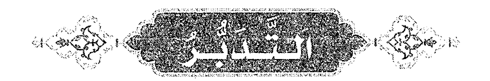
- ﴿وَلَا يَأْتَلِ﴾ ولا يحلف ﴿أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ﴾ الفضلاء منكم ﴿وَٱلسَّعَةِ﴾ من وسَّع الله تعالى عليهم من الرزق ﴿أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ فيمنعوا قراباتهم، أو المساكين والمهاجرين من فضل ما أعطاهم الله تعالى ﴿وَلْيَعْفُواْ﴾ عن كل متكلم في عرضه؛ كمسطح بن أثاثة ﴿وَلْيَصْفَحُوٓاْ﴾ يتركوا عقوبتهم ﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ إذا عفوتم وصفحتم ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ﴾ لكل ذنب ﴿رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾ بعباده المؤمنين.

- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ﴾ العفيفات ﴿ٱلْغَٰفِلَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ عن كل سوء وقبيح ﴿لُعِنُواْ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْأٓخِرَةِ﴾ أصابتهم لعنة الله تعالى في الدارين ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾﴾ يوم القيامة.

- ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾﴾ وذلك يوم القيامة ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ في ذلك اليوم ﴿يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ﴾ حسابهم ﴿وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ ﴿٢٥﴾﴾ في كل ما يصدر منه من خبر، أو وعد ووعيد.

• ﴿ ٱلۡخَبِيثَٰتُ لِلۡخَبِيثِينَ وَٱلۡخَبِيثُونَ لِلۡخَبِيثَٰتِ ﴾ كل خبيث من الرجال والنساء، والكلمات والأفعال مناسبٌ للخبيث، وموافق له ﴿ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ ﴾ وكل طيب من الرجال والنساء، والأفعال والأقوال مناسبٌ للطيب، وموافق له ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ﴾ كل عفيفة مؤمنة ﴿ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ ﴾ عنهم ﴿ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ ﴾ لذنوبهم ﴿ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ﴿٢٦﴾ ﴾ الجنة، وما فيها من نعيم.

• ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ بُيُوتِكُمۡ حَتَّىٰ تَسۡتَأۡنِسُواْ ﴾ تستأذنوا ﴿ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهۡلِهَا ﴾ بالتحية المعروفة ﴿ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ ﴾ الاستئذان والسلام ﴿ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ ما أمركم الله تعالى به من الأقوال والأعمال.



١ ـ الخطوات الأولى في المنكر مفضية بصاحبها إلى نهايات السوء ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ وَمَن يَتَّبِعۡ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ ﴾.

٢ ـ بداية التواصل مع امرأة، أو فتح شاشة الفضائيات، أو المزاح الزائد، أو التأخُّر عن الصلاة، أو التساهل في الحرمات، هي البوابة الكبرى التي يأتي منها الشيطان على أمانيه ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ وَمَن يَتَّبِعۡ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ ﴾.

٣ ـ من كمال فقهك، وتوفيق الله تعالى لك، أن تتوقف عند الخطوة الأولى من المنكر، مهما كانت بسيطة وسهلة في البدايات ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ وَمَن يَتَّبِعۡ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ ﴾.

٤ ـ قال ﷺ: «**إياكم والدخول على النساء**»[1]، وقال ﷺ: «**لا يخلون رجل بامرأة إلا مع ذي محرم**»[2]، أيُّ تساهلٍ في هذا الباب مفضٍ لخواتم السوء، مهما بلغ إيمان الإنسان وحرصه ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَـٰنِ ۚ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَـٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾.

٥ ـ التوبة توفيق ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ وإذا منَّ الله تعالى بها عليك؛ فهب لذلك المعنى من قلبك ومشاعرك شكراً يليق بجلاله وعظمته تعالى.

٦ ـ إذا وجدت نفسك منشرحةً لقبول الحق، والتوبة من الخطايا، والإقبال على الله تعالى؛ فذلك من توفيق الله تعالى لك ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

٧ ـ لا تقل فلان وقع، وذاك أخطأ وأنت نجوت؛ تذكَّر أن فضل الله تعالى ورحمته أدركتك؛ وإلَّا لكنت في الضياع ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

٨ ـ أن تتذكَّر في كل فتنة أن الله تعالى هو الذي سلَّمك، وفي كل مجلس لغو هو الذي حفظك، وفي كل ريبة هو الذي رفعك وطهرك؛ فتلك نعمةٌ تحتاج إلى شكر ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

٩ ـ تذكَّر أن كل ما يصيبك من خير، إنما هو من ألطاف ربك عليك ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

---

(١) أخرجه البخاري(٥٢٣٢) عن عقبة بن عامر رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٢٨٤٤) ومسلم (١٣٤١) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

١٠ ـ لا تمنع مواقف الفضل من أجل عارض الأخطاء ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُوا۟ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓا۟ أُو۟لِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾.

١١ ـ من الاستعلاء في مواقف الحياة، ألّا تنظر للمخطئين في حقك، والمسيئين في جانبك بسوء ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُوا۟ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓا۟ أُو۟لِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾.

١٢ ـ الأشياء التي تُدفع لله تعالى، لا ينبغي أن يوقفها عارض من أخطاء الإنسان ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُوا۟ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓا۟ أُو۟لِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾ يا أبا بكر! لا توقف نَفَقَتَكَ لمسطح لخطئه في حقك. امضِ على ذلك ولا تلتفت لعوارض الطريق.

١٣ ـ ﴿وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟﴾ رسالة في الارتفاع عن حضيض الخلاف والانتصار للنفوس!

١٤ ـ العفو والصفح موجبٌ لغفران الذنوب والخطايا ﴿وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾.

١٥ ـ طهِّر قلبك من كل ما يعلق به من آثار الخلاف، قبل فوات فرص الحياة ﴿وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾.

١٦ ـ في كل موقف خلافٍ ارصد له سُلَّماً للسماء ﴿وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾.

١٧ ـ تعرضوا بمواقف العفو والصفح والغفران إلى مكارم الله تعالى ﴿وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾.

١٨ ـ خطايا الألســن موجبةٌ للعن صاحبها، وطرده من مواطن الخيرات ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ لُعِنُواْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾﴾.

١٩ ـ الشريعة تقيم لأعراض المسلمين شأناً ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ لُعِنُواْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾﴾.

٢٠ ـ قالة السوء في أعراض المسلمين مفضيةٌ بأصحابها إلى سوء النهايات ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ لُعِنُواْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾﴾ متى يفقه أولئك الذين لا تدار لقاءاتهم إلا على هذه الخزايا!

٢١ ـ إذا ثلبتَ عرض مسلم، فاستعدَّ لاســتقبال لعنة الله تعالى، وشهادة الجوارح عليك في مواقف الحساب ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ لُعِنُواْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾﴾.

٢٢ ـ من كمال عقلك ألا تترك للسانك فُرجةً يتسلَّق منها على أعراض المسلمين ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ لُعِنُواْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾﴾.

٢٣ ـ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ الغافــلات! التي لم يخطر ببالها أي شيء من عوالق الفحش! يا الله ما أبهج هذا الوصف في حياة امرأة!

٢٤ ـ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ كأن التي تتعرَّض للفاحشة من قريب أو من بعيد لا حرمة لها.

٢٥ ـ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ الشريعة تجل العفاف والطهر والصفاء، وتسنُّ أعظم العقوبات لردع المتهوِّكين في الأعراض!

٢٦ ـ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ أما التي تتعرَّض بنفسها أو حديثها أو تصرفاتها لقالة السوء فلا سياج لها.

٢٧ ـ لا يستبطئ عقوبة المتسلِّق على أعراض المؤمنين جزاءَ خطاياه ﴿ يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ ﴿٢٥﴾ ﴾.

٢٨ ـ يمكنك أن تتبنى إثارة الفاحشة بلسانك أو قلمك، ويمكنك أن تُجري كل ذلك بأسماء مستعارة، وأرقام سرية، ومحاولات خفية، كلُّ ذلك ستكشفه حقائق اللقاء الكبرى ﴿ يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ ﴿٢٥﴾ ﴾.

٢٩ ـ أنت حيث تضع نفسك ﴿ ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَٰتِ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ ﴾.

٣٠ ـ «**الأرواح جنـود مجنَّدة؛ فما تعارف منها ائتلف، ومـا تناكر منها اختلف**»[1] ﴿ ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَٰتِ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ ﴾.

٣١ ـ البيوت الطاهرة، والأنفـس الزكية، يهبها الله تعالى المعنى نفسـه، والبيوت الرديئة، والأنفس الخبيثة، يهبها الله تعالى من وصفها وجنسها ما تشاء ﴿ ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَٰتِ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ ﴾.

٣٢ ـ في مسألة الزواج بالذات استخر ربك، واستشر من حولك، وأَكْثِرْ من الدعاء أن يهبـك طيبـاً نافعـاً ويجنِّبك كل خبيـث ﴿ ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَٰتِ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ ﴾.

٣٣ ـ حتى صاحبك وصديقك، احرص قدر وسـعك على اختياره؛ فهو وجهك الآخر في الحيـاة ﴿ ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَٰتِ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ ﴾.

٣٤ ـ ثمَّة بيوت أصـلٌ في الطيب والطهر والعفاف والصفـاء، وبيوت أصلٌ في الخبث ودناءة القيم والأخلاق؛ فتنبَّه ﴿ ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَٰتِ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ ﴾.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٤٩٥ و٣٤٩٦) ومسلم (٢٦٣٨) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

٣٥ ـ الطيبون، وأهل الطهر والعفاف، لا تَعْلَقُ بهم شبهُ الخبثاء وإن جهدوا في إثارتها في العالمين ﴿أُوْلَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ﴾.

٣٦ ـ للبيوت حرمةٌ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدْخُلُواْ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهْلِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾﴾.

٣٧ ـ النظر من خِصاص الباب، أو كثرة الطَّرْقِ، والأصوات المرتفعة بشأن الاستئذان عدوان على هذا الأدب الكبير ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدْخُلُواْ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهْلِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾﴾.

٣٨ ـ ترقَّ في استئذانك، وأحسن الظنَّ بصاحب البيت، وتجمَّل بالأدب، وإذا لم يؤذن لك فارجع راضياً؛ فذلك كمال الأدب، وحسن الامتثال ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدْخُلُواْ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهْلِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾﴾.

٣٩ ـ الاستئذان ثلاثاً فإن أُذِنَ لك، وإلَّا فارجع؛ هذا هو التطبيق العملي لهذا الأدب الكبير في كتاب الله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدْخُلُواْ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهْلِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾﴾.

٤٠ ـ ضرب على الباب الكبير كثيراً، وأطال الوقوف، ثم دخل للباب الآخر دونه، فما زال يطرق عليه: هذا جهلٌ وسوءُ أدب ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدْخُلُواْ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهْلِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾﴾.

٤١ ـ جاء إلى الباب، ووقف من الفرجة التي يطلُّ بها على الغادين والرائحين في البيت، ويطرق مستئذناً: لم تبقَ حرمةٌ صالحةٌ للاستئذان! ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدْخُلُواْ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهْلِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾﴾.

❀ ❀ ❀

فَإِن لَّمْ تَجِدُواْ فِيهَآ أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْۖ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرْجِعُواْ فَٱرْجِعُواْۖ هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨﴾ لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُواْ بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَٰعٌ لَّكُمْۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٢٩﴾ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُواْ فُرُوجَهُمْۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَاۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيْرِ أُوْلِى ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُواْ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِۖ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّۚ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾

التفسير

- ﴿فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فِيهَا﴾ في البيوت التي تودُّون دخولها ﴿أَحَدًا﴾ من الناس ﴿فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ﴾ لما للبيوت من حرمة ﴿وَإِن قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ﴾ أفضل وأطيب ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾ لا يغيب عنه من ذلك شيء.
- ﴿لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ﴾ إثم أو حرج ﴿أَن تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ﴾ ليس فيها أحد ﴿فِيهَا مَتَاعٌ لَّكُمْ﴾ حاجة من حوائجكم ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٢٩﴾﴾ من الأقوال والأعمال.
- ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾ يكفُّوا أبصارهم عن النظر إلى ما لا يحل لهم من النساء والعورات ﴿وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ﴾ عن محارم الله تعالى ﴿ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ﴾ خير وأطهر ﴿إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾﴾ لا يخفى عليه من ذلك شيء.
- ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ﴾ يكففن من أبصارهنَّ عن النظر إلى ما لا يحل لهن النظر إليه من العورات ﴿وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾ عن محارم الله تعالى ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ﴾ سواء كانت باطنة أو ظاهرة ﴿إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ كالثياب التي لا بد من ظهورها ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ﴾ ما تغطي به المرأة رأسها ﴿عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ جمع جيب، وهو موضع القطع من الثوب من جهة النحر ليسترن شعورهن وَوُجُوْهَهُنَّ وأعناقهن ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ﴾ الخفية ﴿إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ﴾ أزواجهنّ ﴿أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ﴾ آباء أزواجهن وإن علوا ﴿أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ﴾ مهما نزلوا، ذكراً كان أو أنثى ﴿أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ﴾ سواء كانوا أشقاء، أو

لأب، أو لأم ﴿أَوۡ بَنِيٓ أَخَوَٰتِهِنَّ﴾ كذلك كن شقيقات، أو لأب، أو لأم ﴿أَوۡ نِسَآئِهِنَّ﴾ المأمونــات ﴿أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُنَّ﴾ من الذكــور والإناث ﴿أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ﴾ الذين يتبعونكم مــن الرجال ﴿غَيۡرِ أُوْلِي ٱلۡإِرۡبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ﴾ من لا شــهوة له، أو المعتــوه، ونحوهم ممن لا رغبة له بالنســاء ﴿أَوِ ٱلطِّفۡلِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يَظۡهَرُواْ عَلَىٰ عَوۡرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ﴾ دون سن التمييز ﴿وَلَا يَضۡرِبۡنَ بِأَرۡجُلِهِنَّ﴾ لا تحدث صوتاً بما تلبس في قدمها ﴿لِيُعۡلَمَ مَا يُخۡفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ﴾ فتتوجه إليها أنظار الرجال ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾ عــودوا إليه صادقين مقبلين ﴿جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٣١﴾﴾ تفوزا بما ترجون وتأملون.



١ ـ حتى البيوت الفارغة لها حرمة، لا يحقُّ أن يُتَسلَّق عليها بحال ﴿فَإِن لَّمۡ تَجِدُواْ فِيهَآ أَحَدًا فَلَا تَدۡخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤۡذَنَ لَكُمۡۖ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرۡجِعُواْ فَٱرۡجِعُواْۖ هُوَ أَزۡكَىٰ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ﴿٢٨﴾﴾.

٢ ـ تصرفاتك التي تحدثها عند استئذانك مرصودة، لا يغيب على الله تعالى منها شيء ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ﴾ فتجمَّل بالأدب!

٣ ـ حتى الأماكن العامة يجري فيها حساب الأفعال ﴿لَّيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَن تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ مَسۡكُونَةٖ فِيهَا مَتَٰعٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ وَمَا تَكۡتُمُونَ ﴿٢٩﴾﴾.

٤ ـ إن ديناً يعلِّم كيف تتعامل مع بيت مهجور لا أحد فيه؛ لهو دينٌ عظيم ﴿لَّيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَن تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ مَسۡكُونَةٖ فِيهَا مَتَٰعٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ وَمَا تَكۡتُمُونَ ﴿٢٩﴾﴾.

٥ ـ أول عتبات العبودية مع الشهوات غض البصر ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُواْ فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾﴾.

٦ ـ الخطوة الأولى كفيلةٌ بصناعة مباهج الحياة، أو مفاتنها ومشكلاتها ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُواْ فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾﴾.

٧ ـ الجوارح أمانات ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُواْ فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾﴾.

٨ ـ احفظ جوارحك، وانتظر أفراح روحك، وطهارة نفسك، وزكاءها ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُواْ فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾﴾.

٩ ـ فتحوا لجوارحهم كل طريق، ويسألون الفكاك عن ضيق العيش، ونكد الحياة ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُواْ فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾﴾.

١٠ ـ ﴿ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ﴾ لو نعرف قدرها لاستعلى الواحد منا ببصره عن شهوات الطريق!

١١ ـ تصوَّر هذا الوعد الكبير من ربك على غض بصرك! ﴿ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ﴾ واصنع له أحداث الحياة.

١٢ ـ ﴿ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ﴾ في قلوبهم، ومشاعرهم، وأعمالهم، وبيوتهم، وفي كل شيء.

١٣ ـ ﴿ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ﴾ عيش عاجل من السعادة والبهجة والفرح والسرور والطمأنينة وكل شيء.

١٤ ـ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ﴾ حتى لحظات الخيانة التي يسارق فيها بصرك رقابة المخلوقين!

١٥ ـ لا تذهب بعيداً! فالله تعالى يرى تلك الخيانة، سواء كانت في شاشة أو مجلة وصورة، أو حتى في الشارع العام ﴿إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ﴾.

١٦ ـ كم من حياةٍ في قلب صاحبها سلبها نظرُ المحرَّمات ﴿قُل لِّلۡمُؤۡمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِمۡ وَيَحۡفَظُواْ فُرُوجَهُمۡۚ ذَٰلِكَ أَزۡكَىٰ لَهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ ۝٣٠﴾ وكم من خيرٍ فوَّته! ونعيمٍ أزاله! وأعقبَ صحراء قاحلة بعد ربيع الأيام!

١٧ ـ قال ذات مرة: تأملت في عقب امرأة؛ فحرمت القرآن بعد زمن طويل بسبب تلك النظرة ﴿قُل لِّلۡمُؤۡمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِمۡ وَيَحۡفَظُواْ فُرُوجَهُمۡۚ ذَٰلِكَ أَزۡكَىٰ لَهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ ۝٣٠﴾.

١٨ ـ ﴿قُل لِّلۡمُؤۡمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِمۡ﴾، ﴿وَقُل لِّلۡمُؤۡمِنَٰتِ يَغۡضُضۡنَ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِنَّ﴾ لم تشهد هذه الوصية في تاريخ الأمة كلها حاجةً أشدَّ إليها من الوصية بها في أيام القنوات الفضائية، وأدوات التواصل الاجتماعي!

١٩ ـ تعرَّف على قدر إيمانك من خلال عملك بهذه الوصية، أو تفريطك فيها ﴿قُل لِّلۡمُؤۡمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِمۡ﴾، ﴿وَقُل لِّلۡمُؤۡمِنَٰتِ يَغۡضُضۡنَ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِنَّ﴾.

٢٠ ـ المرأة بوابةُ مجتمعات الطهر والعفاف والنقاء، وبوابة مجتمعات الفساد والرذيلة في الوقت نفسه ﴿وَلَا يُبۡدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنۡهَاۖ وَلۡيَضۡرِبۡنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّۖ وَلَا يُبۡدِينَ زِينَتَهُنَّ﴾.

٢١ ـ إذا صلحت المرأة صلح كل شيء، وإذا فسدت فسد كل شيء ﴿وَلَا يُبۡدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنۡهَاۖ وَلۡيَضۡرِبۡنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّۖ وَلَا يُبۡدِينَ زِينَتَهُنَّ﴾.

٢٢ ـ من أعظم الجرائم، وأشدِّها خطراً على واقع المجتمع أو الأمة، إفساد المرأة ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ﴾.

٢٣ ـ كل من تسبَّب بقولٍ أو قرارٍ أو تصرُّفٍ أو مسؤوليةٍ في سفور المرأة، وخلطها بالرجال؛ فهو حاملٌ لأوزار الوالغين في حياض الشهوات إلى يوم القيامة ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ﴾.

٢٤ ـ ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾ وقل للمصلحين، وصنَّاع الحياة، وأصحاب المشاريع: تبنَّوا مشاريع جادة تحجب المرأة عن مواقع الفتن، وتجعلها تمارس دورها في مساحات الفضيلة.

٢٥ ـ كل امرأة تسببت في إغواء إنسان؛ فهي حاملةٌ أوزارَهُ يوم الحساب ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ﴾.

٢٦ ـ أول خطوات الإفساد، وبوادر المرض في جسد المجتمع تنازلُ المرأة عن حجابها وفضيلتها ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ﴾.

٢٧ ـ أعظم المشاريع في تاريخ الأمة هي المشاريع التي تعتني بتأهيل المرأة، وحمايتها من الانحراف ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ﴾.

٢٨ ـ ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ﴾ وهي تقضي ساعتين من وقتها على الزينة التي تخرج بها إلى السوق العام، وتلبس ما يثير الفتنة!

٢٩ ـ هل تصورت هذا المشهد! يأمرها الله تعالى ﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ﴾ وهي تلبس حذاءً عالي الكعب محادَّةً لله تعالى، وتضرب به مغايرةً لأمره!

٣٠ ـ ﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ﴾ لم تعد تصنع هذا فحسب، بل تلبس خلخالاً في قدمها، يصدر صوتاً بمجرد مشيها في الأرض!

٣١ ـ الحجاب شريعة الله تعالى، وأيُّ تساهل في أمره خيانة للمنهج، وطريق للهاوية ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ﴾.

٣٢ ـ لا تجعل بيتك مفتوحاً لكل طارق ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيْرِ أُو۟لِى ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا۟ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ﴾.

٣٣ ـ كل هذه المعاني، ويأتي من يقول: لا حرج في إبراز وجه المرأة، وليس هو من الحجاب المأمور به! ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيْرِ أُو۟لِى ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا۟ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ﴾ إذا خرج الوجه سافراً؛ فلم يعد لهذا التوجيه معنى!

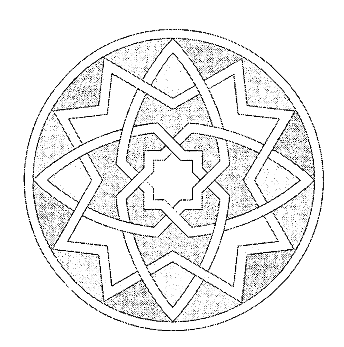
٣٤ ـ يا لسوأة الفساد! شريعة تجتهد في إخفاء مباهج المرأة عن سراق الأعراض، وهم يخرجونها سلعةً تعرض في الطرقات والأسواق! ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ

أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيْرِ أُوْلِي ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُواْ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ﴾.

٣٥ ـ إذا فرَّطت في أمر الله تعالى في أول أمـرك؛ فلا تفتك فرص التعويض في نهايته ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.

٣٦ ـ التوبة الصادقة تجبُّ غارات السوء ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.

❀ ❀ ❀

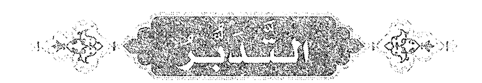


وَأَنكِحُواْ ٱلْأَيَٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْۚ
إِن يَكُونُواْ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ
﴿٣٢﴾ وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن
فَضْلِهِۦۗ وَٱلَّذِينَ يَبْتَغُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ
فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًاۖ وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ
ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْۚ وَلَا تُكْرِهُواْ فَتَيَٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ إِنْ أَرَدْنَ
تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُواْ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَاۚ وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ مِنۢ
بَعْدِ إِكْرَٰهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ
ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ وَمَثَلًا مِّنَ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً
لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٣٤﴾ ۞ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ مَثَلُ نُورِهِۦ
كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا
كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ
وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌۚ نُّورٌ عَلَىٰ
نُورٍۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِۗ
وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾

التفسير

- ﴿وَأَنكِحُواْ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ﴾ الأيم: من لا زوجَ لها، سواء كانت ثيباً أو بكراً ﴿وَٱلصَّـٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ﴾ أحراراً وإماءً ﴿إِن يَكُونُواْ فُقَرَآءَ﴾ من تريدون زواجهم من هؤلاء ﴿يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ فالله يتولَّى إعطاءهم، والنفقة عليهم ﴿وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ﴾ كثير الخير والعطاء ﴿عَلِيمٌ ﴿٣٢﴾﴾ لا يخفى عليه من أمر الناس شيءٌ.
- ﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ﴾ ليكفَّ عن المحرمات ﴿ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا﴾ لقلَّة ما بأيديهم ﴿حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ فيرزقهم ما يستطيعون به النكاح ﴿وَٱلَّذِينَ يَبْتَغُونَ ٱلْكِتَـٰبَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ﴾ يسألكم أن يشتري نفسه منكم ﴿فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا﴾ أجيبوهم إلى ذلك إذا رأيتم منهم صلاحاً في الدين، وقدرةً على التكسُّب ﴿وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ﴾ أعطوهم ما يعينهم على ذلك ﴿وَلَا تُكْرِهُواْ فَتَيَـٰتِكُمْ﴾ إمائكم ﴿عَلَى ٱلْبِغَآءِ﴾ الزنى ﴿إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا﴾ حرصن على العفاف ﴿لِّتَبْتَغُواْ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ بإكراههنّ على ذلك ﴿وَمَن يُكْرِههُّنَّ﴾ على الزنى ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ مِنۢ بَعْدِ إِكْرَٰهِهِنَّ غَفُورٌ﴾ لكل ذنب ﴿رَّحِيمٌ ﴿٣٣﴾﴾ بعباده المؤمنين.
- ﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ ءَايَـٰتٍ مُّبَيِّنَـٰتٍ﴾ واضحات ﴿وَمَثَلًا مِّنَ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُمْ﴾ من أخبار الأقدمين ممَّن سبقكم ﴿وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٣٤﴾﴾ ذكرى وعظة لمن عرف أمر الله تعالى، وقام به.
- ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ بنوره أضاءت ﴿مَثَلُ نُورِهِۦ﴾ نور الإيمان في قلوب المؤمنين ﴿كَمِشْكَوٰةٍ﴾ كفتحة صغيرة في جدار ﴿فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾ في تلك الفتحة ﴿ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ﴾ شديد الإضاءة

نسبة إلى صفاء الدار ﴿يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ﴾ وذلك المصباح يستمدُّ ضوءه من زيت شجرة الزيتون ﴿لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾ أي إنَّ هذه الشجرة ليست في الجهة الشرقية ولا الغربية، بل هي متوسطة من الأرض، مستقبلة للشمس طول النهار، وهذا كلُّه له أثرٌ في زيادة صفائها وحسنها وجمالها ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيٓءُ﴾ من شدَّة صفائه ﴿وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾ ولا حاجة به إلى النار ﴿نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ﴾ نور النار ونور الزيت ﴿يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ ممَّن يعلم طهارة قلبه وزكاء نفسه ﴿وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ﴾ حتى يفهموا مراد الله تعالى ﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾﴾ لا يغيب عنه من ذلك شيء.



١ ـ الزواج هو الحلُّ الجذري بعد الإيمان بالله تعالى لمشكلات الفواحش التي تعانيها المجتمعات ﴿وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ ۚ إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٢﴾﴾.

٢ ـ تيسير الزواج، وتسهيلُ قضاياه في المجتمعات كفيلٌ بوأد مشكلات العنوسة، والقضاء على كثيرٍ من آثارها ﴿وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ ۚ إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٢﴾﴾.

٣ ـ تزوَّجْ ويتولَّى الله تعالى فقرك! ﴿وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ ۚ إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٢﴾﴾.

٤ ـ هذا وعدُ ربِّك لك ﴿إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ فإن قام في قلبك خوفٌ أو عدمُ تصديقٍ فتأمَّل قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾.

٥ ـ الإسلام يعلِّم التضحية، ويربِّي الفرد على مواجهة مشكلاته بعزيمة ﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾.

٦ ـ الصبر ليس حلاً استهلاكياً لقدراتنا وإمكاناتنا، بل هو الحل الذي يربي فيها ملكات القدرة، ويهيِّج فيها الاستعداد الأمثل لمواجهة التحديات ﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾.

٧ ـ تأهيل الإنسان لمواجهة الحياة ضرورةٌ ينبغي أن يسهم فيها كل إنسان بقدر وسعه ﴿وَٱلَّذِينَ يَبْتَغُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ۖ وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ﴾ فكُّ رقبته من العبودية، وإعانته على ذلك مساهمة في تأهيله للحياة.

٨ ـ أعن ولدك وطالبك، ومن يستشيرك، ومَنْ ولّاك الله تعالى أمره على مواجهة الأحداث بنفسه، وساهم معه بما يعينه على بلوغ تلك الأحداث في قادم عمره وأيامه ﴿وَٱلَّذِينَ يَبْتَغُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ۖ وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ﴾.

٩ ـ مسائل التأهيل التي يقوم بها العمل الخيري اليوم هي خير ما يبني الإنسان، ويعينه على مواجهة الحياة بنفسه، بشرط أن يكون ذلك المؤهل ممن تتوافر فيه القدرة على ذلك، وأن يكون التأهيل لسوق العمل بتأهيل الروح والبناء القيمي أولاً ﴿وَٱلَّذِينَ يَبْتَغُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ۖ وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ﴾.

١٠ ـ ﴿وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ﴾ رسالة في أن ما بيدك ليس لك منه إلا الجميل!

١١ ـ لا تظنَّن يوماً أنك تهب المحتاجين من مالك، وإنما تهب من ودائع الرحمن عندك ﴿وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ ءَاتَىٰكُمْ﴾.

١٢ ـ حين تتحوَّل القيمُ وسيلة للأغراض الشخصية، والآخرةُ وسيلة للدنيا ﴿وَلَا تُكْرِهُواْ فَتَيَٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُواْ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾.

١٣ ـ من فواتح هذا القرآن أنه حياة لقارئه، ومبيِّنٌ لمشكلاته، وكاشف لتاريخه، وموعظة وذكرى لقلبه ﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ وَمَثَلًا مِّنَ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٣٤﴾﴾.

١٤ ـ كل حلول مشكلاتك في هذا الوحي ﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ وَمَثَلًا مِّنَ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٣٤﴾﴾.

١٥ ـ في القرآن التاريخُ الذي يؤهلك لمعرفة واقعك، وقراءة مستقبلك من خلال سِيَرِ الغابرين في الحياة ﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ وَمَثَلًا مِّنَ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٣٤﴾﴾.

١٦ ـ إذا أردت أن يحيا قلبُك؛ فهب لهذا القرآن من وقتك، وامنحه فيضاً من وجدانك ومشاعرك ﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ وَمَثَلًا مِّنَ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٣٤﴾﴾.

١٧ ـ ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ ونورك في الحياة على قدر قربك من هذا النور!

١٨ ـ ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ استمدادُك من هذا النور يكسو قلبك حلاوةً، وتعرف به الحقائق، وتردُّ به الظلمات.

١٩ ـ إذا أردت نوراً يثير صفاء مشاعرك، ويحيا به قلبك، ويزول به ظلام ليلك؛ فخذ من هذا النور قدر وسعك ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾.

٢٠ ـ مشكلة كثيرين أنهم يبحثون عن أنوارٍ في ساحات الظلام، ويتركون الحقائق وهم يرونها رأي عين ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾.

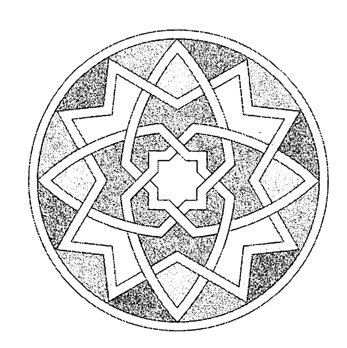
٢١ ـ أقبل على ربك، واستكثر من طاعته، وعظِّم شعائره، وستعرف حينها كيف يهبك الله تعالى الأنوار! ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾.

٢٢ ـ إذا رأيت من نفسك إقبالاً على الطاعة، فذلك محضُ توفيق الله تعالى لك ﴿يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ وإذا رأيت من نفسك بعداً وأمداً طويلاً؛ فأَدِمْ سؤاله أن يريك ما أرى الصالحين.

٢٣ ـ هداية الله تعالى لنوره وقفٌ على إقبالك وصدق نيَّتك ﴿يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾.

٢٤ ـ لا تقل كيف ﴿يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾؟ ابدأ الخطوة الأولى، وانتظر ما لا يخطر لك على بال!





فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْـَٔاصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَـٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ ۙ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَـٰرُ ﴿٣٧﴾ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَعْمَـٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٣٩﴾ أَوْ كَظُلُمَـٰتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌ ۚ ظُلُمَـٰتٌۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا ۗ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴿٤٠﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلطَّيْرُ صَـٰٓفَّـٰتٍ ۖ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٤١﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٢﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَـٰلِهِۦ وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَصْرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُ ۖ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِۦ يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَـٰرِ ﴿٤٣﴾ يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِي ٱلْأَبْصَـٰرِ ﴿٤٤﴾

التفسير

• ﴿ فِي بُيُوتٍ ﴾ أي المساجد ﴿أَذِنَ ٱللَّهُ﴾ أمر وأوصى ﴿أَن تُرْفَعَ﴾ بناءً وعنايةً ﴿وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ﴾ بالصلاة والقرآن والذكر والعلم وسائر العبادات ﴿يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ﴾ أول النهار ﴿وَٱلْآصَالِ ﴿٣٦﴾﴾ آخره.

• ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ﴾ عطـف البيع على التجارة مـع أنه منها لكثرة ملابسته فيها ﴿عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ﴾ بل يقدمون حق الله تعالى على الدنيا كلها ﴿يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾﴾ أي يوم القيامة.

• ﴿لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟﴾ على أعمالهم ﴿وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ﴾ رحمةً بهم ﴿وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٨﴾﴾ يعطي كل إنسان دون مقابل.

• ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ﴾ بقاعٍ لا شجرَ فيه ﴿يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا﴾ وإنما هو مجرد سراب ﴿وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ﴾ لم يغب من فعله شـيء، وهذا مثل ضربـه الله تعالى للكافر، حين يقدم على الله تعالى، يحسب أنه على شيء، فلا يجد شيئاً ينفعه من ذلك ﴿وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٣٩﴾﴾ فلا يَبْطُؤُ عذابه.

• ﴿أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ﴾ بعيـدٌ قعره، طويـلٌ مـداه ﴿يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌ ظُلُمَٰتٌۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ﴾ ظلمة البحر، وظلمة الأمواج، وظلمة السـحب ﴿إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا﴾ من شدَّة الظلمة ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴿٤٠﴾﴾.

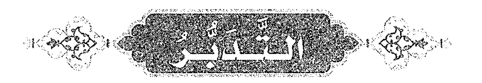
• ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ من إنسان، وحيوان، وجماد ﴿وَٱلطَّيْرُ صَٰٓفَّٰتٍ﴾ ضامَّـةٌ أجنحتَها تسـبِّحُ في السـماء ﴿كُلٌّ﴾ من هذه

المخلوقات ﴿قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ﴾ علم الله تعالى صلاة من يصلِّي منه؛ كالإنسان، وتسبيحَ من يسبح منه؛ كالطير ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٤١﴾﴾ لا يغيب عنه من ذلك شيء.

• ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ خلقاً وملكاً وتدبيراً ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٢﴾﴾ المرجع.

• ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ ألم تشاهد ببصرك ﴿أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِى سَحَابًا﴾ يسوق سحاباً متفرقاً ﴿ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ﴾ فيجمعه بعد التفرُّق ﴿ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا﴾ سحاباً متراكماً ﴿فَتَرَى ٱلْوَدْقَ﴾ المطر ﴿يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ﴾ من خلال السحاب ﴿وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ أي الله تعالى ﴿مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ﴾ أي أن الله تعالى ينزل برداً كالجبال في حجمه إلى الأرض ﴿فَيُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ هلكةً له ﴿وَيَصْرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُ﴾ نجاةً له ﴿يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِۦ﴾ ضوء برقه ﴿يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٣﴾﴾ يخطف الأبصار.

• ﴿يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ﴾ يعاقب بينهما ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً﴾ عظةً وذكرى ﴿لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٤﴾﴾ لأصحاب البصيرة والعقول.



التدبُّر

١ ـ المسجد أول عتبات ذلك النور الذي تبحث عنه ﴿فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ ﴿٣٦﴾﴾ وفي الحديث: «**والصلاة نور**»[1].

(١) رواه مسلم (٢٢٣) عن الحارث الأشعري.

٢ ـ إذا رأيته يجلُّ الصلاة، ويعظِّم شـأنها، ويجد حرجاً كبيـراً في التخلُّف عن أوقاتها، فارقب له توفيقاً مع الأيام ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ﴿٣٦﴾﴾.

٣ ـ وايم الله! مَنْ أدرك قدر هذه الصلاة، وقام بشأنها كما يليق لَقِيَ مباهج الحياة كمـا يشـاء ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ﴿٣٦﴾﴾.

٤ ـ الرجولةُ التي تستحقُّ وسامَ الشَّرف ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ ۙ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾﴾.

٥ ـ المفاهيم أكثر الأدوات خطراً وتأثيراً في واقع صاحبها ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ ۙ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾﴾ كم من يفهم أن الرجولة هي الفوضى التي يصنعها في واقعه! ويرى أن الرجولة هي الذكورية فحسب!

٦ ـ من أعظم المشاهد التي يكاد يختال فيها صاحبها من الفرح مشهد رجل يوقف أعماله كلَّها من أجل الصلاة ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ ۙ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾﴾.

٧ ـ حتى إدارة الأموال لا تعيقه عن إجابة منادي الصلاة ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ ۙ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾﴾.

٨ ـ وقد رأيت من لا يحركه الأذان، ولا يقيمه من مقعده، ولا يكاد يشهد صلاة في أولها، وما يزال في مؤخرة الصفوف ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ ۙ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾﴾.

٩ ـ هذه هي المشاهد التي ينتظرها أصحاب بيوت الله تعالى ﴿لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُواْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٨﴾﴾.

١٠ ـ سيعوِّض الله تعبك، ويزيل ألمك، ويجفف عرقك، ويفيض عليك أفراح الروح ﴿لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُواْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٨﴾﴾.

١١ ـ ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٣٩﴾﴾ صورة آمال الكافرين التي سيردون عليها في ذلك اليوم.. يا لحسرات المفرِّطين!

١٢ ـ هذا ظلام الدنيا؛ فما بالك بظلام الآخرة! ﴿أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِى بَحْرٍ لُّجِّىٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌ ۚ ظُلُمَٰتٌۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا ۗ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴿٤٠﴾﴾.

١٣ ـ كلُّ حضارة الدنيا وزينتها، لا يمكن أن تمنحك من السعادة التي تبحث عنها ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾.

١٤ ـ حتى لو زرت المعالم السياحية كلَّها، وطفت دول العالم، ورأيت كل شيء، ما لم تتصل بالوحي فإنك لا تملك الحياة التي تريدها ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾.

١٥ ـ من فضلك ألق ببصرك ومشاعرك وقلبك في ساحات هذا الفضاء لترى جزءاً من ملكوت الله تعالى في الكون ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلطَّيْرُ صَٰٓفَّٰتٍ ۖ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٤١﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٢﴾﴾.

١٦ ـ تعرَّف على ربك من خلال ما ترى حولك ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلطَّيْرُ صَٰٓفَّٰتٍ ۖ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٤١﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٢﴾﴾.

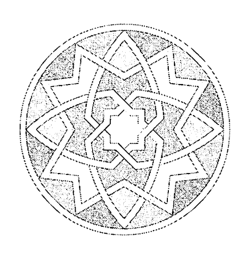
١٧ ـ هل بلغك أن كلَّ المخلوقات تسبِّح لله تعالى ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلطَّيْرُ صَٰٓفَّٰتٍ ۖ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٤١﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٢﴾﴾.

١٨ ـ هل رأيت مشهد الغيث، وما يسبقه من رعد وبرق! هذه هي قصته ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِى سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَصْرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُ ۖ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِۦ يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٣﴾﴾ لو لم يُدرِ الله تعالى في الكون إلا هذا المعنى لكان كافياً، فكيف به وهو يدير الحياة!

١٩ ـ كم في الليل والنهار من آيات، تحتاج إلى اعتبار! ﴿يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٤﴾﴾.

٢٠ ـ من دلائل وعيك وعقلك أن تهب لهذا الكون من وقتك تفكُّراً وتدبُّراً وتأمُّلاً ﴿يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٤﴾﴾.





وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم
مَّن يَمْشِى عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا
يَشَآءُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٥﴾ لَّقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍ
مُّبَيِّنَٰتٍ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٦﴾
وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ
مِّنْهُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَمَآ أُوْلَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا دُعُوٓاْ
إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾
وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلْحَقُّ يَأْتُوٓاْ إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿٤٩﴾ أَفِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ
أَمِ ٱرْتَابُوٓاْ أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُۥ بَلْ أُوْلَٰٓئِكَ
هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ
وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ
ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ
فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٥٢﴾ ۞ وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ
لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ قُل لَّا تُقْسِمُواْ طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌ إِنَّ ٱللَّهَ
خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٥٣﴾

التفسير

- ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ﴾ فكل دابة أصل خلقها الماء ﴿فَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِۦ﴾ كالثعابين، والحيات ﴿وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ رِجْلَيْنِ﴾ كالإنسان، وبعض الطيور ﴿وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ﴾ كالبهائم ﴿يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾ من المخلوقات ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٥﴾﴾ لا يعجزه من ذلك شيء.

- ﴿لَّقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ﴾ واضحات ﴿وَٱللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَآءُ﴾ من عباده ﴿إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٦﴾﴾ إلى طريق واضح.

- ﴿وَيَقُولُونَ﴾ المنافقون: ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعْنَا﴾ صدَّقنا وأطعنا ﴿ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ﴾ يُدْبِرُ ﴿فَرِيقٌ مِّنْهُم﴾ جماعة ﴿مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾ من بعد الإيمان ﴿وَمَآ أُو۟لَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾﴾ بالله تعالى حقاً.

- ﴿وَإِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ﴾ فيما اختصموا فيه ﴿إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾﴾ عن قبول الحق، والرضا به.

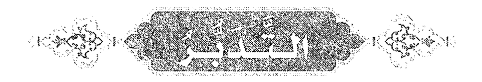
- ﴿وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلْحَقُّ يَأْتُوٓا۟ إِلَيْهِ﴾ إلى حكم الشرع ﴿مُذْعِنِينَ ﴿٤٩﴾﴾ طائعين منقادين.

- ﴿أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ أوجب لهم ذلك النفاق ﴿أَمِ ٱرْتَابُوٓا۟﴾ شكُّوا في دينهم ﴿أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُۥ﴾ يحكم عليهم حكماً ظالماً جائراً ﴿بَلْ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٥٠﴾﴾ الحامل لهم على ذلك هو الظلم.

- ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ﴾ فيما بينهم من خصومة ﴿أَن يَقُولُوا۟ سَمِعْنَا﴾ حكم الله ورسوله ﴿وَأَطَعْنَا﴾ أجبنا ما دعانا إليه، وأمَرَنا به ﴿وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾﴾ بما اتصفوا به من خير.

• ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ﴾ فيصدِّق خبرهما، ويمتثل أمرهما ﴿ وَيَخْشَ ٱللَّهَ ﴾ يخافه مع تعظيمه له ﴿ وَيَتَّقْهِ ﴾ فيجعل ما بينه وبين عذاب الله وقاية ﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾ يوم القيامة.

• ﴿ وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ ﴾ أقسم المتخلِّفون عن الجهاد ﴿ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ ﴾ أغلظها وأشدَّها ﴿ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ ﴾ بالخروج إلى الجهاد ﴿ لَيَخْرُجُنَّ ﴾ لا يتأخرون في ذلك ﴿ قُل لَّا تُقْسِمُواْ ﴾ لا تحلفوا على الخروج ﴿ طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌ ﴾ فطاعتكم معروفة، لا تخفى علينا ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾ لا يغيب عنه من ذلك شيء.



١ ـ هلَّا أمعنت في هذه المخلوقات التي تملأ الأرض! سترى فيها شيئاً من قدرة الكبير المتعال ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٥﴾ ﴾.

٢ ـ لا تبحث عن معرفةٍ والوحيُ في متناول يدك ﴿ لَّقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٦﴾ ﴾.

٣ ـ كل المعارف التي تسوقها كتب الشرق والغرب هي فرع من هذا الوحي ﴿ لَّقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٦﴾ ﴾.

٤ ـ رابط على هذا القرآن قراءةً وتدبُّراً وتأمُّلاً، وسترى الفرق ﴿ لَّقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٦﴾ ﴾.

٥ ـ يكذبون، ويتلوَّنون، ويعرضون عن الحق، وإذا وجدوا ما يخدم أهدافهم أقبلوا إليه يزفُّون ﴿ وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَمَآ

أُوْلَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلْحَقُّ يَأْتُوٓاْ إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿٤٩﴾﴾ هذه بعض صفات المنافقين.

٦ ـ لا تجهد في البحث عن المنافقين، فقط تأمَّل صفاتهم في القرآن ﴿وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَۚ وَمَآ أُوْلَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلْحَقُّ يَأْتُوٓاْ إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿٤٩﴾﴾.

٧ ـ الاستسلام لله تعالى ولشريعته أول عتبات العبودية ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾﴾.

٨ ـ قلِّب قلبك عند وارد الشريعة، لتعرف أين أنت من هذا المعنى الكبير! ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾﴾.

٩ ـ هل قلبك بحاجة إلى إعادة تأهيل! إذا وجدت تحسُّساً ومعارضة لأيِّ حكمٍ في شريعة الله تعالى؛ فذلك أول الأدلة والبراهين لحاجتك إلى إعادة التأهيل ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾﴾.

١٠ ـ رأيت أناساً يجلُّون الله تعالى في بعض شؤون دينهم، وينكصون على رؤوسهم في بعض شؤونه، أقم شأن دينك كله، فما لك وللشتات! ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾﴾.

١١ ـ استسلامُك لشريعة الله تعالى عنوانُ فلاحك ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾﴾.

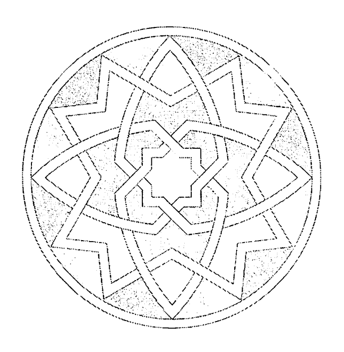
١٢ ـ طاعة الله تعالى وخشيته وتقواه عنوانُ فوزك الكبير ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخۡشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقۡهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ۝٥٢﴾.

١٣ ـ هل تريد تعريفاً مختصراً للفلاح والفوز الحقيقي ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوۡلَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ أَن يَقُولُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ۝٥١ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخۡشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقۡهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ۝٥٢﴾.

١٤ ـ جزء كبير من مشكلاتنا مشكلة مفاهيم ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوۡلَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ أَن يَقُولُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ۝٥١ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخۡشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقۡهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ۝٥٢﴾ تحولت كثيرٌ من مفاهيم الفوز إلى أحاديثَ عارضةٍ في الحياة، وهي لا قيمة لها في الآخرة.

١٥ ـ أيمان مغلَّظة، وأحاديث كاذبة، تلك هي قصة النفاق ﴿وَأَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ لَئِنۡ أَمَرۡتَهُمۡ لَيَخۡرُجُنَّۖ قُل لَّا تُقۡسِمُواْۖ طَاعَةٞ مَّعۡرُوفَةٌۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ۝٥٣﴾.

❀ ❀ ❀



قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟ ۚ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٥٤﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٥٦﴾ لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۖ وَلَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٥٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا۟ ٱلْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَٰثَ مَرَّٰتٍ ۚ مِّن قَبْلِ صَلَوٰةِ ٱلْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعْدِ صَلَوٰةِ ٱلْعِشَآءِ ۚ ثَلَٰثُ عَوْرَٰتٍ لَّكُمْ ۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌۢ بَعْدَهُنَّ ۚ طَوَّٰفُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٨﴾

التفسير

• ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ امتثلوا أمرهما ﴿فَإِن تَوَلَّوْا﴾ عن الطاعة ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ﴾ أي رسول الله ﷺ ﴿وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ﴾ من الاستجابة لما أمركم به ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ﴾ فيما يأمركم به، وينهاكم عنه ﴿تَهْتَدُوا﴾ إلى طريق الحق ﴿وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿٥٤﴾﴾ بلاغكم بالحق بلاغاً واضحاً.

• ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ فيجعلهم ورَّاثها المتصرفين في تدبيرها وأمرها ﴿كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ كما جعل الذين من قبلهم ورَّاثها بمقتضى هذا الإيمان ﴿وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ﴾ فيجعل الإسلام فاشياً ظاهراً ﴿وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ﴾ الذي عاشوه ﴿أَمْنًا﴾ أماناً وطمأنينة ﴿يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾ يقيمون ديني، ولا يشركون بي أحداً من الخلق ﴿وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾ بعد التمكين والسلطة وظهور الإسلام ﴿فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٥٥﴾﴾ الخارجون عن طاعة الله تعالى.

• ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ كما أمركم الله تعالى بها ﴿وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ أنفقوها إلى أهلها ﴿وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ فيما يأمركم به، وينهاكم عنه ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٥٦﴾﴾ تشملكم رحمة الله تعالى بسبب ذلك.

• ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ﴾ لا تظنَّ أن الكفار معجزين الله تعالى عن أخذهم وإهلاكهم ﴿وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ﴾ يوم القيامة ﴿وَلَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿٥٧﴾﴾ بئس النهاية والمآل.

• ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنكُمُ﴾ قبل الدخول عليكم ﴿الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ من الموالي ﴿وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنكُمْ﴾ ممَّن لم يبلغ من صغاركم ﴿ثَلَاثَ مَرَّاتٍ

﴿مِّن قَبْلِ صَلَوٰةِ ٱلْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ﴾ وقت القيلولة ﴿وَمِنۢ بَعْدِ صَلَوٰةِ ٱلْعِشَآءِ ثَلَٰثُ عَوْرَٰتٍ لَّكُمْ﴾ ليس لأحد أن يدخل عليكم فيها ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌۢ بَعْدَهُنَّ﴾ بعد هذه الأوقات ﴿طَوَّٰفُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ في غير تلك الأوقات ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ﴾ الدالة على عظمة شرعه ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٨﴾﴾ بما يصلح أحوال الناس، ويقيم أمورهم.

التَّدَبُّرُ

١ ـ ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟﴾ رسالة في أن مباهج عمرك وقفٌ على طاعة رسولك ﷺ!

٢ ـ ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟﴾ كَمْ مِنْ هذه الهداية موقوفٌ على قدر تمثلك واقتدائك؛ فمستقلٌّ، ومستكثر!

٣ ـ ﴿وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾ انشغل بواجبك، وحسبك البراءةُ لذمتك وعهدك ورسالتك.

٤ ـ لا تنشغل بعدد الحضور لدرسك وموعظتك ولا بإقبالهم على مائدة الذكر التي تدعوهم إليها، انشغل بواجبك، ودع الباقي، فليس من شأنك في شيء ﴿وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾.

٥ ـ ﴿وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾ رسالة للدعاة، والمعلمين، والآباء، وكل صاحب محضن لتربية أجيال الأمة.

٦ ـ لا ترهق نفسك على إدبار كثيرين عن الدعوة، لو كان فيهم خير لانخرطوا في صفوفها ﴿وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾.

٧ ـ ﴿وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾ هذا واجبك، ويلزمك الإبداع فيه غاية وسعك، ثم لا عليك من المدبرين.

٨ ـ هذا وعد الله تعالى للمجتمعات، والدول، والأمم في كل زمان ومكان ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾﴾.

٩ ـ أي أمة تقيم هذه المعاني في واقعها؛ فلتنتظر فواتح التوفيق ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾﴾ وكل أمة لا تحتفل بها المعنى؛ فلا قيمة لها في شيء.

١٠ ـ الاستخلاف والتمكين وسعادة الدارين وقفٌ على تحقيق توحيد الله تعالى ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾﴾.

١١ ـ إنَّ أمَّةً تقرأ فصول العز، ووعود التمكين والاستخلاف، ثم لا تعمل لها؛ لهيَ أمَّةٌ لا تستحق التمكين ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾﴾.

١٢ ـ ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٥٦﴾﴾ دعوة لرعاية شأن الأولويات، والقضايا الكبار في حياة الأمة.

١٣ ـ لا يغرنَّك ما يصنع الكافر في زمانه! ثمة يوم يأتي بغباره على مجد الضالِّين ﴿لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۖ وَلَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٥٧﴾﴾.

١٤ ـ لا تحزن على آمالك التي ضاعت، أو على مساحات مجدك التي يستعمرها الكافر كل يوم، إنما ذلك جزء من إملاء الله تعالى لهم ﴿لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۖ وَلَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٥٧﴾﴾.

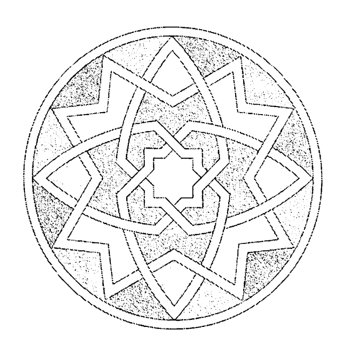
١٥ ـ الإسلام يضع منهجاً للتربية ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا۟ ٱلْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَـٰثَ مَرَّٰتٍ ۚ مِّن قَبْلِ صَلَوٰةِ ٱلْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعْدِ صَلَوٰةِ ٱلْعِشَآءِ ۚ ثَلَـٰثُ عَوْرَٰتٍ لَّكُمْ ۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌۢ بَعْدَهُنَّ ۚ طَوَّٰفُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٨﴾﴾.

١٦ ـ ثمة عورات لا يجوز أن يتسلَّق جدرانها الآخرون ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا۟ ٱلْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَـٰثَ مَرَّٰتٍ ۚ مِّن قَبْلِ صَلَوٰةِ ٱلْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعْدِ صَلَوٰةِ ٱلْعِشَآءِ ۚ ثَلَـٰثُ عَوْرَٰتٍ لَّكُمْ ۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌۢ بَعْدَهُنَّ ۚ طَوَّٰفُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٨﴾﴾.

١٧ ـ جوالك الطارق بجرسه كَيَدِكَ القارعة على الباب، لا فرق؛ فلا تتسوَّر أوقات الآخرين دون إذن ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا۟ ٱلْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَـٰثَ مَرَّٰتٍ ۚ مِّن قَبْلِ صَلَوٰةِ ٱلْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعْدِ صَلَوٰةِ ٱلْعِشَآءِ ۚ ثَلَـٰثُ عَوْرَٰتٍ لَّكُمْ ۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌۢ بَعْدَهُنَّ ۚ طَوَّٰفُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٨﴾﴾.

١٨ ـ من حسن تربيتك لولدك أن تعلِّمه شأن الأدب وهو صغير ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِيَسۡتَـٔۡذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ وَٱلَّذِينَ لَمۡ يَبۡلُغُواْ ٱلۡحُلُمَ مِنكُمۡ ثَلَٰثَ مَرَّٰتٖۚ مِّن قَبۡلِ صَلَوٰةِ ٱلۡفَجۡرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعۡدِ صَلَوٰةِ ٱلۡعِشَآءِۚ ثَلَٰثُ عَوۡرَٰتٖ لَّكُمۡۚ لَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ وَلَا عَلَيۡهِمۡ جُنَاحُۢ بَعۡدَهُنَّۚ طَوَّٰفُونَ عَلَيۡكُم بَعۡضُكُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴿٥٨﴾﴾.

❀ ❀ ❀



وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَٰلُ مِنكُمُ ٱلْحُلُمَ فَلْيَسْتَـْٔذِنُوا۟ كَمَا ٱسْتَـْٔذَنَ
ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ
عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٩﴾ وَٱلْقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِى لَا يَرْجُونَ
نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ
غَيْرَ مُتَبَرِّجَٰتٍۭ بِزِينَةٍ ۖ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ ۗ وَٱللَّهُ
سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٦٠﴾ لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ
حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا۟
مِنۢ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ ءَابَآئِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَٰتِكُمْ أَوْ
بُيُوتِ إِخْوَٰنِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ
أَعْمَٰمِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَٰلِكُمْ أَوْ
بُيُوتِ خَٰلَٰتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ أَوْ
صَدِيقِكُمْ ۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا۟
جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا ۚ فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ
تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةً طَيِّبَةً ۚ كَذَٰلِكَ
يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦١﴾

التفسير

- ﴿وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَٰلُ مِنكُمُ ٱلْحُلُمَ﴾ البلوغ ﴿فَلْيَسْتَـْٔذِنُواْ كَمَا ٱسْتَـْٔذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ من الأجانب ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ الدالَّة على عظمة شرعه ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٩﴾﴾ بما يصلح أحوال الناس، ويقيم أمورهم.

- ﴿وَٱلْقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ الكبيرات ﴿ٱلَّٰتِى لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا﴾ ليس فيهن شهوة على النكاح ﴿فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ﴾ إثم وحرج ﴿أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ﴾ الظاهرة منها كالخمار ونحوه ﴿غَيْرَ مُتَبَرِّجَٰتٍۭ بِزِينَةٍ﴾ غير مظهرات للزينة ﴿وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ﴾ عن وضع الثياب والتبرج ﴿خَيْرٌ لَّهُنَّ﴾ أفضل ﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ﴾ لكلامكم ﴿عَلِيمٌ ﴿٦٠﴾﴾ بأحوالكم.

- ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ﴾ في ترك الأمور التي لا يستطيعون عليها ﴿وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ﴾ حرج ﴿أَن تَأْكُلُواْ مِنۢ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ ءَابَآئِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَٰنِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَٰمِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَٰلِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَٰلَٰتِكُمْ﴾ ليس في الأكل من هذه البيوت أي حرج ﴿أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ﴾ ومثل ذلك البيوت التي تتصرفون فيها بوكالة أو ولاية ﴿أَوْ صَدِيقِكُمْ﴾ مَنْ بينكم وبينه صداقة، والحرج المنفي عنه هو الأكل بدون إذن، نظراً لما يقوم بين هؤلاء من المودة والمحبة ما يقتضي هذه المسامحة، فإن وجد من هذه البيوت المشاحة، وعدم المسامحة كان الأكل منها موجباً للحرج ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُواْ جَمِيعًا﴾ مجتمعين على الطعام ﴿أَوْ أَشْتَاتًا﴾ متفرقين لا حرج في ذلك كله، وإن كانت الفضيلة في

الاجتماع ﴿فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ﴾ سلِّموا على من في البيوت، وإنما جعلهم بمنزلة أنفسهم بياناً لشدَّة المودة والمحبة فيما بينهم ﴿تَحِيَّةً﴾ فحيوهم بقولكم: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ﴿مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ تلك التحية شرعها الله تعالى ﴿مُبَٰرَكَةً طَيِّبَةً﴾ لما فيها من الدعاء بالسلامة ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ﴾ الدالة على قدرته ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦١﴾﴾ بتطبيق مفاهيمها.

التَّدَبُّر

١ ـ حتى الكبار يجب أن يتعلَّموا الأدب، ويطرقوا الأبواب قبل الدخول ﴿وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَٰلُ مِنكُمُ ٱلْحُلُمَ فَلْيَسْتَـْٔذِنُواْ كَمَا ٱسْتَـْٔذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٩﴾﴾.

٢ ـ ﴿وَٱلْقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِى لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَٰتٍۭ بِزِينَةٍ ۖ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٦٠﴾﴾ شريعة مرتبة منظمة، تجري وفق السنن، وتعظِّم شأن العلل، وتُجري كل شيء بحسبه.

٣ ـ هذا شأن القواعد من النساء؛ فما شأن الفتاة في بداية عمرها ومقتبل أيامها! ﴿وَٱلْقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِى لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَٰتٍۭ بِزِينَةٍ ۖ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٦٠﴾﴾.

٤ ـ مبهجةٌ هذه المرأة ومثيرة، للدرجة التي يحاول الإسلام ألَّا يراها أحدٌ من العالمين ﴿وَٱلْقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِى لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَٰتٍۭ بِزِينَةٍ ۖ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٦٠﴾﴾.

٥ ـ حتى العجوز المسنة التي لا ترجو نكاحاً، ينبغي لها ألَّا تستعجل بوضع سترها لكبرها ﴿ وَٱلْقَوَاعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِى لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَٰتٍۭ بِزِينَةٍ ۖ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٦٠﴾ ﴾.

٦ ـ ﴿ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ لكلِّ عجوزٍ مسنة ألقت بثيابها، أو استعففت عن ذلك الإلقاء.

٧ ـ ﴿ لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ ﴾ رسالة لكل صاحب عذر، الإسلامُ أيسرُ من أن يُحمِّلك ما لا تطيق! تحرَّك في دائرتك، ولا تتوقف.

٨ ـ الإسلام يقدِّر الظروف، ويراعي أصحابَ الحاجات ﴿ لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ ﴾.

٩ ـ من جمال دينك أنه يداوي جراح المكلومين، ويرعى نفوس المجهدين ﴿ لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ ﴾.

١٠ ـ الشريعة ترعى كل شيء حتى ما يقع من حرج في القلوب ﴿ وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا۟ مِنۢ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ ءَابَآئِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَٰنِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَٰمِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَٰلِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَٰلَٰتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ أَوْ صَدِيقِكُمْ ۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا۟ جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا ﴾.

١١ ـ الأدب من كمال دينك وجماله ﴿ فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةً طَيِّبَةً ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾.

❀ ❀ ❀

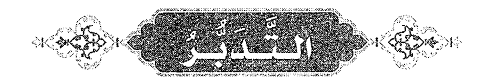
إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُوا۟ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا۟ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٢﴾ لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ۚ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا ۚ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قَدْ يَعْلَمُ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ ﴿٦٤﴾

التفسير

- ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ إيماناً يقتضي العمل ﴿وَإِذَا كَانُوا۟ مَعَهُۥ﴾ مع الرسول ﷺ ﴿عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ﴾ أمرٍ عامٍّ من طاعة الله تعالى ﴿لَّمْ يَذْهَبُوا۟ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ﴾ قبل ذهابهم ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ﴾ عند الخروج ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ حقيقة الإيمان ﴿فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ﴾ حاجتهم ﴿فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ ٱللَّهَ﴾ زيادة على إذنك لهم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾ لكل ذنب ﴿رَّحِيمٌ ﴿٦٢﴾﴾ بعباده المؤمنين.

• ﴿ لَّا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ﴾ بأن تنادوه كما ينادي بعضكم: يا محمد، يا أبا القاسم، بل قولوا: يا نبي الله، ويا رسول الله ﴿ قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ ﴾ يخرجون ﴿لِوَاذًا﴾ خفية ﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ ﴾ شرٌّ ﴿أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٦٣)﴾ موجع.

• ﴿ أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ خلْقاً وملكاً وتدبيراً ﴿قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ ﴾ لا يغيب عنه من ذلك شيء ﴿ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ ﴾ في يوم القيامة ﴿ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا ﴾ يخبرهم بأعمالهم ﴿ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٦٤) ﴾ لا يغيب عنه من أمر الكون شيء.



التَّدبُّر

١ ـ من كمال إيمانك، ألَّا تبرح اجتماعاً، يُرعى فيه دين الله تعالى حتى تُتمَّه أو تستأذن منه ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَىٰ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا حَتَّىٰ يَسْتَأْذِنُوهُ ۚ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ۚ فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٦٢)﴾.

٢ ـ من صفات المنافقين أنهم لا يُتمُّون اجتماعاً، ولا صفّاً، ولا يعتنون براية فيها لحمةُ الكلمةِ ﴿ لَّا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ۚ قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا ۚ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٦٣)﴾.

٣ ـ من تعظيمك لنبيك أن تجلَّ اسمه، وتحتفي بذكره ﴿ لَّا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ﴾.

٤ ـ عظِّم نبيك، وأجل قدره، واحتفِ بسنته، وواظب عليها، وإذا ورد ذكره، فعلِّم من حولك الإجلال ﴿ لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ﴾.

٥ ـ ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ رسالة للذين لم يحملوا الأمر على الجد والحزم.

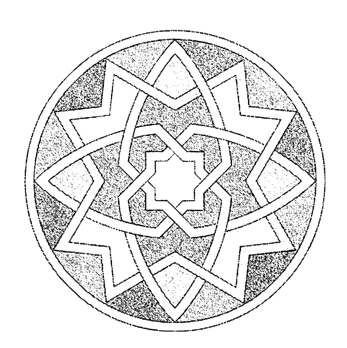
٦ ـ وما يدريك أن يكون تخلُّفك عن أمر رسولك ﷺ سبباً في فتنة قلبك وعذاب جسدك! ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾.

٧ ـ من حق هذا المعنى ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ أن يرتسم في قلبك؛ ليكونَ زاجراً عن كل تخلُّف وتأخر.

٨ ـ طمئن قلبك أنه لا يغيب عن الله تعالى من عملك وجهدك الصالح شيء ﴿ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قَدْ يَعْلَمُ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ ﴿٦٤﴾ ﴾ وازجره عن كل أمر ذميم!

٩ ـ ﴿ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ ﴾ رؤية كافية في العمل من أجل ذلك اليوم.





سُورَةُ الفُرْقَانِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾ ٱلَّذِى لَهُۥ
مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ
وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾ وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا
يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا
يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا ﴿٣﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ
ٱفْتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ ۖ فَقَدْ جَآءُو ظُلْمًا وَزُورًا ﴿٤﴾ وَقَالُوٓا۟
أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا
﴿٥﴾ قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ
غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٦﴾ وَقَالُوا۟ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى
ٱلْأَسْوَاقِ ۙ لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ﴿٧﴾ أَوْ يُلْقَىٰٓ إِلَيْهِ
كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا ۚ وَقَالَ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن
تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٨﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَٰلَ
فَضَلُّوا۟ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٩﴾ تَبَارَكَ ٱلَّذِىٓ إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ
خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَيَجْعَل لَّكَ قُصُورًۢا ﴿١٠﴾ بَلْ
كَذَّبُوا۟ بِٱلسَّاعَةِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِٱلسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴿١١﴾

التفسير

- ﴿تَبَارَكَ﴾ تعاظم وتكاثر بركةً وخيراً ﴿ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ﴾ القرآن ﴿عَلَىٰ عَبْدِهِۦ﴾ محمد ﷺ ﴿لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ۝١﴾ يبلغهم أوامر الله تعالى، وينذرهم بأسه ونقمته.
- ﴿ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ المتصرِّف في شؤونها ﴿وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ﴾ لكمال عظمته ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ۝٢﴾ خلقه خلقاً متقناً بديعاً.
- ﴿وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ﴾ من دون الله تعالى ﴿ءَالِهَةً﴾ يعبدونها ﴿لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا﴾ أي إن هذه الآلهة لا تملك خلق شيء ﴿وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ وهم أنفسهم مخلوقون ﴿وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾ لأنه لا سبيل لهم إلى ذلك ﴿وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا ۝٣﴾ بعثاً بعد الموت.
- ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ﴾ أي القرآن ﴿إِلَّآ إِفْكٌ﴾ كذب ﴿ٱفْتَرَىٰهُ﴾ اختلقه محمد من عند نفسه ﴿وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ﴾ ساعده في ذلك آخرون ﴿فَقَدْ جَآءُو﴾ القائلون ذلك ﴿ظُلْمًا وَزُورًا ۝٤﴾ بافترائهم، وجرأتهم على ما قالوا.
- ﴿وَقَالُوٓا۟ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ هذا الذي جاء به هو قصص الأولين وأخبارهم ﴿ٱكْتَتَبَهَا﴾ نسخها ونقلها إلينا ﴿فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ﴾ تُقرأ عليه ﴿بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۝٥﴾ صباحاً ومساءً.
- ﴿قُلْ أَنزَلَهُ﴾ أي القرآن ﴿ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ رب العالمين ﴿إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا﴾ للمذنبين ﴿رَّحِيمًا ۝٦﴾ بهم.

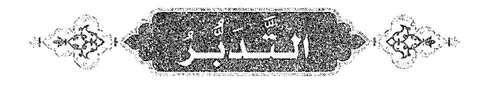
• ﴿وَقَالُوا۟ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ﴾ كما يأكل بقية الناس ﴿وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ﴾ للمعاش ﴿لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ﴾ هلَّا أنزل إليه ملك ﴿فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ﴿٧﴾﴾ يساعده في البلاغ.

• ﴿أَوْ يُلْقَىٰٓ إِلَيْهِ كَنزٌ﴾ مالٌ وفير ﴿أَوْ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا﴾ فيستغني بذلك عن المشي في الأسواق ﴿وَقَالَ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٨﴾﴾ مغلوباً على أمره.

• ﴿ٱنظُرْ﴾ تأمّل ﴿كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَٰلَ﴾ التي اقترحوها من المال، أو الجنان، أو الملَك ﴿فَضَلُّوا۟ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٩﴾﴾ فلا يهتدون بمثل ذلك إلى طريق مستقيم.

• ﴿تَبَارَكَ﴾ تعاظم ﴿ٱلَّذِىٓ إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ﴾ مما اقترحه هؤلاء ﴿جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَيَجْعَل لَّكَ قُصُورًۢا ﴿١٠﴾﴾ فلو شاء ذلك لأعطاك.

• ﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلسَّاعَةِ﴾ الذي حملهم على ذلك تكذيبهم بيوم القيامة ﴿وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِٱلسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴿١١﴾﴾ نار جهنم.



١ ـ يا الله! ربُّك يُثني على نفسه لإنزاله القرآن عليك، هلَّا وعيت هذا المعنى! ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾﴾.

٢ ـ القرآن نعمةٌ تستحقُّ هذا الإجلال ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾﴾.

٣ ـ يمكنك أن تعاينَ الفرق بين إجلال الله تعالى لكتابه، وإجلالك له؛ لترى الفرق بينك وبين الحياة ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَـٰلَمِينَ نَذِيرًا ۝١﴾.

٤ ـ من فقهك وكمال وعيك أن تهب من سنام وقتك لهذا القرآن قراءةً وحفظاً وتدبراً واستشفاءً ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَـٰلَمِينَ نَذِيرًا ۝١﴾.

٥ ـ ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَـٰلَمِينَ نَذِيرًا ۝١﴾ رسالةٌ للدعاة توجِّههم لإنقاذ الأمة، وتصحيح مسارها من خلال هذا القرآن.

٦ ـ من فَتَحَ الله تعالى عليه في استثمار هذا القرآن في الدعوة؛ فقد فتح له باباً كبيراً في التأثير ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَـٰلَمِينَ نَذِيرًا ۝١﴾.

٧ ـ ﴿ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ۝٢﴾ ماذا بقي للمشركين من دعوى؟!

٨ ـ هذا الإبداع الـذي تراه في الكون؛ هـو جزءٌ من إبداعه تعالـى في الحياة ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾.

٩ ـ لا يمكن أن تجد شـيئاً مختلاً، أو يحتـاج إلى إصلاح ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾.

١٠ ـ مهما بلغت حضارة العالم؛ فهي لا شيء بالنظر إلى قدرة الله تعالى وشأنه في الكون ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾.

١١ ـ كل قوانين الحياة قابلة للنظر والاسـتدلال لصحتهـا وصدقها، أما خلق الله تعالى فأكبر من ذلك بكثير ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾.

١٢ ـ نافذة على عظمة ربك ﴿ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ۝٢﴾ ونافـذة مقابلـة على

فوضوية الناس في الحياة ﴿وَاتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا ﴿٣﴾﴾.

١٣ ـ العبيد لا تصلح لهم إلا القيود ﴿وَاتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا ﴿٣﴾﴾ أراد الله تعالى أن يحررهم من الخلق؛ فرفضوا إلا قيود العبودية.

١٤ ـ تصوَّر أن تصنع لك إلهاً مثلك، لا يضر ولا ينفع في شيء، ثم تتعبد له ما بقي من عمرك! يا لخسارة الحياة! ﴿وَاتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا ﴿٣﴾﴾.

١٥ ـ حين تواجه الحقائق بالتسفيه ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ ۖ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا ﴿٤﴾ وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٥﴾﴾.

١٦ ـ من العبث أن تواجه الحقائق بزيف الأوهام والجهل والضلال ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ ۖ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا ﴿٤﴾ وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٥﴾﴾.

١٧ ـ حين تُزهِقُ الحقائقُ الأوهامَ العارضة في الطريق ﴿قُلْ أَنزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٦﴾﴾.

١٨ ـ جزء كبير من المعركة الدائرة بين الحق والباطل معركة مفاهيم وأفكار وتصورات ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ ۖ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا ﴿٤﴾ وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٥﴾﴾.

١٩ ـ الرد على أهل الباطل، ودحض الشبه، ورسم الحقائق، جزء من منهج القرآن الكريم ﴿قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٦﴾﴾.

٢٠ ـ ضرورة وجود فئة متخصصة في كل علم وشأن من شؤون الدين تتولى ردَّ حجج الباطل، ودحضها، وبيان الحقائق، ونشرها ﴿قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٦﴾﴾.

٢١ ـ من سوء الأدب مع الله تعالى الاعتراض على شرعه وحكمته ﴿وَقَالُوا۟ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ ۙ لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ﴿٧﴾ أَوْ يُلْقَىٰٓ إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا ۚ وَقَالَ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٨﴾﴾.

٢٢ ـ لا تكن شبيهاً لهؤلاء؛ فيلقي إليك الشيطان شبهةً أو سؤالاً، تعترض به على ما يجري في الكون بأمر الله تعالى ﴿وَقَالُوا۟ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ ۙ لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ﴿٧﴾ أَوْ يُلْقَىٰٓ إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا ۚ وَقَالَ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٨﴾﴾.

٢٣ ـ تعلَّم كيف تلقي بقلبك ومشاعرك في ساحة الاستسلام لأمر ربك وشرعه وحكمته ﴿وَقَالُوا۟ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ ۙ لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ﴿٧﴾ أَوْ يُلْقَىٰٓ إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا ۚ وَقَالَ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٨﴾﴾.

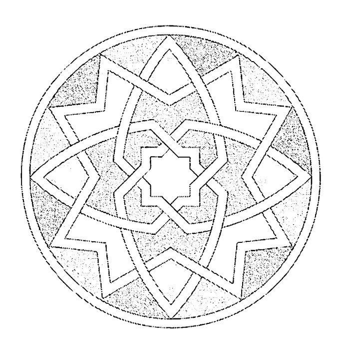
٢٤ ـ إذا غابت الرؤية كثرت سؤالات الأوهام ﴿وَقَالُوا۟ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ ۙ لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ﴿٧﴾ أَوْ

يُلْقَىٰٓ إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا ۚ وَقَالَ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٨﴾ ﴾.

٢٥ ـ لله تعالى حِكَم، ولو شاء لأعطى الحكمة من كل شيء ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِىٓ إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَيَجْعَل لَّكَ قُصُورًا ﴿١٠﴾﴾.

٢٦ ـ لا تسل! لِمَ صنعوا هذه الأسئلة ووقفوا في عرض الطريق! ﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلسَّاعَةِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِٱلسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴿١١﴾﴾.

❀ ❀ ❀



إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ سَمِعُوا۟ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴿١٢﴾ وَإِذَآ أُلْقُوا۟ مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْا۟ هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴿١٣﴾ لَّا تَدْعُوا۟ ٱلْيَوْمَ ثُبُورًا وَٰحِدًا وَٱدْعُوا۟ ثُبُورًا كَثِيرًا ﴿١٤﴾ قُلْ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ ٱلْخُلْدِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۚ كَانَتْ لَهُمْ جَزَآءً وَمَصِيرًا ﴿١٥﴾ لَّهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ خَٰلِدِينَ ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ وَعْدًا مَّسْـُٔولًا ﴿١٦﴾ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَقُولُ ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِى هَٰٓؤُلَآءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ ﴿١٧﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ مَا كَانَ يَنۢبَغِى لَنَآ أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ نَسُوا۟ ٱلذِّكْرَ وَكَانُوا۟ قَوْمًۢا بُورًا ﴿١٨﴾ فَقَدْ كَذَّبُوكُم بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا ۚ وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا ﴿١٩﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِى ٱلْأَسْوَاقِ ۗ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ ۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴿٢٠﴾

التفسير

• ﴿إِذَا رَأَتْهُم﴾ أي النار ﴿مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴿١٢﴾﴾ غلياناً شديداً، وصوتاً مزعجاً.

• ﴿وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا﴾ من النار ﴿مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ﴾ بالسلاسل ﴿دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴿١٣﴾﴾ خزياً ووبالاً وويلاً.

• ﴿لَّا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا ﴿١٤﴾﴾ قولوا أضعاف ذلك التحسُّر والويل؛ فلن ينفعكم منه شيء.

• ﴿قُلْ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾ عذابكم الذي تجدون أثره ﴿أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ ۚ كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءً﴾ على تقواهم ﴿وَمَصِيرًا ﴿١٥﴾﴾ مرجعاً يعودون إليه.

• ﴿لَّهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ﴾ من كل شيء ﴿خَالِدِينَ﴾ لا يتحولون عنها ﴿كَانَ﴾ هذا النعيم ﴿عَلَىٰ رَبِّكَ وَعْدًا﴾ وعد به عباده الصالحين ﴿مَّسْئُولًا ﴿١٦﴾﴾ يسأله عباده المؤمنين.

• ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ﴾ يجمعهم ﴿وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ ومعهم مَنْ يعبدونهم من دونه تعالى ﴿فَيَقُولُ﴾ للمعبودين تقريعاً لعابديهم: ﴿أَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِي هَٰؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ ﴿١٧﴾﴾ خالفوا الطريق من تلقاء أنفسهم.

• ﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ﴾ ننزِّهك ﴿مَا كَانَ يَنبَغِي لَنَا أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ﴾ فليس هذا من فعل عبادك ﴿وَلَٰكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَآبَاءَهُمْ﴾ حملهم على ذلك متاع الدنيا الزائل ﴿حَتَّىٰ نَسُوا الذِّكْرَ﴾ ما أمرهم الله تعالى به ﴿وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا ﴿١٨﴾﴾ هلكى.

• ﴿فَقَدْ كَذَّبُوكُم بِمَا تَقُولُونَ﴾ كذبتكم الآلهة في قولكم أنهم سبب ضلالكم ﴿فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا﴾ للعذاب عنكم ﴿وَلَا نَصْرًا﴾ لعجزكم وضعفكم ﴿وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ﴾ بترك ما أمره الله تعالى ﴿نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا ﴿١٩﴾﴾ عظيماً.

• ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا﴾ يا رسول الله ﴿قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ الذين سبقوك في البلاغ ﴿إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِى ٱلْأَسْوَاقِ﴾ مثلك لا فرق ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ﴾ أيها الناس ﴿لِبَعْضٍ فِتْنَةً﴾ اختباراً في الغنى والفقر، والصحة والمرض ﴿أَتَصْبِرُونَ﴾ على ما ابتليتم به ﴿وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴿٢٠﴾﴾ بمن يصلح للإيمان والصبر، ومن لا يصلح لذلك.

التَّدَبُّر

١ ـ هذه نهايات المضلين، ما كان أحوجهم للعبر ﴿إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا۟ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴿١٢﴾ وَإِذَآ أُلْقُوا۟ مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْا۟ هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴿١٣﴾ لَّا تَدْعُوا۟ ٱلْيَوْمَ ثُبُورًا وَٰحِدًا وَٱدْعُوا۟ ثُبُورًا كَثِيرًا ﴿١٤﴾﴾.

٢ ـ أيهما أولى وأحرى بالقرار؟ ﴿قُلْ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ ٱلْخُلْدِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۚ كَانَتْ لَهُمْ جَزَآءً وَمَصِيرًا ﴿١٥﴾ لَّهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ خَٰلِدِينَ ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ وَعْدًا مَّسْـُٔولًا ﴿١٦﴾﴾.

٣ ـ إذا لم تتحوَّل هذه المواقف إلى قرارات عملية في حياة الواحد منا، فلا فائدة من قراءتنا لهذا الوحي! ﴿قُلْ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ ٱلْخُلْدِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۚ كَانَتْ لَهُمْ جَزَآءً وَمَصِيرًا ﴿١٥﴾ لَّهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ خَٰلِدِينَ ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ وَعْدًا مَّسْـُٔولًا ﴿١٦﴾﴾.

٤ ـ تحرروا قبل مواقف العذاب، وأسئلة الحسرات ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَقُولُ ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِى هَٰٓؤُلَآءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ ﴿١٧﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ مَا كَانَ يَنۢبَغِى لَنَآ أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ نَسُوا۟ ٱلذِّكْرَ وَكَانُوا۟ قَوْمًۢا بُورًا ﴿١٨﴾ فَقَدْ كَذَّبُوكُم بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا ۚ وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا ﴿١٩﴾﴾.

٥ ـ كل الذين اتَّبعتهم وقلدتهم، وأخذت بآرائهم، تحتاج إلى أدلة كافية على ذلك التقليد والاتباع؛ وإلا سيدار عليك وعليهم السؤال نفسه ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَقُولُ ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِى هَٰٓؤُلَآءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ ﴿١٧﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ مَا كَانَ يَنۢبَغِى لَنَآ أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ نَسُوا۟ ٱلذِّكْرَ وَكَانُوا۟ قَوْمًۢا بُورًا ﴿١٨﴾ فَقَدْ كَذَّبُوكُم بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا ۚ وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا ﴿١٩﴾﴾.

٦ ـ ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَقُولُ ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِى هَٰٓؤُلَآءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ ﴿١٧﴾﴾ ما عبدوهم! وإنَّما اتبعوهم في كل شيء، لا فرق!

٧ ـ رأيتُ قطيعاً كثيراً يتبع ضالّاً شوَّه شريعة الله تعالى، وأفسد فيها، وستُدار على الرأس والقطيع أسئلةُ الحسرات ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَقُولُ ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِى هَٰٓؤُلَآءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ ﴿١٧﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ مَا كَانَ يَنۢبَغِى لَنَآ أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ نَسُوا۟ ٱلذِّكْرَ وَكَانُوا۟ قَوْمًۢا بُورًا ﴿١٨﴾ فَقَدْ كَذَّبُوكُم بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا ۚ وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا ﴿١٩﴾﴾.

٨ ـ هذه حسرات الأئمة المضلِّين ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَقُولُ ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِى هَٰٓؤُلَآءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ ﴿١٧﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ مَا

كَانَ يَنۢبَغِي لَنَآ أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ نَسُواْ ٱلذِّكْرَ وَكَانُواْ قَوْمًۢا بُورًا ﴿١٨﴾ فَقَدْ كَذَّبُوكُم بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا ۚ وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا ﴿١٩﴾﴾.

٩ ـ اطمئن! هذا هو الطريق الصحيح؛ فلا تضيرك سؤالات المبطلين ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِى ٱلْأَسْوَاقِ ۗ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ ۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴿٢٠﴾﴾.

١٠ ـ إذا رأيت فقيراً، أو مسكيناً، أو ضالاً عن الطريق؛ فهب له من مشاعرك وجميل أثرك، وتذكَّر أن ما أنت فيه هو من نعيم الله تعالى عليك ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ﴾.

١١ ـ جلس الفقير بجانبه؛ فانزوى عنه واستاء، وركب سيارة صاحبه القديمة؛ فتلوَّن وجهه وتغيَّر، وعرض عليه فقيرٌ ماءً في كوب؛ فامتنع، كلُّ ذلك كِبْراً واستعلاءً ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ﴾.

١٢ ـ من جميل شعوره بالآخرين أنه إذا رأى غيره في حال أقل منه رثى لحاله، ورقَّ قلبه، وجرى دمعه لظروف أخيه ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ﴾.

١٣ ـ والآخر الذي أصابته ظروف الحياة إذا رأى غيره في حالٍ أجمل من حاله؛ فليحمد الله تعالى، وليشكره، ولينتظر ما وَعَدَهُ به ربه ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ﴾.

❀ ❀ ❀

۞ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ
أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا ۗ لَقَدِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا
﴿٢١﴾ يَوْمَ يَرَوْنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ
حِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٢٢﴾ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ
هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا
وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴿٢٤﴾ وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ
تَنزِيلًا ﴿٢٥﴾ ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ ۚ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى
ٱلْكَٰفِرِينَ عَسِيرًا ﴿٢٦﴾ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ
يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ
فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى ۗ
وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ
يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴿٣٠﴾ وَكَذَٰلِكَ
جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا
وَنَصِيرًا ﴿٣١﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً
وَٰحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴿٣٢﴾

التفسير

• ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا﴾ من أهل الكفر ﴿لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ يشهدون بصدق الرسول ﴿أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا﴾ يحدثنا أن هذا رسول من قبله ﴿لَقَدِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾ حملهم على قول ذلك الكبر ﴿وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا ﴿٢١﴾﴾ عاندوا وأصروا عن الحقِّ لدرجةٍ كبيرة.

• ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ﴾ التي اقترحوا نزولها ﴿لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ﴾ حين يرونها لا تنزل بالبشائر، وإنما تنزل بالعذاب والنكال عليهم ﴿وَيَقُولُونَ﴾ أي الملائكة للكفار ﴿حِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٢٢﴾﴾ الجنة حرامٌ محرمةٌ عليكم.

• ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ﴾ في الدنيا ﴿فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾﴾ باطلاً لا فائدة فيه، ولا أثر له.

• ﴿أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ﴾ يوم القيامة ﴿خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا﴾ خير مكاناً ومنزلاً في الجنة ﴿وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴿٢٤﴾﴾ راحةً وهناءً ومأوًى.

• ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ﴾ يوم تشقق السماء عن سحب بيض رقيقة ﴿وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا ﴿٢٥﴾﴾ إلى أرض المحشر.

• ﴿ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ﴾ لا مالك سواه ﴿وَكَانَ يَوْمًا﴾ يوم القيامة ﴿عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ عَسِيرًا ﴿٢٦﴾﴾ صعباً شاقّاً.

• ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ﴾ أسفاً وندماً ﴿يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾﴾ طريقاً للإيمان به والتصديق برسالته.

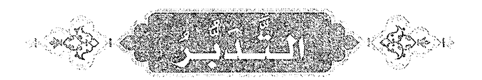
• ﴿يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾﴾ صاحباً وخليلاً من شياطين الإنس والجن.

• ﴿لَّقَدۡ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكۡرِ﴾ صدّني عنه ﴿بَعۡدَ إِذۡ جَآءَنِي﴾ واضحاً بيّناً ﴿وَكَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لِلۡإِنسَٰنِ خَذُولٗا ٢٩﴾ يخذله عن مواطن التوفيق، ويزين له طريق السوء.

• ﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ﴾ شاكياً لربه: ﴿يَٰرَبِّ إِنَّ قَوۡمِي ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ مَهۡجُورٗا ٣٠﴾ تركوه فلم يعملوا به.

• ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّٗا مِّنَ ٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾ يعارضه في الحق الذي جاء به ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيٗا﴾ إلى الخيرات ﴿وَنَصِيرٗا ٣١﴾ على الأعداء.

• ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ﴾ على رسول الله ﴿جُمۡلَةٗ وَٰحِدَةٗ﴾ مجتمعاً غير مفرّق ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي أنزلناه مفرقاً ﴿لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ﴾ نثبّت قلبك على الحق ﴿وَرَتَّلۡنَٰهُ تَرۡتِيلٗا ٣٢﴾ نزّلناه شيئاً فشيئاً حتى تعقله وتفهمه.



١ ـ حين يبلغ الكِبْر والعتوُّ والاستكبار مداه في قلب إنسان ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَوۡ نَرَىٰ رَبَّنَاۗ لَقَدِ ٱسۡتَكۡبَرُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ وَعَتَوۡ عُتُوّٗا كَبِيرٗا ٢١﴾.

٢ ـ لا حدود للإعراض ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَوۡ نَرَىٰ رَبَّنَاۗ لَقَدِ ٱسۡتَكۡبَرُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ وَعَتَوۡ عُتُوّٗا كَبِيرٗا ٢١﴾ يرفضون الهداية، ويشتهون أدلة على أهوائهم.

٣ - في مرَّاتٍ كثيرةٍ يرفض فتوى واضحة، أو قولاً معتبراً، لا لشيء إلا لطغيان الكبر ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا ۗ لَقَدِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا ﴿٢١﴾﴾.

٤ - تأمل قلبك! هل شعرت يوماً بالكبر أمام نصٍّ من شريعة الله تعالى ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا ۗ لَقَدِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا ﴿٢١﴾﴾ إياك ومشابهة الضالِّين!

٥ - للسائلين عن الملائكة! سيأتونكم في يوم الحسرات ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٢٢﴾﴾.

٦ - لكل بيت باب، وباب الإسلام شهادة التوحيد ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَـٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾﴾.

٧ - مهما بلغ عطاء الكافر، فلا قيمة له في واقعه ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَـٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾﴾.

٨ - قرأ هذا المعنى: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَـٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾﴾ ولم يُرْعِهَا سَمْعَهُ، جزء من الغفلة التي تداهمنا في كل شيء.

٩ - من فقهك أن ترصد عملك وفق هذا المعنى، حتى لا تبدده في غير الطريق ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَـٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾﴾.

١٠ - كم من عمل صالح جرت عليه خطايا الرياء فلم تُبْقِ منه شيئاً ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَـٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾﴾.

١١ - كم من عمل قليل كبَّرته النية! وكم من عملٍ كبيرٍ حقَّرته النية! ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَـٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾﴾.

١٢ ـ ارقب عملك، وحركتك، ونيتك في كل شيء تقدمه في واقعك ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَـٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾﴾.

١٣ ـ إذا أقبلت على تأليف كتاب، أو إقامة مشروع، أو إلقاء كلمة، أو بر ومعروف؛ فاجعل حديث النية[1] يجري في كل عمل؛ فذلك أدعى لقبوله وحصول ما ترجوه ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَـٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾﴾.

١٤ ـ هل تعبت، وجهدت، وطالت عليك شُـقَّة الطريق؟! هـذه الأماني تنتظرك ﴿أَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴿٢٤﴾﴾.

١٥ ـ هل تشـعر بأنك محروم من كثير من متع الحياة! انتظـر فثَمَّةَ أملٌ قد قطع إليك نصف الطريق ﴿أَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴿٢٤﴾﴾.

١٦ ـ ثمة يوم سيتغيَّر فيه العالم، وسـتتبدَّل فيه الأحوال، وتنتهي فيه قصة الدنيا كلها ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَـٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا ﴿٢٥﴾ ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَـٰنِ ۚ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ عَسِيرًا ﴿٢٦﴾﴾.

١٧ ـ اسـتعد، وخذ كامل اسـتعدادك فالحياة الآخرة أكبر من تصوراتك ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَـٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا ﴿٢٥﴾ ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَـٰنِ ۚ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ عَسِيرًا ﴿٢٦﴾﴾.

١٨ ـ ثمة مواعيد للبكاء والأسف والحسرات ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَـٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَـٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَـٰنُ لِلْإِنسَـٰنِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾﴾.

(١) حديث: «**إنّما الأعمـال بالنيّات، وإنَّما لكلِّ امرئ ما نوى...**» أخرجه البخاري (١) ومسـلم (١٩٠٧) عن عمر رضي الله عنه.

١٩ ـ (يعضُّ)، (ويا ليتني)، (ويا ويلتىٰ) فات أوانها، ولا تغني عن صاحبها شيئاً ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾﴾.

٢٠ ـ كم مرة قيل للظالم انتبه؛ فلم يستوعب نصائح المصلحين! هذا زمان بكاء المفرطين ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾﴾.

٢١ ـ أيها الأصحاب! تأملوا أصحابكم حتى لا تجري عليكم حسرات المفرطين ﴿يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾﴾.

٢٢ ـ كم من صاحب أورد صاحبه خواتيم السوء وما زال ﴿يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾﴾.

٢٣ ـ غالب نهايات السـوء، وحكايات الظلام، ومواقف البؤس والحسرات من الأصدقاء؛ فتنبَّهوا ﴿يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾﴾.

٢٤ ـ صاحبه فعرَّفه على السفر، فما زال به حتى أغرقه في الظلام ﴿يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾﴾ وما زال به حتى تأخر عن الفضيلة، ووقع في الربا، وسقط في الحضيض، وجاء يشتكي يوم القيامة بعد الفوات.



٢٥ ـ كارثة أن تأتي ضمن أسـماء المعرضين عن القرآن! ﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَـٰرَبِّ إِنَّ قَوۡمِى ٱتَّخَذُواْ هَـٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ مَهۡجُورًا ﴿٣٠﴾﴾.

٢٦ ـ أسـعد كتاب في الحياة، وأسوأ رحلة إعراض في حياة إنسان ﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَـٰرَبِّ إِنَّ قَوۡمِى ٱتَّخَذُواْ هَـٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ مَهۡجُورًا ﴿٣٠﴾﴾.

٢٧ ـ عشرون دقيقة كافية لقراءة جزء كامل من القرآن، يا لحسرات المفرطين! كم من أوقات ذهبت في غير طريق ﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَـٰرَبِّ إِنَّ قَوۡمِى ٱتَّخَذُواْ هَـٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ مَهۡجُورًا ﴿٣٠﴾﴾.

٢٨ ـ هجروه قراءةً، واستشـفاءً، وتدبُّراً، وعملاً؛ فكانت الشكوى ﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَـٰرَبِّ إِنَّ قَوۡمِى ٱتَّخَذُواْ هَـٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ مَهۡجُورًا ﴿٣٠﴾﴾.

٢٩ ـ لو أعطي القرآن من الوقت ربع ما تعطى وسائل التواصل الاجتماعي اليوم؛ لخرَّج لنا أجيالاً ناهضة في الحياة ﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَـٰرَبِّ إِنَّ قَوۡمِى ٱتَّخَذُواْ هَـٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ مَهۡجُورًا ﴿٣٠﴾﴾.

٣٠ ـ هذا لا يقلِّب صفحاته إلا يوم الجمعة لقراءة سورة الكهف، وذاك لا يقلِّب صفحاته إلا في الشهر، وثالث لا يعرفه إلا في رمضان، ورابع، وخامس، وعاشر ﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَـٰرَبِّ إِنَّ قَوۡمِى ٱتَّخَذُواْ هَـٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ مَهۡجُورًا ﴿٣٠﴾﴾.

٣١ ـ سـنة من سـنن التاريـخ ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلۡمُجۡرِمِينَۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴿٣١﴾﴾ ولكل مصلح وداعية وصانع للتغيير!

٣٢ ـ حملك لراية الإصلاح، ودفاعك عن دينك، والنهضة بأفكار من حولك أدلة كافيـة على أنك ضمـن كشـوف المتطرفيـن ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلۡمُجۡرِمِينَۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴿٣١﴾﴾.

٣٣ ـ لا تغفل عن هذه السنة ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴿٣١﴾ ﴾ وكُنْ منها على بال!

٣٤ ـ ناهض عدوك على مساحةٍ ما، وسيتولى معاداتك وخصامك، والنزاع معك في كل طريق ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴿٣١﴾ ﴾.

٣٥ ـ خذ كل يوم قسطاً كافياً لتثبيت قلبك من القرآن ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴿٣٢﴾ ﴾.

٣٦ ـ إذا دهمك القلق والخوف والحيرة؛ فأَقْبِلْ على مورد الربيع ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴿٣٢﴾ ﴾.

٣٧ ـ من فقه بعضهم أنه كان له ورد في التلاوة، وآخر في التدبر كل يومٍ ولسنوات، لم يتخلَّف عنه ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴿٣٢﴾ ﴾.

٣٨ ـ ضع في جدولك اليومي تلاوةً مرتَّلةً، أو سماعاً من قارئٍ مثير، وسترى مباهج الحياة ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴿٣٢﴾ ﴾.

❀ ❀ ❀

وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٣﴾
ٱلَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُوْلَٰٓئِكَ شَرٌّ
مَّكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٣٤﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ
وَجَعَلْنَا مَعَهُۥٓ أَخَاهُ هَٰرُونَ وَزِيرًا ﴿٣٥﴾ فَقُلْنَا ٱذْهَبَآ إِلَى
ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا فَدَمَّرْنَٰهُمْ تَدْمِيرًا ﴿٣٦﴾ وَقَوْمَ
نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُواْ ٱلرُّسُلَ أَغْرَقْنَٰهُمْ وَجَعَلْنَٰهُمْ لِلنَّاسِ
ءَايَةً ۖ وَأَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣٧﴾ وَعَادًا وَثَمُودَاْ
وَأَصْحَٰبَ ٱلرَّسِّ وَقُرُونًۢا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا ﴿٣٨﴾ وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ
ٱلْأَمْثَٰلَ ۖ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا ﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ أَتَوْاْ عَلَى ٱلْقَرْيَةِ
ٱلَّتِىٓ أُمْطِرَتْ مَطَرَ ٱلسَّوْءِ ۚ أَفَلَمْ يَكُونُواْ يَرَوْنَهَا ۚ بَلْ
كَانُواْ لَا يَرْجُونَ نُشُورًا ﴿٤٠﴾ وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ
إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا ﴿٤١﴾ إِن كَادَ
لَيُضِلُّنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا لَوْلَآ أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا ۚ وَسَوْفَ
يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ أَرَءَيْتَ
مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾

التفسير

• ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ﴾ يعارضون به الحق ﴿إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ﴾ مقابل باطلهم ﴿وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٣﴾﴾ أحسن تفصيلاً وبياناً.

• ﴿ٱلَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ﴾ يساقون إلى جهنم على وجوههم ﴿أُوْلَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا﴾ أسوأه وأقبحه ﴿وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٣٤﴾﴾ وأخطأ طريقاً؛ لأنه طريق الكفر والضلال.

• ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾ أي التوراة ﴿وَجَعَلْنَا مَعَهُۥٓ أَخَاهُ هَٰرُونَ وَزِيرًا ﴿٣٥﴾﴾ يعينه ويساعده.

• ﴿فَقُلْنَا ٱذْهَبَآ إِلَى ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ فرعون وقومه ﴿فَدَمَّرْنَٰهُمْ تَدْمِيرًا ﴿٣٦﴾﴾ أهلناكم هلاكاً كبيراً.

• ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُواْ ٱلرُّسُلَ أَغْرَقْنَٰهُمْ﴾ بالماء ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ لِلنَّاسِ ءَايَةً﴾ عبرة وعظة ﴿وَأَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣٧﴾﴾ موجعاً قاسياً.

• ﴿وَعَادًا وَثَمُودَاْ وَأَصْحَٰبَ ٱلرَّسِّ﴾ أصحاب البئر ﴿وَقُرُونًۢا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا ﴿٣٨﴾﴾ ودمرنا بين هؤلاء وهؤلاء أمماً كثيرة.

• ﴿وَكُلًّا﴾ من هذه الأمم ﴿ضَرَبْنَا لَهُ ٱلْأَمْثَٰلَ﴾ نبّهناهم بالأمثال والحجج ﴿وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا ﴿٣٩﴾﴾ أهلكناهم ودمرناهم جميعاً.

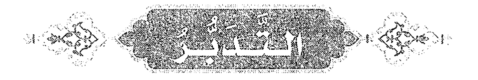
• ﴿وَلَقَدْ أَتَوْاْ﴾ أي كفار مكة ﴿عَلَى ٱلْقَرْيَةِ﴾ سدوم قرية قوم لوط ﴿ٱلَّتِىٓ أُمْطِرَتْ مَطَرَ ٱلسَّوْءِ﴾ الحجارة المهلكة التي أصابتهم ﴿أَفَلَمْ يَكُونُواْ يَرَوْنَهَا﴾ أفلم يكن هؤلاء يرون هذه القرية وما حلّ فيها من العذاب

والنكال ﴿بَلْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ نُشُورًا ۝٤٠﴾ يرونها لكن منعهم من الإيمان أنهم لا يرجون بعثاً ولا جزاءً.

• ﴿وَإِذَا رَأَوْكَ﴾ هؤلاء الكفار ﴿إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا﴾ سخرية واستهزاءً ﴿أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا ۝٤١﴾ يقولون ذلك على سبيل الاستهزاء.

• ﴿إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا﴾ هذا الرسول أوشك أن يضلَّنا عن آلهتنا التي نعبدها ﴿لَوْلَآ أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا﴾ تحمَّلنا في سبيلها، ولم نستمع له ﴿وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا ۝٤٢﴾ هم أَمْ رسول الله ﷺ!

• ﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ ألا تعجب من حال هذا الذي جعل الهوى إلهاً يعبده ﴿أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ۝٤٣﴾ حفيظاً على أفعاله.



١ ـ كل أمثلة الباطل في مقابل القرآن لا شيء ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ۝٣٣﴾.

٢ ـ إذا رأيت حضارة، وعمراناً، وكتباً؛ فقابلها بهذا الوحي، إما أن يثبت صدقها، أو يهدمها من أصلها، ولا يبقي لها بناءً ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ۝٣٣﴾.

٣ ـ ﴿ٱلَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُو۟لَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا ۝٣٤﴾ حتى لو كانوا أصحاب علم وصُنَّاع حضارة!

٤ ـ النجاح الكبير أن تعرف طريق الحق قبل أن تساق على وجهك لمواقف الجحيم ﴿ٱلَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُوْلَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٣٤﴾﴾.

٥ ـ كم من مخترع يتحدَّث عنه التاريخ، سيأتي مسحوباً على وجهه إلى الجحيم! ﴿ٱلَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُوْلَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٣٤﴾﴾.

٦ ـ ثمة أناس عرفوا طريق الحياة، وصنعوا منها حكايات، وضلُّوا عن طريق الآخرة؛ فكان هذا الشقاء ﴿ٱلَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُوْلَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٣٤﴾﴾.

٧ ـ إذا رأيت كبيراً من أهل الضلال، تذكر هذه الخاتمة التي تنتظره ﴿ٱلَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُوْلَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٣٤﴾﴾.

٨ ـ لم يترك الله تعالى قوماً من غير حجَّةٍ وبرهان ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَا مَعَهُۥٓ أَخَاهُ هَٰرُونَ وَزِيرًا ﴿٣٥﴾ فَقُلْنَا ٱذْهَبَآ إِلَى ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا فَدَمَّرْنَٰهُمْ تَدْمِيرًا ﴿٣٦﴾﴾.

٩ ـ كل الذين رفضوا الهداية، ولم ينتفعوا بالرسل لقوا الجزاء نفسه ﴿فَقُلْنَا ٱذْهَبَآ إِلَى ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا فَدَمَّرْنَٰهُمْ تَدْمِيرًا ﴿٣٦﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُواْ ٱلرُّسُلَ أَغْرَقْنَٰهُمْ وَجَعَلْنَٰهُمْ لِلنَّاسِ ءَايَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣٧﴾ وَعَادًا وَثَمُودَاْ وَأَصْحَٰبَ ٱلرَّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا ﴿٣٨﴾ وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ ٱلْأَمْثَٰلَ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا ﴿٣٩﴾﴾.

١٠ ـ هذه حكاية الله تعالى عن المعرضين ﴿فَقُلْنَا ٱذْهَبَآ إِلَى ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا فَدَمَّرْنَٰهُمْ تَدْمِيرًا ﴿٣٦﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُواْ ٱلرُّسُلَ أَغْرَقْنَٰهُمْ وَجَعَلْنَٰهُمْ لِلنَّاسِ ءَايَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣٧﴾ وَعَادًا وَثَمُودَاْ وَأَصْحَٰبَ ٱلرَّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا ﴿٣٨﴾ وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ ٱلْأَمْثَٰلَ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا ﴿٣٩﴾﴾.

١١ ـ مشكلة كثيرين غياب الرؤية النهائية للحياة! ﴿وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا﴾.

١٢ ـ لا يردك إلى الحق، ويجعلك تستفيد منه، ويأسرك للبحث عن الحقائق إلا انتظارُ شيء عظيم ﴿بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا﴾.

١٣ ـ الأدلة لا تأخذ حظَّها من الإقناع إلا إذا صلحت القلوب ﴿وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا﴾.

١٤ ـ حين يرصد العدو خطواتك، ويتخذك مثالاً للسخرية والاستهزاء ﴿وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا (٤١) إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ آلِهَتِنَا لَوْلَا أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ الْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا (٤٢)﴾.

١٥ ـ أسوأ الإصابات والآلام التي تعيشها الأمة، أنها لا تشعر بالحرب الدائرة عليها في كثير من الأحيان، والعدو يشعر بكل شيء ﴿وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا (٤١) إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ آلِهَتِنَا لَوْلَا أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ الْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا (٤٢)﴾.

١٦ ـ تغيير الموازين جزء من المعركة الدائرة بين الحق والباطل ﴿إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ آلِهَتِنَا لَوْلَا أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ الْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا (٤٢)﴾ (ليضلنا) كأنهم هم على الحق، وهو داعٍ للضلال!

١٧ ـ هل تتصوَّر أن يكون الهوى إلهاً! هذه هي الحقيقة ﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا (٤٣)﴾.

١٨ ـ ما أكثر الآلهة! وما أكثر عبّادها في هذا الزمان! ﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا (٤٣)﴾.

١٩ ـ كل شيء قدمته على دين الله تعالى فهو إله، وإن لم تركع له وتسجد ﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ۝٤٣﴾.

٢٠ ـ هل تتوقَّع أنك تعبد غير الله تعالى! راقب صراع شهواتك مع طاعة ربك؛ فمن غلب فهو الإله ﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ۝٤٣﴾.

٢١ ـ المال الذي يقعدك عن واجبك الشرعي، واللهو الذي لا تبرح مساحتَه على الرغم من قيام واجب الله تعالى، والشهوات التي لا تخضع فيها لرضى ربك؛ آلهة تُعبد من دون الله تعالــى ﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ۝٤٣﴾.

٢٢ ـ ثمة أصنام تعبد في قلوب كثيرين، تحتاج معاول تهدمها ﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ۝٤٣﴾.

٢٣ ـ صنم القبيلة ووثنها الكبير ما زالت تؤمه قلوب كثير من المسلمين ﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ۝٤٣﴾ ولذلك تشاع في كل مرة نائحة على هذه الآلهة.

٢٤ ـ الرســول ﷺ يقول: «**إذا جاءكم مــن ترضون دينه وخلقــه فزوجوه**» وهم يقولون: لا نُزوّج إلا من قبيلتنا، وفخذنا، وجماعتنا، وتظل المسكينة بلا زوج حتى تموت قرباناً لإله القبيلة ﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ۝٤٣﴾.

٢٥ ـ لا يقسمون الميراث حتى يموت حقُّ البنت التي تزوَّجت الغرباء، هذا أيضاً (إلــه يُعبــد) ﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ۝٤٣﴾ ويرعون زمناً طويلاً من أموالها!

❀ ❀ ❀

أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا
كَالْأَنْعَٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ
ٱلظِّلَّ وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا
﴿٤٥﴾ ثُمَّ قَبَضْنَٰهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴿٤٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ
لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِبَاسًا وَٱلنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورًا ﴿٤٧﴾
وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۚ وَأَنزَلْنَا
مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾ لِّنُحْۦِىَ بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا وَنُسْقِيَهُۥ
مِمَّا خَلَقْنَآ أَنْعَٰمًا وَأَنَاسِىَّ كَثِيرًا ﴿٤٩﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَٰهُ بَيْنَهُمْ
لِيَذَّكَّرُوا۟ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٥٠﴾ وَلَوْ شِئْنَا
لَبَعَثْنَا فِى كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا ﴿٥١﴾ فَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ
وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا ﴿٥٢﴾ ۞ وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ
ٱلْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا
وَحِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٥٣﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ
نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴿٥٤﴾ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ
مَا لَا يَنفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ ۗ وَكَانَ ٱلْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِۦ ظَهِيرًا ﴿٥٥﴾

التفسير

- ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ﴾ أي المشركين ﴿يَسْمَعُونَ﴾ ما يتلى عليهم ﴿أَوْ يَعْقِلُونَ﴾ ما يرون من حجج الله تعالى عليهم ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ﴾ كالبهائم، لا فرق بينهم وبينها ﴿بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾﴾ أضل حتى من البهائم ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ ألم تشاهد ببصرك نعمة ربك وسعة فضله ﴿كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ﴾ ساقه ووسعه، وذلك بعد طلوع الشمس ﴿وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا﴾ لا يتحرك ﴿ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ﴾ على الظل ﴿دَلِيلًا ﴿٤٥﴾﴾ فلولا وجود الشمس لما عرف الظل ﴿ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴿٤٦﴾﴾ أي الظل ينقص ويقلُّ بطلوع الشمس حتى يتحوَّل بعد الزوال إلى فيء.

- ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا﴾ كاللباس تستترون به ﴿وَالنَّوْمَ سُبَاتًا﴾ راحة تستريحون فيه ﴿وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا ﴿٤٧﴾﴾ بما فيه من النور جعله حركة ونشاطاً.

- ﴿وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ﴾ الملقحة ﴿بُشْرًا﴾ مبشرة ﴿بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾ قبيل نزول الغيث ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾﴾ طاهراً مطهراً.

- ﴿لِنُحْيِيَ بِهِ﴾ بالغيث ﴿بَلْدَةً مَيْتًا﴾ أرضاً مواتاً ﴿وَنُسْقِيَهُ﴾ أي الماء ﴿مِمَّا خَلَقْنَا﴾ من خلقنا ﴿أَنْعَامًا﴾ كالبهائم ﴿وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا ﴿٤٩﴾﴾ أناساً كثيراً من الخلق.

- ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ﴾ قسمناه ووزعناه بينهم ﴿لِيَذَّكَّرُوا﴾ نعم الله تعالى عليهم ﴿فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٥٠﴾﴾ جحوداً لفضل الله تعالى.

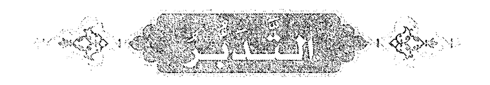
• ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا ﴿٥١﴾﴾ يبلغ الناس أمر الله تعالى، ولم نفعل ذلك لحكم عظيمة.

• ﴿فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ﴾ الجاحدين لأمر الله تعالى ﴿وَجَاهِدْهُم بِهِ﴾ بالقرآن ﴿جِهَادًا كَبِيرًا ﴿٥٢﴾﴾ تبلغ فيه غايتك ووسعك.

• ﴿وَهُوَ﴾ أي الله تعالى ﴿الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ﴾ أرسلهما في الأرض ﴿هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ﴾ لذيذ الشرب ﴿وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾ شديد الملوحة ﴿وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا﴾ بين البحرين ﴿بَرْزَخًا﴾ حاجزاً يمنع كل واحد منهما من إفساد الآخر ﴿وَحِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٥٣﴾﴾ حاجزاً حصيناً.

• ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ﴾ من مني الرجل والمرأة ﴿بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا﴾ جمعهم بهذا أنساباً وأصهاراً ﴿وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴿٥٤﴾﴾ على كل شيء.

• ﴿وَيَعْبُدُونَ﴾ أي المشركون ﴿مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ ۗ وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِ ظَهِيرًا ﴿٥٥﴾﴾ عوناً للشيطان في معصية ربه تعالى.



١ ـ بعض الناس أسوأ من الأنعام، لا تقل تأدّب! هذا وصف الله تعالى لهم ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾﴾.

٢ ـ من حقك أن تحار! بقرة وحمار أفضل من إنسان! تلك هي الحقائق ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾﴾ حين يُعرِض الإنسان عن المنهج يصبح أسوأ حتى من الحيوانات!

٣ ـ لا قيمة لإنسان دون منهج الحق ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾﴾.

٤ ـ لا فرق بين حيوان يمشي على الطريق، وبين معرض عن الهداية، كلاهما دون منهج ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾﴾.

٥ ـ حتى الظل الذي يمتد في الصباح، ويتقلَّص في المساء، لا تحركه الطبيعة، إنما يدير شأنه الكبير المتعال ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴿٤٥﴾ ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴿٤٦﴾﴾.

٦ ـ كم مرة أوينا إلى ذلك الظل، غير أنه لم يستوقفنا التفكر في خلق الله تعالى في شيء ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴿٤٥﴾ ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴿٤٦﴾﴾.

٧ ـ كل شيء تراه في الكون؛ فالله تعالى أجرى فيه أسراره وألطافه ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴿٤٥﴾ ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴿٤٦﴾﴾.

٨ ـ خذ مساحة من وقتك للتأمل في آيتي الليل والنهار ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا ﴿٤٧﴾﴾ سترى فيها ما يدهشك!

٩ ـ حتى الغيث الذي يصيب الأرض الموات؛ له قصة بداية ومشهد قبل النزول ﴿وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾ لِّنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا ﴿٤٩﴾﴾.

١٠ ـ الرياح بشارة وتقدمة للخير النازل من السماء ﴿وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾.

١١ ـ هل تصورت يوماً تعيشه دون ماء! أَفِقْ لتذكُّر هذه النعم ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾ لِّنُحْـِۧىَ بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا وَنُسْقِيَهُۥ مِمَّا خَلَقْنَآ أَنْعَٰمًا وَأَنَاسِىَّ كَثِيرًا ﴿٤٩﴾﴾.

١٢ ـ لو توقَّف الماء يوماً واحـداً؛ لتحوَّل العالم كله لجيفة لا تطاق ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾ لِّنُحْـِۧىَ بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا وَنُسْقِيَهُۥ مِمَّا خَلَقْنَآ أَنْعَٰمًا وَأَنَاسِىَّ كَثِيرًا ﴿٤٩﴾﴾.

١٣ ـ ما موقفك من القرآن؟! لعلك ممن انتفعـت به، لا من المعرضين ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَٰهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا۟ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٥٠﴾﴾.

١٤ ـ من مواطن الإعجاب في القرآن ـ وكله كذلك ـ هـذا التنوُّع الذي يأتي على كل مشـهد في الحياة ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَٰهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا۟ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٥٠﴾﴾.

١٥ ـ حتى في كلمتك ورسالتك وموعظتك، إذا حرصت على التنوُّع بلغت شأناً في قلوب المتلقين ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَٰهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا۟ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٥٠﴾﴾.

١٦ ـ الجمود على فكرة واحدة، وأسـلوب واحد، وطريقة محددة مورثٌ للملل، ومجهـدة لآذان السـامعين ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَٰهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا۟ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٥٠﴾﴾.

١٧ ـ حتى في خطاب ولدك، وطالبك، وزوجك، وخطبتك في جامعك، ودرسك في مسجدك، ومن ترعاه أو تلقاه، نوِّع في أسـلوبك، واجهد في تغيير خطابك تلقـى ترحاباً كبيراً في نفوسـهم، وتبلغ منـاك ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَٰهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا۟ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٥٠﴾﴾.

١٨ ـ لن تظفر بسؤالٍ واحدٍ حول الرسالة والشريعة أهمله الوحيُ دون جواب ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا ﴿٥١﴾﴾ وأنت لا تبقي أسئلة في شخصيتك، تحتاج إلى جواب، وتدار حولها التكهنات.

١٩ ـ ﴿فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُم بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا ﴿٥٢﴾﴾ رسالة ألا تمنح المعرضين أياً كان وصفهم فرصة للتنازل عن دينك وقيمك ومبادئك.

٢٠ ـ الحق لا يتسوَّل المعرضين في منتصف الطريق ﴿فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُم بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا ﴿٥٢﴾﴾.

٢١ ـ من لوازم الحق أن تعيش به عزيزاً كبيراً ﴿فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُم بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا ﴿٥٢﴾﴾.

٢٢ ـ ﴿فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ﴾ مهما كانت المصالح المتوقعة، والقضايا العارضة في حياتك.

٢٣ ـ القرآن أعظم الأدوات تأثيراً في ساحات الجهاد ﴿وَجَاهِدْهُم بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا﴾.

٢٤ ـ أدر ساحة المعركة مع عدوك من القرآن قيماً ومبادئ، وأساليب وأفكاراً، ومفاهيم، وشريعة تجري في واقع الناس ﴿وَجَاهِدْهُم بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا﴾.

٢٥ ـ ستجد في القرآن منهجاً واضحاً للتعامل مع المسلم والمنافق والكافر، وكل الناس أفراداً كانوا أو جماعات، سلماً كانت الحياة أو حرباً ﴿وَجَاهِدْهُم بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا﴾.

٢٦ ـ من الجهاد بالقرآن محاكمةُ كلِّ فكرة ونشاط ومشروع وقضية إليه، وعدم الخروج عنه في شيء ﴿وَجَاهِدْهُم بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا﴾.

٢٧ ـ ألق ببصرك ومشاعرك ووجدانك إلى هذه الصور من قدرة الله تعالى ترى الحقائق أبين ما تكون ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٥٣﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴿٥٤﴾﴾.

٢٨ ـ هذا الذي يخاصم في الله تعالى، وينازع في الكون، ويقترح على الله تعالى هو من ذلك الماء ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴿٥٤﴾﴾.

٢٩ ـ وهذه الصلات التي تجمع الناس، وتؤلِّف بينهم، وتقارب بين نفوسهم أصلها من هذا الماء ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴿٥٤﴾﴾ يا الله! ما أحوجنا للتذكّر!

٣٠ ـ كم مرة يفوت هذا المعنى على كثيرين، ثُمَّ لم يتدبَّروه ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴿٥٤﴾﴾.

٣١ ـ العقول المستأجرة ستظل محبوسةً في عبودية المخلوقين ما بقيت ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ ۗ وَكَانَ ٱلْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِۦ ظَهِيرًا ﴿٥٥﴾﴾.

٣٢ ـ قد يقول لك: لا أعبده! ولكنك تراه قد سلَّم له في كل شيء، ولم يبق لعقله حتى مجرد التفكير فيما يصنع ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ ۗ وَكَانَ ٱلْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِۦ ظَهِيرًا ﴿٥٥﴾﴾.

٣٣ ـ يحملون الفكرة نفسها، ويجهدون في الطريق نفسه، وأعوان للشيطان فماذا بقي لهم؟! ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ ۗ وَكَانَ ٱلْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِۦ ظَهِيرًا ﴿٥٥﴾﴾.

❀ ❀ ❀

وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴿٥٦﴾ قُلۡ مَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍ إِلَّا مَن شَآءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلٗا ﴿٥٧﴾ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡحَيِّ ٱلَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِهِۦۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٨﴾ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۚ ٱلرَّحۡمَٰنُ فَسۡـَٔلۡ بِهِۦ خَبِيرٗا ﴿٥٩﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسۡجُدُواْۤ لِلرَّحۡمَٰنِ قَالُواْ وَمَا ٱلرَّحۡمَٰنُ أَنَسۡجُدُ لِمَا تَأۡمُرُنَا وَزَادَهُمۡ نُفُورٗا۩ ﴿٦٠﴾ تَبَارَكَ ٱلَّذِي جَعَلَ فِي ٱلسَّمَآءِ بُرُوجٗا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجٗا وَقَمَرٗا مُّنِيرٗا ﴿٦١﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ خِلۡفَةٗ لِّمَنۡ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوۡ أَرَادَ شُكُورٗا ﴿٦٢﴾ وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا ﴿٦٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمۡ سُجَّدٗا وَقِيَٰمٗا ﴿٦٤﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصۡرِفۡ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَآءَتۡ مُسۡتَقَرّٗا وَمُقَامٗا ﴿٦٦﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامٗا ﴿٦٧﴾

التفسير

• ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ﴾ يا رسول الله ﴿إِلَّا مُبَشِّرٗا﴾ بما عند الله تعالى من النعيم لأهل الإيمان ﴿وَنَذِيرٗا ٥٦﴾ بما عند الله تعالى من العذاب لأهل الكفر.

• ﴿قُلۡ مَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍ﴾ لا أسألكم مالاً مقابل دعوتكم إلى الله ﴿إِلَّا مَن شَآءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلٗا ٥٧﴾ بالنفقة في سبيل الله تعالى.

• ﴿وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡحَيِّ ٱلَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِهِۦ﴾ اعبده وتوكل عليه ﴿وَكَفَىٰ﴾ حسبك ﴿بِهِۦ﴾ بربك ﴿بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ٥٨﴾ لا يخفى عليه منها شيء.

• ﴿ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۚ﴾ بعد خلقها ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ فَسۡـَٔلۡ بِهِۦ خَبِيرٗا ٥٩﴾ الله تعالى خبير بكل شيء.

• ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ﴾ للمشركين ﴿ٱسۡجُدُواْۤ لِلرَّحۡمَٰنِ﴾ وحده لا شريك له ﴿قَالُواْ وَمَا ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾ جحوداً ونكراناً ﴿أَنَسۡجُدُ لِمَا تَأۡمُرُنَا﴾ لمجرد أمرك لنا ﴿وَزَادَهُمۡ نُفُورٗا ۩ ٦٠﴾ دعوتهم إلى السجود لله تعالى زادتهم بعداً.

• ﴿تَبَارَكَ﴾ تعالى وتعاظم ﴿ٱلَّذِي جَعَلَ فِي ٱلسَّمَآءِ بُرُوجٗا﴾ كواكباً عظيمة ﴿وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجٗا﴾ أي الشمس ﴿وَقَمَرٗا مُّنِيرٗا ٦١﴾ مضيئاً.

• ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ خِلۡفَةٗ﴾ يخلف كل منهما الآخر ﴿لِّمَنۡ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ﴾ فضل الله تعالى ونعمته ﴿أَوۡ أَرَادَ شُكُورٗا ٦٢﴾ أو استدل به على شكر الله تعالى على عظيم نعمه.

- ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا﴾ متواضعين ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾﴾ كلاماً سليماً لا أذى فيه.
- ﴿وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ﴿٦٤﴾﴾ يكثرون الصلاة من الليل.
- ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ﴾ ادفع واصرف عنا عذاب جهنم ﴿إِنَّ عَذَابَهَا﴾ أي جهنم ﴿كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾﴾ ملازماً لأهلها لا ينفك عنهم؛ كالغريم مع صاحبه.
- ﴿إِنَّهَا﴾ أي جهنم ﴿سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾﴾ ساء وقَبُحَ المستقرُّ والمقام فيها.
- ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟﴾ في إنفاق المال لدرجة التبذير ﴿وَلَمْ يَقْتُرُوا۟﴾ يضيقوا على أنفسهم لدرجة البخل ﴿وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾﴾ وسطاً، لا إسراف ولا تقتير.

التَّدَبُّرُ

١ ـ هذا هو أصل دعوة الرسل ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٥٦﴾﴾ فإذا بلغتهم الدعوة تحققت رسالة الرسول إليهم.

٢ ـ التنويع فن من فنون الدعوة ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٥٦﴾﴾ بشارة ونذارة.

٣ ـ النفوس التي تستقبل الدعوة تختلف، فبعضها يصلح لها الترغيب، وأخرى لا ينفع في إفاقتها إلا الترهيب ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٥٦﴾﴾ فكن واعياً برسالتك، وافقه ما تقول.

٤ ـ لا يستوي مراد الآخرة ولعاع الحياة العاجل في وقت واحد ﴿ قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَن شَآءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿٥٧﴾ ﴾.

٥ ـ حتى طلب الثناء والشكر والتقدير جزء من الأجر الذي ينبغي ألّا يكون من شأن الكبار ﴿ قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَن شَآءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿٥٧﴾ ﴾.

٦ ـ ضع خشية ربك نصب عينيك في كل شـأنك، وعَظِّمه وأَجِلَّه، وتوكل عليه يتحقق لك مرادك، وتأتي على كل آمالك ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٨﴾ ﴾.

٧ ـ كل أحلامك بين يدي الله تعالى، فادخل من بـاب التوكل، تبلغ مرادك في الدارين ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٨﴾ ﴾.

٨ ـ إذا أحسـنت التوكل على ربك، لم تُلْقِ بالاً لعـوارض الطريق، مهما بلغت صعوباتهـا ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٨﴾ ﴾.

٩ ـ لا ترمِ بقلبك فـي أودية الشـتات ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٨﴾ ﴾.

١٠ ـ ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ ﴾ إن كل الذين تتـوكل عليهم، أو تفوض أمرك إليهم يموتون، وينتهون، ويودعون، ولا يبقى إلا ربك ومولاك.

١١ ـ ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ﴾ نزِّهه عن النقائص، وأجلَّه، وعظِّمه، وأحسن توكلك عليه، وجدِّد علاقتك به.

١٢ ـ ذنبك وخطيئتك وخلواتك لا يغيب على الله تعالى منها شيء ﴿وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ﴾.

١٣ ـ من لا يفوته شـيء من ذنبك حقيقٌ بالوَجَلِ، والاعتـراف، والندم، والتوبة ﴿وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا﴾.

١٤ ـ ماذا لو استشـعرنا هذا المعنى الكبير وأقبلنـا بقلوبنا إليه؟! ﴿وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا﴾.

١٥ ـ هل تأملت حين تقارف معصيةً، أو تقع في ذنب، أو تمارس خطيئة، أن الله تعالى يراك ويراقبك ﴿وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا﴾.

١٦ ـ ما أحوجنا للحياء فـي أوقات الخلوات بالـذات! ﴿وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا﴾.

١٧ ـ ﴿فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا﴾ لا يغيب على ربك شيء.

١٨ ـ الكبر وراء كثير من انتكاسـات الأمم والأفراد والشعوب ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُوا۟ لِلرَّحْمَٰنِ قَالُوا۟ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ۩ ﴿٦٠﴾﴾.

١٩ ـ يركعون ويسـجدون لأصنامهـم ومعبوداتهم، وأوهامهـم، ويتكبرون عن السجود لربهم وخالقهم ومعبودهم ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُوا۟ لِلرَّحْمَٰنِ قَالُوا۟ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ۩ ﴿٦٠﴾﴾.

٢٠ ـ ما رُزق إنسان مثل الاستسلام لله تعالى ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُوا۟ لِلرَّحْمَٰنِ قَالُوا۟ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ۩ ﴿٦٠﴾﴾.

٢١ ـ إذا نظرت بتأمل إلى خلق الله تعالى رأيتَ ما يثري في وجدانك تعظيم الله تعالى وإجلاله ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا ﴿٦١﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴿٦٢﴾﴾.

٢٢ ـ كم من درسٍ، وعظةٍ، وذكرى في تعاقب الليل والنهار! ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴿٦٢﴾﴾.

٢٣ ـ تأمل في بداية فجرك، وضُحَى يومك، لترى هذه الحركة المثيرة التي لا تملك حيالها إلا الدهشة، وتأمل ليلك وهو يكسو هذا الكون سكوناً وظلاماً، لتؤوب إلى بيتك، وتأخذ راحتك، وتجد سكونك كما تريد ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴿٦٢﴾﴾.

٢٤ ـ ما ألطفهم! حتى مشيهم تَحُفُّه السكينة والأدب والجمال ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾﴾.

٢٥ ـ من كمال إيمانك وأدبك ألا تُلقي لمن يخاصمك بالاً ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا﴾.

٢٦ ـ الثورات التي تواجهها من السفهاء تتساقط تباعاً، إذا قوبلتْ بمثل هذه الأخلاق ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا﴾.

٢٧ ـ ما أحوج الأمة في زمن الخصام والنزاع والفرقة والشتات إلى هذا الخلق الكريم! ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا﴾.

٢٨ ـ تعلَّم حين يخاصمك إنسان، أو يثور في وجهك آخر، أو ينازعك ثالث في رأي أو موقف أن تعامله بأدب المؤمنين ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا﴾.

٢٩ ـ هذه معالم الكبار ﴿وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ﴿٦٤﴾﴾ يبيت الناس يتقلَّبون على فُرُشِهِم، وهم يراوحون بين أقدامهم.

٣٠ ـ هل حسبت الفرق بين اثنين! أحدهما يراوح بين أقدامه قائماً في ظلام الليل يصلي، والآخر بات عن وِتْرِه، ولم يتمكّن من صلاته ﴿ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ﴿٦٤﴾ ﴾.

٣١ ـ الذين يريدون صورةً بيِّنةً على الإخلاص؛ فهي صورة هذا العابد الذي ترك وثير الفراش، وقام يجتهد في بناء نفسه، من خلال هذا المعنى الكبير ﴿ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ﴿٦٤﴾ ﴾.

٣٢ ـ من هنا ﴿ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ﴿٦٤﴾ ﴾ تبدأ قصتنا الكبرى في واقع الحياة!

٣٣ ـ من سمات الكبار أنَّهم يعملون، ويخافون ساعات الحساب، ومن سمات أهل الغفلة التخلُّف عن ساحات العمل، والأمن من مكر الله تعالى ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾ ﴾.

٣٤ ـ تعلم كيف تهب من وقتك وقلبك ومشاعرك للدعاء، وتقف في كل لحظة بين يدي الكبير المتعال ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾ ﴾.

٣٥ ـ من أعظم ما ترى ذلك الذي يستنفد كثيراً من أوقاته في الدعاء، وما ترى موطناً هو مَظِنَّةُ إجابة إلا رأيته عاكفاً عليه ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾ ﴾.

٣٦ ـ إذا أردت أن تعرف قدر هذا المعنى في قلبك، وصدقك في طلب النجاة والتوفيق؛ فانظر كم تهب للدعاء من وقتك ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾ ﴾.

٣٧ ـ من حُرم سؤال الله تعالى حُرم خيراً كثيراً، ومن فُتح له فيه؛ فقد فتح الله تعالى له مغانم الحياة ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصۡرِفۡ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَآءَتۡ مُسۡتَقَرّٗا وَمُقَامٗا ﴿٦٦﴾﴾.

٣٨ ـ التوازن فضيلة الكبار ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامٗا ﴿٦٧﴾﴾.

٣٩ ـ لو كنَّا ندرك هذا المعنى ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامٗا ﴿٦٧﴾﴾ لما أُثقِلَتْ كواهلُ كثيرين بالديون.

٤٠ ـ ما أحوج الأمة اليوم إلى ترتيب أولوياتها، وإحياء فضيلة التوازن في حياتها، وإدارة شؤونها وواقعها بفنّ! ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامٗا ﴿٦٧﴾﴾.

٤١ ـ من العلاجات الخاطئة لمسألة المال: التفرغ له، والإقبال عليه بصورة كبيرة إلى الدرجة التي أُخلَّ فيها بكثيرٍ من الواجبات الشرعية ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامٗا ﴿٦٧﴾﴾.

٤٢ ـ من المؤسف أن جملةً من حملة المشاريع والبرامج الدعوية نالهم من هذه العاصفة شيءٌ حتى تركوا واجباتهم، وذهبوا يتفرَّغون لاستثمار المال ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامٗا ﴿٦٧﴾﴾.

٤٣ ـ جزء من مشكلاتنا في التفكير! ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامٗا ﴿٦٧﴾﴾ ألا ترى كيف عالج القرآن هذه المسألة بالتوازن، ونحن قرأناها من جانب واحد؛ فزدنا من تعقيداتها من خلال الانحراف الآخر.

❀ ❀ ❀

وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَـٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا ﴿٧١﴾ وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِٱللَّغْوِ مَرُّوا۟ كِرَامًا ﴿٧٢﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا۟ عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴿٧٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ أُوْلَـٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا۟ وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَٰمًا ﴿٧٥﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٧٦﴾ قُلْ مَا يَعْبَؤُا۟ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ ۖ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًۢا ﴿٧٧﴾

التفسير

• ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ بل يجعلون العبادة له وحده، لا شريك له في ذلك ﴿وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ﴾ كقتل الإنسان بآخر، أو في الزاني المحصن ﴿وَلَا يَزۡنُونَ﴾ فيما حرم الله من الفروج ﴿وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ﴾ الشرك أو القتل أو الزنى ﴿يَلۡقَ أَثَامٗا ﴿٦٨﴾﴾ عقوبةً ونكالاً.

• ﴿يُضَٰعَفۡ لَهُ ٱلۡعَذَابُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَيَخۡلُدۡ فِيهِۦ﴾ في العذاب، وهذا الخلود خاصٌّ بالمشرك ﴿مُهَانًا ﴿٦٩﴾﴾ حقيراً ذليلاً.

• ﴿إِلَّا مَن تَابَ﴾ من فعل هذه الأشياء ﴿وَءَامَنَ﴾ بالله تعالى ﴿وَعَمِلَ عَمَلٗا صَٰلِحٗا﴾ مما أمر الله تعالى به ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٖۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا﴾ لمن أذنب ﴿رَّحِيمٗا ﴿٧٠﴾﴾ بعباده المؤمنين.

• ﴿وَمَن تَابَ﴾ إلى الله تعالى ﴿وَعَمِلَ صَٰلِحٗا﴾ مما أمر الله تعالى ﴿فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابٗا ﴿٧١﴾﴾ يعود إلى الله تعالى عوداً صحيحاً مقبولاً.

• ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَشۡهَدُونَ ٱلزُّورَ﴾ لا يحضرون مجالس الزور، وهو كل قول وفعل باطل ﴿وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغۡوِ﴾ الكلام الذي لا خير فيه ﴿مَرُّواْ كِرَامٗا ﴿٧٢﴾﴾ لا يلتفتون إليه.

• ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ﴾ فقرئت عليهم ﴿لَمۡ يَخِرُّواْ عَلَيۡهَا صُمّٗا وَعُمۡيَانٗا ﴿٧٣﴾﴾ لم يقابلوها بالإعراض.

• ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبۡ لَنَا مِنۡ أَزۡوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعۡيُنٖ﴾ تقرُّ بهم أعيننا في الدنيا ﴿وَٱجۡعَلۡنَا لِلۡمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾﴾ أئمة يقتدى بنا.

• ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ من كان هذا وصفه ﴿يُجْزَوْنَ﴾ يثابون على ذلك ﴿ٱلْغُرْفَةَ﴾ منزلة من منازل الجنة الرفيعة ﴿بِمَا صَبَرُواْ﴾ جزاء صبرهم ﴿وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا﴾ في الجنة ﴿تَحِيَّةً﴾ من الله تعالى، ومن ملائكته ﴿وَسَلَٰمًا ٧٥﴾ من كل عارض ينغِّص عليهم هذا النعيم.

• ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ لا يتحولون عنها ﴿حَسُنَتْ﴾ جَمُلَتْ ﴿مُسْتَقَرًّا﴾ يستقرُّون فيه ﴿وَمُقَامًا ٧٦)﴾ يقيمون فيه.

• ﴿قُلْ مَا يَعْبَؤُاْ بِكُمْ رَبِّى﴾ ما يبالي بكم ﴿لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ﴾ لولا دعاؤه لكم إلى الإيمان به، وتوحيده، وعبادته على ألسنة رسله ﴿فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ٧٧﴾ لازماً لكم.

التَّدَبُّر

١ ـ الكبائر ليست من أخلاق عباد الرحمن ولا من صِفاتهم ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ٦٨﴾.

٢ ـ الشريعة تنأى بالإنسان عن الفاحشة، وتؤدِّب صاحبها، وتعاقبه بما يردعه عن العودة إليها ثانية ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ٦٨ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ٦٩﴾.

٣ ـ من جمال هذا الدين أنه يفتح باباً للمخطئين والمذنبين، ويغسلهم من أوضار الجرائم بالتوبة ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ٧٠ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا ٧١﴾.

٤ ـ يا لجمال دينك! ينهاك عن الخطيئة، ويزجـرك عن اقترافها، وإذا وقعت فيها سهَّل لك طريق العودة، وأعاد بناءك من جديد ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا ﴿٧١﴾﴾.

٥ ـ ترفَّع عن مواطن الباطل؛ فهي لا تليق بأمثالك من أصحاب الإيمان ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغْوِ مَرُّواْ كِرَامًا ﴿٧٢﴾﴾.

٦ ـ من الاستعلاء بدينك ألا تدنسه بهيشات السفهاء، أو تقعد به في وسط القاعدين على المنكرات ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغْوِ مَرُّواْ كِرَامًا ﴿٧٢﴾﴾.

٧ ـ في مثل زمانك لا تستغرب إذا رأيته يمشِّط لحيته بيديه، وأصوات المنكرات تُدمـر قِيَمَهُ مـن كلِّ جانـب ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغْوِ مَرُّواْ كِرَامًا ﴿٧٢﴾﴾.

٨ ـ في المسألة خلاف، وعلى قولين، وقال فيها فلان؛ كل هذا من أجل أن يسوغ له الجلوس في أحضان الباطل، وأماكـن اللغو والزور ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغْوِ مَرُّواْ كِرَامًا ﴿٧٢﴾﴾.

٩ ـ والله ما جلس في مجلس لهوٍ وزورٍ وباطلٍ إلا من كان قلبه معتلاً ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغْوِ مَرُّواْ كِرَامًا ﴿٧٢﴾﴾ حاشـا القلـوب الحية أن تستهين بحرمات الله تعالى، وتبقى ضمن الوالغين في المنكرات!!

١٠ ـ من علامات أهل الإيمان إذا سـمعوا طارق الوحي فاضت أعينهم بالدمع، وأجابوا الداعي مـن لحظته ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّواْ عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴿٧٣﴾﴾.

١١ ـ من علامات الإيمان أن صاحبه إذا وعظ في شيء تمثله، وقام به، وسجل فيه انتصاراً من لحظته ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا۟ عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴿٧٣﴾﴾ مُحالٌ ألّا يقيمَ لأمر الله تعالى ونهيه وزناً!

١٢ ـ من دعائه تعرف همَّته وعليـاءه ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّـٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾﴾.

١٣ ـ الذي يتوق للمجد لا يمكن أن يرضى بالدون ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّـٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾﴾.

١٤ ـ علِّمني أشـواقك وأحلامك وأمانيك، مِنْ خلال دعائك وابتهالك وسؤالك ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّـٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾﴾.

١٥ ـ لا تسترخص دعوةً لربك، ربما بلغت بها مناك ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّـٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾﴾.

١٦ ـ قضى عمره يدعو الله تعالى، ويسأله، ويلح عليه أن يرزقه مشروعاً، يخدم به دينه، ويعيش لـه ما بقي العمر (فقه ووعـي) ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّـٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾﴾.

١٧ ـ لا تستقلَّ شيئاً؛ فإنما تسأل عظيماً ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّـٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾﴾.

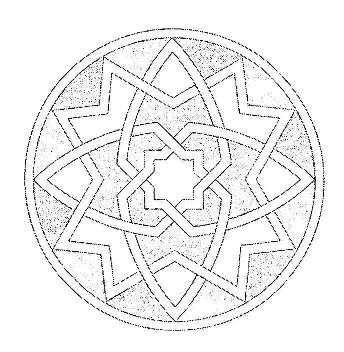
١٨ ـ الجزاء من جنس العمل ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا۟ وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَـٰمًا ﴿٧٥﴾ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٧٦﴾﴾.

١٩ ـ ثمة أفراح ستغسل أقدام المجهدين والمتعبين في عرض الطريق ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُجۡزَوۡنَ ٱلۡغُرۡفَةَ بِمَا صَبَرُواْ وَيُلَقَّوۡنَ فِيهَا تَحِيَّةٗ وَسَلَٰمًا ٧٥ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ حَسُنَتۡ مُسۡتَقَرّٗا وَمُقَامٗا ٧٦﴾.

٢٠ ـ مساكين هم صُنَّاع الضلالة، لولا رحمة الله تعالى بهم لعاجلهم بالعقوبة ﴿قُلۡ مَا يَعۡبَؤُاْ بِكُمۡ رَبِّي لَوۡلَا دُعَآؤُكُمۡۖ فَقَدۡ كَذَّبۡتُمۡ فَسَوۡفَ يَكُونُ لِزَامَۢا ٧٧﴾.

٢١ ـ لا يغرنَّكم طول أمد الكافرين، وعبثهم في الواقع؛ فالله تعالى يُمهل ولا يُهمل ﴿قُلۡ مَا يَعۡبَؤُاْ بِكُمۡ رَبِّي لَوۡلَا دُعَآؤُكُمۡۖ فَقَدۡ كَذَّبۡتُمۡ فَسَوۡفَ يَكُونُ لِزَامَۢا﴾.

❀ ❀ ❀





سُورَةُ الشُّعَرَاءِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

طسٓمٓ ﴿١﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةً فَظَلَّتْ أَعْنَٰقُهُمْ لَهَا خَٰضِعِينَ ﴿٤﴾ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهُ مُعْرِضِينَ ﴿٥﴾ فَقَدْ كَذَّبُوا۟ فَسَيَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُا۟ مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلْأَرْضِ كَمْ أَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿٧﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٩﴾ وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾ قَوْمَ فِرْعَوْنَ ۚ أَلَا يَتَّقُونَ ﴿١١﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿١٢﴾ وَيَضِيقُ صَدْرِى وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِى فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَٰرُونَ ﴿١٣﴾ وَلَهُمْ عَلَىَّ ذَنۢبٌ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿١٤﴾ قَالَ كَلَّا ۖ فَٱذْهَبَا بِـَٔايَٰتِنَآ ۖ إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ ﴿١٥﴾ فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٧﴾ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿١٨﴾ وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ ٱلَّتِى فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾

التفسير

- ﴿طسٓمٓ ١﴾ من الحروف المقطعة التي تدل على إعجاز القرآن.
- ﴿تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ٢﴾ أي هذه الآيات ـ آيات القرآن الكريم ـ آيات كتابٍ بيّنٍ واضح.
- ﴿لَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ﴾ مهلكها وشاقٌّ عليها ﴿أَلَّا يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ٣﴾ إن لم يؤمن قومك بالله، ويصدقوا بما جئت به.
- ﴿إِن نَّشَأۡ نُنَزِّلۡ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةٗ﴾ لو نشاء أنزلنا عليهم آيةً بيّنةً من السماء ﴿فَظَلَّتۡ أَعۡنَٰقُهُمۡ لَهَا خَٰضِعِينَ ٤﴾ منقادة لها مكرهة مجبرة على الإيمان بها.
- ﴿وَمَا يَأۡتِيهِم مِّن ذِكۡرٖ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ مُحۡدَثٍ﴾ وما ينزل عليهم من القرآن من شيء جديد من الوحي ﴿إِلَّا كَانُواْ عَنۡهُ مُعۡرِضِينَ ٥﴾ لا ينتفعون بشيء منه.
- ﴿فَقَدۡ كَذَّبُواْ﴾ بالحق الذي جاءهم ﴿فَسَيَأۡتِيهِمۡ أَنۢبَٰٓؤُاْ﴾ أخبار ﴿مَا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ٦﴾ من العذاب والوعيد والنكال.
- ﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ﴾ يتأملوا فيها ﴿كَمۡ أَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجٖ﴾ صنف نافع ﴿كَرِيمٍ ٧﴾ حسن جميل.
- ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ الخلق البديع ﴿لَأٓيَةٗ﴾ بيّنةً ظاهرةً ﴿وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ ٨﴾ بالله تعالى مع ظهور دلائل آياته.
- ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ﴾ لا غالب لأمره ﴿ٱلرَّحِيمُ ٩﴾ بعباده المؤمنين.
- ﴿وَإِذۡ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ﴾ أوحى إليه ﴿أَنِ ٱئۡتِ ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٠﴾.
- ﴿قَوۡمَ فِرۡعَوۡنَۚ أَلَا يَتَّقُونَ ١١﴾ فيأتمرون بأوامره، وينتهون عن نواهيه.

• ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿١٢﴾﴾ فلا يصدقوني بما جئتهم.

• ﴿وَيَضِيقُ صَدۡرِي﴾ غمًّا لتكذيبهم ﴿وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِي﴾ بدعوتهم ﴿فَأَرۡسِلۡ إِلَىٰ هَٰرُونَ ﴿١٣﴾﴾ أبلغه بالرسالة ليكون عوناً لي في دعوتهم.

• ﴿وَلَهُمۡ عَلَيَّ ذَنۢبٞ﴾ قتلي للقبطي ﴿فَأَخَافُ أَن يَقۡتُلُونِ ﴿١٤﴾﴾ يقتصُّون مني بذلك.

• ﴿قَالَ﴾ الله تعالى ﴿كَلَّا﴾ لن يقتلوك ﴿فَٱذۡهَبَا بِـَٔايَٰتِنَآ﴾ إليهم ﴿إِنَّا مَعَكُم مُّسۡتَمِعُونَ ﴿١٥﴾﴾ مؤيدون وحافظون.

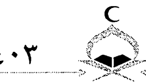
• ﴿فَأۡتِيَا فِرۡعَوۡنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾﴾ جئناك رُسُلاً من عند الله تعالى ﴿أَنۡ أَرۡسِلۡ مَعَنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ﴿١٧﴾﴾ اتركهم، وخلِّهم من عذابك، ودعهم لعبادة الله تعالى.

• ﴿قَالَ﴾ فرعون: ﴿أَلَمۡ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدٗا﴾ ألم نُعْنَ بتربيتك أيام صغرك ﴿وَلَبِثۡتَ فِينَا مِنۡ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿١٨﴾﴾ بقيت في رعايتنا سنين طويلة.

• ﴿وَفَعَلۡتَ فَعۡلَتَكَ ٱلَّتِي فَعَلۡتَ﴾ قتل القبطي ﴿وَأَنتَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾﴾ من الجاحدين لما أوليناك من النعم.

التَّدَبُّر

١ ـ إذا أقبلت على قراءة شيء من كتاب الله تعالى؛ فهب له قلبك ومشاعرك تجد فيه كل شيء ﴿تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ﴿٢﴾﴾ من بيانه أنك واجد فيه كل ما تشتهي، وبأدق التفاصيل.



٢ ـ حلول مشـــكلاتك وظروفك، وعقبات طريقك، كلهـــا في هذا الوحي ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝٢﴾ ومثل ذلك أمانيك وأحلامك، وتحديات واقعك، هذه الإبانة تعني كل شيء.

٣ ـ كاد نبيُّك ﷺ يهلك نفسه حسرةً إن لم يؤمنوا برســالته، ولم يهتدوا للطريق الذي كان يدعوهم إليه ﴿لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ۝٣﴾ هكذا هي النفوس الكبيرة، تشتاق إلى أن ترى العالم حولها بهيجاً سعيداً، آمناً من مكدِّرات الحياة.

٤ ـ ﴿لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ۝٣﴾ رســالة لحملة المشاريع، وصانعي الأفكار، وأصحاب الرايات إذا لم يكن شغف الواحد بمشروعه لهذه الدرجة؛ وإلا لن يبلغ شيئاً من تلك الآمال.

٥ ـ ﴿لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ۝٣﴾ كاد يهلك نفســه حســرة ألا يؤمن هؤلاء برسالته ودعوته ومشروعه في الحياة.

٦ ـ لا يقتنع الناس في العادة بمشــروعك حتى يتشــبع من روحك، ويستغرق مشــاعرك، ويأخذ حظَّه وافياً من قلبك ووجدانــك ﴿لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ۝٣﴾.

٧ ـ كـل المشاريع التي لم تلق رواجاً في حيـاة الناس لم تلقَ أصـلاً رواجاً في قلـب صاحبها ومشاعره وجهده ﴿لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ۝٣﴾.

٨ ـ أي فشــل يواجه مشــروعك في الحياة، وفكرتك التي تود إيصالها؛ فلعلك لم تمنحه وقتاً كافياً، أو لم تؤمن به روحياً بعدُ ﴿لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ۝٣﴾.

٩ ـ هذه المعركة الدائرة بين الحق والباطل للاختبار والامتحان ﴿إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةً فَظَلَّتْ أَعْنَٰقُهُمْ لَهَا خَٰضِعِينَ ۝٤﴾ ولو أراد الله تعالى إجبار العالمين على شيء لفعل.

١٠ ـ هذا هو موقف المعرضين من الوحي ﴿وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهُ مُعْرِضِينَ ۝٥ فَقَدْ كَذَّبُوا۟ فَسَيَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُا۟ مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ۝٦﴾ فما موقفك من الباطل؟.

١١ ـ من دلائل إيمانك أن تُجِلَّ كل ما جاء في الوحي، وأن تصنع له واقعاً تطبيقياً في حياتك ﴿وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهُ مُعْرِضِينَ ۝٥ فَقَدْ كَذَّبُوا۟ فَسَيَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُا۟ مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ۝٦﴾.

١٢ ـ ما أكثر مشاهد الكون الدالة على قدرة الله تعالى، والداعية إلى الإيمان به! ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلْأَرْضِ كَمْ أَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ۝٧ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ۝٨ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝٩﴾.

١٣ ـ فقدتِ الناس ـ أو كادت ـ عبادة التفكر، والتأمل في آيات الله تعالى ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلْأَرْضِ كَمْ أَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ۝٧ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ۝٨ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝٩﴾ ولو وهبت من أوقاتها شيئاً لذلك؛ لعادت عليها بالحياة.

١٤ ـ التبعية التي لا تقوم على دليل وبرهان لا تعفي صاحبها من أن يكون من الظالمين ﴿وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝١٠ قَوْمَ فِرْعَوْنَ ۚ أَلَا يَتَّقُونَ ۝١١﴾ باتوا ظلمة بمجرد اتباعهم، فإذا استطعت أن تنقذ نفسك؛ فافعل.

١٥ ـ مشروع الدعوة يستنقذ الناس من الجهل، وعبودية الأشخاص، والتبعيات التي لا دليل لها ولا برهان ﴿وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝١٠ قَوْمَ فِرْعَوْنَ ۚ أَلَا يَتَّقُونَ ۝١١﴾.

١٦ ـ كل واقع لا تقوم فيه الدعوة بدورها، ولا تبذل فيها وسعها، يضيع فيه جزءٌ كبيرٌ من العالم في ظلام الجهل والكفر والضلال ﴿وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾ قَوْمَ فِرْعَوْنَ ۚ أَلَا يَتَّقُونَ ﴿١١﴾﴾.

١٧ ـ استنقذَ رسلُ اللهِ تعالى وحملةُ شريعته جزءاً كبيراً من العالم، وواجبُ الدعاةِ أن يستنقذوا ما بقي في الطريق ﴿وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾ قَوْمَ فِرْعَوْنَ ۚ أَلَا يَتَّقُونَ ﴿١١﴾﴾.

١٨ ـ الخوف الطبيعي شيء جبليّ يصحب كلَّ كبير، ولا يؤثِّر على إيمان صاحبه، ما لم يقف به في طريق الواجب، أو يدفعه لفعل محرم ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿١٢﴾ وَيَضِيقُ صَدْرِى وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِى فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَٰرُونَ ﴿١٣﴾ وَلَهُمْ عَلَىَّ ذَنۢبٌ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿١٤﴾﴾.

١٩ ـ حاجةُ المشاريع إلى أعوان الطريق كبيرةٌ ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿١٢﴾ وَيَضِيقُ صَدْرِى وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِى فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَٰرُونَ ﴿١٣﴾ وَلَهُمْ عَلَىَّ ذَنۢبٌ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿١٤﴾﴾.

٢٠ ـ إذا رزقك الله تعالى أعواناً في مشروعك؛ فقد وَهَبَكَ الحياة ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿١٢﴾ وَيَضِيقُ صَدْرِى وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِى فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَٰرُونَ ﴿١٣﴾ وَلَهُمْ عَلَىَّ ذَنۢبٌ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿١٤﴾﴾.

٢١ ـ من كمال توفيقك أن تختار صاحباً في الطريق، يعينك ويسدِّدك، ويأخذ بيدك إلى مرادك في الدارين ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿١٢﴾ وَيَضِيقُ صَدْرِى وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِى فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَٰرُونَ ﴿١٣﴾ وَلَهُمْ عَلَىَّ ذَنۢبٌ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿١٤﴾﴾.

٢٢ ـ إذا أردت شيئاً؛ فاجْلِبْ عليه من وسائل الإقناع كلِّها حتى تصل إلى أمانيك ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿١٢﴾ وَيَضِيقُ صَدْرِى وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِى فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَٰرُونَ ﴿١٣﴾ وَلَهُمْ عَلَىَّ ذَنۢبٌ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿١٤﴾﴾.

٢٣ ـ في دعائك لربك، وطلبك منه، وسؤالك إياه ادفع كل ما تستطيع من وسائل الرجاء حتى يهبك ما تشاء ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿١٢﴾ وَيَضِيقُ صَدۡرِي وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِي فَأَرۡسِلۡ إِلَىٰ هَٰرُونَ ﴿١٣﴾ وَلَهُمۡ عَلَيَّ ذَنۢبٞ فَأَخَافُ أَن يَقۡتُلُونِ ﴿١٤﴾﴾.

٢٤ ـ يا الله! ما أعظم أن يكون الله تعالى معك في كلِّ شيءٍ! ﴿قَالَ كَلَّاۖ فَٱذۡهَبَا بِـَٔايَٰتِنَآۖ إِنَّا مَعَكُم مُّسۡتَمِعُونَ ﴿١٥﴾﴾.

٢٥ ـ قبل أن تتوجه لمشروعك أقبل على ربك، وأدم الوقوف على بابه، وسله أن يمدَّك بعونٍ وتوفيق ﴿قَالَ كَلَّاۖ فَٱذۡهَبَا بِـَٔايَٰتِنَآۖ إِنَّا مَعَكُم مُّسۡتَمِعُونَ ﴿١٥﴾﴾.

٢٦ ـ الدعاة إلى الله تعالى وسائطُ بين الناس وخالقهم؛ فكن وسيطاً يقرِّب للناس مسافات الهداية، ويعرِّفهم بربهم وخالقهم بإمعان ﴿قَالَ كَلَّاۖ فَٱذۡهَبَا بِـَٔايَٰتِنَآۖ إِنَّا مَعَكُم مُّسۡتَمِعُونَ ﴿١٥﴾ فَأۡتِيَا فِرۡعَوۡنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ أَنۡ أَرۡسِلۡ مَعَنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ﴿١٧﴾﴾.

٢٧ ـ قعودك في بيتك خيرٌ لك من أن تكون وسيط سوء بين الناس وربهم تعالى ﴿قَالَ كَلَّاۖ فَٱذۡهَبَا بِـَٔايَٰتِنَآۖ إِنَّا مَعَكُم مُّسۡتَمِعُونَ ﴿١٥﴾ فَأۡتِيَا فِرۡعَوۡنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ أَنۡ أَرۡسِلۡ مَعَنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ﴿١٧﴾﴾ إما أن تعرِّفهم بالله وتشوِّقهم إليه؛ وإلا فدع الطريق لأهله.

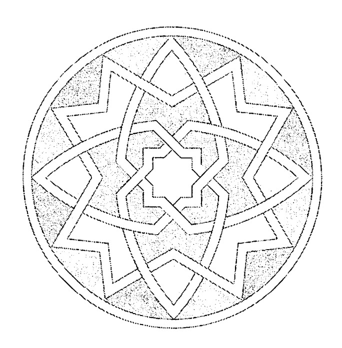
٢٨ ـ المفاهيم من أكثر القضايا التي تحتاج إلى تحرير ﴿قَالَ أَلَمۡ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدٗا وَلَبِثۡتَ فِينَا مِنۡ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿١٨﴾ وَفَعَلۡتَ فَعۡلَتَكَ ٱلَّتِي فَعَلۡتَ وَأَنتَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾﴾ ما علاقة الدعوة والرسالة بقصة أصل الخلقة والنشأة وأحداث الميلاد؟!

٢٩ ـ من أدوات الباطل استحضار تاريخك القديم، وإثارةُ التشويش حوله ﴿وَفَعَلۡتَ فَعۡلَتَكَ ٱلَّتِي فَعَلۡتَ وَأَنتَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾﴾.

٣٠ ـ تهيأ مبكراً للمعركة التي ستخوضها ﴿وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ ٱلَّتِى فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾﴾ فالعدو سيعيد استحضار تاريخك الماضي، وسيدلي في الطريق ببعض الشبهات.

٣١ ـ حين أدعوك للفضيلة فأنا جاحد لفضلك، وكرمك، وجميلك السابق! هذه لغة العــدو حين تقيم جســراً للديــن ﴿وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ ٱلَّتِى فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾﴾.

❀ ❀ ❀



قَالَ فَعَلْتُهَآ إِذًا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٢٠﴾ فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِى رَبِّى حُكْمًا وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢١﴾ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَىَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٢﴾ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾ قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَىْءٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ قَالَ فَأْتِ بِهِۦٓ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿٣٢﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِۦ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿٣٥﴾ قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَٱبْعَثْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٣٦﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ ﴿٣٧﴾ فَجُمِعَ ٱلسَّحَرَةُ لِمِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٣٨﴾ وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنتُم مُّجْتَمِعُونَ ﴿٣٩﴾

التفسير

- ﴿قَالَ فَعَلْتُهَآ﴾ قتلته ﴿إِذًا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٢٠﴾﴾ الجاهلين.
- ﴿فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ﴾ إلى مدين ﴿فَوَهَبَ لِى رَبِّى حُكْمًا﴾ نبوَّةً وعلماً ﴿وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢١﴾﴾ إليك وإلى قومك.
- ﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ﴾ تربيتك لي وعدم استعبادي ﴿تَمُنُّهَا عَلَىَّ﴾ تمنُّ بها عليَّ ﴿أَنْ عَبَّدتَّ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٢﴾﴾ أن استعبدت بني إسرائيل.
- ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾﴾؟ يتساءل منكراً ربوبية الله تعالى.
- ﴿قَالَ﴾ موسى: ﴿رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ﴾ رب كل شيء؛ ﴿إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾﴾ بشيء فهذا أولى ما توقنون به.
- ﴿قَالَ﴾ فرعون ﴿لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ﴾ من الأتباع والأعوان: ﴿أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾﴾ ألا تسمعون ما يقول موسى؟
- ﴿قَالَ﴾ موسى: ﴿رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾﴾ إن ما أدعوكم إلى عبادته هو ربكم ورب آبائكم؛ سواء أقررتم بذلك، أم رفضتموه.
- ﴿قَالَ﴾ فرعون: ﴿إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾﴾ يعني بذلك موسى.
- ﴿قَالَ﴾ موسى: ﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾﴾ فلا ربَّ سواه.
- ﴿قَالَ﴾ فرعون: ﴿لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ ﴿٢٩﴾﴾ المحبوسين.

• ﴿قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ ۝٣٠﴾ حتى لو جئتك بآيةٍ ظاهرةٍ جلية.

• ﴿قَالَ فَأْتِ بِهِۦٓ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ۝٣١﴾ أرني ما عندك من آيات.

• ﴿فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ﴾ رمى بها علــى الأرض ﴿فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ۝٣٢﴾ حقيقي لا لبس فيه.

• ﴿وَنَزَعَ يَدَهُۥ﴾ من جيبه ﴿فَإِذَا هِيَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ۝٣٣﴾ تلمع من شدة البياض.

• ﴿قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ﴾ لأتباعه وأعوانـه: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ۝٣٤﴾ ســاحـر خبير فــي السحـر.

• ﴿يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِۦ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ۝٣٥﴾ أن أفعل به.

• ﴿قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ﴾ أخِّره وأنظــره ﴿وَأَخَاهُ﴾ وكذلك أخِّر معه أخاه ﴿وَٱبْعَثْ﴾ أرسل ﴿فِى ٱلْمَدَآئِنِ﴾ في البلاد والقرى ﴿حَٰشِرِينَ ۝٣٦﴾ جامعين.

• ﴿يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ ۝٣٧﴾ من تلك القرى.

• ﴿فَجُمِعَ ٱلسَّحَرَةُ لِمِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ۝٣٨﴾ وهو يــوم الزينة الذي يجتمعون فيه، ويتفرغون من أشغالهم.

• ﴿وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنتُم مُّجْتَمِعُونَ ۝٣٩﴾؟ اجتمعوا لذلك الموعد.

التَّدَبُّرُ

١ ـ كذلك الكبار! يُسبُّون ويُشتمون ويذكَّرون بتاريخ قديم، ثم لا يجدون حرجاً من الاعتذار بأطيب عبارة، وأرق إشارة ﴿قَالَ فَعَلْتُهَآ إِذًا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ۝٢٠﴾ فَفَرَرْتُ

مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ (٢١) وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ (٢٢)﴾.

٢ ـ من أدبك أن تـردَّ النعم إلى أصحابها ﴿فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ (٢١)﴾.

٣ ـ إذا فتح الله تعالى لك باب التواضع، وإسداء الجميل إلى أهله ﴿فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ فقد فتح لك باباً للفلاح والتوفيق.

٤ ـ العلم الذي معك، والمال الذي في يدك، والمسؤولية التي تدير شأنها، كلُّها من فواتح ربك عليك؛ فردَّ ذلك إليه، وقُمْ بحقها، وأقم لربك فيها شأناً ﴿فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾.

٥ ـ إدارة الحوار فنٌّ يحتاج إلى مؤثِّرين ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ (٢٣) قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ (٢٤) قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ (٢٥) قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ (٢٦) قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ (٢٧) قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ (٢٨)﴾.

٦ ـ العلم من أعظـم أدوات التأثيـر في إدارة الصـراع ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ (٢٣) قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ (٢٤) قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ (٢٥) قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ (٢٦) قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ (٢٧) قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ (٢٨)﴾.

٧ ـ نجاح مشروعك على قدر ما معك من علمٍ في إدارة شأنه ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ (٢٣) قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ (٢٤) قَالَ لِمَنْ

حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾ قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾.

٨ ـ هذا هو ردُّ المستبدين عند عدم القدرة على مقارعة الحجج ﴿ قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾.

٩ ـ ما الذي حوَّل حجة الدليل والبرهان إلى عصا السلطة والقوة! إنه الاستبداد ﴿ قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾.

١٠ ـ ﴿ قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَىْءٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ ﴾ فنٌّ في إعادة الحوار إلى مساره من جديد!

١١ ـ من الهزائم المرة التي تُمنى بها مشاريع الأمة أن أفرادها عاجزون عن إدارة مشاريعهم بقوة ﴿ قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَىْءٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ قَالَ فَأْتِ بِهِۦٓ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿٣٢﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾ تأمل قصة موسى وهو يملك هذه المؤهلات التي ترغم عدوه على الاستسلام!

١٢ ـ كل مشروع لا يملك الأدوات الناهضة لنجاحه، لا يمكن أن يحقق مراده في النهاية ﴿ قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَىْءٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ قَالَ فَأْتِ بِهِۦٓ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿٣٢﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾.

١٣ ـ أيسر جواب يمكن أن يجاب به عند فضائح الهزائم ﴿ قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِۦ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾.

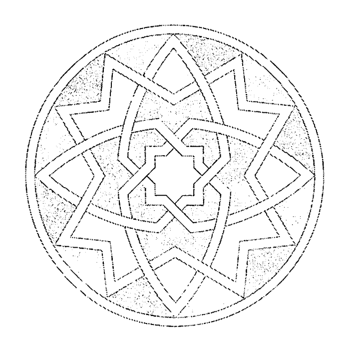
١٤ ـ إذا رأيتهم يلجؤون لطرق أخرى، ويفرُّون عن مواجهة الحدث؛ فاعلم أنهم قد غُلبوا، ولا حيلة لهم في إدارة المعركة ﴿ قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِۦ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾.

١٥ ـ جزء كبير من مشكلة الأمة في هذا الرعاع الذي لا يحسن إلا التبعية المطلقة ﴿قَالُوٓاْ أَرۡجِهۡ وَأَخَاهُ وَٱبۡعَثۡ فِى ٱلۡمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٣٦﴾ يَأۡتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٖ ﴿٣٧﴾﴾.

١٦ ـ الجماهير التي تصفِّق لكل فكرة، وتعاضد كل مشروع، وتقف مع كل قضية بغض النظر عن صحتها، هي التي كونت هذا الظلام والاستبداد في حياة كثير من المسؤولين ﴿قَالُوٓاْ أَرۡجِهۡ وَأَخَاهُ وَٱبۡعَثۡ فِى ٱلۡمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٣٦﴾ يَأۡتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٖ ﴿٣٧﴾﴾.

١٧ ـ ما منيت الأمة في تاريخها بهزيمةٍ أشرَّ من هزائم النفاق التي تظهر في صور ولاء زائف ووجه محترق ﴿قَالُوٓاْ أَرۡجِهۡ وَأَخَاهُ وَٱبۡعَثۡ فِى ٱلۡمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٣٦﴾ يَأۡتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٖ ﴿٣٧﴾﴾.





لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ إِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَـٰلِبِينَ ﴿٤٠﴾ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالُوا۟ لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَـٰلِبِينَ ﴿٤١﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُوا۟ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ﴿٤٣﴾ فَأَلْقَوْا۟ حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا۟ بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ ٱلْغَـٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾ فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿٤٥﴾ فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَـٰجِدِينَ ﴿٤٦﴾ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَـٰرُونَ ﴿٤٨﴾ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ۚ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَـٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٩﴾ قَالُوا۟ لَا ضَيْرَ ۖ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَـٰيَـٰنَآ أَن كُنَّآ أَوَّلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥١﴾ ۞ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِىٓ إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٥٢﴾ فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَـٰشِرِينَ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَـٰٓؤُلَآءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَآئِظُونَ ﴿٥٥﴾ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَـٰذِرُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَخْرَجْنَـٰهُم مِّن جَنَّـٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٧﴾ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٥٨﴾ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَـٰهَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾ فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ ﴿٦٠﴾

التفسير

• ﴿لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ إِن كَانُواْ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿٤٠﴾﴾ نتبعهم إن غلبوا؛ لأن ذلك دليل على علمهم.

• ﴿فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالُواْ لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿٤١﴾﴾ طلبوا أجراً ومكافأة على الانتصار.

• ﴿قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٢﴾﴾ زادهم على الأجر بالقرب منه.

• ﴿قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُواْ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ﴿٤٣﴾﴾ اطرحوا ما في أيديكم على الأرض.

• ﴿فَأَلْقَوْاْ حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُواْ بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾﴾ استعانوا بعزة المخلوق على الخالق.

• ﴿فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ﴾ تأكل وتبتلع ﴿مَا يَأْفِكُونَ ﴿٤٥﴾﴾ ما يفترون ويكذبون.

• ﴿فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿٤٦﴾﴾ خروا ساجدين لله تعالى مقرّين معترفين بأنه الحق.

• ﴿قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾﴾.

• ﴿رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿٤٨﴾﴾ فتركوا كفرهم وأعلنوا إسلامهم ﴿قَالَ﴾ فرعون: ﴿ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ﴾ كيف تؤمنون به ولم أأذن لكم؟

• ﴿إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ﴾ يعني موسى ﴿فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ ما أفعل بكم ﴿لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ﴾ اليد اليمنى مع الرجل

اليسرى ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٩﴾﴾ توعدهم بالصلب بعد القطع زيادة في العقوبة.

- ﴿قَالُوا لَا ضَيْرَ﴾ لا نبالي بما فعلت بنا ﴿إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿٥٠﴾﴾ فيثيبنا على إيماننا وصبرنا.
- ﴿إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَانَا﴾ من الكفر والسحر ﴿أَن كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٥١﴾﴾ حين كنا أول من آمن بموسى من القبط.
- ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي﴾ اخرج ببني إسرائيل ليلاً ﴿إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٥٢﴾﴾ من فرعون وجنده.
- ﴿فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴿٥٣﴾﴾ يجمعون له قوماً يتبع بهم موسى وقومه.
- ﴿إِنَّ هَٰؤُلَاءِ﴾ موسى وقومه ﴿لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾﴾ طائفة قليلة.
- ﴿وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ ﴿٥٥﴾﴾ مبغضون.
- ﴿وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ ﴿٥٦﴾﴾ مستعدون يقظون لهم.
- ﴿فَأَخْرَجْنَاهُم﴾ فرعون وجنوده ﴿مِّن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٧﴾﴾ من بساتين مصر وعيونها المتدفقة.
- ﴿وَكُنُوزٍ﴾ من ذهب وفضة ﴿وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٥٨﴾﴾ حسن رائع جميل.
- ﴿كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿٥٩﴾﴾ أي هذه البساتين صارت ميراثاً لبني إسرائيل المستضعفين.
- ﴿فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ ﴿٦٠﴾﴾ تبعوهم وقت شروق الشمس.

التَّدَبُّر

١ ـ كثيرون أولئك الذين يعيشــون بلا هدف ولا مشــروع ولا قضية. المهم ماذا يكسبون من لعاع الحياة العاجل في النهاية؟ ﴿ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالُواْ لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿٤١﴾ ﴾.

٢ ـ من ذلك الزمان ولعاع الدنيا يسدُّ أفواه جوعى القيم ﴿قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾.

٣ ـ لا تلقي بنفسك في ســاحة معركة إلا وأنت تملك كافة أدوات النجاح ﴿قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُواْ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾.

٤ ـ ﴿قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُواْ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ فنٌّ من فنــون إدارة المعارك! جعلهم يدفعون بكل ما يملكون؛ ليرى موقعه في الحرب التي يدير شأنها.

٥ ـ يا حســرة على الرجال! خلقهم الله تعالى أحراراً، وفي النهاية يقولون: بعزَّة فرعون ﴿فَأَلْقَوْاْ حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُواْ بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾.

٦ ـ العبيد المُسْتَرَقُّون لا تصلح لهم إلا القيود والأغلال ﴿فَأَلْقَوْاْ حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُواْ بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾.

٧ ـ حين تبدِّدُ الحقائقُ أوهــامَ المعارضين ﴿فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾.

٨ ـ أَمْهِلوا الأوهام بعض الزمن، تأتيكم منكوسةً على رأسها من ضرب الحقائق ﴿فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾.

٩ ـ اللحظة التي تهدم فيها الحقيقة كل الأوهام ﴿فَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿٤٦﴾ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿٤٨﴾﴾.

١٠ ـ حين يكتشف الإنسان أنه لا شيء أمام قدرة الله تعالى ﴿فَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿٤٦﴾ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿٤٨﴾﴾.

١١ ـ مقارعة الباطل لا تتم إلا من خلال الحجج والبراهين التي تضرب بمعتقدات الباطل وأفكاره وأوهامه عرض الجدران ﴿فَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿٤٦﴾ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿٤٨﴾﴾.

١٢ ـ الكبر حين يقف حائلاً أمـام كل الحقائق ﴿قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ۚ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٩﴾﴾.

١٣ ـ ﴿قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ۚ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٩﴾﴾ فقط لأنهم تحرروا من أوهام العبيد!

١٤ ـ تجهيل الخلق، وتسـفيه أحلامهم، ووأد حرياتهم صناعة يجيدها أصحاب الطغيان ﴿قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ۚ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٩﴾﴾.

١٥ ـ ﴿قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ۚ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٩﴾ قَالُواْ لَا ضَيْرَ ۖ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَٰيَٰنَآ أَن كُنَّآ أَوَّلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥١﴾﴾ تعريف بحقيقة الإيمان إذا لامست بشاشته القلوب!

١٦ ـ هذا هو الإيمان، لا العبث بحقائقه ووقائعه باسم المصالح الموهومة ﴿ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ۚ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٩﴾ قَالُوا۟ لَا ضَيْرَ ۖ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَٰيَٰنَآ أَن كُنَّآ أَوَّلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥١﴾ ﴾.

١٧ ـ يجلسون في المنكرات، ويشيعون القيم في مواقف النفاق، ويصورون الدين بصور الهازل العابث، ثم يقولون: هذا هو الإيمان، حاشاه أن يكون كذلك ﴿ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ۚ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٩﴾ قَالُوا۟ لَا ضَيْرَ ۖ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَٰيَٰنَآ أَن كُنَّآ أَوَّلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥١﴾ ﴾.

١٨ ـ درس الثبات يغني عن كُلِّ مشهد ﴿ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ۚ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٩﴾ قَالُوا۟ لَا ضَيْرَ ۖ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَٰيَٰنَآ أَن كُنَّآ أَوَّلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥١﴾ ﴾.

١٩ ـ أن تموت على قِيَمِ دينك أعظمُ ألف مرَّةٍ من أن تحيا على رفات تلك القيم ﴿ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ۚ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٩﴾ قَالُوا۟ لَا ضَيْرَ ۖ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَٰيَٰنَآ أَن كُنَّآ أَوَّلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥١﴾ ﴾.

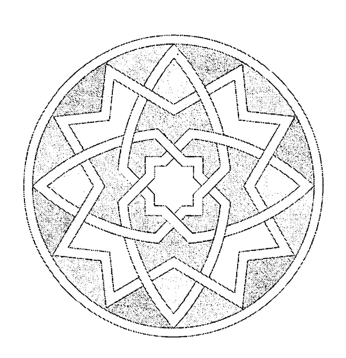
٢٠ ـ إذا أراد الله تعالى أمراً أجرى له الأسباب ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِىٓ إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾.

٢١ ـ حين تقضي المعصيةُ على مساحات التفكير الممكنة ﴿ فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَآئِظُونَ ﴿٥٥﴾ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ

حَٰذِرُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَخْرَجْنَٰهُم مِّن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٧﴾ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٥٨﴾ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾ فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ ﴿٦٠﴾﴾ ما لهم وللخروج من أرضهم! هكذا يصنع سوء التوفيق.

٢٢ ـ متى كانت الدعوة تستجلب عداء الآخرين؟! ﴿وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَآئِظُونَ ﴿٥٥﴾﴾ وماذا صنعت لتكسب عداءهم!

❀ ❀ ❀



فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾ فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٦٦﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٦٧﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦٨﴾ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا۟ نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ﴿٧١﴾ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا۟ بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾ قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٨٢﴾ رَبِّ هَبْ لِى حُكْمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٣﴾

التفسير

• ﴿فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ﴾ كل جمع رأى الآخر ﴿قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ۝٦١﴾ لملحوقون من قوم فرعون.

• ﴿قَالَ﴾ موسى: ﴿كَلَّآ﴾ لا يدركوننا ﴿إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ۝٦٢﴾ سيدلّني على المخرج منهم.

• ﴿فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ﴾ البحر اثني عشر طريقاً ﴿فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ۝٦٣﴾ كالجبل الكبير.

• ﴿وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ ٱلْءَاخَرِينَ ۝٦٤﴾ وقرّبنا آل فرعون إلى البحر.

• ﴿وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ۝٦٥﴾ فلم ينلهم بأس القوم ومكرهم.

• ﴿ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ۝٦٦﴾ فرعون وجنده.

• ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾ ما حصل لفرعون وجنده من الغرق ﴿لَءَايَةً﴾ لعبرةً وعظةً ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ۝٦٧﴾ مع وجود هذه الآيات العظيمة.

• ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ فلا غالب لأمره ﴿ٱلرَّحِيمُ ۝٦٨﴾ بعباده المؤمنين.

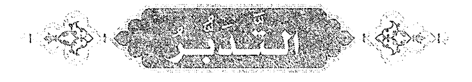
• ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَٰهِيمَ ۝٦٩﴾ قُصَّ عليهم خبر خليل الله إبراهيم.

• ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ ۝٧٠﴾ أي شيء تعبدون؟

• ﴿قَالُوا۟ نَعْبُدُ أَصْنَامًا﴾ أحجاراً ننحتها بأيدينا ﴿فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ۝٧١﴾ مقيمين على عبادتها.

• ﴿قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ۝٧٢﴾ هل يسمعونكم وقت دعائكم، فيجيبون دعاءكم.

- ﴿أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾﴾ يملكون لكم نفعاً أو ضراً.
- ﴿قَالُوا۟ بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾﴾ نفعل كما فعل آباؤنا من قبل.
- ﴿قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾﴾ من الأصنام.
- ﴿أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾﴾ ممن سبقكم على ذلك.
- ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ﴾ يوم القيامة لو عبدتهم ﴿إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾﴾ فإنه المستحق للعبادة.
- ﴿ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾﴾ لكل خير وبر.
- ﴿وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾﴾ فلا رازق سواه.
- ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾﴾ يعافي ويشافي.
- ﴿وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾﴾ عند قيام الساعة.
- ﴿وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ﴾ أرجو ﴿أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى﴾ يمحوها ﴿يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٨٢﴾﴾ يوم القيامة.
- ﴿رَبِّ هَبْ لِى حُكْمًا﴾ فقهاً في الدين ﴿وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٣﴾﴾ من الأنبياء ومَنْ بعدهم.



١ ـ غالباً ما تغيب العقائد الكبرى في الظروف البائسة، والأحداث الكبرى من قلوب الكثيرين ﴿فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾﴾.

٢ ـ يتحدَّث عن العقيدة، ويفصِّل في أمرها، ويثري واقعها النظري، وإذا وقع في مشكلة، أو عرض له شيء في الطريق ضلَّت تلك النظريات طريقها إلى قلبه، وقعد يبكي متحسِّراً على واقعه ﴿فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ٦١﴾.

٣ ـ إذا أردت أن تعرف دور العقائد وأثرها في نفوس أصحابها؛ فارقبهم عند حوادث الزمان، ومشكلات الحياة ﴿فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ٦١﴾.

٤ ـ يمرض ويطول مرضه، أو يتعرَّض بيته وأسرته أو زوجه وولده لعارض؛ فيضلُّ طريق الإيمان، ويبدأ يسأل ويبحث عن المخرج حتى لو على أيدي السحرة والكهان ﴿فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ٦١﴾.

٥ ـ ﴿قَالَ كَلَّآ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ٦٢﴾ حين تأخذ العقائد دورها في التوجيه، وتقف شاخصة على قدميها في أحلك الظروف.

٦ ـ ﴿قَالَ كَلَّآ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ٦٢﴾ رسالة للكبار والقادة ومن يحملون الرايات: إذا لم تكونوا كذلك في زمن الفتن والمصائب والمشكلات؛ وإلا فلا مفروح بما تدعون إليه.

٧ ـ في مرات كثيرة تكفي المواقف العملية عن ألف خطاب ﴿قَالَ كَلَّآ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ٦٢﴾.

٨ ـ إذا أردت أن تقيِّم صاحب قضية أو مشروع أو راية؛ فانتظر أزمان الفتن والمصائب، والمشكلات والظروف الضيقة، والأحداث البائسة ﴿قَالَ كَلَّآ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ٦٢﴾.

٩ ـ الخطوة الأولى تصنع فارق الأحداث ﴿فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ٦٣﴾.

١٠ ـ كل آمالنا، وطموحاتنا، وأحداث حياتنا وقفٌ على الخطوة الأولى ﴿فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾﴾ فلنبدأ ولننتظر بعدها الربيع!

١١ ـ لا أعرف ربيعاً حلَّ بأرض إلا بعد جملة من الأسباب، ولا أعرف نعيماً حلَّ بقلب إنسان أو ببيته وأسرته، أو بواقع عمله وحياته إلا بعد الخطوة الأولى ﴿فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾﴾.

١٢ ـ قرع أبواب السماء لا يأتي من خلال الأماني الفارغة وأحلام القاعدين، وإنما يأتي عقب الخطوات الفاعلة والمؤثرة ﴿فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾﴾.

١٣ ـ الخطوات الأولى مفضيةٌ لبلوغ النهايات ﴿وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْـَٔاخَرِينَ ﴿٦٦﴾﴾.

١٤ ـ أصلح واقعك، ورتِّب حياتك، وسترى فواتح التوفيق ﴿وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْـَٔاخَرِينَ ﴿٦٦﴾﴾.

١٥ ـ هذا وعد الله تعالى بالأمس ﴿قَالَ كَلَّا ۖ فَٱذْهَبَا بِـَٔايَـٰتِنَآ ۖ إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ ﴿١٥﴾﴾ وهذه حقيقته اليوم ﴿فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ ٱلْـَٔاخَرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْـَٔاخَرِينَ ﴿٦٦﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٦٧﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦٨﴾﴾.

١٦ ـ الدعاة والمصلحون، والكبار وحملة الرايات، وأصحاب المشاريع لا يمكن أن يعيشوا في أوساط المجتمعات قاعدين عن الحياة ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾﴾.

١٧ ـ إذا رأيت صالحاً قاعداً عن دوره في وسط مجتمعات، تحتاج إلى رسالته وهدايته؛ فاعلم أنه لا حظَّ له في أخلاق الكبار ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾﴾.

١٨ ـ يا لخسارة واقع لم يرزقه الله تعالى بناهضين يقومون بأدوارهم ويصنعون فأل الحياة في واقعهم! ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾﴾.

١٩ ـ توقع من العقول المؤجرة أي جواب ﴿قَالُوا۟ بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾﴾.

٢٠ ـ أي فرد يتخلَّص من عقله ويؤجره لغيره؛ فقد تُودِّع منه ﴿قَالُوا۟ بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾﴾.

٢١ ـ تسطيح القضايا من أخطر ما تواجهه الأمة في واقعها ﴿قَالُوا۟ بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾﴾ من عقيدة تقوم بها الحياة إلى جواب بارد فارغ.

٢٢ ـ هل تصورت أمة تعبد شيئاً لا يسمع ولا يعقل، ولا ينفع ولا يضر! تلك هي قضية تأجير العقول ﴿قَالُوا۟ نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ﴿٧١﴾ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا۟ بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾﴾.

٢٣ ـ حتى تربيتنا لأولادنا وطلابنا، في مرات كثيرة تأتي ضمن هذا السياق ﴿قَالُوا۟ بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾﴾.

٢٤ ـ كم مرَّةً ناقشت ولدك وطالبك، وجماعة مسجدك وحيِّك في هذه المسائل عقلياً وفكرياً! ﴿قَالُوا۟ بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾﴾.

٢٥ ـ كثيرون من أجيال الأمة التي تقوم عليها حضارة الحياة لا يملكون جواباً لو أعيد عليهم السؤال ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾﴾.

٢٦ ـ بناء العقائد لا يمكن أن يتم من خلال هذا الأخذ البارد، المسألة أكبر من أن تؤخذ عادة، أو تتناقلها الأجيال دون دليل ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾﴾.

٢٧ ـ في «الواسطية» لابن تيمية، وكتاب «التوحيد» لمحمد بن عبد الوهاب تقريرات مهمة عن هذا المعنى، فلو رُتِّبت وشرحت للأبناء والأسر والمساجد والمدارس؛ لكانت مؤثِّرة وفاعلة في تربية الشخصية التي يراد لها النهوض ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾﴾.

٢٨ ـ إذا أردت لقضية أن تأخذ حيِّزها من التفكير؛ فأَدِرْ عليها مثل هذه الأسئلة حتى تتبيَّن ﴿قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا۟ بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾﴾.

٢٩ ـ لا تقل لولدك أو طالبك: اترك، لا تفعل، دع؛ فهذه في العادة تعالج عرضاً، ولا تصل للعمق، اطرح عليه كل ما يتعلق بالمشكلة في ضوء أسئلة، حتى يعرف أين هو من واقعها، وأحداثها القادمة ﴿قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا۟ بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾﴾.

٣٠ ـ حتى المشكلات التي تريد علاجها، والعادات التي تريد أن تبنيها؛ كالقراءة ونحوها لا تقل له: (اقرأ) اجلس معه وسله عن ثقافته وفكره، وقارنه بفكر وثقافة غيره من أنداده، وبيِّن له الخسارة التي ستلحقه بتركها، وصوِّر له المباهج التي سيكون عليها لو فعَّل هذه العادة في واقعه ﴿قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا۟ بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾﴾.

٣١ ـ المفاصلة مع الواقع البائس ضرورة لكلِّ حاملٍ للواء هذه الشريعة ﴿قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾﴾.

٣٢ ـ الإسلام الذي يخضع لأيِّ حلٍّ واقتراح، ورأي من الباطل لا يمكِّن أهله من بلوغ أمانيهم، ولو بعد حين ﴿قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾﴾.

٣٣ ـ كل التجارب التي قابلت الباطل في منتصف الطريق، وعقدت معه مشروعاً للتقارب فشلت وأخفقت، وعادت بالخسران في النهاية ﴿قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾﴾.

٣٤ ـ الحق الذي معك قادر على استيعاب الحياة كلها، وإجراء مساحات الربيع في واقعها ﴿قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾﴾.

٣٥ ـ أي مقاربة مع الباطل، مهما كان قدرها، هي اعتراف بأن الشريعة لا تملك حلّاً كافياً لإبهاج العالم ﴿قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾﴾.

٣٦ ـ البراءة من أوثان الجاهلية، وعقائد الباطل، وأصنام الواقع ضرورة لأصحاب العقائد الحرَّة ﴿قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾﴾.

٣٧ ـ ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٨٢﴾﴾ رسالة في عبودية الكبار، والاعتراف بسوابق الفضل والخير لأهلها.

٣٨ ـ لا تنس وأنت مغموس في مشروعك هذه المعاني التي ستفتح لك آفاقاً كبرى في الحياة ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾

وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٨٢﴾ ﴾.

٣٩ ـ من فقه هذا الكبير، وحسن أدبه، أنه نسب المرض إليه، والشفاء إلى ربه ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾﴾ ومن عرف ربه أدرك كيف يتعامل معه!

٤٠ ـ رغم كل ما صنع لدين الله تعالى، ما زال وجلاً من معصيته، وطامعاً في غفران خطاياه ﴿وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٨٢﴾﴾ رسالة للمدلّين على الله تعالى بأعمالهم!

٤١ ـ من كمال علمك بربك ألا تدلَّ بشيء من عملك عليه ﴿وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٨٢﴾﴾.

٤٢ ـ من فقهك بنفسك ألا ترى لها شيئاً في جنب الله تعالى ﴿وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٨٢﴾﴾.

٤٣ ـ من فقهك أن تعرف أن الدعاء من أعظم الطرق إلى الله ﴿رَبِّ هَبْ لِى حُكْمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٣﴾﴾.

٤٤ ـ تعلَّم كيف تدير شأن الدعاء في واقعك ﴿رَبِّ هَبْ لِى حُكْمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٣﴾﴾.

❀ ❀ ❀

وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿٨٤﴾ وَٱجْعَلْنِى مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨٥﴾ وَٱغْفِرْ لِأَبِىٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا تُخْزِنِى يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴿٨٧﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٩٠﴾ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ﴿٩١﴾ وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٩٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ هَلْ يَنصُرُونَكُمْ أَوْ يَنتَصِرُونَ ﴿٩٣﴾ فَكُبْكِبُوا۟ فِيهَا هُمْ وَٱلْغَاوُۥنَ ﴿٩٤﴾ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ﴿٩٥﴾ قَالُوا۟ وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ﴿٩٦﴾ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٨﴾ وَمَآ أَضَلَّنَآ إِلَّا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٩٩﴾ فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٢﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٠٧﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٠٨﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١١٠﴾ ۞ قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ ﴿١١١﴾

التفسير

• ﴿وَٱجۡعَل لِّي لِسَانَ صِدۡقٖ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ٨٤﴾ اجعل لي ذكراً حسناً، وسمعة طيبة في الدنيا.

• ﴿وَٱجۡعَلۡنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ ٨٥﴾ من أهل الجنة.

• ﴿وَٱغۡفِرۡ لِأَبِيٓ﴾ تجاوز واصفح عن سيئاته ﴿إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ٨٦﴾ عن سبيلك

• ﴿وَلَا تُخۡزِنِي يَوۡمَ يُبۡعَثُونَ ٨٧﴾ لا تذلَّني بعذابك عند البعث من القبور.

• ﴿يَوۡمَ لَا يَنفَعُ مَالٞ وَلَا بَنُونَ ٨٨﴾.

• ﴿إِلَّا مَنۡ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلۡبٖ سَلِيمٖ ٨٩﴾ سليم من الشرك والغل والحسد.

• ﴿وَأُزۡلِفَتِ ٱلۡجَنَّةُ﴾ قُرِّبت وأُدنيت ﴿لِلۡمُتَّقِينَ ٩٠﴾ الذين جعلوا بينهم وبين عذاب الله تعالى وقايةً؛ بفعل أوامره، واجتناب نواهيه.

• ﴿وَبُرِّزَتِ ٱلۡجَحِيمُ﴾ أُعدَّت وأُظهرت ﴿لِلۡغَاوِينَ ٩١﴾ الصادِّين عن طريق الله تعالى.

• ﴿وَقِيلَ لَهُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡ تَعۡبُدُونَ ٩٢﴾ من الآلهة.

• ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ هَلۡ يَنصُرُونَكُمۡ﴾ من الله تعالى ﴿أَوۡ يَنتَصِرُونَ ٩٣﴾ لأنفسهم من عذاب الله.

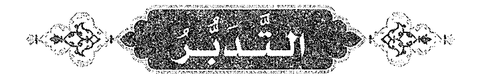
• ﴿فَكُبۡكِبُواْ فِيهَا﴾ ألقوا في النار ﴿هُمۡ وَٱلۡغَاوُۥنَ ٩٤﴾ الآلهة والعابدون.

• ﴿وَجُنُودُ إِبۡلِيسَ أَجۡمَعُونَ ٩٥﴾ معهم في النار.

- ﴿قَالُواْ وَهُمْ فِيهَا﴾ في النار ﴿يَخْتَصِمُونَ ﴿٩٦﴾﴾ فيما بينهم.
- ﴿تَاللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾﴾.
- ﴿إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٨﴾﴾ نجعل الآلهة في مقام الله تعالى.
- ﴿وَمَآ أَضَلَّنَآ﴾ عن طريق الحق ﴿إِلَّا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٩٩﴾﴾ أئمة الكفر والفساد والضلال.
- ﴿فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ﴿١٠٠﴾﴾ ينقذوننا من العذاب يوم القيامة.
- ﴿وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾ يدرأ عنَّا العذاب.
- ﴿فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً﴾ رجعةً إلى الدنيا ﴿فَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٢﴾﴾ بالله تعالى.
- ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً﴾ لعبرةً وعظة ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾﴾ مع كل هذه الآيات والعبر والعظات التي يرون.
- ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ لا غالب لأمره ﴿ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾﴾ بعباده المؤمنين.
- ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾﴾ فلم يمتثلوا ما جاؤوا به.
- ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾﴾ ألا تجعلوا بينكم وبين عذاب الله وقايةً؛ بفعل أوامره، واجتناب نواهيه.
- ﴿إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ﴾ من الله تعالى ﴿أَمِينٌ ﴿١٠٧﴾﴾ على ما أوحاه إليَّ، وأرسلني به.
- ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ اجعلوا بينكم وبين عذاب الله وقايةً؛ بفعل أوامره، واجتناب نواهيه ﴿وَأَطِيعُونِ ﴿١٠٨﴾﴾ فيما أقول لكم.
- ﴿وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾ لا أطلبكم على الدعوة مالاً ﴿إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٩﴾﴾ فهو يتولى جزائي.

• ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ اجعلوا بينكم وبين عذاب الله وقاية بفعل أوامره واجتناب نواهيه ﴿وَأَطِيعُونِ ﴿١١٠﴾﴾ فيما أقول لكم.

• ﴿قَالُوا أَنُؤْمِنُ لَكَ﴾ تريدنا أن نتبعك ﴿وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ ﴿١١١﴾﴾ والذين استجابوا لك هم أسافل الناس وأرذلهم.



التدبُّر

١ ـ مشروع العمر من أعظم الأفكار الطامحة لبناء حياتك ومجدك في الدارين ﴿وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ﴿٨٤﴾﴾ يسأل الله تعالى هذا الكبير أن يجعله ذكرى في العالمين، ومشروع العمر يصنع هذا المعنى بإجلال.

٢ ـ الحياة ليست هذه التي تقضي فيها جسدك، وإنما تلك التي تبقي فيها فكرتك ومشروعك مدى الحياة ﴿وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ﴿٨٤﴾﴾.

٣ ـ من فضلك: ما فكرتُك التي تعيش من أجلها؟! وما مشروعك الكبير الذي قررت أن تخلِّد به ذكرك في العالمين؟! ﴿وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ﴿٨٤﴾﴾.

٤ ـ هذا الدعاء ﴿وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ﴿٨٤﴾﴾ ليس أمنيةً فارغةً من واقعها، وإنما هو جهادٌ وبناءٌ، وتحديات وعمارةٌ للأرض، وتخليدٌ للذكريات. وإذا قرأت قصة إبراهيم عليه السلام أدركت هذا المعنى.

٥ ـ يعطف على أبيه وهو على الكفر، ويسأل الله تعالى له غفران ذنبه، والعفو عن خطاياه ﴿وَاغْفِرْ لِأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ ﴿٨٦﴾﴾ رسالة في حقوق الآباء على الأبناء!

٦ ـ كم تدفع من وقتك لخدمة أبيك! وكم تدفع من مشاعرك له! وكم تهب من دعائك ورجائك لمقامه بين يدي الله تعالى ﴿وَاغْفِرْ لِأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ ﴿٨٦﴾﴾.

٧ ـ تفقَّد قلبك! فالنجاة يوم القيامة على سلامته ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾.

٨ ـ كم من قلبٍ منطوٍ على منكرات سيخذل صاحبه في مواقف العرصات ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ رحماك يا رب!

٩ ـ يا لفرح أصحاب القلوب السليمة من الغش والحسد والرياء في يوم الحساب ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾.

١٠ ـ لو لم ترحل من الحياة إلا بهذا المعنى؛ للقيت الله سالماً من كثيرٍ من التبعات ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾.

١١ ـ سؤال التقريع يُدار على المفرِّطين مراراً ﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٩٠﴾ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ﴿٩١﴾ وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٩٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ هَلْ يَنصُرُونَكُمْ أَوْ يَنتَصِرُونَ ﴿٩٣﴾﴾.

١٢ ـ الإفاقة المتأخرة لا تنفع صاحبها في شيء ﴿قَالُوا۟ وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ﴿٩٦﴾ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٨﴾ وَمَآ أَضَلَّنَآ إِلَّا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٩٩﴾ فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٢﴾﴾.

١٣ ـ ما أعظم أثر الدعوة على الناس لو وَعَوْا ما فيها ﴿قَالُوا۟ وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ﴿٩٦﴾ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٨﴾ وَمَآ أَضَلَّنَآ إِلَّا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٩٩﴾﴾ كم مرَّةً ردَّد هذا الخطاب على أسماع كثيرين؛ فرفضوه، أو لم يستقبلوه بإمعان!

١٤ ـ ﴿إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٨﴾﴾ ما أكثر تطبيقاتها في واقع اليوم!

١٥ ـ ﴿إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٨﴾﴾ ليست تلك الأصنام والأوثان التي كانت تُعبد من دون الله تعالى، كلَّا! وإنما في بشر أو هوى وشهوات جعلتَهم أنداداً لله تعالى.

١٦ ـ كل ما أخَّرك عن الحق، وخلّفك عن الفضيلة، وأبقاك في مكان لا يرضاه الله تعالى؛ فهو داخل في هذه الآية ﴿إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٨﴾﴾.

١٧ ـ ما رأيك في وظيفة، أو مسؤولية، أو لهو، أو عبث أقمت لها شأناً على حساب واجبٍ من واجبات الله تعالى ﴿إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٨﴾﴾.

١٨ ـ لم يضربوكم على رؤوسكم لتؤجِّروا عقولكم ﴿وَمَآ أَضَلَّنَآ إِلَّا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٩٩﴾ فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾ أنتم الذين ألقيتم بأنفسكم في أحضانهم في أول الأمر.

١٩ ـ إفاقة الإمّعات بعد فوات الأوان ﴿وَمَآ أَضَلَّنَآ إِلَّا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٩٩﴾ فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾.

٢٠ ـ ﴿فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٢﴾﴾ دعوى بعد فوات زمانها! وقارئها اليوم أحقُّ بالذكرى بها.

٢١ ـ اقتطع جزءاً من وقتك لقراءة قصص السابقين؛ ففيها ما يكفي لقراءة مستقبلك ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾﴾.

٢٢ ـ هذا هو الأصل في كل أمة بُعِثَ فيها مُصلحٌ أو نبيٌّ ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾﴾.

٢٣ ـ ﴿إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٠٧﴾﴾ فلا تحمّل الشريعة ما ليس منها، ولا تضيّع حدودها من أجل ترغيب الناس فيها.

٢٤ ـ من الأمانة في مشروع الدعوة ألا تأتي فيها بأسلوب أو طريقة أو منهج إلا من الوحي ﴿إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٠٧﴾﴾.

٢٥ ـ الدعوة أجلُّ من أن تتسوَّل الناس من لعاع الحياة ﴿ وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٠٩ ﴾.

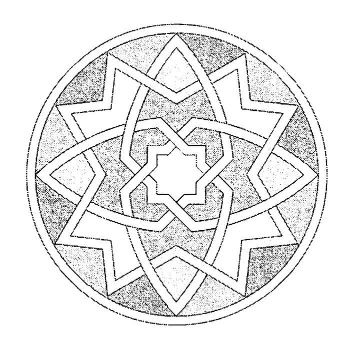
٢٦ ـ من علامات المصلحين الصادقين أنهم لا يأخذون مقابلاً على دعوتهم ﴿ وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٠٩ ﴾.

٢٧ ـ يا لخيبة رسالةٍ، ودعوةٍ، ومشروعٍ ناهضٍ يتَّجر به صاحبه في ساحات الدنيا ﴿ وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٠٩ ﴾.

٢٨ ـ ﴿قَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلۡأَرۡذَلُونَ ١١١ ﴾ متى كانت الدعوة تنظر لمعتنقيها من خلال جاه الدنيا.

٢٩ ـ كل دعوة قوَّمت الناس على أشكالهم وألوانهم ومسؤولياتهم ومكانتهم؛ لا علاقة لها بمنهج السماء ﴿قَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلۡأَرۡذَلُونَ ١١١ ﴾.





قَالَ وَمَا عِلۡمِي بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١١٢﴾ إِنۡ حِسَابُهُمۡ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّيۖ لَوۡ تَشۡعُرُونَ ﴿١١٣﴾ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١١٤﴾ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ مُّبِينٞ ﴿١١٥﴾ قَالُواْ لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ يَٰنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمَرۡجُومِينَ ﴿١١٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوۡمِي كَذَّبُونِ ﴿١١٧﴾ فَٱفۡتَحۡ بَيۡنِي وَبَيۡنَهُمۡ فَتۡحٗا وَنَجِّنِي وَمَن مَّعِيَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١١٨﴾ فَأَنجَيۡنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِي ٱلۡفُلۡكِ ٱلۡمَشۡحُونِ ﴿١١٩﴾ ثُمَّ أَغۡرَقۡنَا بَعۡدُ ٱلۡبَاقِينَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿١٢١﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٢﴾ كَذَّبَتۡ عَادٌ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذۡ قَالَ لَهُمۡ أَخُوهُمۡ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ إِنِّي لَكُمۡ رَسُولٌ أَمِينٞ ﴿١٢٥﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٢٦﴾ وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٢٧﴾ أَتَبۡنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةٗ تَعۡبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمۡ تَخۡلُدُونَ ﴿١٢٩﴾ وَإِذَا بَطَشۡتُم بَطَشۡتُمۡ جَبَّارِينَ ﴿١٣٠﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٣١﴾ وَٱتَّقُواْ ٱلَّذِيٓ أَمَدَّكُم بِمَا تَعۡلَمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمَدَّكُم بِأَنۡعَٰمٖ وَبَنِينَ ﴿١٣٣﴾ وَجَنَّٰتٖ وَعُيُونٍ ﴿١٣٤﴾ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ﴿١٣٥﴾ قَالُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡنَآ أَوَعَظۡتَ أَمۡ لَمۡ تَكُن مِّنَ ٱلۡوَٰعِظِينَ ﴿١٣٦﴾

التفسير

- ﴿قَالَ وَمَا عِلۡمِي بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١١٢﴾ لا أعلم عملهم، ولي ما ظهر من أعمالهم.
- ﴿إِنۡ حِسَابُهُمۡ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّيۖ لَوۡ تَشۡعُرُونَ ١١٣﴾ يتولَّى الله تعالى حسابهم يوم القيامة.
- ﴿وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١١٤﴾ ممَّن آمن بالله تعالى، واتَّبعني على ذلك.
- ﴿إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ مُّبِينٞ ١١٥﴾ أبلغكم ما أُرسلت به من الله تعالى.
- ﴿قَالُواْ لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ يَٰنُوحُ﴾ عما تقول وتدعو إليه ﴿لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمَرۡجُومِينَ ١١٦﴾ المطرودين المبعدين.
- ﴿قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوۡمِي كَذَّبُونِ ١١٧﴾ فلم يصدِّقوا ما جئتهم به.
- ﴿فَٱفۡتَحۡ بَيۡنِي وَبَيۡنَهُمۡ فَتۡحٗا﴾ احكم بيني وبينهم حكماً من عندك ﴿وَنَجِّنِي وَمَن مَّعِيَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١١٨﴾ من عذابك.
- ﴿فَأَنجَيۡنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِي ٱلۡفُلۡكِ ٱلۡمَشۡحُونِ ١١٩﴾ السفينة المملوءة بالخلق من الإنسان والحيوان.
- ﴿ثُمَّ أَغۡرَقۡنَا بَعۡدُ ٱلۡبَاقِينَ ١٢٠﴾ من بقي من قومه على الكفر.
- ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ﴾ لعبرةً وعظة ﴿وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ ١٢١﴾ مع هذه الآيات.
- ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ﴾ لا غالبَ لأمره ﴿ٱلرَّحِيمُ ١٢٢﴾ بعباده المؤمنين.

- ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾﴾ كذَّبوا رسولهم هوداً.
- ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾﴾ ألا تجعلوا بينكم وبين عذاب الله تعالى وقايةً؛ بفعل أوامره، واجتناب نواهيه.
- ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ﴾ من عند الله تعالى ﴿أَمِينٌ ﴿١٢٥﴾﴾ على بلاغ وحيه.
- ﴿فَٱتَّقُوا ٱللَّهَ﴾ اجعلوا بينكم وبين عذاب الله تعالى وقاية بفعل أوامره واجتناب نواهيه ﴿وَأَطِيعُونِ ﴿١٢٦﴾﴾ فيما أقول لكم.
- ﴿وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾ مالاً ﴿إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢٧﴾﴾ فهو يتولى جزائي بأَحْسَنَ من ذلك.
- ﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ﴾ مكانٍ من الأرض ﴿ءَايَةً﴾ علامة ﴿تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾﴾ تفعلون ذلك عبثاً دون فائدة.
- ﴿وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ﴾ قصوراً ضخمة، أو حياضاً تجمعون فيها المياه ﴿لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٢٩﴾﴾ تبقون خالدين في الأرض.
- ﴿وَإِذَا بَطَشْتُم﴾ بالخلق ﴿بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴿١٣٠﴾﴾ لا تراعون في ذلك حرمةَ مخلوق.
- ﴿فَٱتَّقُوا ٱللَّهَ﴾ اجعلوا بينكم وبين عذاب الله تعالى وقايةً؛ بفعل أوامره واجتناب نواهيه ﴿وَأَطِيعُونِ ﴿١٣١﴾﴾ فيما أقول لكم.
- ﴿وَٱتَّقُوا ٱلَّذِيٓ أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ ﴿١٣٢﴾﴾ أعطاكم ما تعلمونه، وتدركون فائدته.
- ﴿أَمَدَّكُم بِأَنْعَٰمٍ﴾ من الإبل والبقر والغنم ﴿وَبَنِينَ ﴿١٣٣﴾﴾ وأولاداً.
- ﴿وَجَنَّٰتٍ﴾ من البساتين ﴿وَعُيُونٍ ﴿١٣٤﴾﴾ جارية بالماء.

- ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ١٣٥﴾ يوم القيامة.
- ﴿قَالُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡنَآ أَوَعَظۡتَ أَمۡ لَمۡ تَكُن مِّنَ ٱلۡوَٰعِظِينَ ١٣٦﴾ سواء ذكَّرتنا أم لم تذكِّرنا، لا سبيل لك علينا في شيء.

التَّدَبُّرُ

١ ـ حسب الرسل أن يقوموا بواجب الله تعالى في الدعوة والبلاغ ﴿قَالَ وَمَا عِلۡمِي بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١١٢ إِنۡ حِسَابُهُمۡ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّيۖ لَوۡ تَشۡعُرُونَ ١١٣ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١١٤ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ مُّبِينٞ ١١٥﴾.

٢ ـ ليس من مسؤولية الدعاة والمصلحين تصنيفُ المقبلين عليها والمهتدين بها. وإنما حسبهم البلاغ ﴿قَالَ وَمَا عِلۡمِي بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١١٢ إِنۡ حِسَابُهُمۡ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّيۖ لَوۡ تَشۡعُرُونَ ١١٣ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١١٤ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ مُّبِينٞ ١١٥﴾.

٣ ـ هذه قصة الباطل مع الدعوة والدعاة ﴿قَالُواْ لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ يَٰنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمَرۡجُومِينَ ١١٦﴾.

٤ ـ إما أن تصبح عبداً لمتطلبات الأوثان، أو تخرج من أرض لا تريد أن تعيش فيها أجيراً ﴿قَالُواْ لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ يَٰنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمَرۡجُومِينَ ١١٦﴾.

٥ ـ أهل الباطل هم دائماً أعداء الحريات ﴿قَالُواْ لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ يَٰنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمَرۡجُومِينَ ١١٦﴾.

٦ ـ هذه هي شعارات أهل الباطل: ما أُريكم إلَّا ما أرى! ﴿قَالُواْ لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ يَٰنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمَرۡجُومِينَ ١١٦﴾.

٧ ـ إذا صدقت في الطريق إلى ربك؛ أجابك عند أول نداء ﴿ قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ ﴿١١٧﴾ فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِي وَمَن مَّعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾ فَأَنجَيْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ﴿١١٩﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ الْبَاقِينَ ﴿١٢٠﴾ ﴾.

٨ ـ قدِّم رسالتك ودعوتك ومشـروعك كما طلب الله تعالى منك، ثم إذا بلغت جهدك؛ اطرق باب الرجـاء ﴿ قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ ﴿١١٧﴾ فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِي وَمَن مَّعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾ فَأَنجَيْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ﴿١١٩﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ الْبَاقِينَ ﴿١٢٠﴾ ﴾.

٩ ـ كان الكبار يفقهون معنى الدعاء ﴿ قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ ﴿١١٧﴾ فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِي وَمَن مَّعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾ فَأَنجَيْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ﴿١١٩﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ الْبَاقِينَ ﴿١٢٠﴾ ﴾.

١٠ ـ ليس بينك وبين فواتح التوفيق سـوى الدعـاء ﴿ قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ ﴿١١٧﴾ فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِي وَمَن مَّعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾ فَأَنجَيْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ﴿١١٩﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ الْبَاقِينَ ﴿١٢٠﴾ ﴾.

١١ ـ ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٢١﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٢٢﴾ ﴾ توجيه إلى قراءة دروس الذكرى بإمعان.

١٢ ـ ﴿ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٢٥﴾ ﴾ رسالة في بيان عظم شأن الدعوة؛ إذ إنَّها واسطة بين الله تعالى والعالمين.

١٣ ـ نصَّب نفسه شـيخاً، وذهب يعتدي على القيم، ويشوّه تصورات الناس في دين الله تعالى ﴿ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٢٥﴾ ﴾.

١٤ ـ إعمار الدنيا على حساب الآخرة من علامات الغفلة وأدلّتها ﴿ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٢٩﴾ ﴾.

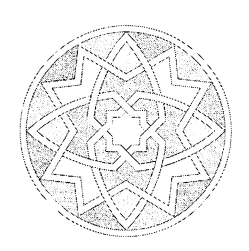
١٥ ـ الأصل في نعم الله تعالى أنها تهدي للطريق ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱلَّذِىٓ أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمَدَّكُم بِأَنْعَـٰمٍ وَبَنِينَ ﴿١٣٣﴾ وَجَنَّـٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٣٤﴾﴾ فإذا لم تدلك على الطريق؛ فذلك علامة شقاء.

١٦ ـ إذا لم تحرِّك الموعظةُ قلبك، وتُلْهِبْ مشاعرك؛ فأدرك نفسك ﴿قَالُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ ٱلْوَٰعِظِينَ ﴿١٣٦﴾﴾.

١٧ ـ وعظ النبيُّ ﷺ ابنَ عمر رضي الله عنه «**نعم الرجل عبد الله لو كان يصلي من الليل**»[١]؛ فما ترك قيام الليل بعد تلك الموعظة. ووُعِظَ عليُّ بن أبي طالب رضي الله عنه بأذكار النوم؛ فلم يتركها حتى ليلة صفين[٢]. ﴿قَالُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ ٱلْوَٰعِظِينَ ﴿١٣٦﴾﴾.

١٨ ـ وبعضهم يسمع كل شيء، ولا يصنع من ذلك شيئاً ﴿قَالُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ ٱلْوَٰعِظِينَ ﴿١٣٦﴾﴾.





---

(١) أخرجه البخاري (١١٢٢) ومسلم (٢٤٧٩) عن ابن عمر رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه البخاري (٣٧٠٥) ومسلم (٢٧٢٧) عن علي رضي الله عنه، وطرفه: «**ألا أعلمكما خيراً مما سألتما..**» الحديث.

إِنْ هَٰذَآ إِلَّا خُلُقُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣٧﴾ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿١٣٨﴾ فَكَذَّبُوهُ
فَأَهْلَكْنَٰهُمْ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ وَإِنَّ
رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٤٠﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٤١﴾ إِذْ قَالَ
لَهُمْ أَخُوهُمْ صَٰلِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٤٢﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٤٣﴾
فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٤٤﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ
إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٤٥﴾ أَتُتْرَكُونَ فِى مَا هَٰهُنَآ ءَامِنِينَ ﴿١٤٦﴾
فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٤٧﴾ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ﴿١٤٨﴾
وَتَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا فَٰرِهِينَ ﴿١٤٩﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ
﴿١٥٠﴾ وَلَا تُطِيعُوٓا۟ أَمْرَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٥١﴾ ٱلَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ
وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿١٥٢﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴿١٥٣﴾ مَآ أَنتَ
إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بِـَٔايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٥٤﴾ قَالَ
هَٰذِهِۦ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿١٥٥﴾ وَلَا تَمَسُّوهَا
بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥٦﴾ فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا۟
نَٰدِمِينَ ﴿١٥٧﴾ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ
أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٥٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٥٩﴾

التفسير

- ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا خُلُقُ ٱلْأَوَّلِينَ ١٣٧﴾ عادتهم ودينهم ومذهبهم.
- ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ١٣٨﴾ يوم القيامة.
- ﴿فَكَذَّبُوهُ﴾ هوداً ﴿فَأَهْلَكْنَٰهُمْ﴾ بالريح التي سُخِّرت عليهم ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةً﴾ لعبرةً وعظة ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ١٣٩﴾ بهذه الآيات العظيمة البيِّنة.
- ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ لا غالبَ لأمره ﴿ٱلرَّحِيمُ ١٤٠﴾ بعباده المؤمنين.
- ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ ٱلْمُرْسَلِينَ ١٤١﴾ فلم يمتثلوا ما جاء به نبيُّهم صالح.
- ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَٰلِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ١٤٢﴾ ألا تجعلوا بينكم وبين عذاب الله وقاية بفعل أوامره، واجتناب نواهيه؟! ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ﴾ من الله تعالى ﴿أَمِينٌ ١٤٣﴾.
- ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ اجعلوا بينكم وبين عذاب الله وقاية بفعل أوامره، واجتناب نواهيه ﴿وَأَطِيعُونِ ١٤٤﴾ فيما أقول لكم.
- ﴿وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾ مالاً ﴿إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ١٤٥﴾ فهو يتولى جزائي بأحسن من ذلك.
- ﴿أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَٰهُنَآ ءَامِنِينَ ١٤٦﴾ أيترككم ربكم في الدنيا بلا عملٍ ولا حسابٍ على ذلك.
- ﴿فِي جَنَّٰتٍ﴾ بساتين ﴿وَعُيُونٍ ١٤٧﴾ جارية.
- ﴿وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ١٤٨﴾ يانع ونضيج.
- ﴿وَتَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا فَٰرِهِينَ ١٤٩﴾ حاذقين في نحتها.

• ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ﴾ اجعلوا بينكم وبين عذاب الله تعالى وقايةً؛ بفعل أوامره، واجتناب نواهيه ﴿وَأَطِيعُونِ ﴿١٥٠﴾﴾ فيما أقول لكم.

• ﴿ وَلَا تُطِيعُوٓاْ أَمۡرَ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ﴿١٥١﴾﴾ الذين تجاوزوا الحدَّ في الطغيان.

• ﴿ ٱلَّذِينَ يُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا يُصۡلِحُونَ ﴿١٥٢﴾﴾ بعمل المعاصي والمنكرات.

• ﴿ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلۡمُسَحَّرِينَ ﴿١٥٣﴾﴾ المسحورين ﴿ مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا ﴾ فلا فضيلة زائدةً لك عنا ﴿فَأۡتِ بِـَٔايَةٍ﴾ علامة بيِّنة ظاهرة ﴿إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٥٤﴾﴾ في دعوتك ورسالتك.

• ﴿ قَالَ هَٰذِهِۦ نَاقَةٞ لَّهَا شِرۡبٞ ﴾ يومٌ مخصوصٌ تشرب فيه ﴿وَلَكُمۡ شِرۡبُ يَوۡمٖ مَّعۡلُومٖ ﴿١٥٥﴾﴾ ولكم يوم آخر تشربون فيه.

• ﴿ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٖ ﴾ بضربٍ أو قتل ﴿فَيَأۡخُذَكُمۡ عَذَابُ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ﴿١٥٦﴾﴾ جزاء فعلكم.

• ﴿ فَعَقَرُوهَا ﴾ قتلوها ﴿فَأَصۡبَحُواْ نَٰدِمِينَ ﴿١٥٧﴾﴾ ممَّا فعلوا.

• ﴿فَأَخَذَهُمُ ٱلۡعَذَابُ ﴾ صيحةٌ نزلت بهم فدمَّرتهم أجمعين ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ﴾ عبرةً وعظة ﴿وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿١٥٨﴾﴾ بنزول الآيات والعبر والعظات.

• ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ﴾ لا غالبَ لأمره ﴿ٱلرَّحِيمُ ﴿١٥٩﴾﴾ بعباده المؤمنين.



١ ـ من السهولة بمكان عند أهل البغي والضلال أن تُرمى الحقائق في هوامش الأحداث ﴿إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا خُلُقُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿١٣٧﴾ وَمَا نَحۡنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿١٣٨﴾﴾.

٢ ـ تشويه التصورات أول الطريق للحيلولة دون الناس ودينهم وقِيَمِهِم ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا خُلُقُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣٧﴾ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿١٣٨﴾﴾.

٣ ـ إذا أردت أن تصنع حاجزاً بين الناس ودينهم؛ فاصنع لهم مفاهيم خاطئة، وشوِّه تصوراتهم عن الدين ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا خُلُقُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣٧﴾ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿١٣٨﴾﴾.

٤ ـ الحياة إذا لم تكن لغاية؛ فلا معنى لها ﴿أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَٰهُنَآ ءَامِنِينَ ﴿١٤٦﴾ فِي جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٤٧﴾ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ﴿١٤٨﴾ وَتَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا فَٰرِهِينَ ﴿١٤٩﴾﴾.

٥ ـ ﴿وَلَا تُطِيعُوٓا۟ أَمْرَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٥١﴾﴾ من هو هذا المسرف؟ وما ضابطه؟! ﴿ٱلَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿١٥٢﴾﴾.

٦ ـ ﴿وَلَا تُطِيعُوٓا۟ أَمْرَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٥١﴾﴾ قد يكون هذا المسرف قناةً فضائيةً، أو عموداً صحفيّاً، أو صديقَ عملٍ، أو صاحباً في سفر، أو كتاباً، أو صاحبَ حسابٍ في وسائل التواصل الاجتماعي، وضابطه ﴿ٱلَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿١٥٢﴾﴾ فتنبَّه كي لا تقع في حياض المسرفين.

٧ ـ لا جديد ﴿قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴿١٥٣﴾ مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بِـَٔايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٥٤﴾﴾.

٨ ـ أسهل الطرق للتخلُّص منك وَصْفُكَ بالسِّحر، والجنون، والسفه، وقصور العلم، وعدم الوعي ﴿قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴿١٥٣﴾ مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بِـَٔايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٥٤﴾﴾.

٩ ـ ﴿فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا۟ نَٰدِمِينَ ﴿١٥٧﴾﴾ عادة أهل الباطل مع كل آية من آيات الله تعالى، وعادة الله تعالى فيهم ﴿فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٥٨﴾﴾.

كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٦٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٦١﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٦٢﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٦٣﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٤﴾ أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٥﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴿١٦٦﴾ قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُخْرَجِينَ ﴿١٦٧﴾ قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُم مِّنَ ٱلْقَالِينَ ﴿١٦٨﴾ رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٩﴾ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿١٧٠﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِي ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿١٧١﴾ ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿١٧٢﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿١٧٣﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٧٥﴾ كَذَّبَ أَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧٦﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٧٨﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٧٩﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٠﴾ ۞ أَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُخْسِرِينَ ﴿١٨١﴾ وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ﴿١٨٢﴾ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِي ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿١٨٣﴾

التفسير

• ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٦٠﴾﴾ كذَّبوا ما جاء به رسولهم.

• ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٦١﴾﴾ ألا تجعلوا بينكم وبين عذاب الله تعالى وقايةً؛ بفعل أوامره، واجتناب نواهيه.

• ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ﴾ من عند الله تعالى ﴿أَمِينٌ ﴿١٦٢﴾﴾ على وحي الله.

• ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ اجعلوا بينكم وبين عذاب الله تعالى وقاية بفعل أوامره واجتناب نواهيه ﴿وَأَطِيعُونِ ﴿١٦٣﴾﴾ فيما أقول لكم.

• ﴿وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾ مالاً ﴿إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٤﴾﴾ فهو الذي يتولى جزائي.

• ﴿أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٥﴾﴾ أتنكحون الذكران.

• ﴿وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم﴾ تَدعون النساء ﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴿١٦٦﴾﴾ متجاوزون لحدود الله تعالى.

• ﴿قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰلُوطُ﴾ عن ما تقول لنا ﴿لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُخْرَجِينَ ﴿١٦٧﴾﴾ لنخرجَنَّك من البلد.

• ﴿قَالَ إِنِّى لِعَمَلِكُم مِّنَ ٱلْقَالِينَ ﴿١٦٨﴾﴾ المبغضين المنكرين.

• ﴿رَبِّ نَجِّنِى وَأَهْلِى مِمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٩﴾﴾ دعا الله تعالى أن ينجيه من فعل القوم.

- ﴿ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ (١٧٠) ﴾ ﴿ إِلَّا عَجُوزًا ﴾ امرأته ﴿ فِى ٱلْغَٰبِرِينَ (١٧١) ﴾ الباقين في العذاب.

- ﴿ ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْءَاخَرِينَ (١٧٢) ﴾ أهلكناهم.

- ﴿ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ﴾ أرسلنا عليهم حجارةً من السماء ﴿ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ (١٧٣) ﴾ بئس المطر مطرهم!

- ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ﴾ لعبرةً وعظة ﴿ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ (١٧٤) ﴾ بنزول الآيات والعبر والعظات.

- ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ﴾ لا غالبَ لأمره ﴿ ٱلرَّحِيمُ (١٧٥) ﴾ بعباده المؤمنين.

- ﴿ كَذَّبَ أَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ﴾ البساتين والأشجار الملتفة، وهم قوم شعيب ﴿ ٱلْمُرْسَلِينَ (١٧٦) ﴾ رسل الله تعالى.

- ﴿ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ (١٧٧) ﴾ ألا تجعلوا بينكم وبين عذاب الله تعالى وقايةً؛ بفعل أوامره، واجتناب نواهيه؟!

- ﴿ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ ﴾ من الله تعالى ﴿ أَمِينٌ (١٧٨) ﴾ على ما أرسلني به.

- ﴿ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ﴾ اجعلوا بينكم وبين عذاب الله تعالى وقاية بفعل أوامره واجتناب نواهيه ﴿ وَأَطِيعُونِ (١٧٩) ﴾ فيما أقول لكم.

- ﴿ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ﴾ مالاً ﴿ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ (١٨٠) ﴾ هو الذي يتولى جزائي.

- ﴿ أَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ ﴾ أتمُّوه وأكملوه ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُخْسِرِينَ (١٨١) ﴾ المنقصين له.

- ﴿وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ﴿١٨٢﴾﴾ بالميزان العادل.
- ﴿وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ﴾ حقوقهم ﴿وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿١٨٣﴾﴾ لا تكثروا الفساد في الأرض.

التَّدَبُّر

١ ـ أسوأ جريمة في تاريخ إنسان ﴿أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٥﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴿١٦٦﴾﴾.

٢ ـ هل تصورت رجلاً يعلو آخر! تلك قواصم الأخلاق ﴿أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٥﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴿١٦٦﴾﴾.

٣ ـ حين تكون الفضيلة شيئاً شاذاً، يحتاج إلى طردٍ وإبعاد ﴿قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُخْرَجِينَ ﴿١٦٧﴾﴾.

٤ ـ المجتمعات الملوّثة تزعجها الدعوة إلى الطهارة والنقاء والفضيلة ﴿قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُخْرَجِينَ ﴿١٦٧﴾﴾.

٥ ـ من لم يدرك أيامه بالتوبة؛ فقد يدركه عذاب الله تعالى ﴿قَالَ إِنِّى لِعَمَلِكُم مِّنَ ٱلْقَالِينَ ﴿١٦٨﴾ رَبِّ نَجِّنِى وَأَهْلِى مِمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٩﴾ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿١٧٠﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِى ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿١٧١﴾ ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿١٧٢﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿١٧٣﴾﴾.

٦ ـ العناصر الخبيثة لا يمكن أن تورق ولو عاشت في أرض معشبة ﴿إِلَّا عَجُوزًا فِى ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿١٧١﴾﴾.

٧ ـ حتى الكبار عاشوا في بيوتهم قلقين متعبين مجهدين من أقرب الأقربين ﴿إِلَّا عَجُوزًا فِى ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿١٧١﴾﴾.

٨ ـ ﴿إِلَّا عَجُوزًا فِي ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿١٧١﴾﴾ عبرةً لمن وجد من زوجه أو ولده أو قريبه أو صديقه بعداً عن الله تعالى. هكذا عاش الأنبياء!

٩ ـ ﴿أَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُخْسِرِينَ ﴿١٨١﴾ وَزِنُواْ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ﴿١٨٢﴾ وَلَا تَبْخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْاْ فِي ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿١٨٣﴾﴾ كل من عليه حق؛ فعليه أن يوفِّيه.

١٠ ـ بَخْسُ الناسِ حقوقهم من الإفساد في الأرض ﴿أَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُخْسِرِينَ ﴿١٨١﴾ وَزِنُواْ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ﴿١٨٢﴾ وَلَا تَبْخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْاْ فِي ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿١٨٣﴾﴾.

١١ ـ ﴿أَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُخْسِرِينَ ﴿١٨١﴾ وَزِنُواْ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ﴿١٨٢﴾ وَلَا تَبْخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْاْ فِي ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿١٨٣﴾﴾ ليس بالضرورة في المكيال الحسي، وإنما يجري كذلك في المكيال المعنوي.

١٢ ـ ما أكثر استيفاء الحقوق على أداء الواجبات في هذا الشأن! ﴿أَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُخْسِرِينَ ﴿١٨١﴾ وَزِنُواْ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ﴿١٨٢﴾ وَلَا تَبْخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْاْ فِي ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿١٨٣﴾﴾.

١٣ ـ كل من له حق عليك؛ فالواجب عليك أن توفِّيه كيله ﴿أَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُخْسِرِينَ ﴿١٨١﴾ وَزِنُواْ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ﴿١٨٢﴾ وَلَا تَبْخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْاْ فِي ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿١٨٣﴾﴾.

❀ ❀ ❀

وَاتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِبِلَّةَ الْأَوَّلِينَ ﴿١٨٤﴾ قَالُوا إِنَّمَا أَنتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ ﴿١٨٥﴾ وَمَا أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿١٨٦﴾ فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ السَّمَاءِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٨٧﴾ قَالَ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨٨﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ ۚ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٨٩﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٩٠﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٩١﴾ وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ ﴿١٩٦﴾ أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ آيَةً أَن يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿١٩٧﴾ وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَىٰ بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ ﴿١٩٨﴾ فَقَرَأَهُ عَلَيْهِم مَّا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ ﴿١٩٩﴾ كَذَٰلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ ﴿٢٠٠﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٢٠١﴾ فَيَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٠٢﴾ فَيَقُولُوا هَلْ نَحْنُ مُنظَرُونَ ﴿٢٠٣﴾ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿٢٠٤﴾ أَفَرَأَيْتَ إِن مَّتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ ﴿٢٠٥﴾ ثُمَّ جَاءَهُم مَّا كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿٢٠٦﴾

التفسير

• ﴿وَٱتَّقُواْ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ﴾ أي رب العالمين ﴿وَٱلْجِبِلَّةَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٨٤﴾﴾ وخلق الخلق الأولين.

• ﴿قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴿١٨٥﴾﴾ من المسحورين.

• ﴿وَمَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا﴾ فلا فضل لك علينا ﴿وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿١٨٦﴾﴾ في كل ما تقول.

• ﴿فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ قِطَعاً من العذاب تهلكنا ﴿إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٨٧﴾﴾ فيما تقول.

• ﴿قَالَ رَبِّىٓ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨٨﴾﴾ فهو الذي يتولى جزاءكم وعذابكم.

• ﴿فَكَذَّبُوهُ﴾ في كلِّ ما جاء به ﴿فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ ٱلظُّلَّةِ﴾ أظلتهم سحابةٌ عظيمةٌ، فاجتمعوا تحتها راغبين في ظلها؛ فكان فيها عذابهم ونكالهم ﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٨٩﴾﴾ عذاب ذلك اليوم.

• ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً﴾ لعبرةً وعظة ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٩٠﴾﴾ بنزول الآيات والعبر والعظات ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ لا غالب لأمره ﴿ٱلرَّحِيمُ ﴿١٩١﴾﴾ بعباده المؤمنين.

• ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾﴾ أي القرآن الكريم.

• ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾﴾ جبريل عليه السلام ﴿عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾ يا رسول الله ﴿لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾﴾ المبلِّغين الداعين إلى ما فيه.

• ﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ ﴾ بلسان العرب.

• ﴿ وَإِنَّهُۥ ﴾ أي القرآن الكريم ﴿ لَفِي زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٩٦﴾ ﴾ ذكره وخبره في كتب الأولين.

• ﴿ أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً ﴾ على صحَّته وصدقه ﴿ أَن يَعْلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُا۟ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٩٧﴾ ﴾ أنَّ علماء بني إسرائيل يعلمون خبره وصدقه وصحته، بما جاء في كتبهم.

• ﴿ وَلَوْ نَزَّلْنَٰهُ ﴾ أي القرآن ﴿ عَلَىٰ بَعْضِ ٱلْأَعْجَمِينَ ﴿١٩٨﴾ ﴾ على من لم يحسن قراءته بالعربية.

• ﴿ فَقَرَأَهُۥ عَلَيْهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ مُؤْمِنِينَ ﴿١٩٩﴾ ﴾ لأنهم لا يفقهون منه شيئاً.

• ﴿ كَذَٰلِكَ سَلَكْنَٰهُ ﴾ أي التكذيب والكفر أدخلناه ﴿ فِى قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٢٠٠﴾ ﴾ فعارضوا صدق القرآن.

• ﴿ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ﴾ بالقرآن ﴿ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٢٠١﴾ ﴾ في عاجل الدنيا.

• ﴿ فَيَأْتِيَهُم بَغْتَةً ﴾ أي العذاب ﴿ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٠٢﴾ ﴾ لاهون عن العذاب غافلون عنه.

• ﴿ فَيَقُولُوا۟ هَلْ نَحْنُ مُنظَرُونَ ﴿٢٠٣﴾ ﴾ مؤخَّرون قليلاً عن العذاب.

• ﴿ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿٢٠٤﴾ ﴾؟ استعجلوه استبعاداً له؛ فحلَّ بهم.

• ﴿ أَفَرَءَيْتَ إِن مَّتَّعْنَٰهُمْ سِنِينَ ﴿٢٠٥﴾ ﴾ أمهلناهم سنوات طويلة، فأخرنا عنهم العذاب ﴿ ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿٢٠٦﴾ ﴾ من العذاب والنكال.

التدبر

١ ـ ﴿أَتَوَاصَوْا بِهِۦ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ [الذاريات: ٥٣] ﴿قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴿١٨٥﴾ وَمَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿١٨٦﴾﴾.

٢ ـ هل وجدت مستقبِلاً لدين الله تعالى بالأفراح؟ لا! إذاً وطِّنْ نفسك؛ فلن تجد غير هذه السُّنَّة في كل خطوة من خطوات دعوتك ومشروعك ورسالتك ﴿قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴿١٨٥﴾ وَمَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿١٨٦﴾﴾.

٣ ـ الجهل بالله تعالى يصنع مثل هذه الطوام ﴿فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٨٧﴾﴾.

٤ ـ إذا رأيت من يسيء أدبه مع ربه تعالى؛ فاعلم أن الجهل قد بلغ به مداه ﴿فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٨٧﴾﴾.

٥ ـ هذه نهاية كلِّ ظالم ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ ٱلظُّلَّةِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٨٩﴾﴾ جماعات كانوا أو أفراداً، لا فرق.

٦ ـ هذه حقيقة القرآن الكريم ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾﴾.

٧ ـ من جلال هذا القرآن أنه لم ينزل به إلا أشرف الملائكة ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾﴾.

٨ ـ إذا لم يتقبله قلبك؛ فلا مفروح منه بالطارق إلى سمعك ﴿عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾﴾.

٩ ـ قصة القرآن قصة مشاعر ووجدان، وليست سماعاً وتلقيناً ﴿ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ ﴾.

١٠ ـ من القلب تبدأ قصة هذا التغيير ﴿ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ ﴾.

١١ ـ يكفي هذه اللغة شرفاً أن جاء الوحي بلسانها ﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ ﴾.

١٢ ـ كل من أراد قصة الحضارة الكبرى؛ فعليه أن يتعلم العربية ليفهم الوحي ﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ ﴾.

١٣ ـ أياً كانت لغتك التي تتعامل بها، ستظل محتاجاً للعربية لتفهم القرآن ﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ ﴾.

١٤ ـ العالم بأسره يحتاج إلى العربية، والعالم كله لا يحتاج من لغات العالم إلا ما يقضي به حاجته ﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ ﴾.

١٥ ـ الخطوة الأولى كفيلةٌ بصناعة النهايات ﴿ كَذَٰلِكَ سَلَكْنَٰهُ فِى قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٢٠٠﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٢٠١﴾ ﴾ ما سلك الكفر والتكذيب في قلوبهم إلا لمَّا رفضت هذه القلوب الانقياد لشريعة الله ومنهجه.

١٦ ـ ما تصنع متع الدنيا كلها في حياة اللاهين المعرضين سوى العذاب ﴿ أَفَرَءَيْتَ إِن مَّتَّعْنَٰهُمْ سِنِينَ ﴿٢٠٥﴾ ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿٢٠٦﴾ ﴾.

❀ ❀ ❀

مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يُمَتَّعُونَ ﴿٢٠٧﴾ وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ ﴿٢٠٨﴾ ذِكْرَىٰ وَمَا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٢٠٩﴾ وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢١٠﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٢١١﴾ إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ ﴿٢١٢﴾ فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢١٦﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾ يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَٰذِبُونَ ﴿٢٢٣﴾ وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنتَصَرُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُواْ ۗ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾

التفسير

- ﴿مَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يُمَتَّعُونَ ﴿٢٠٧﴾﴾ ماذا يفيدهم تمتُّعهم بالشهوات واللذات!
- ﴿وَمَآ أَهۡلَكۡنَا مِن قَرۡيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ ﴿٢٠٨﴾﴾ إلا بعد قيام الحجة عليهم بالرسل.
- ﴿ذِكۡرَىٰ﴾ أي إرسال الرسـل ﴿وَمَا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٢٠٩﴾﴾ نأخذهم بالهلاك قبل قيام الحجة عليهم.
- ﴿وَمَا تَنَزَّلَتۡ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢١٠﴾﴾ أي القرآن.
- ﴿وَمَا يَنۢبَغِي لَهُمۡ﴾ ما ينبغي للشـياطين أن تتنزَّل بكلام الله تعالى ووحيه ﴿وَمَا يَسۡتَطِيعُونَ ﴿٢١١﴾﴾ أخذ القرآن والنزول به.
- ﴿إِنَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّمۡعِ لَمَعۡزُولُونَ ﴿٢١٢﴾﴾ لا يملكون الوصول إلى محل السماع.
- ﴿فَلَا تَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ لا تعبد إلهـاً غيره ﴿فَتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾﴾ فـي الداريـن.
- ﴿وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾ عظ وذكِّر أقرب الناس إليك.
- ﴿وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ﴾ أَلِنْ جانبك ﴿لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٢١٥﴾﴾ للمؤمنين برسالتك.
- ﴿فَإِنۡ عَصَوۡكَ﴾ فلم يتَّبعوك ﴿فَقُلۡ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تَعۡمَلُونَ ﴿٢١٦﴾﴾ تبرأ من عملهم.
- ﴿وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡعَزِيزِ﴾ الذي لا غالب له ﴿ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾﴾ بعباده المؤمنين.
- ﴿ٱلَّذِي يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾﴾ في صلاتك.
- ﴿وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾﴾ ويراك في حال سجودك.

• ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لكل ما يقال ﴿ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾﴾ بكل ما يفعل.

• ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ﴾ أخبركم ﴿عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢٢١﴾﴾ على من تنزل من الناس.

• ﴿تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ﴾ كذَّاب ﴿أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾﴾ كثير الإثم بفعله للمعاصي.

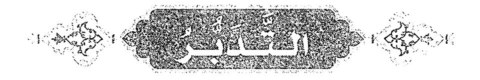
• ﴿يُلْقُونَ﴾ على من يتنزَّلون عليه ﴿ٱلسَّمْعَ﴾ الذي يسترقونه من السماء ﴿وَأَكْثَرُهُمْ كَٰذِبُونَ ﴿٢٢٣﴾﴾ فيما يلقون إليه.

• ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾﴾ وأخبركم كذلك أنه لا يتبع الشعراء إلا أهل الغيِّ والضلال.

• ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ من شدَّة غوايتهم وغيِّهم ﴿أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾﴾ تارة مدحاً، وأخرى ذمَّاً، وثالثة صدقاً، ورابعة كذباً، لا قرار لهم على حال.

• ﴿وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾﴾ هذا وصفهم قولٌ بلا فعل.

• ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنتَصَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟﴾ من الشعراء؛ فكان شعرهم عملاً في سبيل الله تعالى؛ فهؤلاء ليسوا كأولئك ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾﴾ أيَّ مرجعٍ يرجعون، وأيَّ موقفٍ يقفون يوم القيامة.


التَّدبُّر

١ ـ كل نعيمٍ يعقبه عذاب؛ لا قيمة له، ولا هناء فيه ﴿مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يُمَتَّعُونَ ﴿٢٠٧﴾﴾.

٢ ـ أمضوا سنين طويلة يأكلون ويشربون ويتمتعون، وفي النهاية صاروا إلى أسوأ النهايات ﴿مَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يُمَتَّعُونَ ٢٠٧﴾.

٣ ـ لا تنشغل بلهوٍ عارضٍ، ويفوت عليك به نعيم الدارين ﴿مَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يُمَتَّعُونَ ٢٠٧﴾.

٤ ـ جزء كبير من مشكلاتنا أننا نستعجل فانياً، ويفوت علينا انتظار آجل كبير ﴿مَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يُمَتَّعُونَ ٢٠٧﴾.

٥ ـ من رحمة الله تعالى أنه لا يعذب عبداً حتى يقيم عليه الحجج والبراهين ﴿وَمَآ أَهۡلَكۡنَا مِن قَرۡيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ ٢٠٨ ذِكۡرَىٰ وَمَا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ٢٠٩﴾.

٦ ـ كم من حجة قامت علينا ونحن عنها سادرون ﴿وَمَآ أَهۡلَكۡنَا مِن قَرۡيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ ٢٠٨ ذِكۡرَىٰ وَمَا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ٢٠٩﴾.

٧ ـ هذه العافية في بدنك حجة، وجوارحك حجة، وعقلك حجة، وهذه المعرفة التي يضج بها العالم حجة، والأمن الذي تعيش في رحابه حجة ﴿وَمَآ أَهۡلَكۡنَا مِن قَرۡيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ ٢٠٨ ذِكۡرَىٰ وَمَا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ٢٠٩﴾.

٨ ـ حتى تأخير أجلك حجة، تحتاج إلى جهاد ﴿وَمَآ أَهۡلَكۡنَا مِن قَرۡيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ ٢٠٨ ذِكۡرَىٰ وَمَا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ٢٠٩﴾.

٩ ـ ألا تفق! كم مرة ذكَّرك ربك بعظمة هذا القرآن؟! ﴿وَمَا تَنَزَّلَتۡ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ ٢١٠ وَمَا يَنۢبَغِي لَهُمۡ وَمَا يَسۡتَطِيعُونَ ٢١١ إِنَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّمۡعِ لَمَعۡزُولُونَ ٢١٢﴾.

١٠ ـ يا هذا! إنه تنزيل رب العالمين، الجن لا تستطيع حمله، ولا تلتقي به في طريق ﴿وَمَا تَنَزَّلَتۡ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ ٢١٠ وَمَا يَنۢبَغِي لَهُمۡ وَمَا يَسۡتَطِيعُونَ ٢١١ إِنَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّمۡعِ لَمَعۡزُولُونَ ٢١٢﴾.

١١ ـ حتى الأنبياء يُحذِّرون من الشرك، وينبِّهون على خطره، وينذرون عواقبه ﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾﴾.

١٢ ـ ليس المقصود بالشرك ضرورةً أن تسجد لصنم أو وثن، قد يسجد قلبك لإله الشهوة، أو الوظيفة، أو الرئيس، أو المسؤولية، أو المكانة؛ فتكون عابداً مع الله تعالى غيره ﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾﴾.

١٣ ـ كم من أوثانٍ في قلوبنا تحتاج إلى نار التوحيد! ﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾﴾.

١٤ ـ إدارة الأولويات ضرورة قصوى في حياة كل إنسان ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾.

١٥ ـ حتى الدعوة إذا لم يُدَرْ شأنها وفق الأولويات؛ لن تبلغ آمالها ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾.

١٦ ـ والداك، وزوجك، وولدك، أولى الناس بدينك، وأثرك، ومشروعك، وفكرتك فتنبه ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾.

١٧ ـ إذا لم ينتفع الأقربون بمالك، وجميل أثرك؛ فقد فاتك أقرب الحظوظ وألذُّها ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾.

١٨ ـ قصة الدعوة المثيرة تبدأ من البيت، ومسجد الحي، والجيران، والمجتمع، ثم تكتب آفاقها في العالمين فيما بعد ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾.

١٩ ـ من حق المقبل على الدعوة أن يُمَدَّ له كنفُ الحب والود والجميل ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾﴾.

٢٠ ـ يستحق أعوان الطريق مباهج الحياة ﴿ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾ ﴾.

٢١ ـ لا تشنِّع على المخالفين، وغير الراغبين في مباهج دينك، يكفي أن تتبرأ من عملهم، وتَدَعُهُم وشَأْنَهُم ﴿ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢١٦﴾ ﴾.

٢٢ ـ ﴿ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢١٦﴾ ﴾ تتبرأ من عمله وليس منه، ما لك وله؟!

٢٣ ـ ما أحوج الدعاة والمصلحين إلى هذا الفقه! ﴿ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢١٦﴾ ﴾.

٢٤ ـ كم مرَّةً خاصمنا، ونازعنا، وأبغضنا، وشتمنا، واتهمنا؛ لأنهم لم يقبلوا ما دعوناهم إليه! ﴿ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢١٦﴾ ﴾.

٢٥ ـ توكَّل على ربك، لا تخف، ولا تقلق؛ فإنك في ولاية ربٍّ رحيم ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ﴾.

٢٦ ـ ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ﴾ إياك أن تتردد في توكلك، أَتُضامُ وأنت في جناب العزيز؟!

٢٧ ـ لا تقلق على مشروعك وفكرتك، ورسالتك في الحياة، ابذل وسعك، واترك الباقي للعزيز الرحيم ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾ ﴾.

٢٨ ـ لا تقف متوسِّلاً على باب مخلوق، أدر شأنك في جنب الله تعالى بإمعان، ودع الباقي للعزيز الرحيم ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾ ﴾.

٢٩ ـ حتى تقلُّبك في سجودك، وقيامك في صلاتك يراه الله، ويراقبه، ويثيب عليه ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾﴾.

٣٠ ـ لا ترجو شيئاً من أناس لا يعرفون قلبك، ولا يرون مشروعك، ولا يدركون همومك، كل هذا يراه الله تعالى ويعلمه ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾﴾.

٣١ ـ استيقظ! فربك يرى كل شيء، ويجازي عليه ﴿ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾﴾.

٣٢ ـ هل استشعرت يوماً أن غبار قدميك، وتصبب عرقك، وتكدُّر خاطرك، وآهات مشاعرك في سبيل ربك يراها ويراقبها، ويرصد أحداثها، وسيجزي عليها بما لم يمرَّ في خاطرك! ﴿ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾﴾.

٣٣ ـ ماذا لو جرى في مشاعرك أن كل خطوة، وكلمة، وحرف، ورسالة، وجهد في سبيل الله تعالى يرى لحظتها، ويرصد وقتها، ويجازي بأثمن من تصوراتك عنها! ما أحوجنا للحياة! ﴿ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾﴾.

٣٤ ـ يراك الله تعالى في لحظة سجودك، وتعفير وجهك في التراب، وسؤالك: يا رب؛ فلا تتعب في طريق أوشكت من خلاله أن تصل إلى آمال الحياة ﴿ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾﴾.

٣٥ ـ حتى قيامك في الظلام، وسجودك في الليل، وسؤالك في السحر يجري في علم الله تعالى ورؤيته ﴿ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾﴾.

٣٦ ـ أسوأ الصفات وأقذرها هي المساحة التي تهبط فيها الشياطين على أصحابها، وتتناغم معهم على الطريق نفسه ﴿ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾ ﴾.

٣٧ ـ بعض الشعر لا يحمل رايةً، ولا يدعم فضيلةً، ولا يقوم بقضية، همُّه سعار الشهوات فحسب ﴿ وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ ﴾.

٣٨ ـ من صفات هؤلاء الهمج أنهم يهيمون في كلِّ واد، لا تضبطهم قضية، وليس لهم مواقف واضحة ﴿ وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ ﴾.

٣٩ ـ إذا سمعتهم ظننت أنهم سيبذلون أرواحهم، وإذا نعق غراب الليل ولّوا هاربين ﴿ وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ ﴾.

٤٠ ـ شعراء الإيمان هم أصحاب الرايات، وصُنَّاع الحياة، مُستثنون من همج الرعاع، وأصحاب الفراغ ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنتَصَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟ ۗ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾ ﴾.

٤١ ـ انتظروا موعد الظالمين قريباً ﴿ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴾.

٤٢ ـ ﴿ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ ﴾ سواء كان الذين ظلموهم عمالاً، أو أزواجاً، أو موظفين، أو من ولّاهم الله تعالى مسؤوليةً يوماً ما!

٤٣ ـ كم من ظالمٍ سيرد على الله تعالى بأثقال المظلومين ﴿ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴾.

❀ ❀ ❀

سُورَةُ النَّمۡلِ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

طسٓۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡقُرۡءَانِ وَكِتَابٖ مُّبِينٍ ﴿١﴾ هُدٗى وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمۡ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَهُمۡ يَعۡمَهُونَ ﴿٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَهُمۡ سُوٓءُ ٱلۡعَذَابِ وَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ هُمُ ٱلۡأَخۡسَرُونَ ﴿٥﴾ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلۡقُرۡءَانَ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴿٦﴾ إِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهۡلِهِۦٓ إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ نَارٗا سَـَٔاتِيكُم مِّنۡهَا بِخَبَرٍ أَوۡ ءَاتِيكُم بِشِهَابٖ قَبَسٖ لَّعَلَّكُمۡ تَصۡطَلُونَ ﴿٧﴾ فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِيَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِي ٱلنَّارِ وَمَنۡ حَوۡلَهَا وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٨﴾ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٩﴾ وَأَلۡقِ عَصَاكَۚ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهۡتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنّٞ وَلَّىٰ مُدۡبِرٗا وَلَمۡ يُعَقِّبۡۚ يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفۡ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ ٱلۡمُرۡسَلُونَ ﴿١٠﴾ إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسۡنَۢا بَعۡدَ سُوٓءٖ فَإِنِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿١١﴾ وَأَدۡخِلۡ يَدَكَ فِي جَيۡبِكَ تَخۡرُجۡ بَيۡضَآءَ مِنۡ غَيۡرِ سُوٓءٖۖ فِي تِسۡعِ ءَايَٰتٍ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَقَوۡمِهِۦٓۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمٗا فَٰسِقِينَ ﴿١٢﴾ فَلَمَّا جَآءَتۡهُمۡ ءَايَٰتُنَا مُبۡصِرَةٗ قَالُواْ هَٰذَا سِحۡرٞ مُّبِينٞ ﴿١٣﴾

التفسير

- ﴿طسٓ﴾ من الحروف المقطعة التي تدل على إعجاز القرآن ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْقُرْءَانِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ ۝١﴾ آيات القرآن الكريم التي تتلى عليك آياتٌ بيِّنات واضحات.
- ﴿هُدًى﴾ هذا القرآن يهدي الإنسان إلى الطريق المستقيم ﴿وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ۝٢﴾ ومبشراً لهم بما عند الله تعالى من جزاء.
- ﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ على وجهها الذي أمر الله تعالى ﴿وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ يُعطونها مستحقِّيها ﴿وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝٣﴾ يعتقدون جازمين بلقاء الله تعالى.
- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ حسَّنَّا وجمَّلنا لهم أعمالهم السيئة ﴿فَهُمْ يَعْمَهُونَ ۝٤﴾ يتحيَّرون ويتردَّدون.
- ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ﴾ أشدُّه وأقبحه ﴿وَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ ۝٥﴾ يخسرون أنفسهم وأهليهم.
- ﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ﴾ الذي تحفظه وتتعلمه ﴿مِن لَّدُنْ﴾ من عند ﴿حَكِيمٍ﴾ في تدبير خلقه ﴿عَلِيمٍ ۝٦﴾ بما ينفعهم.
- ﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِۦٓ﴾ في مسيره من مدين إلى مصر ﴿إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا﴾ أبصرت ناراً ﴿سَـَٔاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ﴾ عن الطريق الذي نسلكه ﴿أَوْ ءَاتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ۝٧﴾ تستدفئون به.
- ﴿فَلَمَّا جَآءَهَا﴾ وصل إلى النار ﴿نُودِىَ﴾ ناداه الله تعالى ﴿أَنۢ بُورِكَ مَن فِى ٱلنَّارِ﴾ قُدِّس من في النار ﴿وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ من الملائكة ﴿وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٨﴾ وتنزَّه الله تعالى عن كل نقص.

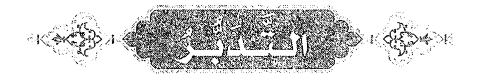
• ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ﴾ لا غالبَ لأمري ﴿ٱلْحَكِيمُ ⁽⁹⁾﴾ في تدبير خلقي وشأني.

• ﴿وَأَلْقِ عَصَاكَ﴾ ارمها ﴿فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا﴾ هارباً ﴿وَلَمْ يُعَقِّبْ﴾ لم يرجع ﴿يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفْ﴾ مما رأيت ﴿إِنِّى لَا يَخَافُ لَدَىَّ ٱلْمُرْسَلُونَ ⁽¹⁰⁾﴾ لا يخاف عندي من اخترته لرسالتي، وحمَّلتُه دعوتي.

• ﴿إِلَّا مَن ظَلَمَ﴾ فيما بينه وبين الله تعالى؛ فهذا هو محل الخوف ﴿ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًۢا بَعْدَ سُوٓءٍ﴾ فإن ظلم ثم بدَّل بعد ظلمه شيئاً حسناً ﴿فَإِنِّى غَفُورٌ﴾ لظلم الظالم ﴿رَّحِيمٌ ⁽¹¹⁾﴾ بالتائب العائد.

• ﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ﴾ بيضاء من غير برص، أو مرض ﴿فِى تِسْعِ ءَايَٰتٍ﴾ هاتان الآيتان انقلاب العصا، وإخراج يدك بيضاء في جملة تسع آيات أخرى يؤيدك الله تعالى بها ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِۦٓ﴾ في دعوة فرعون وقومه ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟﴾ أي قوم فرعون ﴿قَوْمًا فَٰسِقِينَ ⁽¹²⁾﴾ خارجين عن طاعة الله تعالى.

• ﴿فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ ءَايَٰتُنَا مُبْصِرَةً﴾ واضحةً بيِّنة ﴿قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ⁽¹³⁾﴾ سحرٌ واضحٌ لا شكَّ فيه.



١ ـ لا تبحث عن حلول مشكلاتك وهمومك ومستقبلك إلا من خلال هذا الوحي؛ ففيه كل شيء ﴿طسٓ ۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْقُرْءَانِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ ⁽¹⁾﴾ والإبانة فيها كل شيء.

٢ ـ القرآن أكثر الطرق الموصلة للهدى والفلاح ﴿ هُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ ﴾ فهب له من وقتك ما يسبل عليك النعيم.

٣ ـ ﴿ هُدًى ﴾ لقلبك، وفكرك، ومشاعرك، وروحك، وكل شيء!

٤ ـ ﴿ هُدًى ﴾ لمشكلاتك التي تعيشها، وهمومك التي تجتاح قلبك، وصعوبات الطريق التي تقاسيها.

٥ ـ ﴿ هُدًى ﴾ لمستقبلك، وأسباب فلاحك، وتحديات واقعك، وأحداث ليلك ونهارك ﴿ هُدًى ﴾ لكل شيء.

٦ ـ إذا أمضَّك الزمن، وألظَّتك الحياة بهمومها، وكَلَّ قلبك من طول الطريق، وسئمت هذه الحياة؛ فاقرأ بشائر الفرح التي تنتظرك، وأيامك الحالمة التي ستستقبلك ﴿ هُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ ﴾.

٧ ـ ﴿ هُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْـَٔاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٣﴾ ﴾ هدًى لهؤلاء، وليس لكل أحد! هدًى للمقبلين الراغبين الجادِّين في الحياة.

٨ ـ هل تخيَّلت أن هذا المصحف الذي في جيبك، أو في شاشة جوالك فيه قصة هدايتك وروحك ومستقبلك الكبير؟! ﴿ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴿٦﴾ ﴾.

٩ ـ إذا أردت هداية القرآن فأقبل على سبله وطرقه التي تبلغ بك إلى ذلك المقصود الكبير ﴿ هُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْـَٔاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٣﴾ ﴾.

١٠ ـ أقم شأن الصلاة في حياتك، وانتظر الحياة ﴿ هُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْـَٔاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٣﴾ ﴾.

١١ ـ ما رأيت معظِّماً لِقَدْرِ الصلاة، مجلَّاً لها، مثيـراً لأحداثها، مرابطاً عليها إلا أدركت أنه بالغٌ مناه من الفلاح والهـدى والتوفيق ﴿هُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝٣﴾.

١٢ ـ لم نَرَ بعدُ مصلِّياً يجلُّ قدر هذه الفريضة مخذولاً في طريق، متعثِّراً في قضية ﴿هُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝٣﴾.

١٣ ـ الزكاة قرينة الصلاة، لم تتخلَّف عنها في موطن، ومن قام بحقِّ الأولى أوفى فضائله بتمامها ﴿هُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝٣﴾.

١٤ ـ الزكاة اعتراف بحقوق الخالق والمخلوقين، وقيام بدور الإنسـان تجاه ربه ونفسـه وماله والآخرين ﴿هُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝٣﴾.

١٥ ـ الزكاة تدفع الأنانية، وتؤسِّـس للتعاون والتكامـل، وبناء المجتمع الواعي والفاعل في الوقت نفسه ﴿هُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝٣﴾.

١٦ ـ الرؤية تصنع فوارق الأحداث في حياة كل إنسان ﴿هُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝٣﴾ يوقنون بالجزاء والحساب والسؤال والعذاب والنعيم في يوم القيامة.

١٧ ـ كل السـاقطين في وحل الحياة لم تكن الرؤية لديهـم واضحة، ولم تأخذ حظَّها من اليقين ﴿هُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝٣﴾.

١٨ ـ من أدرك سِـرَّ وجوده في هذه الحياة جاهد من أجل هذا المعنى، وأجلب على جسده بالمعاني الكبار، حتى يبلغَ أمانيه ﴿هُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٣﴾﴾.

١٩ ـ لا تسل! لِمَ يقعون في الخطايا وهي أبين ما تكون لذي عينين! ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ ﴿٤﴾﴾ يرونها كل شيء، وأنت تراها لا شيء.

٢٠ ـ الخطوة الأولى خلف كل نجاح وتفوُّق، ووراء كل خسارة وإخفاق ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ ﴿٤﴾﴾ لم يؤمنوا فزيَّن الله تعالى لهم أعمالهم.

٢١ ـ لم يؤمنوا أولاً، فزُيِّن لهم ثانياً، الخطوات الأولى تصنع كل شيء ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ ﴿٤﴾﴾.

٢٢ ـ زينة الحياة المورقة في قلبك أوسع الطرق للضياع ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ ﴿٤﴾﴾.

٢٣ ـ بيَّن لهم ألف مرَّةٍ خطر الغِيْبة، وعواقب الزنى، وخطر الطعن في الأعراض، ولم يصغوا لذلك أذناً ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ ﴿٤﴾﴾.

٢٤ ـ ما زالت بهم المعاصي حتى رأوا في كلِّ ضلالٍ فرصةً للفوز والفلاح ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ ﴿٤﴾﴾.

٢٥ ـ أسوأ المواقف التي تنتظرك أن تكوِّنَ المعاصي في قلبك مباهجَ من ربيع زائف ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ ﴿٤﴾﴾.

٢٦ ـ مساكين هؤلاء، لا هم الذين سعدوا في دنياهم، ولا هم الذين أمَّنوا مستقبلهم الكبير ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ ﴿٥﴾﴾.

٢٧ ـ القرآن ليس كتاباً للتنمية الشـخصية، ولا رواية مسطَّرة في قصة حب، ولا حديث صاحب تجربة، إنه تنزيل الحكيـم العليم ﴿ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴿٦﴾ ﴾.

٢٨ ـ من كمال عقلك وهـداك أن تحاكِمَ ثقافات العالم، ومناهجهم، وأفكارهم، وحضارتهـم إلى هـذا الوحـي ﴿ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴿٦﴾ ﴾.

٢٩ ـ تخيَّل أن أحلام الدارين التي ترجوها كلَّها بين يدي هذا الوحي ﴿ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴿٦﴾ ﴾.

٣٠ ـ قصة العالم من الميلاد إلى الوفاة، وقصة الحضارة، ومستقبل الأيام كلها في هذا القرآن ﴿ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴿٦﴾ ﴾.

٣١ ـ إذا أراد الله تعالى أمراً أجرى له الأسباب الموصلة إليه ﴿ إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِۦٓ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا سَـَٔاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ ءَاتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٧﴾ فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِىَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِى ٱلنَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٨﴾ ﴾.

٣٢ ـ ثمة أحداث تنتظرك، ومباهج في الطريق، ونقاط فاصلة في الحياة؛ فَارْجُ من الله تعالى خيراً ﴿ إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِۦٓ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا سَـَٔاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ ءَاتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٧﴾ فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِىَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِى ٱلنَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٨﴾ ﴾.

٣٣ ـ لكل تاريخ بداية ﴿ فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِىَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِى ٱلنَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٨﴾ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٩﴾ ﴾ ومِنْ هنا كانت بداية ذلك الكبير.

٣٤ ـ البدايات شاقة ومكلفة ومخيفة، وتحتاج إلى أرواح تغالب تلك البدايات ﴿ وَأَلْقِ عَصَاكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ۚ يَـٰمُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّى لَا يَخَافُ لَدَىَّ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿١٠﴾ إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًۢا بَعْدَ سُوٓءٍ فَإِنِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١﴾ وَأَدْخِلْ

يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ فِي تِسْعِ ءَايَٰتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿١٢﴾﴾.

٣٥ ـ كل بداية محفوفة بالخوف، والقلق، والشعور بالضعف، والعجز، وعدم الثقة ﴿وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّى لَا يَخَافُ لَدَىَّ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿١٠﴾﴾.

٣٦ ـ لا تقلق من البدايات الجديدة؛ فهي سلالم للنهضة القادمة في أيام عمرك، وأحداث مستقبلك الكبير ﴿وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّى لَا يَخَافُ لَدَىَّ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿١٠﴾﴾.

٣٧ ـ من جمال تربيتك ورعايتك لمن تتعاهده أن تقف بجانبه في البدايات خاصَّةً، حتى يتمكن من الطريق ﴿وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّى لَا يَخَافُ لَدَىَّ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿١٠﴾﴾ (لا تخف)، (وألقِ عصاك) مغالبةٌ لحالاتِ البداية، ومساندةٌ لتلك المخاوف التي تنتاب البدايات.

٣٨ ـ حتى ظلمك الذي وقعت فيه، وخطيئتك التي دنَّست نفسك بها، إذا أقبلت عليها بالندم والحسرة مَحَتْها التوبةُ، واستقبلتَ مباهج التوفيق ﴿إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًۢا بَعْدَ سُوٓءٍ فَإِنِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١﴾﴾.

٣٩ ـ لا تقلق من ذنبك، وخطيئتك، وإسرافك على نفسك يوماً ما، إذا عُدتَ صادقاً؛ فالله تعالى يغفر لك كل شيء ﴿إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًۢا بَعْدَ سُوٓءٍ فَإِنِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١﴾﴾.

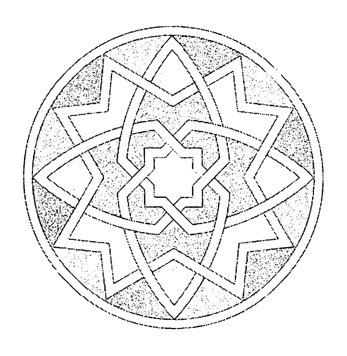
٤٠ ـ استعدَّ لمشروعك، واستكمل مؤهلات النجاح حتى تبلغ فيه أمانيك ﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ فِي تِسْعِ ءَايَٰتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿١٢﴾﴾.

٤١ ـ بناءُ النفس وتكميلُها تزكيةً ومعرفةً كفيلٌ بإذن الله تعالى ببلوغ أحلامك، ونهايات مشروعك في الحياة ﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿١٢﴾﴾.

٤٢ ـ الجواب المتوقع أمام دعوة الحق في كل زمان ومكان ﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَٰذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿١٣﴾﴾ فلا تتوقع أرضاً خصبة في بداية مشروعك.

٤٣ ـ الذين يريدون استقبالاً بهيجاً لمشاريعهم وأفكارهم في البداية لا يدركون سنن الله تعالى في الكون ﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَٰذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿١٣﴾﴾.

❀ ❀ ❀



وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ
كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا ۖ
وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾
وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ ۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ
وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾ وَحُشِرَ
لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾
حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْا۟ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟
مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ
﴿١٨﴾ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ
نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا
تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩﴾
وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِىَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ
ٱلْغَآئِبِينَ ﴿٢٠﴾ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَا۟ذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ
لَيَأْتِيَنِّى بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ
أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾

التفسير

• ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا﴾ بآيات الله تعالى ﴿وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ﴾ أنكروا آيات الله تعالى مع يقينهم بصدقها وأنها حق ﴿ظُلْمًا﴾ لأنفسهم ﴿وَعُلُوًّا﴾ تكبُّراً على الحق ﴿فَٱنظُرْ﴾ تأمل ﴿كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾﴾ كيف كان عقاب الله تعالى عليهم.

• ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا﴾ امتنَّ الله تعالى على داود وابنه عليهما السلام بما آتاهم من العلم ﴿وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾﴾ حَمَدَا الله تعالى على ما آتاهما من العلم.

• ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ﴾ ورث الولد عن أبيه العلم والنبوة ﴿وَقَالَ﴾ سليمان: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ﴾ فُهِّمْنَا كلام الطير ﴿وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ﴾ من نعم الله تعالى: من الملك، والعلم، والنبوة، والمال، وتسخير الجن والإنس والطير والرياح، ونحو ذلك من النعم ﴿إِنَّ هَٰذَا﴾ ما تقدم ذكره من النعم ﴿لَهُوَ ٱلْفَضْلُ﴾ الخير ﴿ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾﴾ الواضح البيِّن.

• ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ﴾ جُمِعَ له هؤلاء الجنود ﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾﴾ يدبرون ويرتبون وينظمون.

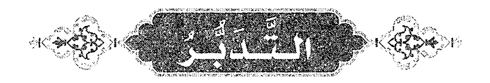
• ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْاْ﴾ سليمان وجنوده ﴿عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ﴾ مقرٍّ للنمل ﴿قَالَتْ نَمْلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ﴾ لا يقتلنكم ويكسرنكم ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾﴾ لا يعلمون.

• ﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا﴾ من قول النملة ﴿وَقَالَ﴾ سليمان: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ﴾ ألهمني ﴿أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ

صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ ﴾ طلب من ربه الإعانة على عبادته ﴿وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩﴾﴾ تفضل عليَّ بالدخول في جملة الصالحين من عبادك في الجنة.

• ﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ﴿٢٠﴾﴾ هل هو حاضر لم أره، أو غائب كما أظن، ثم لمَّا تبيَّن له غيابه قال: ﴿ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا ﴾ لأوقِعَنَّ عليه عذاباً شديداً جزاء تخلُّفه ﴿أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ﴾ أقتله ﴿أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾﴾ حجةً واضحةً بيِّنةً تعذره من ذلك.

• ﴿فَمَكَثَ ﴾ الهدهد ﴿غَيْرَ بَعِيدٍ ﴾ لم يطل الغياب ثم جاء ﴿فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ﴾ اطلعت على ما لم تطَّلع عليه ﴿وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ ﴾ مملكة باليمن ﴿بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾﴾ بخبرٍ واضح.



١ ـ كل الذين يعارضون هذا الدين، ويقفون في طريق مشاريعه وأحلامه، يعرفون تماماً أنه الحق ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾﴾.

٢ ـ التاريخ يحدِّثك أن لكل ظالم عاقبة سوء؛ فلا تغترَّ بطول أيامهم في الأرض سالمين ﴿فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾.

٣ ـ أعظم الإفساد إفساد الأديان ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾﴾ ذكَّر الله تعالى بعاقبة المفسدين بعد جحودهم لدين الله تعالى؛ فدلَّ على أن ذلك أعظم الإفساد.

٤ ـ إياك أن ترافق مفسداً في طريق، أو تصحبه في موقف، أو تكون شريكاً له في قضية؛ فالله تعالى يرصد النهايات ﴿فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾.

٥ ـ أكثر الدروس أثراً درسُ التاريخ ﴿فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾.

٦ ـ كل ما تملك من مواهب وقدرات وإمكانيات، فهي بفضل الله تعالى أولاً وآخراً ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا ۖ وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ (١٥)﴾.

٧ ـ من كمال فقهك أن تبسط لكلِّ نعمة معروفاً، وتسبل مواقف الشكر لكل خير ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا ۖ وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ (١٥)﴾.

٨ ـ إذا رزقك الله تعالى شكر نعمه؛ فقد أعانك على أعظم الطرق لبقائها في حياتك ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا ۖ وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ (١٥)﴾.

٩ ـ مشكلتنا أننا لا نقيم لنعم الله تعالى شأناً، أو أننا لا نمنحها حقَّها من الاحتفاء ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا ۖ وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ (١٥)﴾.

١٠ ـ تفقد واقعك: كم من نعمة ألبسك الله تعالى إياها، لم تستوف حقها من الشكر؟! ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا ۖ وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ (١٥)﴾.

١١ ـ من صفات الكبار اعترافهم بنعم الله تعالى، وقيامهم بحظِّها من الشكر ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا ۖ وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ (١٥)﴾.

١٢ ـ يجب أن تتعلَّمَ الأجيال الصاعدة أن الشكر قيْدُ النعم ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا ۖ وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾﴾.

١٣ ـ يستحق العلم هذا الفرح البهيج ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ ۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾﴾.

١٤ ـ فرحك بما مَنَّ الله تعالى به عليك من النعيم أول خطوة للاحتفاء به، والقيام بواجباته ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ ۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾﴾ في مرات كثيرة لا نبتهج بكثير من النعم؛ فتفوت من حياتنا دون وعي.

١٥ ـ الإيجابية أعز مفقود في حياة أمة يراد لها صناعة التاريخ ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْا۟ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾﴾ نملة استشعرت دورها، وقامت بواجبها، وتحركت للفضيلة!

١٦ ـ ماذا لو أدرك كل إنسان أنه المسؤول الأول عن القضية التي تدار في واقعه، وتجري في مساحة وجوده ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْا۟ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾﴾.

١٧ ـ تعلَّم كيف توقد سراجاً في الظلام ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْا۟ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾﴾.

١٨ ـ نملة تثير واقعاً بالعمل، وتُحْدِثُ فرقاً بالفاعلية، وتمدُّ في مساحة الربيع، وأناسٌ لم يبرحوا بعد مساحة الشكوى والحسرات ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْا۟ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾﴾.

١٩ ـ المبادرة! هي الحياة الغائبة فـي صفوف كثيرين ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوۡاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمۡلِ قَالَتۡ نَمۡلَةٞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ١٨﴾.

٢٠ ـ العيشُ من أجل الآخرين سمةٌ لا يفقهها إلا الكبار ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوۡاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمۡلِ قَالَتۡ نَمۡلَةٞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ١٨﴾.

٢١ ـ هذا يعيش لذاته وهواه ومـراده، ونملةٌ تضحي بوقتها ونفسـها، وتتعرَّض للخطر من أجل الجماعة ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوۡاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمۡلِ قَالَتۡ نَمۡلَةٞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ١٨﴾ ما أبعد الفرق!

٢٢ ـ أدبك أعظم ما يميِّـزك! نملةٌ تعلِّمنا كيف نخاطـب الكبار ﴿لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ﴾ كأنهـا تقول: الكبار لا يحطِّمون، ولا يكسـرون الأشياء، ولا يُقتِّلون الأبرياء، ولا يسفكون الدماء.

٢٣ ـ ما حاجة الأمة إلى شيء حاجتها إلى أدب يزيِّن أفرادها، ويكسوهم الحياة ﴿لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ﴾.

٢٤ ـ الإغضاء والتماس الأعذار أدبٌ يجب أن يأخذ حظَّه من حياة كل إنسان ﴿لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ﴾.

٢٥ ـ كم هي البيوت والأسر، ومحافل العمل، وحياة الأصدقاء التي تحتاج إلى حسن الظن ﴿لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ﴾.

٢٦ ـ كثيرة هي العلاقات التي تفتَّتت حين فاتها حسنُ الظن، وخلقُ الإغضاء ﴿لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ﴾.

٢٧ ـ إذا أورقت النعمة زاد شكرها عند الصالحين ﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ١٩﴾.

٢٨ ـ من جمال الكبار وفقههم أنهم يحسنون شكر النعم، ويقومون بواجبها ﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ١٩﴾.

٢٩ ـ حتى إقبالك على الله تعالى، وجهدك في الصالحات توفيق! ﴿وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾.

٣٠ ـ من فقهك، ووعيك، وحسن أدبك أن تسألَ الله تعالى العون على شكره، وحسن عبادته! ﴿وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾.

٣١ ـ القادة يحسنون فنَّ إدارة الرعية، ويدركون الغائب عن الصفوف ﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَالِيَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ٢٠ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ٢١﴾.

٣٢ ـ القوة والقدرة على اتخاذ القرار ضرورةٌ في حياة كلِّ قائدٍ يدير شأناً من شؤون الأمة ﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَالِيَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ٢٠ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ٢١﴾.

٣٣ ـ من ردود الأشخاص تعرف عقولهم وقدراتهم ﴿فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ٢٢﴾.

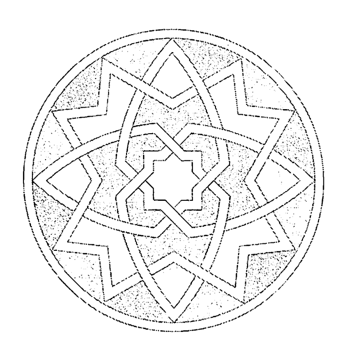
٣٤ ـ المواقف الكبيرة تحتاج إلى أجوبةٍ قويةٍ ﴿فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾﴾.

٣٥ ـ حتى تُسْقِطَ غضب الكبار لا بد أن تبيِّن عجزهم ﴿فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾﴾.

٣٦ ـ بعض الأعذار يستحق أن يقام له حفل ﴿فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾﴾.

٣٧ ـ لا تحتقرنَّ صغيراً في شأن من الشؤون؛ فقد يبلغ بك مدًى لم تكن تتوقعه ﴿فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾﴾.

❀ ❀ ❀



إِنِّي وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا
عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن
دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ
فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَّا يَسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ
فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ ٱللَّهُ
لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ۩ ﴿٢٦﴾ ۞ قَالَ سَنَنظُرُ
أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ ٱذْهَب بِّكِتَٰبِى هَٰذَا
فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا
ٱلْمَلَؤُا۟ إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ
ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾
قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَفْتُونِى فِىٓ أَمْرِى مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ
تَشْهَدُونِ ﴿٣٢﴾ قَالُوا۟ نَحْنُ أُو۟لُوا۟ قُوَّةٍ وَأُو۟لُوا۟ بَأْسٍ شَدِيدٍ وَٱلْأَمْرُ إِلَيْكِ
فَٱنظُرِى مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَتْ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً
أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً ۖ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٣٤﴾
وَإِنِّى مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌۢ بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٣٥﴾

التفسير

• ﴿إِنِّي وَجَدتُّ ٱمۡرَأَةً تَمۡلِكُهُمۡ﴾ تأمرهم وتنهاهم وتقودهم ﴿وَأُوتِيَتۡ مِن كُلِّ شَيۡءٍ﴾ من المال، والسلاح، والجنود، والحصون، ونحو ذلك ﴿وَلَهَا عَرۡشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾﴾ كرسي الملك عظيم في هيئته وحجمه.

• ﴿وَجَدتُّهَا وَقَوۡمَهَا يَسۡجُدُونَ لِلشَّمۡسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ يعبدون الشمس ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ﴾ فرأوا الباطل حقاً ﴿فَصَدَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ سبيل الحق ﴿فَهُمۡ لَا يَهۡتَدُونَ ﴿٢٤﴾﴾ إلى الحق.

• ﴿أَلَّا يَسۡجُدُواْۤ لِلَّهِ﴾ هلَّا عبدوا الله تعالى ﴿ٱلَّذِي يُخۡرِجُ ٱلۡخَبۡءَ﴾ يظهر المخبوء ﴿فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَيَعۡلَمُ مَا تُخۡفُونَ وَمَا تُعۡلِنُونَ ﴿٢٥﴾﴾ من الأعمال، لا يغيب عنه من ذلك شيء.

• ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ ۩ ﴿٢٦﴾﴾ سبحانه في علاه.

• ﴿قَالَ﴾ سليمان: ﴿سَنَنظُرُ أَصَدَقۡتَ أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾﴾ فيما قلت، واعتذرت به عن غيابك.

• ﴿ٱذۡهَب بِّكِتَٰبِي هَٰذَا فَأَلۡقِهۡ إِلَيۡهِمۡ ثُمَّ تَوَلَّ عَنۡهُمۡ﴾ تأخَّر عنهم قليلاً ﴿فَٱنظُرۡ مَاذَا يَرۡجِعُونَ ﴿٢٨﴾﴾ بماذا يردُّون عليك.

• ﴿قَالَتۡ﴾ الملكة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَؤُاْ﴾ تُخاطِبُ جنودها ﴿إِنِّيٓ أُلۡقِيَ إِلَيَّ كِتَٰبٞ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾﴾ جليل القدر، رفيع الشأن؛ لرفعة وجلالة من كتبه وأرسله ﴿إِنَّهُۥ مِن سُلَيۡمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾﴾.

• ﴿أَلَّا تَعۡلُواْ عَلَيَّ﴾ لا تتكبروا بملككم، وما أنتم فيه من سلطان ﴿وَأۡتُونِي مُسۡلِمِينَ ﴿٣١﴾﴾ خاضعين.

• ﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ (٣٢)﴾ تشاورهم في الردِّ على كتاب سليمان.

• ﴿قَالُوا نَحْنُ أُولُو قُوَّةٍ﴾ أصحاب قوة ﴿وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ وأصحاب شـدة في الحروب ﴿وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ (٣٣)﴾ أخبروها باستعدادهم للقتال، وتركوا القرار لها.

• ﴿قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا﴾ بمـا يفعلون فيهـا من القتل والسـلب والنهـب ﴿وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً﴾ جعلوا العزيـز فيها ذليلاً لا قيمة له ﴿وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ (٣٤)﴾ هذه عادتهم.

• ﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم﴾ إلـى سـليمان وجنـوده ﴿بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ (٣٥)﴾ بماذا يرجعون من جواب سليمان وجنوده.


التَّدَبُّرُ

١ ـ هذه بيّنة ذلك الغياب الذي توعّدتَ فيه ﴿إِنِّي وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ (٢٣) وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ (٢٤) أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ (٢٥) اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ۩ (٢٦)﴾.

٢ ـ لا تقف موقفاً سـلبياً، أو معادياً مع من يتخلّف عن دوامـه، أو يتغيّب عن منظومته حتى تقف على سـبب ذلـك ﴿إِنِّي وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ (٢٣) وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللَّهِ

وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ۩ ﴿٢٦﴾﴾.

٣ ـ في منظومتك التي تقودها أفرادٌ قادرون على إدارة شأن مشروعك بإمعان؛ فتنبَّه لهم، واعتنِ بهم ﴿إِنِّى وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَىْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ۩ ﴿٢٦﴾﴾.

٤ ـ من يخالفك أو يتأخر عنك، أو حتى يردُّ عليك في بعض شؤون مشروعك، قد يكون هو المنحة التي تنتظرها ﴿إِنِّى وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَىْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ۩ ﴿٢٦﴾﴾.

٥ ـ جزء من مشكلات القادة الكبرى أنهم يسعون إلى تسمين القطيع ﴿إِنِّى وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَىْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ۩ ﴿٢٦﴾﴾ يحبُّون الساكت المطيع!

٦ ـ من وعي القادة تمحيص الأعذار، وتفقُّد صحتها، وإثارة شأنها ﴿قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ ٱذْهَب بِّكِتَٰبِى هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾﴾.

٧ ـ بعض الأفراد صاحب راية، يأتيك بعذرٍ سمين، وبعضهم يأتيك بصفيق الأعذار، من دائرةٍ تبيع ورقها لصحبةٍ، أو رفقة، أو مال فتنبَّه! ﴿قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ ٱذْهَب بِّكِتَٰبِى هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾﴾.

٨ ـ القادة، والكبار، وصُنَّاع القرار يعرفون كيف يدخلون البيوت! ﴿ٱذْهَب بِّكِتَٰبِى هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾﴾.

٩ ـ الاحتفاء بكتب الكبار ورسائلهم دليلُ وعيٍ، ورجاحةُ عقل ﴿قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾﴾.

١٠ ـ الشورى منهج؛ يجب أن تأخذ حظَّها من كثير من القرارات التي نصدرها في حياتنا اليومية ﴿قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَفْتُونِى فِىٓ أَمْرِى مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ ﴿٣٢﴾﴾.

١١ ـ ما حظُّ خلق الشورى في حياتك الشخصية! ﴿قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَفْتُونِى فِىٓ أَمْرِى مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ ﴿٣٢﴾﴾ وما حظه في بيتك، وأسرتك وعملك الوظيفي والدعوي!

١٢ ـ ثمة بيوتٌ لا تنفك عن الشورى، وبيوتٌ لا تعرف إلا العنف والسيطرة، ولغة الأمر والنهي ﴿قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَفْتُونِى فِىٓ أَمْرِى مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ ﴿٣٢﴾﴾.

١٣ ـ جزء من مشكلات الأتباع والجنود أنهم يخدعون من معهم، ويجرُّونه في مساحات ليست له في كثير من الأحيان ﴿قَالُوا۟ نَحْنُ أُو۟لُوا۟ قُوَّةٍ وَأُو۟لُوا۟ بَأْسٍ شَدِيدٍ وَٱلْأَمْرُ إِلَيْكِ فَٱنظُرِى مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴿٣٣﴾﴾.

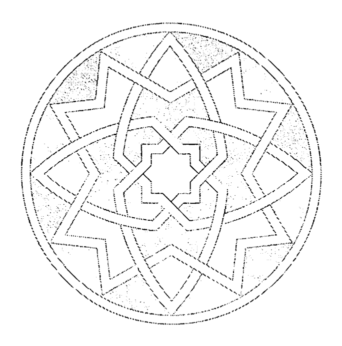
١٤ ـ نجاح قليلٍ من الرؤساء والقادة من أتباعهم وجنودهم وحاشيتهم، وخيبة كثيرٍ منهم من هؤلاء ﴿قَالُوا۟ نَحْنُ أُو۟لُوا۟ قُوَّةٍ وَأُو۟لُوا۟ بَأْسٍ شَدِيدٍ وَٱلْأَمْرُ إِلَيْكِ فَٱنظُرِى مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴿٣٣﴾﴾.

١٥ ـ كانت الملكة أفطـنَ منهم رأياً وحكمة وعقلاً ورشـداً ﴿قَالَتْ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً ۖ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٣٤﴾ وَإِنِّى مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌۢ بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٣٥﴾﴾.

١٦ ـ ماذا لو استندت الملكة لرأي الاستبداد؟! ﴿قَالُوا۟ نَحْنُ أُو۟لُوا۟ قُوَّةٍ وَأُو۟لُوا۟ بَأْسٍ شَدِيدٍ وَٱلْأَمْرُ إِلَيْكِ فَٱنظُرِى مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴿٣٣﴾﴾.

١٧ ـ من صفات القائد معرفته بالتاريخ، وأحوال الناس، وما جرت عليه أحداث الأقدمين ﴿قَالَتْ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً ۖ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٣٤﴾﴾.

❀ ❀ ❀



فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا آتَاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴿٣٦﴾ ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴿٣٧﴾ قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾ قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾ قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنْظُرْ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٤١﴾ فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴿٤٢﴾ وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ ﴿٤٣﴾ قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٤﴾

التفسير

• ﴿فَلَمَّا جَآءَ سُلَيۡمَٰنَ﴾ أي الرسول بالهدية ﴿قَالَ﴾ سليمان: ﴿أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٖ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ﴾ من الملك والنبوّة والعلم ﴿خَيۡرٞ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُمۚ بَلۡ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمۡ تَفۡرَحُونَ ٣٦﴾ أنتم الذين تفرحون بالهدية وليس أنا.

• ﴿ٱرۡجِعۡ إِلَيۡهِمۡ﴾ إلى مَنْ أرسلك ﴿فَلَنَأۡتِيَنَّهُم بِجُنُودٖ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا﴾ لا طاقة لهم بمقابلتها ﴿وَلَنُخۡرِجَنَّهُم مِّنۡهَآ﴾ من أرضهم ﴿أَذِلَّةٗ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ ٣٧﴾ ذليلون.

• ﴿قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَؤُاْ﴾ يخاطب جنوده ﴿أَيُّكُمۡ يَأۡتِينِي بِعَرۡشِهَا﴾ سرير ملكها ﴿قَبۡلَ أَن يَأۡتُونِي مُسۡلِمِينَ ٣٨﴾ مذعنين.

• ﴿قَالَ عِفۡرِيتٞ مِّنَ ٱلۡجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبۡلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَۖ وَإِنِّي عَلَيۡهِ﴾ على المجيء به ﴿لَقَوِيٌّ أَمِينٞ ٣٩﴾ على حفظه.

• ﴿قَالَ ٱلَّذِي عِندَهُۥ عِلۡمٞ مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ من الجن ﴿أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبۡلَ أَن يَرۡتَدَّ إِلَيۡكَ طَرۡفُكَۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسۡتَقِرًّا عِندَهُۥ﴾ فلما رأى سليمان عرش بلقيس بين يديه ﴿قَالَ هَٰذَا مِن فَضۡلِ رَبِّي﴾ من نعمته عليَّ ﴿لِيَبۡلُوَنِيٓ﴾ يختبرني ﴿ءَأَشۡكُرُ﴾ نعمة الله تعالى ﴿أَمۡ أَكۡفُرُ﴾ هذه النعمة ﴿وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشۡكُرُ لِنَفۡسِهِۦ﴾ ليس لله من ذلك شيء ﴿وَمَن كَفَرَ﴾ جحد نعم الله تعالى ﴿فَإِنَّ رَبِّي غَنِيّٞ﴾ عن شكره ﴿كَرِيمٞ ٤٠﴾ كثير الخير والعطاء.

• ﴿قَالَ نَكِّرُواْ لَهَا عَرۡشَهَا﴾ بزيادة أو نقص فيه ﴿نَنظُرۡ أَتَهۡتَدِيٓ﴾ إلى معرفته ﴿أَمۡ تَكُونُ مِنَ ٱلَّذِينَ لَا يَهۡتَدُونَ ٤١﴾ إلى معرفة عرشها.

• ﴿فَلَمَّا جَآءَتۡ﴾ قدمت لرؤية عرشها ﴿قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرۡشُكِۖ قَالَتۡ كَأَنَّهُۥ هُوَۚ﴾ ليس

بعيداً، وإن كان فيه تغيير ﴿وَأُوتِينَا ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا﴾ من قبل بلقيس ﴿وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴿٤٢﴾﴾ لله تعالى قبل ذلك.

• ﴿وَصَدَّهَا﴾ عن الإسلام ﴿مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ من الآلهة الباطلة ﴿إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴿٤٣﴾﴾ فلذلك وقعت في ذلك.

• ﴿قِيلَ لَهَا ٱدْخُلِي ٱلصَّرْحَ﴾ القصر، وقد جعل سليمان بلاط هذا الصرح من القوارير[1]؛ بحيث يرى الناظر ما يجري من تحته من ماء ﴿فَلَمَّا رَأَتْهُ﴾ أي القصر، وهو على تلك الحال ﴿حَسِبَتْهُ لُجَّةً﴾ ظنّته ماءً ﴿وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا﴾ لتخوض ذلك الماء ﴿قَالَ إِنَّهُۥ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ﴾ وليس فيه ماء كما تظنين، ودعاها إلى الإسلام فأجابته ﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي﴾ في عبادتي لغيرك ﴿وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٤﴾﴾ فأسلمت لمّا رأت ذلك.

التَّدَبُّر

١ ـ للكبار أنفة إذا استحثت خرجت بواقعها الكبير ﴿فَلَمَّا جَآءَ سُلَيْمَٰنَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴿٣٦﴾ ٱرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَآ أَذِلَّةً وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴿٣٧﴾﴾.

٢ ـ ردود الكبار مكلفةٌ ومؤثِّرةٌ ومقنعةٌ ﴿فَلَمَّا جَآءَ سُلَيْمَٰنَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴿٣٦﴾ ٱرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَآ أَذِلَّةً وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴿٣٧﴾﴾.

---

(١) القوارير: الزجاج.

٣ ـ من فقهك، وحسن أدبك، ووعيك أن تختار الطريق الذي تدلف منه إلى قلوب الناس ﴿فَلَمَّا جَآءَ سُلَيْمَٰنَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴿٣٦﴾ ٱرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَآ أَذِلَّةً وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴿٣٧﴾﴾ غضب سليمان؛ لأن الهدية سوء أدب مع الأنبياء، واحتقار لمقامهم الكبير.

٤ ـ رأيت مرة قوماً جاؤوا في صلح عن رقبة؛ فدلفوا على أهل الميت بوعود المال، وكانت غلطةً أجهضت على الصلح من أصله ﴿فَلَمَّا جَآءَ سُلَيْمَٰنَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴿٣٦﴾ ٱرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَآ أَذِلَّةً وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴿٣٧﴾﴾ قالوا: تذهب دماؤنا ونأخذ عوضاً عنها الأموال؟!

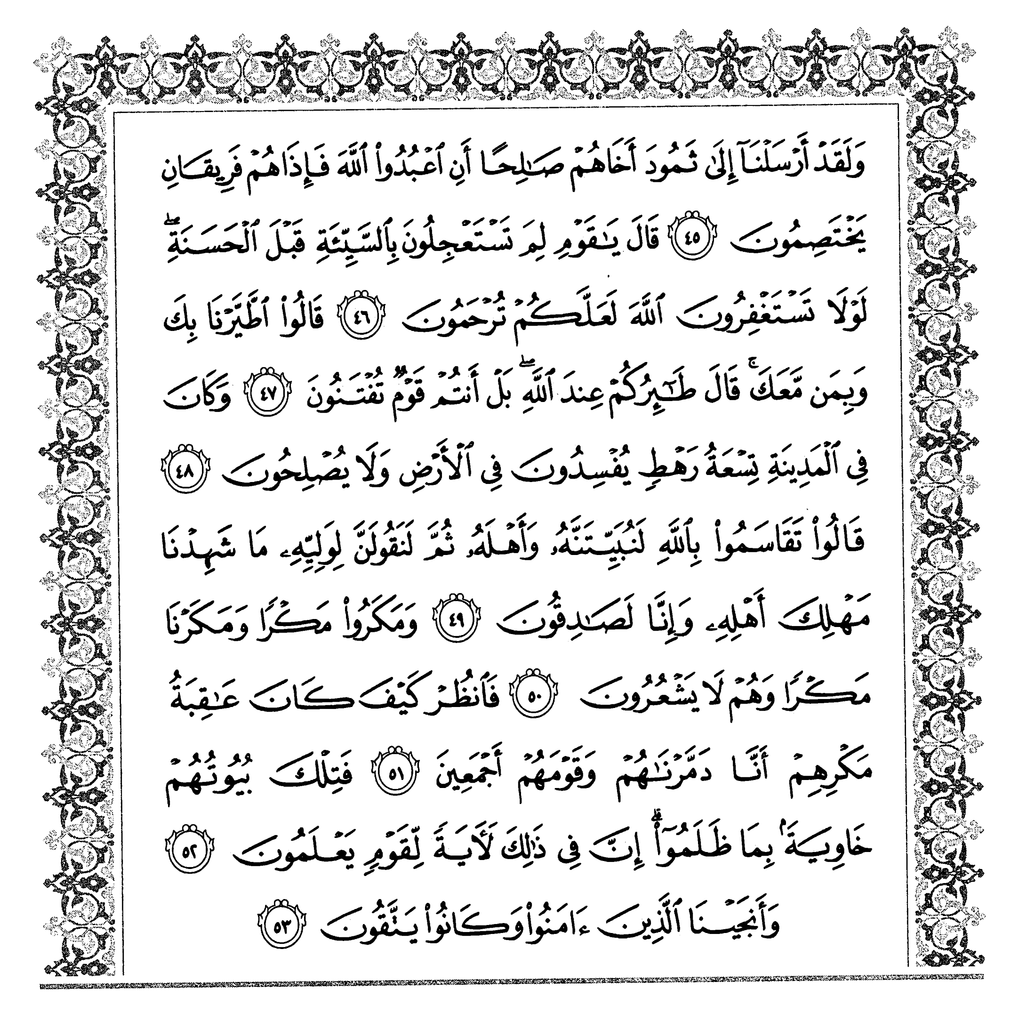
٥ ـ إسداء النعم إلى الله تعالى من توفيق الله تعالى لصاحبها ﴿فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ﴾.

٦ ـ كم من صاحب نعمةٍ تغنَّى بها وردها إلى قدراته وإمكاناته؛ فضاعت في طرفة عين ﴿فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ﴾.

٧ ـ تنبَّه لكل نعمة، وأَدِمْ شكر الله تعالى لها تدوم لك مع الأيام ﴿فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ﴾.

٨ ـ ﴿قَالَ نَكِّرُوا۟ لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِىٓ أَمْ تَكُونُ مِنَ ٱلَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٤١﴾﴾ فنٌّ من فنون القادة، ورسالة في الوصول إلى مرادهم من طرق خفية.

٩ ـ من جوابك تظهر شخصيتك ﴿قَالَتْ كَأَنَّهُۥ هُوَ﴾ رجاحة عقل، وكمال وعي! رأته وحكمت على غلبة ظن!



وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ ۖ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالُوا۟ ٱطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ ۚ قَالَ طَٰٓئِرُكُمْ عِندَ ٱللَّهِ ۖ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ ﴿٤٧﴾ وَكَانَ فِى ٱلْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿٤٨﴾ قَالُوا۟ تَقَاسَمُوا۟ بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِۦ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِۦ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٠﴾ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَٰهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥١﴾ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةًۢ بِمَا ظَلَمُوٓا۟ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥٢﴾ وَأَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٥٣﴾

التفسير

• ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ﴾ وحِّدوه ﴿فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٥﴾﴾ أهل إيمان وأهل كفر.

• ﴿قَالَ﴾ صالـح: ﴿يَٰقَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ﴾ لم تبادرون بفعل السيئات قبل الحسنات ﴿لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ﴾ هلَّا تستغفرون الله

تعالـــى، وتتوبـــون مـــن مخالفتكم لأمـــره ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ۝٤٦﴾ باستغفاركم وتوبتكم.

• ﴿قَالُواْ ٱطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ﴾ تشاءمنا منك وممَّن كان معك ﴿قَالَ طَٰٓئِرُكُمْ عِندَ ٱللَّهِ﴾ ما أصابكم إلا بذنوبكم، ليس مني، ولا من الذين معي ﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ ۝٤٧﴾ تختبرون بالخير والبلاء.

• ﴿وَكَانَ فِى ٱلْمَدِينَةِ﴾ التـي كان فيها صالح ﴿تِسْعَةُ رَهْطٍ﴾ تسـعة أنفس ﴿يُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ۝٤٨﴾ يتعمَّدون الإفساد في الأرض بما يخالف أمر الله تعالى وشرعه.

• ﴿قَالُواْ تَقَاسَمُواْ بِٱللَّهِ﴾ قال التسـعة الرهط لبعضهـم البعض: ﴿لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥ﴾ لنقتلنَّ صالحاً وأهله ﴿ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِۦ﴾ من يتولى المطالبة بحقه بعـد قتلـه ﴿مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِۦ﴾ ننكـر أننا حضرنـا ذلك ﴿وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ۝٤٩﴾ في نفينا أنه لا علاقة لنا بذلك.

• ﴿وَمَكَرُواْ مَكْرًا﴾ دبَّروا أمرهم في قتل صالح وأهله ﴿وَمَكَرْنَا مَكْرًا﴾ في إنجاء صالح وأهله من قومه ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ۝٥٠﴾ بما ندبِّر لهم.

• ﴿فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَٰهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٥١﴾ تأمل عاقبة ما فعلنا بهم ردّاً على مكرهم! ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ﴾ التي كانوا يســكنونها ﴿خَاوِيَةًۢ بِمَا ظَلَمُوٓاْ﴾ خالية فارغةً؛ بسبب ظلمهم ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾ ما وقع بهم ﴿لَءَايَةً﴾ عبرةً وعظة ﴿لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝٥٢﴾ أمر الله تعالى وعاقبته في المخالفين.

• ﴿وَأَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ من الهلاك ﴿وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ۝٥٣﴾ وسبب نجاتهم فعل أوامر الله تعالى، وترك نواهيه.

التَّدَبُّر

١ ـ من شؤم الأمة والمجتمعات والأفراد ألَّا يجد الوحي إلى قلوبهم طريقاً ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٥﴾﴾.

٢ ـ متى كان الوحي طريقاً للخلاف والنزاع والشقاق إلا في حق القلوب الضالَّة؟! ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٥﴾﴾.

٣ ـ تأمل قلبك! إذا رأيت منه استقبالاً لأثر الوحي وفرحاً به؛ فذلك دليل توفيق، وإذا رأيت منه نزاعاً وخلافاً على ما فيه؛ فذلك من دلائل الشقاء ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٥﴾﴾.

٤ ـ من الجهل بالله تعالى استعجال عذابه على رحمته ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ ۖ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٦﴾﴾.

٥ ـ الاستغفار سبب مغفرة الذنوب ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ ۖ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٦﴾﴾.

٦ ـ من فواتح التوفيق على إنسان أن يرزقه الله الاستعتاب والاستغفار من ذنبه ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ ۖ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٦﴾﴾.

٧ ـ الاستخفاف بأهل الحق والمصلحين عادةُ أهل الضلال في كل زمان ومكان ﴿قَالُوا۟ ٱطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ ۚ قَالَ طَٰٓئِرُكُمْ عِندَ ٱللَّهِ ۖ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ ﴿٤٧﴾﴾.

٨ ـ إذا وجدت مستخفَّاً بصاحب رسالة؛ فهو واحدٌ من تلك الأجيال الضالَّة ﴿قَالُوا۟ ٱطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ ۚ قَالَ طَٰٓئِرُكُمْ عِندَ ٱللَّهِ ۖ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ ﴿٤٧﴾﴾.

٩ ـ هذه فئات الباطل، ما زالت موجودة في كل عصر ومصر ﴿ وَكَانَ فِي ٱلْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾.

١٠ ـ في كل عصر تتبنى مجموعةٌ من أهل الباطل حملَ راية الفساد، والسعي به في العالمين! ﴿ وَكَانَ فِي ٱلْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾.

١١ ـ يجتمعـون، ويتكتّلون، ويصنعون وحدةً على المنكـر، وما يزالون به حتى يدفعوا بعجلة الفسـاد، ويوسّـعوا فـي نطاقهـا ﴿ وَكَانَ فِي ٱلْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾.

١٢ ـ إذا رأيت من يكتـب، أو يتكلـم، أو يصنع حواراً حيـال القيم والأصول والمُحْكَمات مشوّشـاً عليها؛ فهو جـزءٌ من تلك العصبة الفاسـدة في الأرض ﴿ وَكَانَ فِي ٱلْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾.

١٣ ـ حتى رسائل الباطل والمنكر التي تراها في وسائل التواصل الاجتماعي هي جزء من جهود تلك العصبة ﴿ وَكَانَ فِي ٱلْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾.

١٤ ـ من المؤسف في كثير من الأحيان أنها تصنع قراراً، وتنظّم دستوراً، وتجعل المنكر قضية محكمة، لا تقبل النقاش ﴿ وَكَانَ فِي ٱلْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾.

١٥ ـ كل جهود الباطل إلى فشـل وإخفاق ﴿ وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٠﴾ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَٰهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥١﴾ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةًۢ بِمَا ظَلَمُوٓا۟ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾.

١٦ ـ لا يهولنَّك كُبَّار جرائـم أهل الباطل؛ فإنها فـي النهاية إلى زوال ﴿ وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٠﴾ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَٰهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥١﴾ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةًۢ بِمَا ظَلَمُوٓا۟ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾.

١٧ ـ يجب أن يُوَاجَه الباطلُ بقوةٍ ويقينٍ وثباتٍ ﴿ وَمَكَرُواْ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ۝٥٠ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَـٰهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٥١ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةًۢ بِمَا ظَلَمُوٓاْ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝٥٢ ﴾.

١٨ ـ إذا أردت أن ترى عواقب الباطل؛ فانظر لنهايات المفسدين في التاريخ عبر القرون الماضية، وسترى الحقائق رأي عين ﴿ وَمَكَرُواْ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ۝٥٠ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَـٰهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٥١ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةًۢ بِمَا ظَلَمُوٓاْ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝٥٢ ﴾.

١٩ ـ المجهدون المتعبون المستسلمون من أثر الباطل لم يقرؤوا الوحي بعنايةٍ، أو لم يقرؤوا التاريخ بوعي ﴿ وَمَكَرُواْ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ۝٥٠ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَـٰهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٥١ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةًۢ بِمَا ظَلَمُوٓاْ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝٥٢ ﴾.

٢٠ ـ ﴿ وَأَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ۝٥٣ ﴾ هذه عادة الله وسنّته الجارية في المؤمنين المتقين.

٢١ ـ من كان مؤمناً تقياً كان لله تعالى وليّاً ﴿ وَأَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ۝٥٣ ﴾.

٢٢ ـ نجاتك على قدر إيمانك وتقواك ﴿ وَأَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ۝٥٣ ﴾.

٢٣ ـ «**تعرَّف إلى الله في الرخاء، يعرفك في الشدَّة**»(١). ﴿ وَأَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ۝٥٣ ﴾.

❀ ❀ ❀

---

(١) حديث نبوي أخرجه أحمد عن ابن عباس، وأوله: «يا غلام إنّي أعلمك كلمات...».

وَلُوطًا إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦٓ أَتَأۡتُونَ ٱلۡفَٰحِشَةَ وَأَنتُمۡ
تُبۡصِرُونَ ﴿٥٤﴾ أَئِنَّكُمۡ لَتَأۡتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهۡوَةٗ مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِۚ بَلۡ
أَنتُمۡ قَوۡمٞ تَجۡهَلُونَ ﴿٥٥﴾ ۞ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوۡمِهِۦٓ إِلَّآ
أَن قَالُوٓاْ أَخۡرِجُوٓاْ ءَالَ لُوطٖ مِّن قَرۡيَتِكُمۡۖ إِنَّهُمۡ أُنَاسٞ يَتَطَهَّرُونَ
﴿٥٦﴾ فَأَنجَيۡنَٰهُ وَأَهۡلَهُۥٓ إِلَّا ٱمۡرَأَتَهُۥ قَدَّرۡنَٰهَا مِنَ ٱلۡغَٰبِرِينَ
﴿٥٧﴾ وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهِم مَّطَرٗاۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلۡمُنذَرِينَ ﴿٥٨﴾ قُلِ
ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَىٰٓۗ ءَآللَّهُ خَيۡرٌ أَمَّا
يُشۡرِكُونَ ﴿٥٩﴾ أَمَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَأَنزَلَ لَكُم
مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَنۢبَتۡنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهۡجَةٖ مَّا
كَانَ لَكُمۡ أَن تُنۢبِتُواْ شَجَرَهَآۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٞ
يَعۡدِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَمَّن جَعَلَ ٱلۡأَرۡضَ قَرَارٗا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنۡهَٰرٗا
وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِيَ وَجَعَلَ بَيۡنَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ حَاجِزًاۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ
ٱللَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٦١﴾ أَمَّن يُجِيبُ ٱلۡمُضۡطَرَّ إِذَا
دَعَاهُ وَيَكۡشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجۡعَلُكُمۡ خُلَفَآءَ ٱلۡأَرۡضِۗ أَءِلَٰهٞ
مَّعَ ٱللَّهِۚ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَمَّن يَهۡدِيكُمۡ فِي
ظُلُمَٰتِ ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ وَمَن يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَيۡ
رَحۡمَتِهِۦٓۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٦٣﴾

التفسير

- ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ﴾ وهي إتيان الذكران من العالمين ﴿وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٥٤﴾﴾ تعلمون قبح ذلك وشناعته.
- ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿٥٥﴾﴾ حق الله تعالى عليكم.
- ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ﴾ حين قال لهم ما قال ﴿إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوٓاْ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ﴾ فلا مقام لهم بينكم ﴿إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٥٦﴾﴾ يتنزَّهون عن الفواحش.
- ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ﴾ أي لوطاً ﴿وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَٰهَا مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٥٧﴾﴾ الباقين.
- ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا﴾ حجارةً من السماء ﴿فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٥٨﴾﴾ ما أسوأ ما أمطرهم الله تعالى به!
- ﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ على نعمه ﴿وَسَلَٰمٌ﴾ أمنةٌ من عقاب الله تعالى الذي عاقب به قوم لوط ﴿عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ﴾ الذين اختار ﴿ءَآللَّهُ خَيْرٌ﴾ اتِّباع شرعه وأمره ﴿أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾﴾ من الآلهة والأنداء؟
- ﴿أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ غيثاً ﴿فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ﴾ بماء الغيث ﴿حَدَآئِقَ﴾ بساتين ﴿ذَاتَ بَهْجَةٍ﴾ ذات منظرٍ حسنٍ ﴿مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُواْ شَجَرَهَآ﴾ لولا منَّة الله تعالى عليكم ﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ﴾ فعل هذه الأفعال ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾﴾ يسوُّون به غيره؟
- ﴿أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا﴾ تستقرُّون عليها ﴿وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا﴾ بينها ﴿وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ﴾ جبالاً تثبتها ﴿وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ﴾ العذب

والمالح ﴿حَاجِزًا﴾ مانعاً من الاختلاط ﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ﴾ فعل ذلك ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾﴾ قدر الله تعالى وعظمته؟

• ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾ لا أحد يجيب المضطر غير الله ﴿وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾ ولا أحد يكشف الضُّرَّ إلا الله ﴿وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ﴾ يخلُف بعضكم بعضاً ﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ﴾ يفعل ذلك ﴿قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾﴾ قدرة الله تعالى وحكمته؟

• ﴿أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ مَنْ الذي يهديكم إذا كنتم في هذه الظلمات؟! ﴿وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِۦٓ﴾ مبشِّرة بنزول الغيث ﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ﴾ يفعل ذلك ﴿تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾﴾ تعاظم وتنزَّه وتقدَّس.

التدبر

١ ـ أسوأ منكر يقارفه رجل في التاريخ ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٥٤﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿٥٥﴾﴾.

٢ ـ لا حدود للرذيلة، والفسق، والمجون، وسوء الأخلاق ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٥٤﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿٥٥﴾﴾.

٣ ـ حين تنتكس الفطر، وتُنتهك القيم، وتضيع المروءة ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٥٤﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿٥٥﴾﴾.

٤ ـ حين يكون الطهر والعفاف جريمة لأصحابه ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوٓاْ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٥٦﴾﴾.

٥ ـ إذا انتكست الفِطَرُ؛ فلا تسل بعد ذلك عن خلل المفاهيم والتصورات ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوٓاْ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٥٦﴾﴾.

٦ ـ هل بلغك أنَّ الطهارة جريمةٌ تستحقُّ الطرد والإبعاد ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوٓاْ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٥٦﴾﴾.

٧ ـ هل تصوَّرت زوجة نبيٍّ تقف في وجه الدعوة، وتعارض مشروع الإصلاح الكبير ﴿إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَٰهَا مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ﴾ الحقيقة المُرَّة!

٨ ـ ﴿إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَٰهَا مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ﴾ حتى لا يقال ولد الداعية فلان، وأخ المصلح فلان، وزوجة وأخت فلان! «**قلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلِّبها كيف يشاء**»(١).

٩ ـ إذا سخط الله تعالى؛ فلا تسل عمَّا يوقع بالمجرمين ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًاۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٥٨﴾﴾.

١٠ ـ ما أكثر عِبَر التاريخ للمعتبرين ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًاۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٥٨﴾﴾.

١١ ـ ﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ على قضائه وقدره، وحكمته، ومشيئته.

١٢ ـ ﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ على عافيته، وفضله، وتوفيقه، ومِنَنِهِ التي لا تُعدُّ، ولا تُحصى.

---

(١) حديث مسلم (٢٦٥٤) عن عبد الله بن عمرو.

١٣ ـ ﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ على ستره، وصفحه، وعفوه، وتوبته على عبده الضعيف المسكين.

١٤ ـ ﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ على زوجك، وولدك، ووظيفتك، ومالك، وبيتك، وكل شيءٍ في الحياة.

١٥ ـ ﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ على ولدك، ومرضك، وصحَّتك، وعافيتك، وإعاقتك، وكل ما حصل لك في الطريق.

١٦ ـ من فضلك ألقِ برحاب قلبك في هذه المنن التي منَّ الله تعالى بها على الإنسان ﴿أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾﴾ وخذ منها زاداً للحياة.

١٧ ـ هب من قلبك وعقلك ومشاعرك وقتاً لتدبُّر هذه النعم؛ فإنها أعود ما تكون عليك بالخيرات ﴿أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾﴾.

١٨ ـ إذا ألمَّت بك حاجة؛ فتوجّه إلى ربك، وابذل كلَّ ما تملك في رجاء ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾﴾.

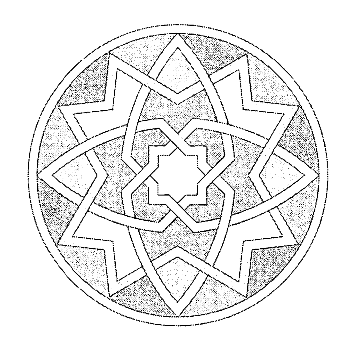
١٩ ـ أقرب ما تكون إلى ربك وقت الاضطرار ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾﴾.

٢٠ ـ بِقَدْرِ قربك واضطرارك إلى ربك، يتنزَّل عليك وَارِفُ النِّعم ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾﴾.

٢١ ـ ما أكثر ما يهب الله تعالى، وما أقل ما نتذكَّر! ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾﴾.

٢٢ ـ من وعيك أن تستقطع من وقتك جزءاً للتأمُّل في مشاهد الكون ﴿أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾﴾.





أَمَّن يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِۚ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٦٤﴾ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱدَّٰرَكَ عِلْمُهُمْ فِي ٱلْأَخِرَةِۚ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّنْهَاۖ بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ ﴿٦٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا وَءَابَآؤُنَآ أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ ﴿٦٧﴾ لَقَدْ وُعِدْنَا هَٰذَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْ سِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٦٩﴾ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُن فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿٧٠﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٧١﴾ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم بَعْضُ ٱلَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٧٢﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٤﴾ وَمَا مِنْ غَآئِبَةٍ فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٧٥﴾ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٧٦﴾

التفسير

• ﴿أَمَّن يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾ من الذي يبدأ خلق المخلوقات أوَّل مرةٍ، ومن يعيدها بعد ذلك؟ ﴿وَمَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ غير الله تعالى؟ ﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ﴾ يفعل ذلك؟ ﴿قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡ﴾ دليلكم ﴿إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٦٤﴾ إن كان ثَمَّة أحدٌ مع الله.

• ﴿قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ لا يعلم ذلك غيره ﴿وَمَا يَشۡعُرُونَ أَيَّانَ يُبۡعَثُونَ ٦٥﴾ ولا يعلمون متى يبعثون من قبورهم لقيام الساعة ﴿ بَلِ ٱدَّٰرَكَ عِلۡمُهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ﴾ ضعف وقَلَّ ﴿بَلۡ هُمۡ فِي شَكّٖ مِّنۡهَا﴾ من الآخرة ﴿بَلۡ هُم مِّنۡهَا عَمُونَ ٦٦﴾ لا يعرفون منها شيئاً.

• ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبٗا وَءَابَآؤُنَآ أَئِنَّا لَمُخۡرَجُونَ ٦٧﴾ يستبعدون وقوع القيامة.

• ﴿لَقَدۡ وُعِدۡنَا هَٰذَا﴾ أي البعث ﴿نَحۡنُ وَءَابَآؤُنَا مِن قَبۡلُ﴾ فطال زمنه، ولم يكن منه شيء ﴿إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٦٨﴾ قصص الأوَّلين وأخبارهم.

• ﴿قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ﴾ تأمَّلوا ﴿كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ٦٩﴾ كيف كانت نهايتهم.

• ﴿وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ﴾ على هؤلاء المكذبين في عدم استجابتهم ﴿وَلَا تَكُن فِي ضَيۡقٖ مِّمَّا يَمۡكُرُونَ ٧٠﴾ ولا يضق صدرك من مكرهم.

• ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡوَعۡدُ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٧١﴾ متى يوم القيامة.

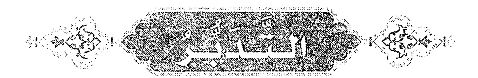
• ﴿ قُلۡ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم﴾ قَرُبَ منكم، أو أوشك أن يقع بكم ﴿بَعۡضُ ٱلَّذِي تَسۡتَعۡجِلُونَ ٧٢﴾ من العذاب.

• ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ﴾ في كلِّ خيرٍ وفضلٍ يحلُّ بهم ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ (٧٣)﴾ نِعَم الله تعالى.

• ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ﴾ ما تخفيه صدورهم ﴿وَمَا يُعْلِنُونَ (٧٤)﴾ ما يبدون.

• ﴿وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ سرٍّ أو خفيةٍ ﴿إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ (٧٥)﴾ لا يَعزُب عن ذلك منه شيء.

• ﴿إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ يبيِّن ويوضِّح لهم ﴿أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (٧٦)﴾ فيحلُّ لهم إشكالهم ويبيِّن لهم ما اختلفوا فيه.



١ ـ توجَّه بقلبك إلى ربك؛ فهو الذي يرزق، ويهب، ويعطي، ويمنع، ويصنع كلَّ شيءٍ ﴿أَمَّن يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ۗ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ ۚ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٦٤)﴾.

٢ ـ ماذا لو قرأنا هذا المعنى بإجلالٍ وإمعان ﴿وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾!

٣ ـ لو قرأنا هذا المعنى ﴿وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ بإجلال لما احتجنا قرضاً ربويّاً، أو بيعاً مغشوشاً، أو رشوةً، أو أكلَ أموال الآخرين بالباطل!

٤ ـ أَحسِن علاقتك مع ربك، وأَدِر شأن وظيفتك وعملك، وسيتولى الله تعالى رزقك وإسعادك ﴿وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾.

٥ ـ لا تغرق في مرضك، أو مشكلتك، أو ظروفك البائسة، الله تعالى وحده يدبر شأن الكون ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ (٦٥)﴾.

٦ ـ الكون كُلُّهُ في يد الله تعالى، وهو الذي يعلم الغيب؛ فأدر شأنك، وتوكل على ربك، واعلم أن ما قدَّره الله تعالى لك أو عليك؛ فهو في الطريق ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٦٥﴾﴾.

٧ ـ هل قال لك الطبيب ذات مرَّةٍ: مرضك ميؤوس منه! أو داؤك خطير! أو لا يمكن علاجك! دَعكَ من كل هؤلاء هم أنفسهم لا يُدرِكون متى يمرضون، أو يصحُّون، أو يموتون؟ ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٦٥﴾﴾.

٨ ـ هذه مشكلة كلِّ من ضَلَّ عن الطريق ﴿بَلِ ٱدَّٰرَكَ عِلْمُهُمْ فِي ٱلْأَخِرَةِ ۚ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّنْهَا ۖ بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ ﴿٦٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا وَءَابَآؤُنَآ أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ ﴿٦٧﴾ لَقَدْ وُعِدْنَا هَٰذَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾﴾ لو عرفوا النهاية؛ لأدركوا الطريق الموصل إليها.

٩ ـ إذا أردت أن تأخذ صورةً واضحةً عن وعود القرآن؛ فقُم بجولةٍ شعوريةٍ على الكون ﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٦٩﴾﴾ أو اقرأ شيئاً من القرآن، أو تصفَّح بعض كتب التاريخ، وسترى الحقائق كما هي.

١٠ ـ مشاعرك أثمن من أن تذهب في عزاء المعرضين ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُن فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿٧٠﴾﴾.

١١ ـ الحياة أجلُّ من أن تتكدّر لمعارضة صاحب منكر! أو إعراض صاحب هوى! ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُن فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿٧٠﴾﴾.

١٢ ـ للاستهزاء موعدٌ تسفح فيه الدموع ولا تُجدِي فتيلاً ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٧١﴾ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم بَعْضُ ٱلَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٧٢﴾﴾.

١٣ ـ من فضل الله تعالى عليك أنه لم يعاجلك بالعقوبة ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ ﴾.

١٤ ـ ومن فضله تعالى عليك أنه لم يوقف نعمته بسبب معصيتك، بل ما زال يمدُّك وأنت على إسرافٍ وتبذيرٍ ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ ﴾.

١٥ ـ ومن فضله تعالى عليك أنه لم يفضحك بخطيئتك، وما زلت تُخطِئ وهو يَستر، وتُذنبُ وهو يَغفرُ ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ ﴾.

١٦ ـ تخيَّل أقرب إنسان إليك لا يدرك ما في قلبك، الله تعالى يعلم كلَّ شيءٍ ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٤﴾ ﴾.

١٧ ـ حتى تلك الأحاديث التي تردِّدها بينك وبين نفسك، وفي فراشك، وفي خلواتك، يراها الله تعالى، ويسمعها، ويراقبها ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٤﴾ ﴾.

١٨ ـ حتى أمانيك التي لم تفصح عنها، ولم تبلِّغ أحداً عنها، الله تعالى يعلمها، ويعلم مبدأها ومنتهاها ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٤﴾ ﴾.

١٩ ـ حتى الأماني التي ستولد، والأحداث التي ستأتي، عَلِمَها الله تعالى قبل علمك بها ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٤﴾ ﴾.

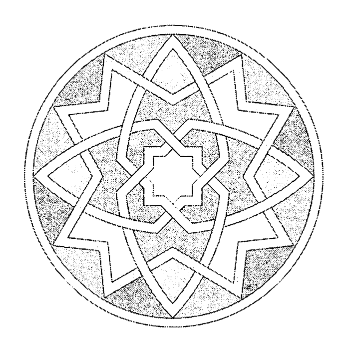
٢٠ ـ لا تظن أن الله تعالى لا يرى مرضك، أو ظروفك، أو أحداثك البائسة ﴿ وَمَا مِنْ غَآئِبَةٍ فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٧٥﴾ ﴾.

٢١ ـ لا يأتي في بالك أن الله تعالى لا يعلم ظلم الظالمين، واعتداء المعتدين، وانتهاك حرمات الضعفاء والمساكين، بل يعلمها كلها، ويرتِّب لها موعداً للقصاص ﴿ وَمَا مِنْ غَآئِبَةٍ فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٧٥﴾ ﴾.

٢٢ - حتى الورقة الساقطة في ظلام الليل، والأسرار التي تعتلج في قلوب المخلوقين، والأحداث التي تجري في البرِّ والبحر، والجو والفضاء، كلُّها في علم العليم الخبير ﴿وَمَا مِنْ غَآئِبَةٍ فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٧٥﴾﴾.

٢٣ - أكثر الحقائق وأجلاها في هذا القرآن ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٧٦﴾﴾.

❀ ❀ ❀



وَإِنَّهُۥ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُم
بِحُكْمِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٧٨﴾ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۖ إِنَّكَ عَلَى
ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ ﴿٧٩﴾ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ
إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٨٠﴾ وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِى ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ ۖ إِن
تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨١﴾ ۞ وَإِذَا
وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ
ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ
فَوْجًا مِّمَّن يُكَذِّبُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿٨٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُو
قَالَ أَكَذَّبْتُم بِـَٔايَٰتِى وَلَمْ تُحِيطُوا۟ بِهَا عِلْمًا أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ
﴿٨٤﴾ وَوَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِم بِمَا ظَلَمُوا۟ فَهُمْ لَا يَنطِقُونَ ﴿٨٥﴾ أَلَمْ
يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِيَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ فِى
ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٨٦﴾ وَيَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَفَزِعَ
مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَكُلٌّ أَتَوْهُ
دَٰخِرِينَ ﴿٨٧﴾ وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ۚ
صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾

التفسير

• ﴿وَإِنَّهُۥ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾﴾ يهتدي به أهل الإيمان، ويصلهم بالله تعالى ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُم بِحُكْمِهِۦ﴾ يقضي بين المختلفين بحكمه وعدله ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ لا غالب لأمره ﴿ٱلْعَلِيمُ ﴿٧٨﴾﴾ لا يغيب عنه من علم المخلوقين شيء.

• ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ فوِّض أمرك إلى الله ﴿إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ ﴿٧٩﴾﴾ الواضح المتيقَّن.

• ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ لا تقدر على إفهام من مات قلبه ﴿وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ﴾ ولا تقدر على إسماع من أصمَّ الله تعالى سمعه ﴿إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٨٠﴾﴾ أدبروا معرضين عن الحق.

• ﴿وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِى ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ﴾ ما أنت بمرشد من أعماه الله تعالى عن الحق إرشاداً ينفعه ﴿إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ فهؤلاء الذين يفهمون عنك ما تقول ﴿فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨١﴾﴾ مذعنون لله تعالى.

• ﴿وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ﴾ بالضلال والهلاك والغواية عند قرب الساعة ﴿أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ﴾ بكلامٍ يفهمونه ﴿أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾﴾ لا يصدِّقون، وهذه الدَّابة هي إحدى علامات الساعة الكبرى التي تخرج في آخر الزمان.

• ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ﴾ نجمع ﴿مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا﴾ طائفةً ﴿مِّمَّن يُكَذِّبُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾ يُجمَعون ويُرَتَّبون ويُساقون ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُو﴾ حضروا

وانتظموا مجتمعين ﴿قَالَ أَكَذَّبْتُم بِـَٔايَـٰتِى﴾ فلم تؤمنوا بها ﴿وَلَمْ تُحِيطُوا۟ بِهَا عِلْمًا﴾ لم تعرفوها حق معرفتها ﴿أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾﴾ فيها من تكذيبٍ أو تصديقٍ.

• ﴿وَوَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِم﴾ غضب الله تعالى وسخطه ﴿بِمَا ظَلَمُوا۟﴾ من تكذيبٍ لأمر الله تعالى ﴿فَهُمْ لَا يَنطِقُونَ ﴿٨٥﴾﴾ لأنه لا حجَّة لهم.

• ﴿أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِيَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ﴾ عِبَراً ﴿لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٨٦﴾﴾ بالله تعالى.

• ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ﴾ الصُّور: قرنٌ ينفخ فيه إسرافيل ﴿فَفَزِعَ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ﴾ خاف كل من في السموات والأرض ﴿إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ فاستثناه من الخوف والفزع.

• ﴿وَكُلٌّ﴾ من الخلق ﴿أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ ﴿٨٧﴾﴾ صاغرين ذليلين.

• ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ﴾ يوم القيامة ﴿تَحْسَبُهَا جَامِدَةً﴾ ثابتةً ﴿وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ﴾ سرعةً وحركةً ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ هذا الذي تراه من عظيم صُنع الله تعالى، وإبداعه في الخلق ﴿إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾﴾ لا يفوت عنه من ذلك شيء.



١ ـ كم مرَّة يقرِّر الله تعالى هذه القضية ﴿وَإِنَّهُۥ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾﴾! ولم نحتفل بها حتى هذه اللحظة؟!

٢ ـ ﴿وَإِنَّهُۥ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۝٧٧﴾ لقلبـك، ولمشـاعرك، ولحياتك، ولكلِّ شيء!

٣ ـ جرِّبوا هذه الحقيقة، وسترون كيف تعثرون على أنفسٍ ما في العمر ﴿وَإِنَّهُۥ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۝٧٧﴾.

٤ ـ استقطع من وقتك لقراءته وتدبُّره، وسـترى خفقان الروح في مشاعرك إلى أبعد مدى ﴿وَإِنَّهُۥ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۝٧٧﴾.

٥ ـ إذا لم تسـتطع أن تدرك هذا المعنى؛ فاطلب من إمام مسجد الحيِّ أن يتبنى درساً في التدبر، أو تتبنى مع مجموعة من رفاق وظيفتك، أو مسجد حيِّك لقاءً في ذلك، وسترى الحقائق ﴿وَإِنَّهُۥ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۝٧٧﴾.

٦ ـ كل القضاء الذي تراه في الدنيا لا يغني عن قضـاء يوم القيامة ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُم بِحُكْمِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ۝٧٨﴾.

٧ ـ يقضي بينهم في اختلافاتهم التي حدثت منهم ذات يوم ولم يصطلحوا فيها، ويقضي بينهم في الخصام الذي تعدَّى فيه كل واحدٍ على صاحبه، ويقضي بينهم في الأضرار التي نتجت عن ذلك الخلاف ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُم بِحُكْمِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ۝٧٨﴾.

٨ ـ يقضي بين الـزوج وزوجته، والجار وجاره، والخصـم وخصمه، والقاضي الحاكم والمحكوم عليه ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُم بِحُكْمِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ۝٧٨﴾ حتى يقضي بين المَلِكِ ورعيَّته، لا فرق في شيء.

٩ ـ لا تبالِ بمخلوقٍ مهما بلغت مكانته ومسؤوليته، ما دمت على الحق ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۖ إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ ۝٧٩﴾.

١٠ ـ شُدَّ حزام قلبك ويقينك، وتأكد أنه أقوى من كل قوةٍ في الأرض ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۖ إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ ﴿٧٩﴾﴾.

١١ ـ اشمخ برأسك إلى عنان السماء. يكفي أن الله تعالى معك ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۖ إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ ﴿٧٩﴾﴾.

١٢ ـ إياك أن تعطي إنساناً قدراً في قلبك على حساب العليِّ الكبير ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۖ إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ ﴿٧٩﴾﴾.

١٣ ـ اصدَع بالحق الذي معك، وادفع بفكرتك في فجاج الأرض، وامضِ ولا تبالِ بالعالمين ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۖ إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ ﴿٧٩﴾﴾.

١٤ ـ إياك أن تخلط في المفاهيم، أو تبخس في التصورات، أو تغالط الحقائق لشيءٍ من دون الله تعالى ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۖ إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ ﴿٧٩﴾﴾.

١٥ ـ حَسبُكَ أن تقدِّم فكرتك ومشروعك ودعوتك للراغبين فحسب ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٨٠﴾ وَمَآ أَنتَ بِهَـٰدِى ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَـٰلَتِهِمْ ۖ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَـٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨١﴾﴾.

١٦ ـ لا تُجهِدْ نفسك في متابعة المعرضين، دعهم؛ فالدعوة أجلُّ من أن تطارد الناكصين ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٨٠﴾ وَمَآ أَنتَ بِهَـٰدِى ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَـٰلَتِهِمْ ۖ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَـٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨١﴾﴾.

١٧ ـ إذا دُعِيتَ لكلمةٍ أو محاضرةٍ أو لقاءٍ؛ فإياك أن تنظر المدبرين، أو تعطيهم حظاً من قلبك، الباقون للدعوة والمريدون لها أفضل من معرضٍ مدبرٍ ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٨٠﴾ وَمَآ أَنتَ بِهَـٰدِى ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَـٰلَتِهِمْ ۖ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَـٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨١﴾﴾.

١٨ ـ منذ متى كانت الدعوة تقيم وزناً لمُعرضٍ عنها، أو تاركٍ لأحداثها وآثارها؟! ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٨٠﴾ وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِى ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ ۖ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨١﴾﴾.

١٩ ـ إذا بقي واحدٌ في درسك أو موعظتك؛ احتفل به، ووجِّه له رسالتك، فهو أبرَك لك وللدعوة من آلافِ المعرضين ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٨٠﴾ وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِى ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ ۖ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨١﴾﴾.

٢٠ ـ حتى ولدك وزوجك وطالبك قدِّم لهم الدعوة في أجمل معانيها، ولا تكلّف نفسك معهم فوق طاقتها، إن كان فيهم خيرٌ جاء الله تعالى بهم بأقلِّ الجهود والتكاليف ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٨٠﴾ وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِى ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ ۖ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨١﴾﴾.

٢١ ـ أكثر مشكلاتنا التي تحول بيننا وبين الحياة أننا لا نفقه الوحي كما أراد الله تعالى ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٨٠﴾ وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِى ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ ۖ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨١﴾﴾ ما فيه حضور، قليل الجمع، لم توزِّعوا إعلانات جيدة، لم تصنعوا كذا، وتفعلوا كذا، ليتنا نعيدُ قراءة الوحي من جديد!

٢٢ ـ حين توشك الحياة على الوداع ﴿وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾﴾.

٢٣ ـ حين يتمنَّى الزعماء، والرؤساء، والكبار، ومَنْ تشوَّفَ لصفوف المقدمة أنه لم يفعل من ذلك شيئاً ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّن يُكَذِّبُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿٨٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُو قَالَ أَكَذَّبْتُم بِـَٔايَٰتِى وَلَمْ تُحِيطُوا۟ بِهَا عِلْمًا أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾ وَوَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِم بِمَا ظَلَمُوا۟ فَهُمْ لَا يَنطِقُونَ ﴿٨٥﴾﴾.

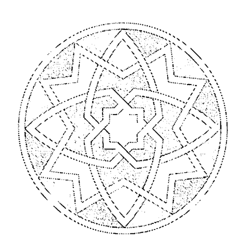
٢٤ ـ كان يكفيهم من الآيات أن يتأملوا في تعاقب الليل والنهار فحسب ﴿ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِيَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٨٦﴾ ﴾.

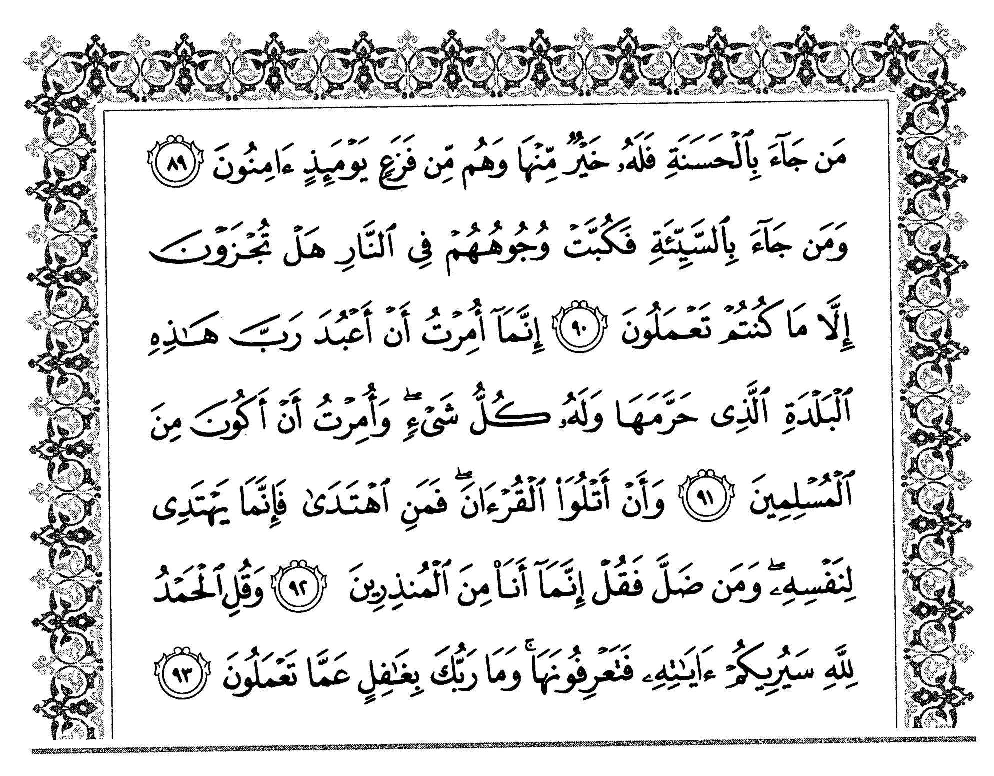
٢٥ ـ هذه بعض مشاهد النهايات ﴿ وَيَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ ﴿٨٧﴾ وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ۚ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾.

٢٦ ـ اقرأ هذه المعاني قراءةَ معتبرٍ قبل أن تقف مصروفاً عن أحداثها ﴿ وَيَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ ﴿٨٧﴾ وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ۚ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾.

٢٧ ـ أَفِقْ من نومك! هذه الأحداث ستلقاها يوماً ما؛ فلا تسرف بأملك طويلاً ﴿ وَيَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ ﴿٨٧﴾ وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ۚ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾.

❀ ❀ ❀





مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ ﴿٨٩﴾ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ ٱلَّذِى حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَىْءٍ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩١﴾ وَأَنْ أَتْلُوَا۟ ٱلْقُرْءَانَ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿٩٢﴾ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعْرِفُونَهَا ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾

التفسير

- ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ﴾ من البرِّ والخير ﴿فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا﴾ الحسـنة بعشر أمثالها ﴿وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ ﴿٨٩﴾﴾ وهم آمنون مطمئنون من فزع ذلك اليوم.
- ﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ﴾ فعل السـوء ﴿فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ﴾ أُلقوا في النار على وجوههم ﴿هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٠﴾﴾ من الكفر.
- ﴿إِنَّمَآ أُمِرْتُ﴾ قل لهم يا رسول الله: إنما أمرني الله تعالى ﴿أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ ٱلَّذِى حَرَّمَهَا﴾ مكة ﴿وَلَهُۥ كُلُّ شَىْءٍ﴾ من المُلكِ ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩١﴾﴾ المذعنين المخبتين له.
- ﴿وَأَنْ أَتْلُوَا۟ ٱلْقُرْءَانَ﴾ أقـرأه عليكـم ﴿فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ﴾ منكـم ﴿فَإِنَّمَا يَهْتَدِى

﴿لِنَفْسِهِۦ﴾ ليس لله تعالى من ذلك شيء ﴿وَمَن ضَلَّ﴾ عن الطريق ﴿فَقُلْ﴾ لهم يا رسول الله ﴿إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿٩٢﴾﴾ حَسبِيَ البلاغ.

- ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ له الحمد على كلِّ شيءٍ ﴿سَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ في الكون ﴿فَتَعْرِفُونَهَا﴾ حقيقة المعرفة ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾ لا يخفى عنه من ذلك شيء.

التَّدَبُّر

١ ـ هل تريد أن تأمن من فزع ذلك اليوم! إذاً أكثر من حسناتك هنا ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ ﴿٨٩﴾﴾.

٢ ـ إياك أن تقرأ هذا المعنى ثم لا تدفعك نفسك للمسارعة في الحسنات ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ ﴿٨٩﴾﴾.

٣ ـ جزاء العيش للشهوات ﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٠﴾﴾.

٤ ـ الحواس التي لم توظِّف إمكاناتها في درس العظة والذكرى، سوف تدنَّس في دركات النار ﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٠﴾﴾.

٥ ـ الوجه الذي تيمَّمَ الباطل في كل مرةٍ من حقه أن يصلى النار أولاً ﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٠﴾﴾.

٦ ـ أصلح نفسك، وكن قدوةً، ثمَّ اضرب بسهمٍ في الإصلاح ﴿إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ ٱلَّذِى حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَىْءٍ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ

ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩١﴾ وَأَنْ أَتْلُوَا۟ ٱلْقُرْءَانَ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿٩٢﴾ ﴾.

٧ ـ نفسُك أولاً ﴿ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ ٱلَّذِى حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَىْءٍ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩١﴾ ﴾ ثم أوقد ضوءاً في الظلام ﴿ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ ٱلَّذِى حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَىْءٍ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩١﴾ ﴾.

٨ ـ كأن الدعوة كلها القرآن! ما أشدَّ غفلتنا عن الوحي! ﴿ وَأَنْ أَتْلُوَا۟ ٱلْقُرْءَانَ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿٩٢﴾ ﴾.

٩ ـ قارن بين هذا المعنى ﴿ وَأَنْ أَتْلُوَا۟ ٱلْقُرْءَانَ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿٩٢﴾ ﴾ وبين عدد المرات التي دعوت فيها بهذا القرآن!

١٠ ـ لا تُحمِّل الدعوة والدعاة تخلُّفك! إن اهتديتَ فلنفسِك، وإن ضللتَ فعليها ﴿ وَأَنْ أَتْلُوَا۟ ٱلْقُرْءَانَ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿٩٢﴾ ﴾.

١١ ـ أخذ قلمه وبدأ يكتب في أخطاء الدعوة والدعاة، ليتك استصلحت نفسك، ونجوت من الغرق[١] ﴿ وَأَنْ أَتْلُوَا۟ ٱلْقُرْءَانَ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿٩٢﴾ ﴾.

١٢ ـ لا تحسب أثرك في الدعوة، احسب جهدك وإخلاصك وصدقك، والبقية ليست من شأنك في شيء ﴿ وَأَنْ أَتْلُوَا۟ ٱلْقُرْءَانَ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿٩٢﴾ ﴾.

١٣ ـ ﴿ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾ أن علَّمك الكتابة، والتفكير، والمشروع، والفكرة، والمساحة التي تكتب فيها تاريخك.

---

(١) ينبغي التنبُّه للغرق بين النقد البنَّاء والنقد الهدَّام.

١٤ ـ ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ أنْ فتحَ عليك، ومدَّ في أثرك، وجعل لك رسـالة، وقضية، وفكرة، ومشروعاً.

١٥ ـ ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ أن جعلك مـن أُمَّة محمد ﷺ، وفرداً من حملة رسـالته، وواحداً في مشروعه الكبير.

١٦ ـ ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ على أن جعلك مسـلماً، وعلَّمك طريـق الهداية، ودَلَّك عليه، وثبَّتك.

١٧ ـ ﴿سَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ نسـأله أن تدلَّنا هذه الآيات عليه، وترشدنا إليه، وتعيننا على القيام بحقه، لا أن تكون طريقاً للخذلان.

١٨ ـ ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ قل أو كثر، زاد أو نقص، كلُّه سيأتي في تفاصيل قصة النهاية.

١٩ ـ ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ فلا تصنع شيئاً، وتأتي يوم القيامة معتذراً، وقد بلَّغك كل شيء.

٢٠ ـ ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ حتـى الذي يجـري في ظلام الليـل، ووراء الأبواب، وفي وقت الزحام، وعند الضيق، وفي أوقات الشِّـدَّةِ، وعند الخصام، وفي أوقات الخلاف.

٢١ ـ ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ حتى الكلمة، واللحظة ببصرك، والهمزة بعينك، والحرف من قلمك، والدرهم من مالك.

٢٢ ـ ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ سواء جئت متأخراً في عملك أو متقدماً، قمت بواجبك الوظيفي أو لم تقم، أعطيت عاملاً حقَّه أو حرمته، وفَّيت في التعامل مع زوجك أو ظلمتها، أعطيت أخواتك حصتهنَّ من الإرث أو حرمتهنَّ.

❀ ❀ ❀

سُورَةُ القَصَص

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

طسٓمٓ ﴿١﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ نَتْلُوا۟ عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِٱلْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥﴾ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ ﴿٦﴾

التفسير

- ﴿طسٓمٓ ﴿١﴾﴾ من الحروف المقطَّعة التي تدلُّ على إعجاز القرآن.
- ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾﴾ هـذه الآيات ـ آيات القـرآن الكريم ـ واضحة بيِّنة.
- ﴿نَتْلُوا۟ عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِٱلْحَقِّ﴾ نذكر لك في هذا الكتاب خبر موسى وفرعون ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣﴾﴾ يصدِّقون بهذا القرآن.

• ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ تجبَّر واستكبر ﴿وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا ﴾ فِرَقاً مختلفة ﴿يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ ﴾ يستذلُّهم ويستعبدهم ﴿يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ ﴾ الذكور خوفاً من كثرتهم، ونزعهم ملكه ﴿وَيَسْتَحْيِۦ نِسَآءَهُمْ ﴾ يستبقيهنَّ خدماً ورقيقات ﴿إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾﴾ في الأرض.

• ﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ ﴾ نكرم وننعم ﴿عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ من بني إسرائيل؛ بإهلاك عدوِّهم، وإزالة الاستضعاف عنهم ﴿وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً ﴾ في الدِّين يُقتَدَى بهم ﴿وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥﴾﴾ يرثون فرعون في مصر.

• ﴿وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ بأن نجعلهم أقوياء أعزَّاء ﴿وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ ﴾ وزيره ﴿وَجُنُودَهُمَا﴾ أعوانهما ﴿مِنْهُم ﴾ من هذه الطائفة المستضعفة ﴿مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ ﴿٦﴾﴾ من إخراجهم من ديارهم.



التدبُّر

١ ـ هذا وصف الله تعالى لكتابه ﴿طسٓمٓ ﴿١﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾﴾ لا يحتاج لترجمة أو إفهام أو تعليم، يكفيك أن تبدأ رحلة قلبك ومشاعرك من خلال القراءة فيه.

٢ ـ القصة منهجٌ تربويٌّ تصل منه إلى مبتغاك من أقرب الطرق، وأيسر المسالك ﴿ نَتْلُوا۟ عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِٱلْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣﴾﴾ ومن فقهك أن توظفها في تربية ولدك وطالبك، ومن تتولَّى شأنهم وأمرهم.

٣ ـ كثيرةٌ هي الأمثلة الفرعونية والموسوية في مثل واقعك، والقرآن والأحداث شبه متقاربة؛ فتأمَّل فإنّ في القصة ما ينفعك ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ

أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْيِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾﴾.

٤ ـ التاريخ يقول لك: كلُّ معركةٍ دارت بين الحق والباطل، والمصلحين والمفسدين آذنت بزوال الظالمين في النهاية، وانتصار أصحاب الحق والمنهج ﴿نَتْلُواْ عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِٱلْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣﴾﴾ فلا تبتئس!

٥ ـ من شؤم قارئ القرآن أن يردِّده في كل مرَّة، ويسمعه في كل مكان، ولا يروي ما يطمئن على مستقبل الإسلام ﴿نَتْلُواْ عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِٱلْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣﴾﴾.

٦ ـ يكفي هذا القرآن أنه بسَّط لك الحقائق، وهي تجري في حياتك كما جرت في حياة السابقين، لا فرق! ﴿نَتْلُواْ عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِٱلْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣﴾﴾.

٧ ـ هذه مهمة الطغاة والمستكبرين في كل زمان ومكان ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْيِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾﴾.

٨ ـ كم مرة كانت هذه المسؤوليات هي البوابة التي نفذ منها أصحابها إلى الخذلان ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْيِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾﴾.

٩ ـ في النَّفس طغيانٌ كبير، والمسؤوليات تزيد هذا المعنى، ما لم يتداركه صاحبه بإمعان ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْيِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾﴾.

١٠ ـ كم مرة رأيته ساكناً ضعيفاً بسيطاً، فلمّا ولّاه الله تعالى مسؤوليةً سام عباد الله تعالى سوء العذاب، وخرج للأمة في مسلاخ فرعون ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ ۚ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾ ﴾.

١١ ـ كل مسؤول صار على نهج فرعون سواء في بيته، أو مؤسسته، أو وظيفته، أو رسالته، أو مشروعه؛ فاحسُبْ أيامه، وارصد له سوء عاقبته ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ ۚ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾ ﴾.

١٢ ـ تأمل في نفسك: كم في واقعك من أخلاق فرعون؟! ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ ۚ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾ ﴾.

١٣ ـ ليس بالضرورة أن تكون مسؤولاً كما كان فرعون، انظر ما يجري في بيتك وعملك ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ ۚ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾ ﴾.

١٤ ـ ما أكثر فراعنة هذا العصر مع العمّال والخدم والمستضعفين! ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ ۚ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾ ﴾.

١٥ ـ من سنن الله تعالى في الكون أنَّ كل استبداد فهو إلى الهاوية ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ ۚ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾ ﴾.

١٦ ـ ﴿ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا ﴾ مقرَّبين من كرسيِّ المَلِك، ومضطهدين في سجون الحكم!

١٧ ـ ﴿وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا﴾ قومٌ يسرحون ويمرحون في بلاط الملك، وقوم في سجون الحريَّات!

١٨ ـ من سياسة هذا الملك ﴿مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ﴾ [غافر: ٢٩] فهل معك منها شيء تدير به بيتك وأسرتك ومؤسستك ووظيفتك!

١٩ ـ يمكنك أن تأخذ صوراً كثيرةً (طبق الأصل) عن هذه الحالة ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْيِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾﴾.

٢٠ ـ من صور الاستبداد: القتل، التفريق، الاستضعاف ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْيِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾﴾ وما يمليه مزاج الملك الموقَّر!!

٢١ ـ من الفأل في الاستبداد أنه بداية الربيع القادم ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥﴾ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ ﴿٦﴾﴾.

٢٢ ـ إذا رأيت ملكاً مستبداً، وحاكماً ظالماً، وفوضى تعمُّ العالم؛ فاعلم أنَّ غيث السماء أوشك على النزول، وعلى أرضك أن تستقبل ربيعها بفرح ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥﴾ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ ﴿٦﴾﴾.

٢٣ ـ ما تلقاه في طريقك من آلام هو بداية الصعود إلى قمَّة الجبل ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥﴾ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ ﴿٦﴾﴾.

٢٤ ـ لعلّك رأيت من استضعفه الناس في حقبةٍ من الزمن، تَلَتْها حقبة الآمال في حياته دون فاصــل ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥﴾ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ ﴿٦﴾﴾.

٢٥ ـ إذا ابتلاك الله تعالى فصبرت؛ فقد بدأت شمس النصر تأخذ حظَّها وواقعها من الأرض؛ فلا تيأس ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥﴾ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ ﴿٦﴾﴾.

٢٦ ـ هل تصورت يوماً أن ترى مســتضعفاً في الأرض يتبــوَّأ درج الملك والعز والرِفعَة من جديد! هذه صفحةٌ من التاريخ ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥﴾ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ ﴿٦﴾﴾.

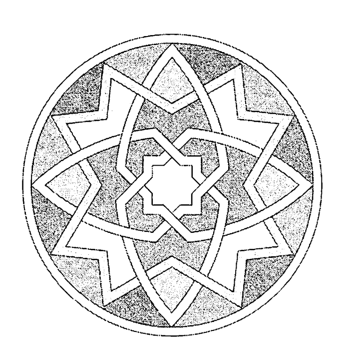
٢٧ ـ ﴿وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ﴾ سـيُدمى قلبك، وتتسلَّخ قدمك، وتعرى فقراً وألماً قبل وصولها، فوطِّن نفسك على طول الأمل.

٢٨ ـ سَلْ كلَّ العظماء والأئمة، وكُتَّاب التاريخ، وصانعي الحياة: كيف بلغوا ما هم فيه، وسيأتيك الخبر اليقين ﴿وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ﴾.

٢٩ ـ لا تحزن! لا تيأس! لا تقلق! ما شــاع الظلم في أرضٍ إلا تولّى الله تعالى إعــادة الحيــاة إلــى أصلهــا ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥﴾ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ ﴿٦﴾﴾.

٣٠ ـ من صور العالم البائسة، وأحداث الواقع المؤلمة تُولَدُ حالات الأمل، وتتمخَّض الحياة عن الفجر القريب ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ۝٥ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ ۝٦﴾.

❀ ❀ ❀



وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَرۡضِعِيهِۖ فَإِذَا خِفۡتِ عَلَيۡهِ
فَأَلۡقِيهِ فِي ٱلۡيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحۡزَنِيٓۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيۡكِ
وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿٧﴾ فَٱلۡتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرۡعَوۡنَ
لِيَكُونَ لَهُمۡ عَدُوّٗا وَحَزَنًاۗ إِنَّ فِرۡعَوۡنَ وَهَٰمَٰنَ
وَجُنُودَهُمَا كَانُواْ خَٰطِـِٔينَ ﴿٨﴾ وَقَالَتِ ٱمۡرَأَتُ
فِرۡعَوۡنَ قُرَّتُ عَيۡنٖ لِّي وَلَكَۖ لَا تَقۡتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوۡ
نَتَّخِذَهُۥ وَلَدٗا وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ﴿٩﴾ وَأَصۡبَحَ فُؤَادُ أُمِّ
مُوسَىٰ فَٰرِغًاۖ إِن كَادَتۡ لَتُبۡدِي بِهِۦ لَوۡلَآ أَن رَّبَطۡنَا
عَلَىٰ قَلۡبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٠﴾ وَقَالَتۡ لِأُخۡتِهِۦ
قُصِّيهِۖ فَبَصُرَتۡ بِهِۦ عَن جُنُبٖ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ﴿١١﴾ ۞
وَحَرَّمۡنَا عَلَيۡهِ ٱلۡمَرَاضِعَ مِن قَبۡلُ فَقَالَتۡ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰٓ أَهۡلِ
بَيۡتٖ يَكۡفُلُونَهُۥ لَكُمۡ وَهُمۡ لَهُۥ نَٰصِحُونَ ﴿١٢﴾ فَرَدَدۡنَٰهُ
إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَيۡ تَقَرَّ عَيۡنُهَا وَلَا تَحۡزَنَ وَلِتَعۡلَمَ أَنَّ
وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿١٣﴾

التفسير

• ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ﴾ من دخول من يأخذه ﴿فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ﴾ بإدخاله في تابوتٍ ووضعه في نِيْلِ مصر ﴿وَلَا تَخَافِى﴾ من وضعه في البحر ﴿وَلَا تَحْزَنِىٓ﴾ على فراقه ﴿إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ﴾ في آخر الأمر ﴿وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾﴾ من جملة رسلنا إلى الناس.

• ﴿فَٱلْتَقَطَهُۥٓ﴾ أخذه ﴿ءَالُ فِرْعَوْنَ﴾ جنوده وأتباعه ﴿لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾ بإزالة مُلكِهِ على يده ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا۟ خَٰطِـِٔينَ ﴿٨﴾﴾ بمعصيتهم لله تعالى.

• ﴿وَقَالَتِ ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ﴾ آسية بنت مُزاحم، وقد كانت مؤمنة ﴿قُرَّتُ عَيْنٍ لِّى وَلَكَۖ لَا تَقْتُلُوهُ﴾ لا تقتله لتقرَّ به أعيننا وتُسَرَّ به حياتنا ﴿عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ﴾ بخدمته لنا ﴿أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾﴾ ما في قدر الله تعالى لهم.

• ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا﴾ من كلِّ شيءٍ إلا من ذِكْرِ ابنها ﴿إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ﴾ لتخبر به ﴿لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا﴾ فثبَّتناها، ووفَّقناها للسكوت عن ذلك ﴿لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾﴾ بوعد الله تعالى.

• ﴿وَقَالَتْ﴾ أمه ﴿لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ﴾ تتبَّعي خبره ﴿فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ﴾ رأته عن بعد ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١١﴾﴾ أنها تَتْبع أثره.

• ﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ﴾ منعناه أن يرضع من غير أمه ﴿فَقَالَتْ﴾ أخته: ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ﴾ يرضعونه، ويربُّونه لكم ﴿وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ ﴿١٢﴾﴾ مخلصون في التربية والعناية.

• ﴿فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا﴾ برجوعه إليها ﴿وَلَا تَحْزَنَ﴾ على فقده وبعده ﴿وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ﴾ لا يتخلَّف ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾﴾ مراد الله تعالى في قدره.

التَّدَبُّر

١ ـ إذا أراد الله تعالى أمراً أجرى له الأسباب الكفيلة ببلوغه ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾﴾.

٢ ـ بلوغ أمانيك لا يأتي من خلال موقف أو لحظة، وإنما يحتاج إلى زمن وتكاليف ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾﴾.

٣ ـ حتى آمال الأمة، وتضميد جراحها، وأحداث مستقبلها الكبير تحتاج إلى زمن وجهود وتكاليف ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾﴾.

٤ ـ بذل الأسباب هو القاعدة الكبرى التي تأتي من خلالها آمالك وأحداث نجاحك ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾﴾.

٥ ـ هل تصوَّرت أُماً تُلقي مولودها في تابوت في عُرْض البحر، ثمَّ يقول الله تعالى لها: ﴿وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ مِنْ أضخم دروس التوكل متانةً وعمقاً.

٦ ـ ألقته في اليمِّ وكاد قلبها أن ينفطر خوفاً وحزناً، ثم يسلِّمه الله تعالى ليد عدوها طاغية الأرض، ويقـول لهـا: ﴿وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِيٓ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ حتى تعلم أن للكون ربّاً واحداً فحسب.

٧ ـ تأمل في الفارق الكبير بين أمر الله تعالى لأم موسى: ﴿فَأَلْقِيهِ فِي ٱلْيَمِّ﴾ ووعده لها: ﴿وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِيٓ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ وكيف كانت النهايات!

٨ ـ اصنع لوعـود الله تعالى في قلبك وواقعك شـأناً ترى مباهجهـا كما تريد ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِيٓ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٧﴾.

٩ ـ إذا لقيت وعداً لربك في كتابه، أو سنة نبيه ﷺ فتشبَّث به، واصنع له الأسباب الكفيلة للوصول إليه ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِيٓ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٧﴾.

١٠ ـ ألقِ همومك بين يديِّ الله تعالى، وانتظر آمال الفرج، ولو بعد حين ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِيٓ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٧﴾.

١١ ـ حتى هموم ولدك ومستقبلك ومشـروعك ضعها بين يدي ربك، ولا تخف ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِيٓ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٧﴾.

١٢ ـ إذا أراد الله تعالى أمراً أجراه كما يريد ﴿فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ۗ إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَـٰمَـٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا۟ خَـٰطِـِٔينَ ۝٨﴾.

١٣ ـ يا لقدرة الله تعالى! أصدر فرعون أمراً بقتل كل ولدٍ ذكر، وقضى الله تعالى أن تجري تربية موسى على يده، وفي قصره ﴿فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ۗ إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا۟ خَٰطِـِٔينَ ﴿٨﴾﴾.

١٤ ـ ما كل ما تلقاه في طريقك أو يأتي إليك حقيق بالفرح! ﴿فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ۗ إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا۟ خَٰطِـِٔينَ ﴿٨﴾﴾ كم من شيءٍ فَرِحْتَ به، وكان فيه لك عواقب سوء!

١٥ ـ حتى المسؤولية التي تختار لها، أو المنصب الذي تُعطاه، قد يكون فيه حتفك وفساد طريقك، إن لم ترع حقه، وتستوعب مسؤوليته ﴿فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ۗ إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا۟ خَٰطِـِٔينَ ﴿٨﴾﴾ هل كان يتصوَّر فرعون هذه النهاية؟!

١٦ ـ هذا الوليد الذي يتقاذفه اليمُّ في تابوته هو قصة التاريخ التي ستدور عليها شؤون مصر فيما بعد ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾ فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ۗ إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا۟ خَٰطِـِٔينَ ﴿٨﴾﴾ لا تستصغر مِنْ ولدك، وطالبك، ومَنْ يقعد اليوم صغيراً على مقاعد العلم أن يدير شأن التاريخ في قادم الأيام.

١٧ ـ إذا أراد الله تعالى أمراً أجرى له الأسباب الكفيلة ببلوغ غاياته ﴿وَقَالَتِ ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّى وَلَكَ ۖ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾﴾ حين أراد الله تعالى نجاة موسى ألقى محبَّته في قلب زوج فرعون، لتكتمل فصول القصة.

١٨ ـ أول نوافذ ذلك الوعد الكبير ﴿وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ نافذة الحُبِّ التي ألقاها الله تعالى في قلب زوج فرعون

﴿وَقَالَتِ ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ ۖ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾﴾.

١٩ ـ ﴿لَا تَقْتُلُوهُ﴾ ليست كلمةً عابرةً! بل قدرٌ أجراه الله تعالى على لسانها لينجِّي الله تعالى به صانع التاريخ!

٢٠ ـ إذا أراد الله تعالى حياتك، فلو دخلت سجون العالمين ستخرج بريئاً، ويمضي قدر الله تعالى كما يشاء ﴿وَقَالَتِ ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ ۖ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾﴾.

٢١ ـ إلى كل الخائفين الوجلين المرهقين المتعبين المطاردين: لا عليكم. لن تصل إليكم يدٌ إلا بقدر الحيِّ القيوم ﴿وَقَالَتِ ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ ۖ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾﴾.

٢٢ ـ الأمل لا يترك إلا ربيعاً مورقاً ﴿عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ﴾!

٢٣ ـ كل الذين عاش الأمل في قلوبهم، ورَفْرَفَ في مشاعرهم يوماً ما لقوه ولو بعد حين ﴿وَقَالَتِ ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ ۖ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾﴾.

٢٤ ـ تفاءل وسيتحدَّث العالم كله بمستقبلك ﴿وَقَالَتِ ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ ۖ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾﴾.

٢٥ ـ إذا أردت لمشروعك نجاحاً ولفكرتك بلوغاً لآمالها؛ فاعلم من أين تبدأ بها ﴿وَقَالَتِ ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ ۖ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾﴾ ألقىٰ الله تعالى محبَّة موسى عليه السلام في قلب زوج فرعون، فلم يكن إلا ما شاء تعالى.

٢٦ ـ غالب البيوت: إذا رضيت الزوجة رَضِيَ العالم، وإذا غضبت غَضِبَ العالم ﴿وَقَالَتِ ٱمۡرَأَتُ فِرۡعَوۡنَ قُرَّتُ عَيۡنٖ لِّي وَلَكَۖ لَا تَقۡتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوۡ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدٗا وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ٩﴾.

٢٧ ـ من فِقهِ الدعوة التركيز على المرأة؛ فإن عوائد ذلك كبيرةٌ ولو بعد حين ﴿وَقَالَتِ ٱمۡرَأَتُ فِرۡعَوۡنَ قُرَّتُ عَيۡنٖ لِّي وَلَكَۖ لَا تَقۡتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوۡ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدٗا وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ٩﴾.

٢٨ ـ أيها الأزواج! رِفقاً بالحياة! لا يكن فرعون طاغية الأرض أرفقَ منكم بأحلام زوجه وأمانيها ﴿وَقَالَتِ ٱمۡرَأَتُ فِرۡعَوۡنَ قُرَّتُ عَيۡنٖ لِّي وَلَكَۖ لَا تَقۡتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوۡ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدٗا وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ٩﴾.

٢٩ ـ رِفقاً أيها الأبناء بقلوب أمهاتكم ﴿وَأَصۡبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًاۖ إِن كَادَتۡ لَتُبۡدِي بِهِۦ لَوۡلَآ أَن رَّبَطۡنَا عَلَىٰ قَلۡبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٠﴾.

٣٠ ـ أيها الأبناء! لا تفجعوا أمهاتكم بأخطائكم ومشكلاتكم وظروفكم فتُلقوا بقلوب أمهاتكم في تيه العذاب ﴿وَأَصۡبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًاۖ إِن كَادَتۡ لَتُبۡدِي بِهِۦ لَوۡلَآ أَن رَّبَطۡنَا عَلَىٰ قَلۡبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٠﴾.

٣١ ـ كم في غياهب السجون من ولدٍ قطَّع نياط أمه فقداً وألماً! «**الراحمون يرحمهم الرحمن**»[1]. ﴿وَأَصۡبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًاۖ إِن كَادَتۡ لَتُبۡدِي بِهِۦ لَوۡلَآ أَن رَّبَطۡنَا عَلَىٰ قَلۡبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٠﴾.

٣٢ ـ لا تقلق! الله تعالى يدبر شأن الحياة كلها ﴿إِن كَادَتۡ لَتُبۡدِي بِهِۦ لَوۡلَآ أَن رَّبَطۡنَا عَلَىٰ قَلۡبِهَا﴾.

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٩٤١) والترمذي (١٩٢٤) عن عبد الله بن عمرو.

٣٣ ـ هل ترغب في الهداية! شأن قلبك بِيَدِ ربِّك؛ فاسأله أن يَهَب لك الحياة ﴿إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا﴾.

٣٤ ـ هل تريد شـيئاً، وحلماً، وأملاً، ومرغوباً! أَدِر شأنك مع الله ﴿إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا﴾.

٣٥ ـ لا تقل: لو فعلت كذا، لو صنعت كذا، لو ما تكلمت، لو قلت! لو أراد الله تعالى لم تقل، ولم تفعل، ولم يَحدُث شيء[١]. ﴿إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا﴾.

٣٦ ـ لم يضيِّع الله تعالى مشاعر أُمٍّ على ولدها! ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا ۖ إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾﴾ أفلا يقوم بشـأن الأرامل والأيتام والمشـرَّدين التي باتت مبسـوطةً في قنوات العالم!

٣٧ ـ حتى لو فقدك العالم كلُّه سيظل فقدُ أُمِّكَ لك من نوعٍ خاص ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا ۖ إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾﴾.

٣٨ ـ لا تَبْنِ أملاً فارغاً من غير أن تبذلَ الأسباب ﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ ۖ فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١١﴾﴾.

٣٩ ـ إذا أردت لفكرتك ولمشروعك النجاحَ، فابذل وسعَك في الأسباب ﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ ۖ فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١١﴾﴾.

---

(١) انظر حديث أبي هريرة ﷺ في صحيح مسلم (٢٦٦٤) وفيه: «وإن أصابك شيءٌ فلا تقل: لو أني فعلت كان كذا وكذا، ولكن قل: قدّر الله وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان».

٤٠ ـ أجمل ما في هذه المرأة أنها لم تكن تُحسِنُ الفرجة على واقعها ﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ۝١١﴾.

٤١ ـ لا تقل: كيف يعود! إذا أراد الله تعالى أمراً أجرى له الأسباب ﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ ۝١٢﴾.

٤٢ ـ سبحانه إذا أراد شيئاً كان! ﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ﴾ هل جرى في بالك يوماً أن يجري الله تعالى سبباً كهذا؟!

٤٣ ـ إذا أردت شيئاً لشأنك الخاص والكبير والمهم فاختر له من يحبك ﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ۝١١﴾.

٤٤ ـ أختك التي أخذتك في حضنها يوم ميلادك وصغرك وأيام تربيتك هي التي ستبحث عنك أيام كبرك؛ فتَفَقَّد ظروفها، وكُنْ إلى جانبها في كل حين ﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ۝١١﴾ وإياك أن تجعلها وحيدةً لطوارق اليأس!

٤٥ ـ مَنْ يُحِبُّك سيبذل حياته من أجلك ﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ۝١١﴾ ومَنْ لا يملك لك مشاعرَ وَجْدٍ يكفيه أدنى الأعذار لضياعك.

٤٦ ـ لا تقلق على واقعك الحاضر؛ لعلَّ الله تعالى يريد أن يرفع شأنك القادم ﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ ۝١٢﴾.

٤٧ ـ في مرات كثيرة ندخل اختبارات مبدئيّة فنخفق فيها، ونظن أنها كل شيءٍ، وهي البداية ﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ ۝١٢﴾.

٤٨ ـ لا تقلق على كل ما فاتك، ثمَّة آمالٌ تنتظرك في مستقبل الأيام ﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ ﴿١٢﴾﴾.

٤٩ ـ خطب عشرات المرَّات ولم يُقبَل، ثم تزوج امرأةً أغنَتهُ عن مباهج الحياة ﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ ﴿١٢﴾﴾ كانوا يظنون أن امتناعه عن الرِّضاع يعني الموت، وفَاتَهُم أن ذلك هو الطريق للحياة.

٥٠ ـ كلُّ عَقَبَـةٍ تتلقاها في طريقك فهي مخلوفة بحلم يستقبلك في قادم الأيام ﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ ﴿١٢﴾﴾ كان الموت هو الناتج الوحيد لرفض الرضاع أولاً، والحقيقة أنه كان الحياة.

٥١ ـ قَدَّر مشاعر امرأة على فقد ولدها وأعاد لها الحياة ﴿فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾﴾ فلا تجزع لمرضك وإخفاقك وتعبك؛ فالله سيعيد لك الحياة!

٥٢ ـ أنت مؤمن! إذاً سيتكفَّل الله تعالى بك ﴿كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ﴾.

٥٣ ـ ثِقْ في وعود الله تعالى؛ فلن يتخلَّف منها شيء ﴿وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

٥٤ ـ لم يتخلَّف وعد الله تعالى في الكون ولا مرَّة ﴿وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ وقد يتأخر ابتلاءً!

❀ ❀ ❀

وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤﴾ وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦۖ فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِۖ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِۖ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُۥٓۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦﴾ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴿١٧﴾ فَأَصْبَحَ فِى ٱلْمَدِينَةِ خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا ٱلَّذِى ٱسْتَنصَرَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُۥۚ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰٓ إِنَّكَ لَغَوِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾ فَلَمَّآ أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِٱلَّذِى هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِى كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًۢا بِٱلْأَمْسِۖ إِن تُرِيدُ إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴿١٩﴾ وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢٠﴾ فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُۖ قَالَ رَبِّ نَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢١﴾

التفسير

• ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ﴾ من القوة والعقل أربعين سنة ﴿وَٱسْتَوَىٰٓ﴾ بكمال القوة والعقل ﴿ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ فقهاً وعلماً ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤﴾﴾ خيراً بإحسانهم.

• ﴿وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ﴾ موسى ﴿عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا﴾ مستخفياً عنهم ﴿فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ﴾ يختصمان ويتضاربان ﴿هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ﴾ من بني إسرائيل ﴿وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ﴾ من القبط ﴿فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ﴾ فضربه ﴿فَقَضَىٰ عَلَيْهِ﴾ أماته بتلك الوكزة ﴿قَالَ﴾ موسى: ﴿هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ ما فعلته في القبطي من تسويل الشيطان وتزيينه ﴿إِنَّهُۥ عَدُوٌّ﴾ للإنسان ﴿مُّضِلٌّ﴾ له عن الحق ﴿مُّبِينٌ ﴿١٥﴾﴾ ظاهر العداوة والإضلال.

• ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى﴾ بهذا الفعل ﴿فَٱغْفِرْ لِى﴾ تجاوز عن خطيئتي ﴿فَغَفَرَ لَهُۥٓ﴾ عفا عنه ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ﴾ ساتر ذنوب المذنبين ﴿ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦﴾﴾ بعباده المؤمنين.

• ﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ﴾ بهذا العفو والتجاوز ﴿فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴿١٧﴾﴾ عوناً لهم.

• ﴿فَأَصْبَحَ فِى ٱلْمَدِينَةِ خَآئِفًا﴾ من أثر فعله ﴿يَتَرَقَّبُ﴾ ما الذي يحدث له جزاء فعله ﴿فَإِذَا ٱلَّذِى ٱسْتَنصَرَهُۥ بِٱلْأَمْسِ﴾ صاحبه من بني إسرائيل ﴿يَسْتَصْرِخُهُۥ﴾ يطلب منه العون ﴿قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰٓ إِنَّكَ لَغَوِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾﴾ بيّن الغواية ظاهر الجرأة.

• ﴿فَلَمَّآ أَنْ أَرَادَ﴾ أي موسى ﴿أَن يَبْطِشَ بِٱلَّذِى هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا﴾ من القبط ﴿قَالَ يَـٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِى كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًۢا بِٱلْأَمْسِ﴾ تريد أن تكرِّر خطيئتك التي كانت منك أولاً ﴿إِن تُرِيدُ إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ بقتل الناس ﴿وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴿١٩﴾﴾ بفعل الخير.

• ﴿وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ﴾ يجري ﴿قَالَ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ﴾ القوم ﴿يَأْتَمِرُونَ بِكَ﴾ يتشاورون في أمرك ﴿لِيَقْتُلُوكَ﴾ جزاء ما فعلت في القبطي ﴿فَٱخْرُجْ﴾ من هــذه الأرض ﴿إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّـٰصِحِينَ ﴿٢٠﴾﴾ الذين يريدون لك الخير.

• ﴿فَخَرَجَ﴾ موسى ﴿مِنْهَا﴾ من تلك المدينة ﴿خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ﴾ من أن يُبْطَشَ به في الطريق ﴿قَالَ رَبِّ نَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٢١﴾﴾ أخرجني سالماً من كل ظالم.



١ ـ كلَّما كبر الإنسان حفظ نِعَمَ الله تعالى، وقام بواجبها ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ءَاتَيْنَـٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤﴾﴾ وكم من الفوضى في بدايات كل إنسان!

٢ ـ لا تُلْقِ بِنِعَمِ العلم علــى كل طارقٍ ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ءَاتَيْنَـٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤﴾﴾ فلن يحتفل بها إلا مَنْ يدرك آثارها في مستقبل الأيام.

٣ ـ المنن الكبار يجب ألَّا تُعطى إلَّا لمن يحتفل بها، ويقوم بشـأنها ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤﴾﴾ فـارغَ حديثك وأَعْطِهِ حقه، واختر له من يقوم بأثقاله مع الأيام.

٤ ـ العلم من عطايا الله تعالى، وإذا رزقك الله تعالى منه شـيئاً فاحمده على آلائه ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤﴾﴾ كثيرة صور (آتيناه) وهي ليست لموسى وحده، بل لك ولكل أحد من العالمين.

٥ ـ ﴿ءَاتَيْنَٰهُ﴾ تحتاج استعداداً وحسـنَ استقبال حتى ترد إليك ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾.

٦ ـ أصلح ما بينك وبين الله تعالى، وسـتجري عليك نعم الله تعالى كما يشـاء ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾.

٧ ـ هل تظنُّ أن الله تعالى لا يدري عن سـعيك وإحسانك واجتهادك وتعبك في سبيله! كلا! هذه هي البيِّنات ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾.

٨ ـ إحسانك في تعاملك مع ربك، وقيامك بواجبه، وتمثلك لشريعته هو الطريق الأوسع لمباهج التوفيق ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤﴾﴾.

٩ ـ إحسانك مع المخلوقين وقيامك بحقوقهم، وعونهم، ومساعدتهم، والوقوف معهم يفتح لك نوافذ الحياة ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤﴾﴾.

١٠ ـ تأكَّد! أن كل موقف إحسان ستُجْزَى عليه بما لا تتوقعه في ذلك اليوم ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤﴾﴾.

١١ ـ جُبلتِ النفوسُ على حُبِّ قومها وشيعتها وأهلها والإحسان إليهم، ولكن إياك أن يكون حبّك عوناً لهم على معصية، أو ظلم، أو جريرة باطل ﴿ وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ ﴾.

١٢ ـ كلَّما عظم شأنك احتاجك قومك، فكن بالقرب منهم من غير ظلمٍ أو بغيٍ أو عدوان ﴿ وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ ﴾.

١٣ ـ إياك أن تشارك في مساحة باطل، أو رأي منكر، أو قضية خذلان، تلك الهاويةُ التي ليس بعدها قيام ﴿ وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ ﴾.

١٤ ـ صورة من شؤم المسؤوليات: أن الله تعالى أنعم عليه بمسؤولية؛ فأجرى مال المسلمين لصالح قبيلته وأهله، على حساب المستضعفين ﴿ وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ ﴾.

١٥ ـ يا لروعة الكبار! يخطؤون ثم يجثون على ركبهم معترفين نادمين مستغفرين ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُۥٓ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦﴾ ﴾.

١٦ ـ الخطأ جِبِلَّة، والاستعتاب بعده من أخلاق الكبار ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُۥٓ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦﴾ ﴾.

١٧ ـ ليس بينك وبين غفران ذنبك وخطيئتك وإسرافك في حق ربك إلَّا أن تقف ببابه منكسراً نادماً مستعتباً طالباً للغفران ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُۥٓ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦﴾ ﴾.

١٨ ـ أيها الموغلون في الخطيئة! ربكم يحبُّ أن يغفرَ لعبده إذا أقبل عليه نادماً ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُۥٓ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦﴾ ﴾.

١٩ ـ من كمال نعمتك أن تهبها في سبيل الله ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴿١٧﴾ ﴾.

٢٠ ـ من شؤم وظيفتك ومسؤوليتك ومكانتك أن تنصر بها باطلاً، أو تؤيِّدَ بها رأياً مشؤوماً، أو تعينَ بها قضية فساد ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴿١٧﴾ ﴾.

٢١ ـ المعاصي تذل صاحبها، وتوجب له الخوف والقلق والاضطراب ﴿ فَأَصْبَحَ فِى ٱلْمَدِينَةِ خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ ﴾.

٢٢ ـ ترفَّع عن الدنايا حتى لا تذلَّ نفسك في موقفٍ يوماً ما ﴿ فَأَصْبَحَ فِى ٱلْمَدِينَةِ خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ ﴾.

٢٣ ـ أياً كانت الخطيئةُ فهي موجبة للقلق والحيرة والعثرات ﴿ فَأَصْبَحَ فِى ٱلْمَدِينَةِ خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ ﴾.

٢٤ ـ احتفل بأي رسالة تصلك فيها نصيحةٌ أو توجيهٌ ﴿ فَلَمَّآ أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِٱلَّذِى هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِى كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًۢا بِٱلْأَمْسِ إِن تُرِيدُ إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴾.

٢٥ ـ حتى عدوك قد يلقي إليك رسالة تنفعك في الدارين ﴿ فَلَمَّآ أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِٱلَّذِى هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِى كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًۢا بِٱلْأَمْسِ إِن تُرِيدُ إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴾.

٢٦ ـ هل توقعت يوماً أن مشكلاتك وعثراتك وأزمات طريقك هي التي ستنقلك إلى المجد! هذا الذي حدث مع رسـول الله موسـى عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّـٰصِحِينَ ﴿٢٠﴾ فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٢١﴾﴾.

٢٧ ـ آمِنْ أنَّ طريق الظلام وعثرات الأيام هي مسـتقبل أحلامك وآمالك ﴿وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّـٰصِحِينَ ﴿٢٠﴾ فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٢١﴾﴾.

٢٨ ـ غبار بعض الأقدام أثمن من عيش بعض الناس أعواماً ﴿وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّـٰصِحِينَ ﴿٢٠﴾﴾.

٢٩ ـ كم مرة ثار غبار قدميك في سبيل الله تعالى! ﴿وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّـٰصِحِينَ ﴿٢٠﴾﴾.

٣٠ ـ حدِّث الأمة عن تاريخك، وسـيحدِّثك صاحب الرسالة الفاعلة عن تاريخه ﴿وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّـٰصِحِينَ ﴿٢٠﴾﴾.

٣١ ـ تملك الكثير، ولكن مشـكلتك أن حركتك بطيئة بخلاف هذا البطل الذي أنقذ صاحب رسالة، وأحيا أمّةً بحركته الفاعلة ﴿وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّـٰصِحِينَ ﴿٢٠﴾﴾.

٣٢ ـ ليس مهماً شهادتك العلمية، أو مكانتك الوظيفية، المهم ما الذي تستطيع أن تُقدِّمه لدين الله تعالى ﴿وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّـٰصِحِينَ ﴿٢٠﴾﴾.

٣٣ ـ استشعر دورك حتى لو كنت في قرية نائية، وقم بواجبك في صناعة التاريخ ﴿وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢٠﴾﴾.

٣٤ ـ القلوب الحية تسهم بما لديها ولو كانت خطوة في سبيل الله ﴿وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢٠﴾﴾.

٣٥ ـ أسوأ شخصيات التاريخ على الإطلاق ذلك الذي يزعجك بالحديث عن أخطاء المصلحين، وقد ملَّه سريره من كثرة الجلوس ﴿وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢٠﴾﴾.

٣٦ ـ سجِّل موقفاً مشرِّفاً قبل أن تخرج من الحياة ﴿وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢٠﴾﴾.

٣٧ ـ غبِّر قدمك ولو مرة في سبيل دينك ومنهجك ﴿وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢٠﴾﴾.

٣٨ ـ لا تحدثنا عن مآسي المسلمين! حدِّثنا عن القَدْرِ الذي تستطيع أن تشارك به في دين الله تعالى ﴿وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢٠﴾﴾.

٣٩ ـ الإسلام يحتفل حتى بالخطوات التي تثير الأمل والحياة ﴿وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢٠﴾﴾.

٤٠ ـ حتى لو لم تسجِّل اسمك وعملك ومشروعك في قنوات التواصل الاجتماعي سيحتفل بك الإسلام، وستكون جزءاً من التاريخ ﴿وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢٠﴾﴾.

٤١ ـ ﴿وَجَآءَ رَجُلٌ﴾ حفـظ التاريـخ عمله وأبهم اسـمه ليعلِّمَـك أن الذي يجلُّ الأعمال، ويثير مباهجها هو ربك، وليس وسائل التواصل الاجتماعي.

٤٢ ـ قاتل الله الرياء! كلما قـدَّم عملاً صوَّره قائلاً: من باب حفظ الحقوق! ليتك قرأت الدرس من هذا المعنى ﴿وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢٠﴾﴾.

٤٣ ـ ﴿فَٱخْرُجْ﴾ إذا لم يكن للحياة إلا هذا الحل فوداعاً أيتها الديار!

٤٤ ـ ﴿إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾ كادت أن تختفي من حياة الأخيار والمصلحين وأصحاب الرايات فكيف بغيرهم!

٤٥ ـ ﴿إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾ هي الديـن، وقد باتت غريبـة بغربته، وحيدة بوحدته!

٤٦ ـ ﴿إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾ إن وجدتـم شـخصاً مـا زال يحملها ويقوم بتكاليفها؛ فأبلغوه مني السـلام، وقولوا له: أجرك كأجر من أحيا الإسلام في أرض موات!

❀ ❀ ❀

وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَآءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يَهْدِيَنِي سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿٢٢﴾ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِۖ قَالَ مَا خَطْبُكُمَاۖ قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُۖ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾ فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِي عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَاۚ فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْۖ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْأَمِينُ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَيَّ هَٰتَيْنِ عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِي ثَمَٰنِيَ حِجَجٍۖ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَۖ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَۚ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ ذَٰلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَۖ أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَٰنَ عَلَيَّۖ وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٢٨﴾

التفسير

• ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَآءَ مَدْيَنَ﴾ شمال غرب الحجاز ﴿قَالَ عَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يَهْدِيَنِي سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿٢٢﴾﴾ يدلني على الطريق الموصل إليها.

• ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ﴾ مواشيهم وأنعامهم ﴿وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ﴾ من دون تلك الأمة التي تسقي ﴿ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ﴾ غنمهما أن يختلط مع الرعاء ﴿قَالَ مَا خَطْبُكُمَا﴾ ما شأنكما ﴿قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ﴾ نتوقف حتى ينتهي الرعاء من السقي، ونسقي بعدهم ﴿وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾﴾ لا قوة به على السقي.

• ﴿فَسَقَىٰ لَهُمَا﴾ غنمهما ﴿ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ﴾ ذهب يستظل من الشمس ﴿فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾﴾ في حاجة لخيرك وعطائك.

• ﴿فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا﴾ امرأة ممَّن سقى لهما على البئر ﴿تَمْشِي عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ﴾ متأدبة ﴿قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ﴾ يطلب منك المجيء إليه ﴿لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾ ليعطيك أجرة ما قمت به من سقي مواشينا ﴿فَلَمَّا جَآءَهُۥ﴾ جاء موسى إلى والد من سقى لهما ﴿وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ﴾ خبره مع فرعون وقومه ﴿قَالَ لَا تَخَفْ﴾ مما فعلت ﴿نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥﴾﴾ من كل ظالم.

• ﴿قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا﴾ إحدى المرأتين ﴿يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ﴾ اجعله أجيراً عندك، يرعى الماشية ويقوم عليها ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِيُّ﴾ في عمله ﴿ٱلْأَمِينُ ﴿٢٦﴾﴾ في أداء واجبه.

• ﴿قَالَ﴾ صاحب مدين لموسى ﴿إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنۡ أُنكِحَكَ إِحۡدَى ٱبۡنَتَيَّ هَٰتَيۡنِ عَلَىٰٓ أَن تَأۡجُرَنِي ثَمَٰنِيَ حِجَجٖ﴾ تعمل عندي أجيراً لثمان سنوات ﴿فَإِنۡ أَتۡمَمۡتَ عَشۡرٗا فَمِنۡ عِندِكَ﴾ زدت على الثمان سنتين؛ فذلك فضل منك وتبرع ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أَشُقَّ عَلَيۡكَ﴾ بطلب عشر سنوات ﴿سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ٢٧﴾ في الوفاء بما قلت لك.

• ﴿قَالَ ذَٰلِكَ بَيۡنِي وَبَيۡنَكَ﴾ رضيتُ بالزواج من ابنتك مقابل أن آجرك ثمان سنين ﴿أَيَّمَا ٱلۡأَجَلَيۡنِ قَضَيۡتُ فَلَا عُدۡوَٰنَ عَلَيَّ﴾ سواء قمت بالثمان، أو أتممت العشر ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٞ ٢٨﴾ أي شهيد عليم.

التَّدَبُّر

١ ـ يا الله! كم مرة يعلّمنا رسول الله موسى عليه السلام كيف يلج الإنسان لأمانيه من باب طاعة الله تعالى! ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلۡقَآءَ مَدۡيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يَهۡدِيَنِي سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ٢٢﴾.

٢ ـ نجاحك في مشروعك ودعوتك ورسالتك مرهونٌ بإقبالك على ربك، وسؤالك إياه التوفيق ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلۡقَآءَ مَدۡيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يَهۡدِيَنِي سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ٢٢﴾.

٣ ـ تعلّم كيف تلج باب الحياة من سؤال الله تعالى ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلۡقَآءَ مَدۡيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يَهۡدِيَنِي سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ٢٢﴾.

٤ ـ هل تدري أثر هذا الدعاء ﴿قَالَ عَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يَهۡدِيَنِي سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾ على موسى؟ أمَّنه، وزوَّجه، ورد إليه أنفاسه، وخرج إلى أعظم سبيل في الحياة. فلا تحتقر دعوةً تعرج إلى باب السماء.

٥ ـ ترقَّ في همتك في الدعاء درجات ﴿قَالَ عَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يَهْدِيَنِى سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾ ما قال: (يهديني السبيل) بل قال: ﴿قَالَ عَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يَهْدِيَنِى سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾.

٦ ـ تعرَّف على نفسك، وتعرَّف على ربك، واعلم أنك أفقر مخلوق بجانب الغني الكبير المتعال ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَآءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يَهْدِيَنِى سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿٢٢﴾﴾.

٧ ـ إذا وجدت في نفسك كِبْراً؛ فمرِّغْ وجهك بين يديه، وأَدِمْ سؤال الله تعالى بالتوفيق ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَآءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يَهْدِيَنِى سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿٢٢﴾﴾.

٨ ـ لم يتخلَّ موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ عن الدعاء في كل مواقفه حتَّى حين قتل القبطي ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُۥٓ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦﴾﴾ وحين توجه إلى مدين ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَآءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يَهْدِيَنِى سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿٢٢﴾﴾ وحين بذل معروفاً وسقى للمرأتين ﴿فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾﴾ قلتُ لك ألف مرة: الذي يعرف قيمة الدعاء يتنزَّل عليه توفيق السماء!

٩ ـ الكبار يقلقهم واقع الأمة، ولا يمكن أن يتخلَّفوا عن موقع فيه مجال للعمل والبناء ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ ۖ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا ۖ قَالَتَا لَا نَسْقِى حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ ۖ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾﴾.

١٠ ـ القلوب الكبيرة يؤلمها أن ترى الضعفاء مهملين على قارعة الطريق ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ ۖ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا ۖ قَالَتَا لَا نَسْقِى حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ ۖ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾﴾.

١١ ـ من أخلاق الكبار والمصلحين شعورهم بمن حولهم، وإثراء ساحات المحتاجين بالعطاء ﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ ۖ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا ۖ قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ الرِّعَاءُ ۖ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ (٢٣) فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰ إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ (٢٤) ﴾.

١٢ ـ يا لجمال العفاف والطهارة والنقاء! ﴿قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ الرِّعَاءُ﴾ ويا لجمال الأدب وحسن الاعتذار! ﴿وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾.

١٣ ـ البيوت الكبيرة تورث معاني العز والشرف والكبرياء ﴿قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ الرِّعَاءُ ۖ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾.

١٤ ـ فتاتان لا تخالطان الرعاة في موارد الحاجة والضرورة، وأخريات يَقِفْنَ في عرض الطريق تبيع الحياء، وتبيع في الوقت ذاته الحياة، يا له من فرق! ﴿قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ الرِّعَاءُ ۖ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾.

١٥ ـ يستحق هذا البيت أن يكون نبي الله تعالى صهراً فيه ﴿قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ الرِّعَاءُ ۖ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾.

١٦ ـ العفة والطهارة تبني عرساً على جدار بئر! ﴿قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ الرِّعَاءُ ۖ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾.

١٧ ـ طهرك يا فتاة هو الذي يعجّل بعرسك، ويبني أمله ﴿قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ الرِّعَاءُ ۖ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾.

١٨ ـ هل كانت تظن هذه الفتاة أن بينها وبين قرار العمر مجرد لحظات عفاف! ﴿قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ الرِّعَاءُ ۖ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾ ليت نساءنا يدركن مباهج الطهر!

١٩ ـ أيها الأب! لن تقدم لابنتك في تاريخك كلِّه مثل التقوى والعفاف ﴿قَالَتَا لَا نَسْقِى حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾.

٢٠ ـ إذا أراد الله تعالى شيئاً جعل له الأسباب الكفيلة بنجاحه ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِى حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾﴾ ما الذي جاء به إلى هنا، وما شأنه ببئر مدين! لولا ما قدَّره الله تعالى من الأسباب.

٢١ ـ اعتن بالمواقف التي تعترضك؛ فقد يكون منها تاريخك ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِى حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾﴾.

٢٢ ـ كم من موقفٍ عارضٍ احتسب فيه الإنسان؛ فبنى منه مستقبل الأيام ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِى حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾﴾.

٢٣ ـ استثمر لحظتك؛ فالحياة فرص ﴿فَسَقَىٰ لَهُمَا﴾.

٢٤ ـ متى نفقه هذا الفن في الحياة؟! ﴿فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾﴾ سقى، وسأل الله فحسب!

٢٥ ـ إذا صنعت معروفاً فسل الله أن يعوِّضك ﴿فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾﴾.

٢٦ ـ إذا أثرت واقعاً بالعمل؛ فتوجه إلى الله ومحراب مسجدك، وسل الله تعالى أن يتقبَّلَ منك عملــك ﴿ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾ ﴾.

٢٧ ـ إذا بنيت صرحاً من أمل لمخلوق في عارضة الطريق؛ فلا تخرجه في إعلام يمجِّد ذكرك، بل توجَّه إلى أقرب مكان، واخلو فيه بربك ﴿ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾ ﴾.

٢٨ ـ إذا صنعت معروفاً مع امرأة؛ فامضِ لطريقك وإياك والأسئلة المتكلَّفة عن الخصوصيــة ﴿ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾ ﴾.

٢٩ ـ في مرات كثيرة وظفها، خدمها، يسَّــر أمرها، وأخــذ جوالها ليتطمَّن على مستقبلها. (ضياع أجر، وخراب فضيلة) ﴿ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾ ﴾.

٣٠ ـ الكبار يحسنون فنَّ العمل أولاً ﴿ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾ ﴾.

٣١ ـ تأمل هذا الدور البنّاء المثير! ﴿ فَسَقَىٰ لَهُمَا ﴾ وانظر هذه الروح التي لا تمنُّ بعمل، وإنما تحسن الإقبال على الله تعالى دون كلل ﴿ ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴾.

٣٢ ـ يا الله! كم من عمل ضيَّعناه بالكِبْــر والمنِّ على الله، وهذا كلَّما صنع حدثاً مثيراً وقــف بين يــدي الله ﴿ ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴾.

٣٣ ـ أعد قراءة هذا المعنى جيداً ﴿ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ فقير إليك، فقير لعونك، لتوفيقك، لهبات فضلك، فقير لكلِّ شيء منك.

٣٤ ـ ﴿فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِى عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ﴾ لا تضرب بكعبها الأرض، ولا تتغنَّج في مشيتها في الطريق، درس لفتياتنا في الأدب!

٣٥ ـ ﴿فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِى عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ﴾ على استحياء، لا تماكس بائعاً، أو تمازحه في عرض السوق.

٣٦ ـ في البيوت الكبيرة يدار الحوار في أجواء آمنة من الريب والقلق والشكوك ﴿قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَـٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ ۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ ﴿٢٦﴾﴾.

٣٧ ـ في البيوت الرائعة ليس من حق الفتاة أن تشارك في الحوار فحسب، بل من حقها أن تبدأ بالطرح، وتدلي برأيها كأيِّ مشارك ﴿قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَـٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ ۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ ﴿٢٦﴾﴾.

٣٨ ـ هذه تدلي برأيها، وتشير على أبيها. وفي مثل زمانك ربما لا يشركها في أمر زواجها، أو ربما لو قالت لفُرِضَ عليها الحصارُ زمناً طويلاً، وحرمها من الزواج أصلاً ﴿قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَـٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ ۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ ﴿٢٦﴾﴾.

٣٩ ـ ﴿قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَـٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ ۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ ﴿٢٦﴾﴾ درسٌ في أجواء البيوت الرائعة.

٤٠ ـ احتفلوا بالنساء، كم من امرأة صنعت مشروعاً رائعاً في الحياة! ﴿قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَـٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ ۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ ﴿٢٦﴾﴾.

٤١ ـ كم مـرة تكلَّمتَ مع ابنتك فـي موضوع زواجها! ومشـروعها في الحياة! وعلاقتهـا التي تجريها في زمانها، وشـعرتْ أنك تريد لها السـعادة؟! ﴿ قَالَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا يَـٰٓأَبَتِ ٱسۡتَـٔۡجِرۡهُۖ إِنَّ خَيۡرَ مَنِ ٱسۡتَـٔۡجَرۡتَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡأَمِينُ ﴿٢٦﴾ ﴾.

٤٢ ـ كم مرة تسلَّلت إلى جوالها، وحقيبتها، وفتشتها، وألقيت عليها حصاراً مُرَّاً لأشهر أو لأعوام! ﴿ قَالَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا يَـٰٓأَبَتِ ٱسۡتَـٔۡجِرۡهُۖ إِنَّ خَيۡرَ مَنِ ٱسۡتَـٔۡجَرۡتَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡأَمِينُ ﴿٢٦﴾ ﴾.

٤٣ ـ من فضلك أَشْعِرْ فلذة كبدك وروحك التي تسعى في الأرض أنها يمكن أن تحدِّث أباها وهي تشـعر بالفرح ﴿ قَالَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا يَـٰٓأَبَتِ ٱسۡتَـٔۡجِرۡهُۖ إِنَّ خَيۡرَ مَنِ ٱسۡتَـٔۡجَرۡتَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡأَمِينُ ﴿٢٦﴾ ﴾.

٤٤ ـ القوة والأمانة تـاجُ الفضيلة في مسـؤوليات الحياة ﴿ قَالَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا يَـٰٓأَبَتِ ٱسۡتَـٔۡجِرۡهُۖ إِنَّ خَيۡرَ مَنِ ٱسۡتَـٔۡجَرۡتَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡأَمِينُ ﴿٢٦﴾ ﴾.

٤٥ ـ إذا وجدت من فتح الله تعالى عليه قوة وأمانة فالزمه ﴿ قَالَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا يَـٰٓأَبَتِ ٱسۡتَـٔۡجِرۡهُۖ إِنَّ خَيۡرَ مَنِ ٱسۡتَـٔۡجَرۡتَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡأَمِينُ ﴿٢٦﴾ ﴾.

٤٦ ـ كم من قويٍّ فاجرٍ أكل أموال المسلمين، وأضاع مستقبل وطنه وأمته! وكم من أمينٍ ضعيف أضاع مستقبلها بالخور والتردد! ﴿ قَالَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا يَـٰٓأَبَتِ ٱسۡتَـٔۡجِرۡهُۖ إِنَّ خَيۡرَ مَنِ ٱسۡتَـٔۡجَرۡتَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡأَمِينُ ﴿٢٦﴾ ﴾.

٤٧ ـ أموال مهدرة ضاعت تحت أيدي مستبدين غير أمناء ﴿ قَالَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا يَـٰٓأَبَتِ ٱسۡتَـٔۡجِرۡهُۖ إِنَّ خَيۡرَ مَنِ ٱسۡتَـٔۡجَرۡتَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡأَمِينُ ﴿٢٦﴾ ﴾ ومسؤوليات ألقت برحاب الفوضى في واقعها؛ لأنها تُدار بأيدي أمناء ضعفاء!

٤٨ ـ الأجواء المفتوحة تستحقُّ هذا العرض وهذا الرد ﴿ قَالَ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنۡ أُنكِحَكَ إِحۡدَى ٱبۡنَتَيَّ هَـٰتَيۡنِ عَلَىٰٓ أَن تَأۡجُرَنِي ثَمَٰنِيَ حِجَجٖۖ فَإِنۡ أَتۡمَمۡتَ عَشۡرٗا فَمِنۡ عِندِكَۖ وَمَآ

أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ ۚ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ ذَٰلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ ۖ أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَٰنَ عَلَيَّ ۖ وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٢٨﴾ ﴾.

٤٩ ـ من فقه الرجل ووعيه أن يختار زوجاً صالحاً لابنته ﴿ قَالَ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَيَّ هَٰتَيْنِ عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِي ثَمَٰنِيَ حِجَجٍ ۖ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ ۖ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ ۚ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾.

٥٠ ـ إذا بذل لك أحدٌ جميلاً، أو وقف معك موقفاً مشرفاً؛ فإياك أن تدعه دون الإكرام ﴿ قَالَ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَيَّ هَٰتَيْنِ عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِي ثَمَٰنِيَ حِجَجٍ ۖ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ ۖ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ ۚ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾.

٥١ ـ هل سبق لك أن تعاملت مع عاملك، أو موظفك، أو من هو تحت ولايتك بهذا المعنى ﴿ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ ﴾! هذه أخلاق الكبار!

٥٢ ـ يأتي قريبه ورحمه وأولى الناس به لزواج ابنته فيحمِّله بالديون، ويصبح أسيراً للهموم، وفاتته بهذا مشاهد الكبار ﴿ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ ﴾.

٥٣ ـ يستأجر عاملاً دون عقد، ثم يكلِّفه في كل مرة بعمل يرهقه ويتعبه، ويسلبه أبسط حقوقه، وفاتهُ ﴿ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ ﴾.

٥٤ ـ رأيت بعضهم يستأجره لشيء ثم يكلفه بأشياء أخرى ﴿ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ ﴾.

٥٥ ـ ورأيت بعضهم يستعمله على عمل، وإذا كلَّفه بعمل آخر زاده في الأجر ﴿ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ ﴾.

❀ ❀ ❀

۞ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٢٩﴾ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ مِن شَٰطِئِ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٠﴾ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ۚ يَٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ ۖ إِنَّكَ مِنَ ٱلْءَامِنِينَ ﴿٣١﴾ ٱسْلُكْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهْبِ ۖ فَذَٰنِكَ بُرْهَٰنَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿٣٣﴾ وَأَخِى هَٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّى لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِىَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِىٓ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿٣٤﴾ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَٰنًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا ۚ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٣٥﴾

التفسير

• ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ﴾ السنون الثمان أو العشر ﴿وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ﴾ قاصداً مصر ﴿ءَانَسَ﴾ أبصر ﴿مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ﴾ من جهة جبل الطور ﴿نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟﴾ انتظروا ﴿إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا﴾ أبصرت ناراً ﴿لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ﴾ ينفعنا في سيرنا ﴿أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ﴾ شعلة من النار ﴿لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٢٩﴾﴾ تستدفئون بها من البرد.

• ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا﴾ أي النار ﴿نُودِىَ مِن شَٰطِئِ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ﴾ من جانب الوادي الأيمن لموسى ﴿فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ في البقعة المباركة من الوادي عند الشجرة ﴿أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٠﴾﴾ الذي يخاطبك ويكلمك هو الله تعالى.

• ﴿وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ﴾ التي في يدك ﴿فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ﴾ تضطرب وتتحرك ﴿كَأَنَّهَا جَآنٌّ﴾ حيّة صغيرة في حركتها ﴿وَلَّىٰ مُدْبِرًا﴾ هارباً ﴿وَلَمْ يُعَقِّبْ﴾ ولم يلتفت من الخوف ﴿يَٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ﴾ تعال ﴿وَلَا تَخَفْ ۖ إِنَّكَ مِنَ ٱلْءَامِنِينَ ﴿٣١﴾﴾ ناداه الله تعالى، وطمأنه عن أن يناله سوء.

• ﴿ٱسْلُكْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ﴾ أدخِلْ يدك في جيب ثوبك ﴿تَخْرُجْ بَيْضَآءَ﴾ تراها بيضاء لامعة ﴿مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ﴾ من غير برص ﴿وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ﴾ يداك ﴿مِنَ ٱلرَّهْبِ﴾ من الخوف، وعده الله تعالى إذا خاف من شيء أن يضم يده إلى جسده، فيذهب عنه ما يجده من الخوف ﴿فَذَٰنِكَ﴾ جعل العصا حية، وإخراج يدك من جيبك بيضاء ﴿بُرْهَٰنَانِ مِن رَّبِّكَ﴾ دليلان من الله تعالى ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦٓ﴾ قومه ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٣٢﴾﴾ خارجين عن طاعة الله تعالى.

- ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿٣٣﴾﴾ لقتلي القبطي.
- ﴿وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا﴾ معاوناً ومساعداً ﴿يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿٣٤﴾﴾ فلا يقبلون دعوتي لهم.
- ﴿قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ﴾ سنقوّي أمرك به، ونجعله عوناً لك في ذلك ﴿وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا﴾ حجّةً ظاهرةً قوية ﴿فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا﴾ فلا يتمكنون من إيذائكما بسبب إبلاغكما لآياتنا ﴿بِآيَاتِنَا أَنتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ ﴿٣٥﴾﴾ المنصورون الفائزون.

التَّدَبُّر

١ ـ لا تفعل أشياء دون أن تضع لها مبررات ﴿قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾.

٢ ـ سكِّن قلب هذه القلقة من دخولك وخروجك، يكفيها ألماً ما تلقاه من غيابك ﴿قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾.

٣ ـ لا تجعلها تموت، وهي لا تعرف عنك سوى: (ذاهب، ومسافر، وسأتأخر، ولدي موعد، وعندي اجتماع) ﴿قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾.

٤ ـ دعها تشعر بالأمن، سكِّن قلبها، أمِّن روعها أمَّنَ الله روعك يوم القيامة ﴿قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾.

٥ ـ ليس هذا شغلك، ولا هذا شأنك في التعامل مع أهلك ليس من أخلاق الكبار ﴿قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾.

٦ ـ هل تذكر معاناتك في مصر! وطريقك لمدين! وقصة زواجك وسنيّ الأجرة! لهذا كنا ننتظرك هنا ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ (٢٩) فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ مِن شَٰطِيِٕ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ (٣٠) وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ۚ يَٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ ۖ إِنَّكَ مِنَ ٱلْءَامِنِينَ (٣١) ٱسْلُكْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهْبِ ۖ فَذَٰنِكَ بُرْهَٰنَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْمًا فَٰسِقِينَ (٣٢)﴾.

٧ ـ ﴿أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ ۖ إِنَّكَ مِنَ ٱلْءَامِنِينَ﴾ ليست لموسى وحده، وإنما لكل جادٍّ سالكٍ ذلك الطريق.

٨ ـ ﴿أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ ۖ إِنَّكَ مِنَ ٱلْءَامِنِينَ﴾ لكل صاحب مشروع بذل كل الأسباب الممكنة لبلوغ أمله وتحديات واقعه.

٩ ـ الظلام الذي يغطي الأرض يحتاج لمصلح يبدده، ويعجِّل بفجر الأمل ﴿فَذَٰنِكَ بُرْهَٰنَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْمًا فَٰسِقِينَ﴾.

١٠ ـ الأفراد الذين يُرادُ منهم تغيير العالم يحتاجون إلى إعداد لمواجهة ذلك الظلام ﴿فَذَٰنِكَ بُرْهَٰنَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْمًا فَٰسِقِينَ﴾.

١١ ـ بُحْ لربك بأسرارك وخوفك وقلقك، لا تخجل، قل كل ما عندك! الله سيعينك ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّى قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ (٣٣)﴾.

١٢ ـ ماذا لو قلنا لله تعالى كل شـيء، وسـألناه راغبين مضطرين! ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿٣٣﴾ ﴾.

١٣ ـ ما أروع المكاشـفة مع الله تعالى! ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿٣٣﴾ ﴾!

١٤ ـ اعترف! قل كلَّ ما بخاطرك لربِّك حتى ما تراه عيباً ومشكلة كبرى: لا تقلق؛ فالله يسمعك ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿٣٣﴾ ﴾.

١٥ ـ قل لإخوانـك الذين تثق فيهم إذا عهدوا إليك بمشـروع كبير، قل لهم كل ما عندك، وما ظروفك، وما واقعك، ولا تخفي عنهم أشياء قد تعذرك ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿٣٣﴾ ﴾.

١٦ ـ حتى قصورك، وضعف مهاراتك، وقلة إمكاناتك، وطبيعة نفسـك؛ قل كل شيء ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿٣٣﴾ ﴾.

١٧ ـ ليس عيبـاً أو حرجاً أو ضعفاً أن تدلي بقصـورك، وتطلب مَنْ يعينك على رسالة الحياة ﴿ وَأَخِي هَـٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِيٓ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿٣٤﴾ ﴾.

١٨ ـ يا لعظمة بعض النفوس! تعترف بتقصيرها، وتثني على قدرات من يعينها، وتنشد الحياة ﴿ وَأَخِي هَـٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِيٓ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿٣٤﴾ ﴾.

١٩ ـ من الفقه أن نعرف قدراتنا وإمكاناتنا، ونعترف بقصورنا، ونسأل كمالها من خلال الآخرين ﴿ وَأَخِي هَـٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِيٓ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿٣٤﴾ ﴾.

٢٠ ـ أين هذه الأخلاق من إنسـان هو كومة أخطاء، وغير مستعد ولا للحظة أن

يعترف بواحدةٍ منها ﴿وَأَخِي هَٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِيٓ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿٣٤﴾﴾.

٢١ ـ من نُبْلِكَ وصدقك، وعظيم إخلاصك أن تعترف بما لديك، وما لدى الآخرين ﴿وَأَخِي هَٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِيٓ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿٣٤﴾﴾.

٢٢ ـ ألا قاتل الله الكبر والاستبداد! ﴿وَأَخِي هَٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِيٓ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿٣٤﴾﴾ هذا نبيٌّ يعلن ذلك على الملأ، وذاك جاهل لا يعترف بشيء.

٢٣ ـ جزء كبير من مشكلاتنا أننا ما زلنا نعمل كلَّ ما بوسعنا لتغطية أخطائنا، وعدم كشف قصورنا، ونرفض ـ وبكل شدة ـ أن نعترف بشيء منها ﴿وَأَخِي هَٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِيٓ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿٣٤﴾﴾.

٢٤ ـ إذا رزقك الله تعالى أخاً صادقاً في مشروعك؛ فقد انجلت عنك هموم الحياة ﴿وَأَخِي هَٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِيٓ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿٣٤﴾﴾.

٢٥ ـ من صنائع المعروف التي لا تُنْسَىٰ لك أن تعين إنساناً على نجاح فكرته ومشروعه في الحياة ﴿وَأَخِي هَٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِيٓ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿٣٤﴾﴾.

٢٦ ـ الاعتراف بقصورك يرفعك، ويعينك ويسددك، ويهب لك أمانيك ﴿قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَٰنًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا ۚ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٣٥﴾﴾.

٢٧ ـ ﴿قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ﴾ إذا تيسرت لك في أي فكرة، أو مشروع، أو رحلة عمل؛ فقد تحقَّق لك ما تشاء.

فَلَمَّا جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا بَيِّنَٰتٍ قَالُوا۟ مَا هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٦﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبِّىٓ أَعْلَمُ بِمَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ مِنْ عِندِهِۦ وَمَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى فَأَوْقِدْ لِى يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣٨﴾ وَٱسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ وَأَتْبَعْنَٰهُمْ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ هُم مِّنَ ٱلْمَقْبُوحِينَ ﴿٤٢﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَىٰ بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٣﴾

التفسير

- ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا بَيِّنَٰتٍ﴾ واضحات ﴿قَالُواْ مَا هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ مُّفۡتَرٗى﴾ مفتعل مصنوع ﴿وَمَا سَمِعۡنَا بِهَٰذَا فِيٓ ءَابَآئِنَا ٱلۡأَوَّلِينَ ٣٦﴾ ما تدعونا إليه شيءٌ لا أصل له.

- ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ رَبِّيٓ أَعۡلَمُ بِمَن جَآءَ بِٱلۡهُدَىٰ مِنۡ عِندِهِۦ﴾ سواء أنا أو أنتم ﴿وَمَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ﴾ من يكون له النصر والتمكين ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٣٧﴾ لا ينجح الظالم مهما كان أمره.

- ﴿وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَأُ مَا عَلِمۡتُ لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرِي﴾ فلا إله غيري ﴿فَأَوۡقِدۡ لِي يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ﴾ اطبخ لي الطين حتى يصير فخاراً ﴿فَٱجۡعَل لِّي صَرۡحٗا﴾ مبنًى عالياً منه ﴿لَّعَلِّيٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ﴾ أصعد إليه ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ٣٨﴾ فيما يقول أن له إلهاً يعبده.

- ﴿وَٱسۡتَكۡبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ﴾ علا فرعون وتكبَّر وتجبَّر ﴿وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ إِلَيۡنَا لَا يُرۡجَعُونَ ٣٩﴾ لا يُبعثون ولا يُحاسبون.

- ﴿فَأَخَذۡنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡيَمِّ﴾ أغرقناهم في البحر ﴿فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ٤٠﴾ فتأمل كيف هي عاقبة كل ظالم.

- ﴿وَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَئِمَّةٗ﴾ قادة ورؤساء لمن بعدهم ﴿يَدۡعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ﴾ إلى طريق النار ﴿وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ ٤١﴾ لا يجدون من يدفع عنهم عذاب الله تعالى.

- ﴿وَأَتۡبَعۡنَٰهُمۡ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا لَعۡنَةٗ﴾ طُردوا من رحمة الله تعالى في الدنيا ﴿وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ هُم مِّنَ ٱلۡمَقۡبُوحِينَ ٤٢﴾ المطرودين من جنته.

• ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾ التوراة ﴿مِنۢ بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَىٰ﴾ من الأمم الكافرة؛ كقوم نوح، وثمود، ولوط، ونحوهم ﴿بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ﴾ أنزلنا عليه التوراة لتكون نوراً لقلوبهم يبصرون به الحقائق ﴿وَهُدًى﴾ إلى الحق ﴿وَرَحْمَةً﴾ من عذاب الله تعالى ﴿لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٣﴾﴾ ما ينفعهم ويدفعهم إلى الخير.

التَّدَبُّر

١ ـ ليست مشكلة العدو عدم وضوح الحق لديه، مشكلته جاهليته التي لا يمكن أن ينفك عنها ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا بَيِّنَٰتٍ قَالُوا۟ مَا هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٦﴾﴾.

٢ ـ هي الحجة الواهية ذاتها تتكرر مع كل رسـول، وفـي مواقف الحق ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا بَيِّنَٰتٍ قَالُوا۟ مَا هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٦﴾﴾ العقول المؤجرة لن تبرح فكرتها الأولى.

٣ ـ هل من شرط الحق أن يخرج من فم أبيك! يا لقبح الجاهلية! ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا بَيِّنَٰتٍ قَالُوا۟ مَا هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٦﴾﴾.

٤ ـ الشرف الكبير لا يستحقه أهل الضلال ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا بَيِّنَٰتٍ قَالُوا۟ مَا هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٦﴾﴾.

٥ ـ انتظروا بعثة آبائكم! سيصفون لكم حوادثها حين اللقاء ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا بَيِّنَٰتٍ قَالُوا۟ مَا هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٦﴾﴾.

٦ ـ هيِّئ نفسك لمواجهة مجتمعك وسَدَنَةِ الضلالة فيه، وأنقذهم في قيم الجاهليات ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا بَيِّنَٰتٍ قَالُواْ مَا هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ مُّفۡتَرٗى وَمَا سَمِعۡنَا بِهَٰذَا فِيٓ ءَابَآئِنَا ٱلۡأَوَّلِينَ ٣٦﴾.

٧ ـ تأكَّد تماماً أن مشروعك، وفكرتك، ودعوتك ستلقى الطريق نفسه ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا بَيِّنَٰتٍ قَالُواْ مَا هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ مُّفۡتَرٗى وَمَا سَمِعۡنَا بِهَٰذَا فِيٓ ءَابَآئِنَا ٱلۡأَوَّلِينَ ٣٦﴾.

٨ ـ يا الله! ما هذا التواضع المثير ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ رَبِّيٓ أَعۡلَمُ بِمَن جَآءَ بِٱلۡهُدَىٰ مِنۡ عِندِهِۦ وَمَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِۚ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٣٧﴾ أوكل الأمر لربه مع أنه يعرف هذه الحقيقة بكامل تفاصيلها.

٩ ـ هكذا يصنع العلم أهله ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ رَبِّيٓ أَعۡلَمُ بِمَن جَآءَ بِٱلۡهُدَىٰ مِنۡ عِندِهِۦ وَمَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِۚ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٣٧﴾.

١٠ ـ بشِّروا كل ظالم أنه لا لقاء بينه وبين الفلاح في الدارين ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾.

١١ ـ حتى لو توظَّف وترقَّىٰ واتجر ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾.

١٢ ـ بَلِّغوه بهذه الحقيقة قبل أن يغرق في تفاصيلها، دلُّوه على الطريق قبل الفوات ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾.

١٣ ـ صنع كل شيء ثم قاله علانية ﴿وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَأُ مَا عَلِمۡتُ لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرِي﴾.

١٤ ـ القطيع السائب يعلِّم الوحوش المفترسة الجرأة ﴿وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَأُ مَا عَلِمۡتُ لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرِي﴾.

١٥ ـ هذه مشكلة الدهماء من الجماهير، يؤلِّهون سادتهم حتى يتجرؤون على ربهم تعالى ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى﴾.

١٦ ـ واشوقاه لكلمة ذلك الكبير ﴿أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ﴾ [هود: ٧٨] ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى﴾.

١٧ ـ أي مجتمع يخلو منه الأحرار؛ فتوقَّع أن تعاد فيه الجرأة على الله ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى﴾.

١٨ ـ بعض العبيد لا يصلح إلا للخدمة ﴿فَأَوْقِدْ لِى يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا﴾.

١٩ ـ هل تصورت أنه عاش يلتُّ الطين ويوقد عليه؛ فلا هو وقى وجهه من النار، ولا هو الذي وقاه من ذل العبودية لبشر، قاتل الله الجبن والنفاق! ﴿فَأَوْقِدْ لِى يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا﴾.

٢٠ ـ هذا يريد بناء صرح، وقوم يغسِّلون أقدام سادتهم! ﴿فَأَوْقِدْ لِى يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا﴾.

٢١ ـ هذه مسؤوليات الكبار ﴿وَٱسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ ﴿٣٩﴾﴾.

٢٢ ـ ترسخ المسؤوليات في قلوب أصحابها الكبر حتى تُنسيهم شيئاً اسمه الآخرة ﴿وَٱسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ ﴿٣٩﴾﴾.

٢٣ ـ إذا بلغ الإنسان حدَّه من الطغيان، أنكسه الله تعالى على أُمِّ رأسه ﴿فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾﴾.

٢٤ ـ هل تصوَّرت قوة الله تعالى! انظر مشهد الختام ﴿فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾﴾.

٢٥ ـ هل تصوَّرت الذي ينادي في مصر: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَأُ مَا عَلِمۡتُ لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرِي﴾ هو ذاته الذي وطأ بقدمه البحر، ويشرب منه حتى غرق! يا لحقارة المتكبِّرين!

٢٦ ـ اخرج من بيتك، اذهب هناك، انظر في الظالمين الهالكين، تعبَّد لربك بالتأمُّل في مشاهد ختامهم ﴿فَأَخَذۡنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡيَمِّۖ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾﴾.

٢٧ ـ هل تصورت إماماً على شفير جهنم يدعو أتباعه للهلكة! ﴿وَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَئِمَّةٗ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلنَّارِۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾﴾.

٢٨ ـ أئمة الضلال هنا هم أنفسهم أئمة العذاب والنار هناك ﴿وَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَئِمَّةٗ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلنَّارِۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾﴾.

٢٩ ـ التابع والمتبوع في دركات جهنم ﴿وَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَئِمَّةٗ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلنَّارِۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾﴾.

٣٠ ـ لن ينفعك دويُّ تصفيق الجماهير، إن قدتهم هنا إلى الضلالة؛ فستقودهم هناك إلى النار ﴿وَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَئِمَّةٗ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلنَّارِۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾﴾.

٣١ ـ ما الذي جنوه في النهاية ﴿وَأَتۡبَعۡنَٰهُمۡ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا لَعۡنَةٗۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ هُم مِّنَ ٱلۡمَقۡبُوحِينَ ﴿٤٢﴾﴾.

٣٢ ـ مؤسف جداً: لا سعادة عاشوها في الدنيا، ولا راحة ونعيماً وجدوها في الآخرة ﴿وَأَتۡبَعۡنَٰهُمۡ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا لَعۡنَةٗۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ هُم مِّنَ ٱلۡمَقۡبُوحِينَ ﴿٤٢﴾﴾ هكذا خسروا في النهاية كل شيء!

❀ ❀ ❀

وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٤٤﴾ وَلَٰكِنَّآ أَنشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ ۚ وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا وَلَٰكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٤٥﴾ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَٰكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَوْلَآ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا۟ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا۟ لَوْلَآ أُوتِىَ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ مُوسَىٰٓ ۚ أَوَلَمْ يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ۖ قَالُوا۟ سِحْرَانِ تَظَٰهَرَا وَقَالُوٓا۟ إِنَّا بِكُلٍّ كَٰفِرُونَ ﴿٤٨﴾ قُلْ فَأْتُوا۟ بِكِتَٰبٍ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَآ أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٩﴾ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٠﴾

التفسير

• ﴿وَمَا كُنتَ﴾ يا رسول الله ﴿بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِيِّ﴾ غربي الجبل ﴿إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ﴾ حين أوحينا إلى موسى ما أوحيناه إليه ﴿وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٤٤﴾﴾ لذلك، ولكن الله تعالى أوحى إليك ذلك كله.

• ﴿وَلَٰكِنَّآ أَنشَأْنَا قُرُونًا﴾ خلقنا أمماً بين زمان موسى وزمانك يا رسول الله ﴿فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ﴾ طالت عليهم المهلة ﴿وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ﴾ مقيماً فيهم ﴿تَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا﴾ تبيِّنها وتوضِّحها ﴿وَلَٰكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٤٥﴾﴾ وإنما أوحينا إليك وأرسلناك بذلك.

• ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا﴾ حين نادينا موسى ﴿وَلَٰكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾ أخبرك به ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا﴾ بما أوحينا إليك ذلك ﴿مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ﴾ لم يأتهم رسول قبلك ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٦﴾﴾ ما ينفعهم ويبلغهم مرادهم.

• ﴿وَلَوْلَآ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ لو أنهم نالهم من عذاب الله تعالى جزاء ما فعلوا واقترفوا ﴿فَيَقُولُواْ﴾ لقالوا: ﴿رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾﴾ لو أرسلت إلينا رسولاً لاتبعنا آياتك وكنا من المؤمنين.

• ﴿فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا﴾ بإرسال رسولنا محمد ﷺ إليهم ﴿قَالُواْ لَوْلَآ أُوتِىَ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ مُوسَىٰٓ﴾ من الآيات التي أوتيها؛ كالعصا، واليد، والطوفان، ونحوها من الآيات ﴿أَوَلَمْ يَكْفُرُواْ﴾ من كان قبلهم ﴿بِمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ﴾ من رسالة الله تعالى مع ما جاء معها بالآيات البيّنات ﴿قَالُواْ

سِحْرَانِ﴾ التوراة والقرآن ﴿تَظَٰهَرَا﴾ تعاونا عليه موسى ومحمد ﴿وَقَالُوٓاْ إِنَّا بِكُلٍّ كَٰفِرُونَ ﴿٤٨﴾﴾ ما جاء به موسى بالأمس، وما جاء به محمد اليوم.

- ﴿قُلْ﴾ لهم يا رسول الله ﴿فَأْتُواْ بِكِتَٰبٍ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَآ﴾ أهدى من التوراة والقرآن ﴿أَتَّبِعْهُ﴾ فإن جئتم بذلك أتبعته فيما يرشد إليه ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٩﴾﴾ فيما وصفتم به موسى ومحمداً عليهما الصلاة والسلام.
- ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكَ﴾ في ذلك ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ﴾ لا بينة عندهم على ما يقولون ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ﴾ لا أحد أضلُّ ممن كان كذلك ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٠﴾﴾ لا يهديهم إلى سبل الفلاح.

التَّدَبُّرُ

١ ـ هذه المعالم المشرقة في كتاب الله تعالى؛ جزء من رحمته بالعالمين، ماذا لو لم يخبرنا الله تعالى في كتابه بشيء؟ ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِىِّ إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٤٤﴾ وَلَٰكِنَّآ أَنشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ ۚ وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا وَلَٰكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٤٥﴾ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَٰكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٦﴾﴾.

٢ ـ من توفيق الله تعالى لك أن تجد لفكرتك ومشروعك ورسالتك في الحياة تجارب سابقة، تستفيد منها، وتوظِّفها لصالحك ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِىِّ إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٤٤﴾ وَلَٰكِنَّآ أَنشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ ۚ وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا وَلَٰكِنَّا كُنَّا

مُرۡسِلِينَ ﴿٤٥﴾ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذۡ نَادَيۡنَا وَلَٰكِن رَّحۡمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوۡمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبۡلِكَ لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾.

٣ ـ إذا وقعت في مشكلة، أو أزمة، أو ظروف قاهرة؛ فتحسَّس أيامك القديمة، وخطواتك السابقة ﴿وَلَوۡلَآ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةُۢ بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡ ﴾.

٤ ـ الأزمات والظروف الحالكة، والأحداث التي تعرض لك في طريقك رسالة لتصحيح مسارك، وإعادة توجيه بوصلتك من جديد ﴿وَلَوۡلَآ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةُۢ بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡ ﴾.

٥ ـ اعتنِ بالحق الذي معك، وركِّز على قيمك ومبادئك، وليس بالضرورة أن تقضي وقتك في جدال المعاندين ﴿فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلۡحَقُّ مِنۡ عِندِنَا قَالُواْ لَوۡلَآ أُوتِيَ مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ مُوسَىٰٓۚ أَوَلَمۡ يَكۡفُرُواْ بِمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ مِن قَبۡلُۖ قَالُواْ سِحۡرَانِ تَظَٰهَرَا وَقَالُوٓاْ إِنَّا بِكُلّٖ كَٰفِرُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾.

٦ ـ الانشغال ببعض المجادلين ضياع لأولوياتك، وتكريس لمفاهيم الشكوك والأوهام في مواجهة الحق ﴿فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلۡحَقُّ مِنۡ عِندِنَا قَالُواْ لَوۡلَآ أُوتِيَ مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ مُوسَىٰٓۚ أَوَلَمۡ يَكۡفُرُواْ بِمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ مِن قَبۡلُۖ قَالُواْ سِحۡرَانِ تَظَٰهَرَا وَقَالُوٓاْ إِنَّا بِكُلّٖ كَٰفِرُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾.

٧ ـ كل من أعرض عن الحق فهو عبدٌ لهواه ﴿فَإِن لَّمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَكَ فَٱعۡلَمۡ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهۡوَآءَهُمۡۚ وَمَنۡ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيۡرِ هُدٗى مِّنَ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٠﴾ ﴾.

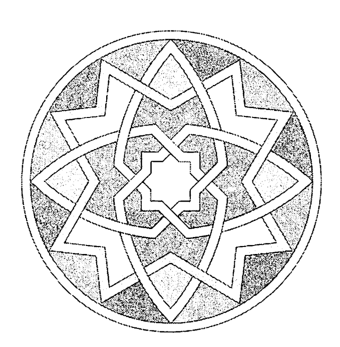
٨ ـ إما أن تكون عبداً لله تعالى، أو تكون عبداً لهواك، لا ثالث لهما! ﴿فَإِن لَّمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَكَ فَٱعۡلَمۡ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهۡوَآءَهُمۡۚ وَمَنۡ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيۡرِ هُدٗى مِّنَ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٠﴾ ﴾.

٩ ـ تحرَّز من الظلم قدر وسعك؛ فقد يقف عائقاً في طريق أمانيك ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

١٠ ـ تفقَّد أيامك السابقة، وأحداثك القديمة، ومواقفك الماضية؛ فلعل فيها ما حجب عنك مباهج التوفيق ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

١١ ـ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ حتى لو كان هذا المظلوم زوجة، أو ولداً، أو جاراً، أو زميل عمل، أو عاملاً وخادماً، أو من ولَّاك الله تعالى أمره يوماً ما، قد لا ترى الهداية بسبب هؤلاء؛ فتخلَّصْ من الظلم ما دام في وسعك الخلاص منه.





۞ وَلَقَدۡ وَصَّلۡنَا لَهُمُ ٱلۡقَوۡلَ لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥١﴾ ٱلَّذِينَ
ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤۡمِنُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ
قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبۡلِهِۦ مُسۡلِمِينَ ﴿٥٣﴾
أُوْلَٰٓئِكَ يُؤۡتَوۡنَ أَجۡرَهُم مَّرَّتَيۡنِ بِمَا صَبَرُواْ وَيَدۡرَءُونَ بِٱلۡحَسَنَةِ
ٱلسَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِذَا سَمِعُواْ ٱللَّغۡوَ
أَعۡرَضُواْ عَنۡهُ وَقَالُواْ لَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ لَا
نَبۡتَغِي ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴿٥٥﴾ إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ
يَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴿٥٦﴾ وَقَالُوٓاْ إِن نَّتَّبِعِ
ٱلۡهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفۡ مِنۡ أَرۡضِنَآۚ أَوَلَمۡ نُمَكِّن لَّهُمۡ حَرَمًا
ءَامِنٗا يُجۡبَىٰٓ إِلَيۡهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَيۡءٖ رِّزۡقٗا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ
أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٥٧﴾ وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِن قَرۡيَةِۭ
بَطِرَتۡ مَعِيشَتَهَاۖ فَتِلۡكَ مَسَٰكِنُهُمۡ لَمۡ تُسۡكَن مِّنۢ بَعۡدِهِمۡ
إِلَّا قَلِيلٗاۖ وَكُنَّا نَحۡنُ ٱلۡوَٰرِثِينَ ﴿٥٨﴾ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهۡلِكَ
ٱلۡقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبۡعَثَ فِيٓ أُمِّهَا رَسُولٗا يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِنَاۚ وَمَا
كُنَّا مُهۡلِكِي ٱلۡقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهۡلُهَا ظَٰلِمُونَ ﴿٥٩﴾

التفسير

• ﴿وَلَقَدۡ وَصَّلۡنَا لَهُمُ﴾ للمشركين واليهود من بني إسرائيل ﴿ٱلۡقَوۡلَ﴾ بقصص الأمم السابقة، وما نالهم من العذاب بتكذيب الرسالة ﴿لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ۝٥١﴾ ما ينفعهم.

• ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِهِۦ﴾ أنزلنا عليهم التوراة ﴿هُم بِهِۦ يُؤۡمِنُونَ ۝٥٢﴾ بما أنزل عليهم من كتاب.

• ﴿وَإِذَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ﴾ أي القرآن ﴿قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦٓ﴾ صدَّقنا بما فيه ﴿إِنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّنَآ﴾ صدقاً وحقاً ﴿إِنَّا كُنَّا مِن قَبۡلِهِۦ﴾ من قبل هذا القرآن ﴿مُسۡلِمِينَ ۝٥٣﴾ لله تعالى بما جاءنا عن طريق الأنبياء.

• ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُؤۡتَوۡنَ أَجۡرَهُم مَّرَّتَيۡنِ بِمَا صَبَرُواْ﴾ أجراً على الإيمان الأول بأنبيائهم، وأجراً على الإيمان الثاني برسول الله محمد ﷺ ﴿وَيَدۡرَءُونَ بِٱلۡحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ﴾ يدفعون السيئات بما يفعلون من حسنات ﴿وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ۝٥٤﴾ يبذلون أموالهم في سبيل الله تعالى.

• ﴿وَإِذَا سَمِعُواْ ٱللَّغۡوَ﴾ الكلام الباطل الذي لا فائدة فيه ﴿أَعۡرَضُواْ عَنۡهُ﴾ تجنَّبوه ﴿وَقَالُواْ لَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ﴾ لا تسمعون منا إلا الخير ﴿لَا نَبۡتَغِي ٱلۡجَٰهِلِينَ ۝٥٥﴾ في شيء.

• ﴿إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ﴾ مهما بلغ حرصك عليه ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ﴾ بحكمته ومشيئته ﴿وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ۝٥٦﴾ أعلم بمن يستحق الهداية، ومن لا يستحق.

• ﴿وَقَالُوٓاْ إِن نَّتَّبِعِ ٱلۡهُدَىٰ مَعَكَ﴾ نسلم ونؤمن بما جئت به ﴿نُتَخَطَّفۡ مِنۡ أَرۡضِنَآ﴾ بالقتل والأسر والأذى ممَّن تركنا دينهم ﴿أَوَلَمۡ نُمَكِّن لَّهُمۡ﴾ نجعل لهم ﴿حَرَمًا ءَامِنًا﴾ يقصده الناس، ويأمنون فيه ﴿يُجۡبَىٰٓ إِلَيۡهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ تساق إليه الثمار والأرزاق مما حوله من البلدان ﴿رِّزۡقًا مِّن لَّدُنَّا﴾ فضلاً وسعةً من عندنا ﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ٥٧﴾ نعم الله تعالى ومننه على عباده.

• ﴿وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِن قَرۡيَةِۭ بَطِرَتۡ مَعِيشَتَهَا﴾ تجبرت وتكبَّرت، وكفرت بأنعم الله تعالى ﴿فَتِلۡكَ مَسَٰكِنُهُمۡ لَمۡ تُسۡكَن مِّنۢ بَعۡدِهِمۡ إِلَّا قَلِيلٗا﴾ واندثرت ديارهم فلا تراها إلا خاوية إلا قليلاً منها التي عمرت بعد ذلك ﴿وَكُنَّا نَحۡنُ ٱلۡوَٰرِثِينَ ٥٨﴾ لهم ولمنازلهم.

• ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهۡلِكَ ٱلۡقُرَىٰ﴾ بعذاب ﴿حَتَّىٰ يَبۡعَثَ﴾ يرسل ﴿فِيٓ أُمِّهَا﴾ مكة ﴿رَسُولٗا يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِنَا﴾ التي أمرناه بتلاوتها ﴿وَمَا كُنَّا مُهۡلِكِي ٱلۡقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهۡلُهَا ظَٰلِمُونَ ٥٩﴾ ولا نهلك قرًى إلا بسبب ظلم أهلها.

التدبر

١ ـ لم تعد هناك حجَّةٌ لمخلوق ﴿وَلَقَدۡ وَصَّلۡنَا لَهُمُ ٱلۡقَوۡلَ لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ٥١﴾.

٢ ـ يمكنك أن تعرف الإسلام اليوم ورأسك على وسادة فراش نومك في بيتك ﴿وَلَقَدۡ وَصَّلۡنَا لَهُمُ ٱلۡقَوۡلَ لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ٥١﴾ من خلال هذه القنوات الفضائية التي تبث على مدار أربع وعشرين ساعة، وبغالب لغات العالم.

٣ ـ كل من له سهم في هذ المشروع (إيصال رسالة الله تعالى للعالمين عن طريق الإعلام) فليحتسب؛ فإن ذلك من أبلغ المشاريع ﴿وَلَقَدۡ وَصَّلۡنَا لَهُمُ ٱلۡقَوۡلَ لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ٥١﴾.

٤ ـ لقد كان في سلفهم وأصحابهم، ومَنْ على دينهم قومٌ قامت بهم الحجة؛ فليتأملوا قبل الفوات! ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ ﴿٥٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا۟ وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٥٤﴾﴾.

٥ ـ إذا لم يعرفوا ما الإسلام؛ فليسألوا بني جلدتهم الذين وجدوا لذته، والتزموا به ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ ﴿٥٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا۟ وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٥٤﴾﴾.

٦ ـ كل أحداثك المثيرة موقوفةٌ على فضيلة الصبر ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا۟﴾.

٧ ـ الذين احتفل بهم التاريخ في النهاية هم الذين صبروا ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا۟﴾.

٨ ـ لا يمكن أن تجد ناجحاً لم يتحل بهذه الفضيلة ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا۟﴾.

٩ ـ إذا اقترفت ذنباً فأتبعه بعمل الصالحات ﴿وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ﴾.

١٠ ـ أعظم ما نواجه به الخطيئة أن نتبعها بالحسنات ﴿وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ﴾.

١١ ـ تعلَّم! كلما أخطأت في شيء بينك وبين الله تعالى أَقِمْ له عملاً صالحاً، تسترضي به ربك، وتمحو به خطيئتك ﴿وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ﴾.

١٢ ـ النفقة في سبيل الله تعالى برهانُ إيمانِ العبد، وصلاحه، وتقواه ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾.

١٣ ـ إذا رزقك الله تعالى الإنفاق من مالك من أجل الخير فذلك من أعظم دلائل توفيقك وهداك ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾.

١٤ ـ ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ حتى من عرقك، وجهدك، وفكرتك، ومشروعك، ومسؤوليتك، وأحداث حياتك.

١٥ ـ من معانـــي الإيمـان الاســتعـلاء عن اللغو العارض فـــي الطريق ﴿وَإِذَا سَمِعُوا۟ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُوا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٥٥﴾﴾.

١٦ ـ إياك أن تُداهن باطلاً في البقاء معه لحظة في موقع رذيلة، أو مســاحة سفه وغوغـــاء ﴿وَإِذَا سَمِعُوا۟ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُوا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٥٥﴾﴾.

١٧ ـ قالوا له: من باب المصالح أن تبقى في مجالس السوء رعايةً للقلوب، فلمّا ثلموا دينه قالوا له: أنت لا تصلح لتمثيل هذا الدين ﴿وَإِذَا سَمِعُوا۟ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُوا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٥٥﴾﴾.

١٨ ـ استفرغ وسعك في دعوتك، ودعك وشأن القلوب؛ فأمرها إلى الله ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾﴾.

١٩ ـ لا تحمّل قلبك هموم المدعوين، وترهق نفســك في شـــيء ليس من شأنك معهم ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾﴾.

٢٠ ـ ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾﴾ دعوة لتقديم الواجب بغض النظر عن رؤية الثمار!

٢١ ـ حتى ولدك، وطالبك، وزوجك، وأقرب الناس إليك حسبك معهم أن تقوم بالواجب فحسب ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾﴾.

٢٢ ـ كل الذين حدثوك عن الثمرة وسألوك إياها أَعِدْ عليهم درس القرآن ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾﴾.

٢٣ ـ في كل مشروع تقدمه، أو رسالة تجتهد في بنائها أَرِحْ نفسك من تتبع الثمار، والسؤال عن النتائج ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾﴾.

٢٤ ـ حساب العوائد والتكاليف لا يصلح في دين الله تعالى ﴿وَقَالُوٓا۟ إِن نَّتَّبِعِ ٱلْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَآ ۚ أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾﴾.

٢٥ ـ يتخوَّفون منك، ويشعرون تجاهك بالقلق! إذاً لا يصلحون لحمل رسالتك وفكرتك ومشروعك ﴿وَقَالُوٓا۟ إِن نَّتَّبِعِ ٱلْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَآ ۚ أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾﴾.

٢٦ ـ حب الأوطان أصلٌ مانعٌ من حمل الدين! هذه جاهلية الأمس واليوم ﴿وَقَالُوٓا۟ إِن نَّتَّبِعِ ٱلْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَآ ۚ أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾﴾.

٢٧ ـ هذه المزاعم التي يردِّدونها مجرَّدُ أعذار ﴿وَقَالُوٓا۟ إِن نَّتَّبِعِ ٱلْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَآ﴾ بدليل ﴿أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ اختلاق الأعذار جزء من أخلاق الناكصين.

٢٨ ـ هذا الحرم في مكة، وهذه الجموع التي تتردَّد عليه، وهذا الأمن المستتبُّ في رحابه؛ من أعظم الأدلة على أن الإسلام دين الله تعالى، وسيظل ما بقيت الدنيا ﴿وَقَالُوٓاْ إِن نَّتَّبِعِ ٱلۡهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفۡ مِنۡ أَرۡضِنَآۚ أَوَلَمۡ نُمَكِّن لَّهُمۡ حَرَمًا ءَامِنٗا يُجۡبَىٰٓ إِلَيۡهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَيۡءٖ رِّزۡقٗا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ٥٧﴾.

٢٩ ـ أي مجتمع أو فرد أو أمة تبطر معيشة الله تعالى، وتكون دليلها للاستكبار سيكون مآلها الخراب ﴿وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِن قَرۡيَةِۭ بَطِرَتۡ مَعِيشَتَهَاۖ فَتِلۡكَ مَسَٰكِنُهُمۡ لَمۡ تُسۡكَن مِّنۢ بَعۡدِهِمۡ إِلَّا قَلِيلٗاۖ وَكُنَّا نَحۡنُ ٱلۡوَٰرِثِينَ ٥٨﴾.

٣٠ ـ ﴿وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِن قَرۡيَةِۭ بَطِرَتۡ مَعِيشَتَهَاۖ فَتِلۡكَ مَسَٰكِنُهُمۡ لَمۡ تُسۡكَن مِّنۢ بَعۡدِهِمۡ إِلَّا قَلِيلٗاۖ وَكُنَّا نَحۡنُ ٱلۡوَٰرِثِينَ ٥٨﴾ رسالة ألا نكرر هذه التجربة مع نِعَمِ الله تعالى.

٣١ ـ هذه سُنَّةُ الله تعالى في القرى ﴿وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِن قَرۡيَةِۭ بَطِرَتۡ مَعِيشَتَهَاۖ فَتِلۡكَ مَسَٰكِنُهُمۡ لَمۡ تُسۡكَن مِّنۢ بَعۡدِهِمۡ إِلَّا قَلِيلٗاۖ وَكُنَّا نَحۡنُ ٱلۡوَٰرِثِينَ ٥٨﴾ وهي سُنَّتُهُ تعالى في الأمم والأفراد والدول، لا فرق.

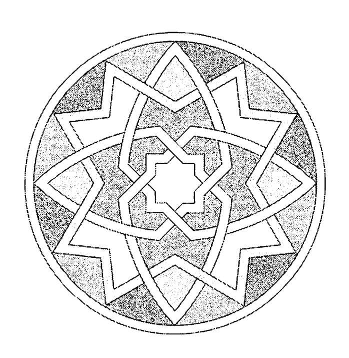
٣٢ ـ ما أكثر الصور الشبيهة في واقعنا بهذه القرى التي عناها الله تعالى ﴿وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِن قَرۡيَةِۭ بَطِرَتۡ مَعِيشَتَهَاۖ فَتِلۡكَ مَسَٰكِنُهُمۡ لَمۡ تُسۡكَن مِّنۢ بَعۡدِهِمۡ إِلَّا قَلِيلٗاۖ وَكُنَّا نَحۡنُ ٱلۡوَٰرِثِينَ ٥٨﴾.

٣٣ ـ تخيَّل فقط الأطعمة الزائدة عن الوجبات الرسمية، وكيف تكوَّم في النفايات! وتخيّل مناسبة ضيف أو زواج أو حفل لترى كيف نتعمّد هدر هذه النعم من واقعنا ﴿وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِن قَرۡيَةِۭ بَطِرَتۡ مَعِيشَتَهَاۖ فَتِلۡكَ مَسَٰكِنُهُمۡ لَمۡ تُسۡكَن مِّنۢ بَعۡدِهِمۡ إِلَّا قَلِيلٗاۖ وَكُنَّا نَحۡنُ ٱلۡوَٰرِثِينَ ٥٨﴾ مع ما يصحب ذلك من منكرات.

٣٤ ـ هذه سنة الله تعالى في الأمم والقرى ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِىٓ أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا ۚ وَمَا كُنَّا مُهْلِكِى ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَٰلِمُونَ ﴿٥٩﴾﴾.

٣٥ ـ إذا انتشر الظلم في أمة؛ فانتظر عواقب السوء في ربوعها ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِىٓ أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا ۚ وَمَا كُنَّا مُهْلِكِى ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَٰلِمُونَ ﴿٥٩﴾﴾.

❀ ❀ ❀



وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتُهَاۚ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَفَمَن وَعَدْنَٰهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَٰقِيهِ كَمَن مَّتَّعْنَٰهُ مَتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴿٦١﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٦٢﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَغْوَيْنَآ أَغْوَيْنَٰهُمْ كَمَا غَوَيْنَاۖ تَبَرَّأْنَآ إِلَيْكَۖ مَا كَانُوٓاْ إِيَّانَا يَعْبُدُونَ ﴿٦٣﴾ وَقِيلَ ٱدْعُواْ شُرَكَآءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُواْ لَهُمْ وَرَأَوُاْ ٱلْعَذَابَۚ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُواْ يَهْتَدُونَ ﴿٦٤﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦٥﴾ فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَنۢبَآءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿٦٦﴾ فَأَمَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَعَسَىٰٓ أَن يَكُونَ مِنَ ٱلْمُفْلِحِينَ ﴿٦٧﴾ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُۗ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٨﴾ وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٦٩﴾ وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلْحَمْدُ فِي ٱلْأُولَىٰ وَٱلْءَاخِرَةِۖ وَلَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٧٠﴾

التفسير

- ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيۡءٖ﴾ من الأموال والأولاد ﴿فَمَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتُهَا﴾ فليس إلا مجرد متاع وزينة في عرض الدنيا ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ يوم القيامة ﴿خَيۡرٞ﴾ أفضل ﴿وَأَبۡقَىٰٓ﴾ أدوم ﴿أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ٦٠﴾ أمر الله تعالى وحكمته.

- ﴿أَفَمَن وَعَدۡنَٰهُ وَعۡدًا حَسَنٗا﴾ دخول الجنة يوم القيامة ﴿فَهُوَ لَٰقِيهِ﴾ لاقٍ ما وعده الله تعالى ﴿كَمَن مَّتَّعۡنَٰهُ مَتَٰعَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا ثُمَّ هُوَ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ مِنَ ٱلۡمُحۡضَرِينَ ٦١﴾ المعذبين يوم القيامة.

- ﴿وَيَوۡمَ يُنَادِيهِمۡ﴾ ينادي الله تعالى الذين أشركوا به ﴿فَيَقُولُ﴾ لهم: ﴿أَيۡنَ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ كُنتُمۡ تَزۡعُمُونَ ٦٢﴾ تفترون أنهم شركاء لي.

- ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَوۡلُ﴾ من قادة الكفر والضلال والفساد ﴿رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَغۡوَيۡنَآ﴾ من الأتباع ﴿أَغۡوَيۡنَٰهُمۡ كَمَا غَوَيۡنَا﴾ أوقعناهم في الغواية كما وقعنا نحن قبل ذلك فيها ﴿تَبَرَّأۡنَآ إِلَيۡكَ﴾ من عبادتهم ﴿مَا كَانُوٓاْ إِيَّانَا يَعۡبُدُونَ ٦٣﴾ إنما يعبدون الشياطين.

- ﴿وَقِيلَ﴾ للمشركين: ﴿ٱدۡعُواْ شُرَكَآءَكُمۡ﴾ الذين أغووكم ﴿فَدَعَوۡهُمۡ﴾ نادوهم ﴿فَلَمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَهُمۡ﴾ لم يجيبوهم ﴿وَرَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَ﴾ عاينوه ﴿لَوۡ أَنَّهُمۡ كَانُواْ يَهۡتَدُونَ ٦٤﴾ تمنَّوا أنهم مهتدون.

- ﴿وَيَوۡمَ يُنَادِيهِمۡ﴾ الله تعالى ﴿فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبۡتُمُ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ٦٥﴾؟ بماذا قابلتم المرسلين الذي جاؤوكم به من عند الله تعالى؟ ﴿فَعَمِيَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَنۢبَآءُ يَوۡمَئِذٖ﴾ ضاعت الحجج، وتاهت البراهين والأدلة ﴿فَهُمۡ لَا يَتَسَآءَلُونَ ٦٦﴾ عن قراباتهم وأنسابهم.

• ﴿فَأَمَّا مَن تَابَ﴾ من ذنبه ﴿وَءَامَنَ﴾ بالله تعالى ﴿وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ خيراً ﴿فَعَسَىٰٓ أَن يَكُونَ مِنَ ٱلْمُفْلِحِينَ ﴿٦٧﴾﴾ الفائزين.

• ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ﴾ أن يخلقه ﴿وَيَخْتَارُ﴾ يصطفي لولايته من يشاء ﴿مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ﴾ في قدر الله تعالى ومشيئته ﴿سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٨﴾﴾ تنزَّه الله تعالى وتقدّس عمّا يصفه به المشركون.

• ﴿وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ﴾ ما تخفيه ﴿وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٦٩﴾﴾ ما تبديه ألسنتهم.

• ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ فلا معبود بحق إلا الله تعالى ﴿لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ﴾ في الدنيا ﴿وَٱلْءَاخِرَةِ﴾ وفي الآخرة ﴿وَلَهُ ٱلْحُكْمُ﴾ في كل شيء ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٧٠﴾﴾ عند البعث.

التدبر

١ ـ كل ما تراه من جمال هذه الحياة إنَّما هو متاع يزول مع الأيام ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَىْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتُهَا ۚ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٠﴾﴾.

٢ ـ لا تغبط مخلوقاً مدَّ الله تعالى له في نعيم هذه العاجلة ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَىْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتُهَا ۚ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٠﴾﴾.

٣ ـ الغبطة الكبرى تلك التي ترى فيها إنساناً فتح الله تعالى له في أحداث الآخرة ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَىْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتُهَا ۚ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٠﴾﴾.

٤ ـ كم من متاع هذه الحياة صدَّ عن متاع الآخرة الكبير ﴿أَفَمَن وَعَدْنَٰهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَٰقِيهِ كَمَن مَّتَّعْنَٰهُ مَتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴿٦١﴾﴾.

٥ - ﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾ كل من جعلته إمامك في الضلالة وقائدك نحو الرذيلة، ورئيسك في الفساد سوف يواجه ربه في يوم القصاص.

٦ - نادوا مشاهيركم، ونجوم القنوات، والذين أضلُّوكم عن الطريق ليقدموا إلى ساحات القصاص ﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾.

٧ - هل تظن أن تبعيتك لهؤلاء تنجيك من سؤال يوم الحسرات؟! قم فأجب ﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾.

٨ - هذا يوم فضائح القادة والرؤساء والجماهير في ذات الوقت ﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٦٢﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَغْوَيْنَآ أَغْوَيْنَٰهُمْ كَمَا غَوَيْنَا ۖ تَبَرَّأْنَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كَانُوٓا۟ إِيَّانَا يَعْبُدُونَ ﴿٦٣﴾ وَقِيلَ ٱدْعُوا۟ شُرَكَآءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُمْ وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ۚ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَهْتَدُونَ ﴿٦٤﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦٥﴾ فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَنۢبَآءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿٦٦﴾ ﴾.

٩ - إذا لم تجب رسولك هنا لن تستطيع أن تجيبه هناك ﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦٥﴾ فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَنۢبَآءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿٦٦﴾ ﴾.

١٠ - الأعمى هنا؛ هو أعمى هناك ﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦٥﴾ فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَنۢبَآءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿٦٦﴾ ﴾.

١١ - الإيمان والعمل الصالح هي الأجوبة النافعة في أيام السؤال والجزاء ﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦٥﴾ فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَنۢبَآءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿٦٦﴾ ﴾.

١٢ - هذه درجات نجاحك ومستقبلك الكبير فتمَسَّكْ ﴿ فَأَمَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَعَسَىٰٓ أَن يَكُونَ مِنَ ٱلْمُفْلِحِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾.

١٣ ـ كل ما تراه في هذا العالم هو من صنع اللطيف الخبير ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٨﴾﴾.

١٤ ـ لا تسل لِمَ هذا وزير، وهذا أمير، وهـذا عالم، وهذا فقير، وهذا، وهذا ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٨﴾﴾ فقط آمن أن لله تعالى حكمة تجلُّ عن الوصف.

١٥ ـ حتى العلماء، وأصحاب الفضل، وأهل الشأن: الله تعالى يختارهم لذلك ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٨﴾﴾.

١٦ ـ إذا منَّ الله تعالى عليك بشيء صالح وعاقبة محمودة، فاحمد الله تعالى؛ فهو الذي اختار لك هذا الشأن ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٨﴾﴾.

١٧ ـ لا يفوت على الله تعالى شيء من دقائق قلبك وأسرار صدرك، فتنبَّه! ﴿وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٦٩﴾﴾.

١٨ ـ إياك أن تجري نية سوء في واقعك؛ فالله تعالى يعلم ذلك ويراه ﴿وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٦٩﴾﴾.

١٩ ـ حسابات الظلم، والغش، والحسد، والرياء، والمكر كلها يراها الله تعالى وهي تعتلج في قلوب أصحابها قبل العمل بموجبها ﴿وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٦٩﴾﴾.

٢٠ ـ ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ يخلق كل شيء، ويملك كل شيء، ويدبّر كل شيء، وهو على كل شيء قدير.

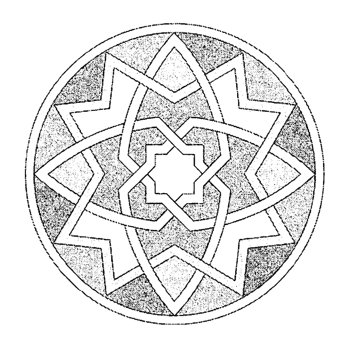
٢١ ـ ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ يرزق، ويقبض، ويعطي، ويمنع، سبحانه جل في علاه.

٢٢ ـ ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ فلا يذهب قلبك بعيداً عنه، ولا ترجو سواه، ولا تبح بحاجتك إلا إليه.

٢٣ ـ ﴿لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْآخِرَةِ﴾ له الحمد على هذا الإسلام الذي مَنَّ به علينا، ورزقنا هداه.

٢٤ ـ ﴿لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْآخِرَةِ﴾ على عطايا الدنيا كلها، وعلى آمال الآخرة التي ننتظرها بشوق.

❀ ❀ ❀



قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ ۖ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٧٢﴾ وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٧٤﴾ وَنَزَعْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ فَعَلِمُوٓا۟ أَنَّ ٱلْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٧٥﴾ ۞ إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾

التفسير

- ﴿قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمُ ٱلَّيۡلَ سَرۡمَدًا إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ مستمراً دائماً دون نهار ﴿مَنۡ إِلَٰهٌ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَأۡتِيكُم بِضِيَآءٍ﴾ بنهار ﴿أَفَلَا تَسۡمَعُونَ ٧١﴾ آيات الله تعالى وعبره وعظاته.

- ﴿قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرۡمَدًا إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ مستمراً دائماً ﴿مَنۡ إِلَٰهٌ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَأۡتِيكُم بِلَيۡلٍ تَسۡكُنُونَ فِيهِ﴾ تستقرُّون وتهدؤون فيه ﴿أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ٧٢﴾ تشاهدون آيات الله تعالى.

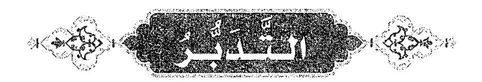
- ﴿وَمِن رَّحۡمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسۡكُنُواْ فِيهِ﴾ أي في الليل ﴿وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ﴾ في النهار ﴿وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ٧٣﴾ ربكم على هذه النعمة.

- ﴿وَيَوۡمَ يُنَادِيهِمۡ﴾ ينادي ربك هؤلاء المشركين ﴿فَيَقُولُ أَيۡنَ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ كُنتُمۡ تَزۡعُمُونَ ٧٤﴾ أنهم شركاء لي في الملك والخلق والتدبير ﴿وَنَزَعۡنَا﴾ وأحضرنا ﴿مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا﴾ يشهد عليهم يوم القيامة، وهؤلاء الشهداء هم أنبياء كل أمة ﴿فَقُلۡنَا﴾ للمتَّخذين شركاء من دون الله تعالى: ﴿هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡ﴾ حجَّتكم ودليلكم ﴿فَعَلِمُوٓاْ﴾ في ذلك الوقت ﴿أَنَّ ٱلۡحَقَّ لِلَّهِ﴾ لا شريك له في ذلك ﴿وَضَلَّ عَنۡهُم﴾ بطل ﴿مَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ ٧٥﴾ ما كانوا يختلقونه من الكذب.

- ﴿إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوۡمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيۡهِمۡ﴾ تجاوز حدَّه في الكبر والتجبر ﴿وَءَاتَيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡكُنُوزِ﴾ كنوز الأموال ﴿مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ﴾ التي يفتح بها أبواب تلك المخازن ﴿لَتَنُوٓأُ﴾ لتثقل ﴿بِٱلۡعُصۡبَةِ﴾ على الجماعة من الناس ﴿أُوْلِي ٱلۡقُوَّةِ﴾ أصحاب القوة ﴿إِذۡ قَالَ لَهُۥ قَوۡمُهُۥ﴾ ناصحين ومحذرين ﴿لَا تَفۡرَحۡ﴾

للدرجة التي تصل فيها إلى البطر والكبر ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾﴾ البطرين المتكبِّرين.

- ﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْأَخِرَةَ﴾ اجعل ما مَنَّ الله تعالى به عليك طريقاً لإعمار الآخرة ﴿وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا﴾ فاستمتع فيها بالقدر الذي لا يؤثر على دينك ﴿وَأَحْسِن﴾ مع الله تعالى ومع خلقه ﴿كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ﴾ بفضله ونعمه ﴿وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ بأن تجعل نعم الله تعالى عليك سبيلاً لمعصيته ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾﴾ في الأرض بالمعاصي.



١ ـ هل تصوَّرت هذه الحقائق الكونية ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ ۖ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٧٢﴾﴾ ماذا لو منحتها عقلك وقلبك ومشاعرك؟!

٢ ـ ماذا لو كان هذا النهار سرمدياً لا تجد ليلاً تستقر فيه، أو الليل سرمدياً لا تجد ضوءاً تسير فيه! يا لغفلتنا عن نعم الله تعالى! ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ ۖ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٧٢﴾﴾.

٣ ـ من حق هذه الرحمة أن تهب لها من وجدانك ومشاعرك تأملاً وتفكُّراً ﴿وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾﴾.

٤ ـ لا تسخِّر نهارك في عملٍ مشؤوم، أو رسالةٍ خاطئة، أو فسادٍ في الأرض ﴿وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾﴾ أو تسخِّر ليلك في غير مرضاة الله تعالى!

٥ ـ هلَّا قرأ الزعماء والأتباع قصة هذا الخصام والنزاع في عرصات القيامة ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٧٤﴾ وَنَزَعْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ فَعَلِمُوٓا۟ أَنَّ ٱلْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٧٥﴾﴾.

٦ ـ منحك الله تعالى عقلاً لتفكِّر به، وتنظر فيما هو أصلح لك؛ فلا تغترَّ تابعاً كنت أو متبوعاً ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٧٤﴾ وَنَزَعْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ فَعَلِمُوٓا۟ أَنَّ ٱلْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٧٥﴾﴾.

٧ ـ كل سلوك تراه من إنسان فثمة أسباب وراء ذلك السلوك ﴿إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾﴾.

٨ ـ كم كان المال وراء كثير من خطايا الأغنياء ﴿إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾﴾.

٩ ـ أسوأ شيء حين يحوِّل إنسان قدراته، ومهاراته، وإمكاناته، وما مَنَّ الله تعالى به عليه إلى استكبارٍ على العالمين ﴿إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾﴾.

١٠ ـ الفرح الناتج عن كبر واستبداد لا يولِّد إلا الفوضى ﴿إِنَّ قَـٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَءَاتَيْنَـٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾﴾.

١١ ـ احتفل بالنصيحة أياً كان مصدرها ﴿إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ﴾ ماذا لو سمع هذه النصيحة، وقام بحقوقها؟!

١٢ ـ إن الله تعالى يعطي الدنيا من يحبُّ ومن لا يحبُّ ﴿إِنَّ قَـٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَءَاتَيْنَـٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾﴾.

١٣ ـ الأصل في كل شيء أن يوجَّه للدار الآخرة، والدنيا وسيلتُها إلى ذلك ﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾﴾.

١٤ ـ الخلل في البوصلة يأتي على قدرات الإنسان، ومهاراته، وإمكاناته ﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾﴾.

١٥ ـ ما أجمل أن تواجه نعم الله تعالى بالإحسان ﴿وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ﴾.

١٦ ـ هب من هذا المال لأبيك، وأمِّك، وزوجك، وولدك، ولكل من مَدَّ يده محتاجاً يوماً ما ﴿وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ﴾.

١٧ ـ من هبات التوفيق عليك أن يرزقك الله تعالى سخاءً بما في يدك، وتستشعر في الوقت ذاته سروراً وألقاً بما تفعل ﴿وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ﴾.

١٨ ـ لا يحتاجك الإسلام إلى شيء وتقف في منتصف الطريق متفرجاً ﴿وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ﴾.

١٩ ـ كل من أراد دواماً لنعم الله تعالى؛ فليبسط يديه بالصدقات ﴿وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ﴾.

٢٠ ـ حين تمد يدك لمحتاج استشعر أنك تـرد جميلاً، وتشـكر نعمة، وتقوم بواجب، وإيَّاك وأيدي المتكبِّرين المنَّانين ﴿وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ﴾.

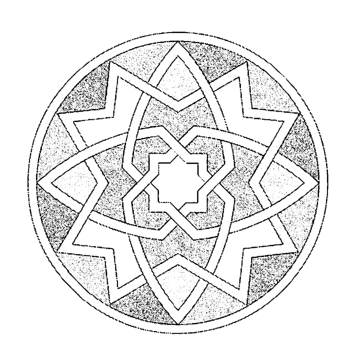
٢١ ـ من شـؤم النعم على صاحبها أن يقضي منها وطره في غير طاعة ﴿وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾.

٢٢ ـ أعطاه الله تعالى مالاً؛ ففتح به منكراً، أو أعان على باطل، أو شـارك به في مخالفات ﴿وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾.

٢٣ ـ أعطاه الله تعالى مسؤولية وجاهاً؛ فسخرها في منكر وفساد، ورتَّب لمعاصٍ وخذلان ﴿وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾.

٢٤ ـ تأمل نعم الله تعالى في نفسـك، وانظر أين تسخرها كل يوم! ﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾﴾.





قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓۚ أَوَلَمۡ يَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَهۡلَكَ مِن قَبۡلِهِۦ مِنَ ٱلۡقُرُونِ مَنۡ هُوَ أَشَدُّ مِنۡهُ قُوَّةٗ وَأَكۡثَرُ جَمۡعٗاۚ وَلَا يُسۡـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ ﴿٧٨﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ فِي زِينَتِهِۦۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا يَٰلَيۡتَ لَنَا مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٖ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ وَيۡلَكُمۡ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لِّمَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗاۚ وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ﴿٨٠﴾ فَخَسَفۡنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلۡأَرۡضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٖ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾ وَأَصۡبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوۡاْ مَكَانَهُۥ بِٱلۡأَمۡسِ يَقُولُونَ وَيۡكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ وَيَقۡدِرُۖ لَوۡلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا لَخَسَفَ بِنَاۖ وَيۡكَأَنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٨٢﴾ تِلۡكَ ٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ نَجۡعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوّٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فَسَادٗاۚ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾ مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيۡرٞ مِّنۡهَاۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجۡزَى ٱلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٨٤﴾

التفسير

• ﴿قَالَ﴾ قارون: ﴿إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ﴾ أي هذا المال ﴿عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓ﴾ بوجوه المكاسب وطرائق التجارة ﴿أَوَلَمۡ يَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَهۡلَكَ مِن قَبۡلِهِۦ مِنَ ٱلۡقُرُونِ مَنۡ هُوَ أَشَدُّ مِنۡهُ قُوَّةٗ وَأَكۡثَرُ جَمۡعٗا﴾ فلم يعبأ بهم تعالى، ولم يُقِمْ لهم وزناً ﴿وَلَا يُسۡـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ ٧٨﴾ سؤال استعلام، وإنما يعاقبهم الله تعالى بها مباشرة دون سؤال.

• ﴿فَخَرَجَ﴾ قارون ﴿عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ فِي زِينَتِهِۦ﴾ كامل زينته ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا﴾ تعلقت قلوبهم بها ﴿يَٰلَيۡتَ لَنَا مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ قَٰرُونُ﴾ من متاع الدنيا وزينتها ﴿إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٖ ٧٩﴾ ذو نصيب من الدنيا كبير.

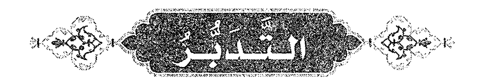
• ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ﴾ بحقيقة الدارين: ﴿وَيۡلَكُمۡ﴾ زجر لهم وتعنيف على تفكيرهم ﴿ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيۡرٞ﴾ أفضل ممَّا تمنَّيتم ﴿لِّمَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا﴾ أي التوفيق للإيمان والعمل الصالح ﴿وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ٨٠﴾ على طاعة الله تعالى وقضائه وقدره.

• ﴿فَخَسَفۡنَا بِهِۦ﴾ بقارون ﴿وَبِدَارِهِ ٱلۡأَرۡضَ﴾ ابتلعته الأرض وغُيِّب فيها ﴿فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٖ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ لم يجد من يدفع عنه عذاب الله تعالى ﴿وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُنتَصِرِينَ ٨١﴾ الممتنعين من عذاب الله تعالى.

• ﴿وَأَصۡبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوۡاْ مَكَانَهُۥ بِٱلۡأَمۡسِ﴾ الذين قالوا: يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون ﴿يَقُولُونَ وَيۡكَأَنَّ ٱللَّهَ﴾ أي ألم تَرَ أن الله ﴿يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ﴾ يوسِّع عليهم ﴿وَيَقۡدِرُ﴾ يضيقه على بعض عباده ﴿لَوۡلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا﴾ برحمته، فعصمنا من مثل ما كان عليه قارون ﴿لَخَسَفَ بِنَا﴾ كما خسف به ﴿وَيۡكَأَنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ٨٢﴾ ألم تعلم أنه لا يفلح الكافرون.

• ﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ تكبراً فيها ﴿ وَلَا فَسَادًا ﴾ فيها ﴿ وَٱلْعَٰقِبَةُ ﴾ المحمودة ﴿ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾ الممتثلين لأمر الله تعالى.

• ﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ ﴾ من العمل الصالح من صـلاة وزكاة وذكر ﴿ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا ﴾ الحسنة بعشر أمثالها ﴿ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ ﴾ من كفر ومعصية ﴿ فَلَا يُجْزَى ٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾ ﴾ سواء بسواء.


التدبر

١ ـ هذا أوّل ماحِقٍ للبركات ﴿ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ﴾.

٢ ـ أكثر مشكلاتنا أن الله يهبنا نعمه ونتكئ عليها للفساد ﴿ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ۚ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ۚ وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾.

٣ ـ كم من إنسانٍ يردِّد هذا المعنى ﴿ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ﴾ في قلبه وهو لا يشعر!

٤ ـ حتى بيته الذي بناه، وسيارته التي ركبها، ووظيفته التي وصل إليها، ونجاحه الذي بلغه يردِّد في قلبه ﴿ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ﴾.

٥ ـ كم من إنسـانٍ لم يقل يوماً ما: ﴿ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ﴾ ولكن قلبه منطوٍ عليه، وتشعر به جوارحه، ويلقى له رواجاً كبيراً في نفسه!

٦ ـ لو قرأ التاريخ لكان له واعظاً ﴿ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ۚ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ۚ وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾.

٧ ـ في قصة قارون عبرة وعظة ودرس وذكرى لي ولك؛ فلا يذهب ذهنك بعيداً

﴿قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِيٓۚ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًاۚ وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾﴾.

٨ ـ مشكلة الكبر أنه لا يقعد بأصحابه في البيوت، بل يخرج بهم للعراء فاشياً مستبدًّا في الأرض ﴿ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ﴾.

٩ ـ لو رأيته حين خرج تكاد الأرض لا تُقِلُّهُ من الكبرياء ﴿ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ﴾.

١٠ ـ احذر أن تكون قد خرجت في مثل هذه الصورة! ﴿ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ﴾ تنبّه قبل الفوات!

١١ ـ اختلّت الموازين فاختلّت النظرة ﴿ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ﴿٨٠﴾﴾.

١٢ ـ ثمة أناس لا يعدو نظرهم أصابع أقدامهم، وآخرون يختالون في أمانيهم إلى أبعد حدٍّ ﴿ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ﴿٨٠﴾﴾.

١٣ ـ زينة الحياة العارضة مغرية؛ فلا تستوقفنَّك بنيّات الطريق ﴿ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ﴿٨٠﴾﴾.

١٤ ـ العلم الحقيقي لا يلقي لمتاع الحياة العارض أدنى اهتمام ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ﴿٨٠﴾﴾.

١٥ ـ في مرات كثيرة يتفوَّق الصبر على ملهيات الحياة العارضة ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ﴿٨٠﴾﴾.

١٦ ـ هذه نهاية العلو، والكبر، والاستبداد في الأرض ﴿فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾﴾.

١٧ ـ ﴿فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾﴾ نتيجة طبيعية لكل مسـرف بغى في الأرض، وأبى إلا أن يكون من المفسدين.

١٨ ـ لا يحتفل الله لمن تكون الدنيا، أما الآخرة فلا تكون إلا لأصحاب الإرادات ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾﴾.

١٩ ـ بقـدر تواضعك ترقى في عالم الآخـرة ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ﴾.

٢٠ ـ هل رأيت مفسداً يتبوأ مكاناً مرموقاً! سيظل في أحضان الرذيلة إلى الموت ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾﴾.

٢١ ـ ﴿وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ سنَّةٌ إلهيَّةٌ ما بقيت الحياة!

٢٢ ـ اتق ربك! ودع الأحداث تكتب حظها من واقعك ﴿وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾.

٢٣ ـ هل رأيت دعوة لسباق كهذه الدعوة! ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا﴾.

٢٤ ـ استنفد طاقاتك، وقدراتك، وإمكاناتك، فالحياة سباق ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا﴾.

٢٥ ـ ما أرحم الله تعالى بعباده! ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى ٱلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾﴾ الحسنة بعشر أمثالها، والسيئة بسيئة! ولن يهلك على الله تعالى إلا هالك.

إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍۚ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ مَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٨٥﴾ وَمَا كُنتَ تَرْجُوٓاْ أَن يُلْقَىٰٓ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَۖ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَۖ وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۘ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥۚ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾

التفسير

- ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ﴾ أنزل ﴿عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ وفرض عليك العمل بما فيه ﴿لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ إلى يوم القيامة ﴿قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ مَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٨٥﴾﴾ لا يخفى عليه من ذلك شيء.

- ﴿وَمَا كُنتَ تَرْجُوٓاْ أَن يُلْقَىٰٓ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبُ﴾ ما كنت متحرِّياً لنزول هذا القرآن ﴿إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾ وإنما نزوله فضل الله تعالى عليك ورحمته بك ﴿فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾﴾ عوناً للكافرين على كفرهم.

- ﴿وَلَا يَصُدُّنَّكَ﴾ المشركون ﴿عَنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ﴾ واضحة من ربك ﴿وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ بلِّغ رسالته، وبيِّن أحكامه ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٨٧﴾﴾ بالله تعالى.

• ﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ فإن ذلك خلاف ما أمرك الله تعالى به من التوحيد ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ لا معبود بحقٍّ سـواه ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ كل شيء زائل إلا الله تعالى ﴿لَهُ ٱلْحُكْمُ﴾ في كل شيء ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٨٨)﴾ يوم القيامة.

التَّدَبُّرُ

١ ـ اصبروا وأَمِّلُوا، وارتقوا في آمالكم؛ فسيأتي يوم الفوز والفلاح والنصر ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ۚ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ مَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ (٨٥)﴾.

٢ ـ لا تكترث بالمعرضين، ولا تُكثر جدالهم ﴿قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ مَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ وذكِّرهم بأن الحقائق عند الله تعالى.

٣ ـ من أنت أيها القارئ هذه اللحظـة لكتاب ربك لولا الله! ﴿وَمَا كُنتَ تَرْجُوٓا۟ أَن يُلْقَىٰٓ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَٰفِرِينَ (٨٦)﴾.

٤ ـ إذا أراد الله تعالى بعبده رحمةً أفاضها عليه دون حسـاب ﴿وَمَا كُنتَ تَرْجُوٓا۟ أَن يُلْقَىٰٓ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَٰفِرِينَ (٨٦)﴾.

٥ ـ احلم! فالله تعالى يملك كل شيء، ويعطي ما لا يأتي على بال إنسان ﴿وَمَا كُنتَ تَرْجُوٓا۟ أَن يُلْقَىٰٓ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَٰفِرِينَ (٨٦)﴾.

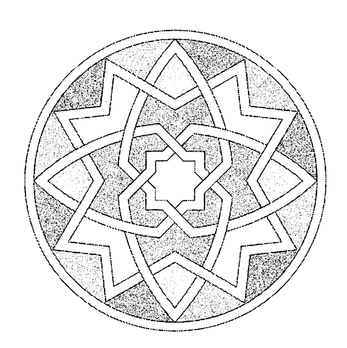
٦ ـ إذا مَنَّ الله تعالى عليك بحفظ هذا القرآن، أو إدمان قراءته، وتدبُّر آياته؛ فقد مَنَّ عليك بأعظم الخيرات ﴿وَمَا كُنتَ تَرْجُوٓا۟ أَن يُلْقَىٰٓ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَٰفِرِينَ (٨٦)﴾.

٧ ـ يا للعجب! يذكِّر الله تعالى نبيه ﷺ بأعظم النعم، ويحذِّره في الوقت ذاته ألا يكون معيناً للكافرين ﴿وَمَا كُنتَ تَرْجُوٓا۟ أَن يُلْقَىٰٓ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾﴾.

٨ ـ يحذِّرك القرآن أن تتواطأ مع مشرك أو كافر في أي موقف، ولأيِّ مصلحة، وتحت أيِّ ظرف ﴿وَمَا كُنتَ تَرْجُوٓا۟ أَن يُلْقَىٰٓ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾﴾.

٩ ـ ﴿وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ ۖ وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ ۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۘ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ۚ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾﴾ رسالة للدعاة والمصلحين وأصحاب المنهج أن يقوموا بما فرض الله تعالى عليهم، وأن يترفَّعوا عن الجاهليات بكل تفاصيلها كفراً أو ما دونه، وأن يعلموا أن للحياة نهاية، وفيها الجزاء والحساب.





سُورَةُ العَنكَبُوتِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الٓمٓ ﴿١﴾ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣﴾ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَسْبِقُونَاۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٤﴾ مَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَأٓتٍۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٥﴾ وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦﴾

التفسير

- ﴿الٓمٓ ﴿١﴾﴾ من الحروف المقطَّعة التي تدل على إعجاز القرآن.
- ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾﴾ أيظنُّ الناس أن يؤمنوا بالله تعالى، ولا يُختَبرون، ولا يُبتَلون في طريق الإيمان؟!
- ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ اختبرناهم وابتليناهم ﴿فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣﴾﴾ بهذا الابتلاء يُعرَف الصادقُ من الكاذب.

• ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَسْبِقُونَا﴾ يفوتونا، ويُعجزونا عن مجازاتهم ومحاسبتهم ﴿سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ۝٤﴾ ساء حكمهم وتقديرهم أنهم سينجون من الجزاء والحساب.

• ﴿مَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ﴾ يطمع في ثوابه وفضله ﴿فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَأٓتٍ﴾ يوم القيامة واقع لا محالة ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لأقوال خلقه ﴿ٱلْعَلِيمُ ۝٥﴾ بأعمالهم.

• ﴿وَمَن جَٰهَدَ﴾ نفسه على الخيرات ﴿فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓ﴾ لأن أثر ذلك كله عائدٌ له وإليه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٦﴾ لا حاجة به إليهم.

التَّدَبُّر

١ ـ الطريق إلى الجنة مُكلِف ومُجهِد، ويحتاج إلى تضحيات ﴿الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ۝٣﴾.

٢ ـ يخطئ أولئك الذين يظنون أن هذا الدين لا جهاد فيه، ولا مشقَّة تنال اللاحق بركبه ﴿الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ۝٣﴾.

٣ ـ اِستقَمتَ على المنهج! إذاً اِستَعِد لركوب الأهوال والمشاق، الجنة لا تُنَال بالأماني ﴿الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ۝٣﴾.

٤ ـ يُبتَلى الإنسان في الطريق على حسب دينه، وما معه من إيمان ﴿الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ۝٣﴾.

٥ ـ تختلف الفتنة والبلاء، وكلٌّ بحسبه والمناسب له ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣﴾﴾.

٦ ـ الفتنة والابتلاء صياغةٌ لأبطال المرحلة القادمة، ورجال الكلمة، وأصحاب الغايات ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣﴾﴾ والذين لا تقوى أنفسهم على العمل في ساحة التحديات لا قدرة لهم على مواجهة الصعاب!

٧ ـ من سوء الأدب مع الله تعالى أن يرى صاحب معصية أنه لا طريق له إليه تعالى ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَسْبِقُونَا ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٤﴾﴾.

٨ ـ تنفَّس أملاً، وافتح نافذة ضوءٍ في الظلام! الموعد قرب أو كاد ﴿مَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَأَاتٍ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٥﴾﴾.

٩ ـ لا تخف من الموت، أو تنزعج من المرض، أو تخشى من حوادث الطريق، إنما تَقْدِمُ على الله تعالى الذي كنت تجاهد في الطريق إليه ﴿مَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَأَاتٍ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٥﴾﴾.

١٠ ـ جهدك، وتعبك، وسعيك في المعالي إنما تبني صرحاً لذاتك، وتُشيْد لها مجداً كبيراً مع الأيام ﴿وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦﴾﴾.

١١ ـ أرأيت كَلَلَ جوارحك في الصلاة، وظمأك في الهواجر، ومشقَّة طريقك في سبيل الله تعالى، إنما ثمرة ذلك لنفسك، ليس لله تعالى منها شيء ﴿وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦﴾﴾.

١٢ ـ استمر، واصل طريقك، جاهد في سبيل تلك الغايات حتى لا تأتي مغبوناً يوم القيامة في العالمين ﴿وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦﴾﴾.

وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ ٱلَّذِى كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٧﴾ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ۖ وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَآ ۚ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِى ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٩﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ وَلَئِن جَآءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ ۚ أَوَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِى صُدُورِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ ﴿١١﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّبِعُواْ سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَٰيَٰكُمْ وَمَا هُم بِحَٰمِلِينَ مِنْ خَطَٰيَٰهُم مِّن شَىْءٍ ۖ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٢﴾ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ ۖ وَلَيُسْـَٔلُنَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَمَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴿١٣﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٤﴾

التفسير

• ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾ التي مضت ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٧﴾﴾ لنكافئنَّهم بأفضلَ من أعمالهم ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا﴾ بكل فعلٍ حسنٍ من البرِّ والصِّلة والمعروف ﴿وَإِن جَاهَدَاكَ﴾ أكرهاك ﴿لِتُشْرِكَ بِي﴾ في العبادة والطاعة ﴿مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ بيان للواقع؛ فإنه ليس مع الله تعالى شريك ﴿فَلَا تُطِعْهُمَا﴾ في ذلك ﴿إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ﴾ معادكم ومصيركم ﴿فَأُنَبِّئُكُم﴾ أخبركم ﴿بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾﴾ في الدنيا.

• ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ بالله تعالى وبرسوله ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ ﴿٩﴾﴾ في جملة الصالحين.

• ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ﴾ يقول بلسانه دون أن يوافق ذلك القول قلبه ﴿فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ﴾ بما يصدُّه عن الإيمان ﴿جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ﴾ ما حصل عليه من عذاب ﴿كَعَذَابِ اللَّهِ﴾ زاجراً له عن الطريق ﴿وَلَئِن جَاءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ﴾ أعزكم فيه، ونصركم به على الأعداء ﴿لَيَقُولُنَّ﴾ هؤلاء الذين تركوا دين الله تعالى للفتنة ﴿إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ﴾ قبل ذلك ﴿أَوَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ ﴿١٠﴾﴾ فيعلم الكاذب من الصادق.

• ﴿وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ ﴿١١﴾﴾ وذلك بما يصيبهم من فتنٍ وابتلاءات.

• ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا﴾ كونوا معنا على طريقنا من الكفر والتكذيب ﴿وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ﴾ إن كان هناك بعثٌ وحساب ﴿وَمَا هُم بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُم مِّن شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٢﴾﴾ فيما يقولون.

• ﴿وَلَيَحۡمِلُنَّ أَثۡقَالَهُمۡ﴾ أوزارهم ﴿وَأَثۡقَالٗا مَّعَ أَثۡقَالِهِمۡۖ﴾ وأثقال وأوزار من أضلُّوهم ﴿وَلَيُسۡـَٔلُنَّ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عَمَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ ١٣﴾ من الأقوال الكاذبة والأحاديث المختلقة.

• ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمۡ أَلۡفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمۡسِينَ عَامٗا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ﴾ الماء ﴿وَهُمۡ ظَٰلِمُونَ ١٤﴾ مستحقون للعذاب.

التَّدَبُّر

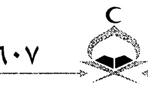
١ ـ وعدٌ من العليِّ الكبير لكل مؤمنٍ ليكفرنَّ عنه سيئاته، وليجزينَّه أحسن من أمانيه ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَحۡسَنَ ٱلَّذِي كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٧﴾.

٢ ـ من رحمة ربك أنَّك إن عملت صالحاً ألا يحاسبك على خطيئتك وذنبك بل يغفرها، ويتجاوز عنها، ويبدِّلها بالصالحات ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَحۡسَنَ ٱلَّذِي كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٧﴾ فلا تيأس!

٣ ـ لا تتوقف عند خطيئتك فيظفر بك الشيطان، اغسلها بتوبةٍ وامْحُها بكثرة الصالحات ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَحۡسَنَ ٱلَّذِي كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٧﴾.

٤ ـ تأمل فضل الله تعالى عليك! لن يجزيك على عملك الذي قدمته، وإنما سيتفضَّل عليك بأبهج وأفضل منه في الدرجات ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَحۡسَنَ ٱلَّذِي كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٧﴾.

٥ ـ هذه وصية الله تعالى لك؛ فأَحسن قراءتها، وقُمْ بما فيها من تكاليف، وإياك والتفريط ﴿وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ حُسۡنٗاۖ وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشۡرِكَ بِي مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٞ فَلَا تُطِعۡهُمَآۚ إِلَيَّ مَرۡجِعُكُمۡ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٨﴾.



٦ ـ مَنْ أنت لولا هذين الوالدين؟! من أنت لولا حنان هذه الأم، وكدح وسهر هذا الوالد في تربيتك؟! ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ۖ وَإِن جَـٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَآ ۚ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ ﴾.

٧ ـ هل تخيلت يوماً ماذا صنعت بك أمك في صغرك! وكم من ليلةٍ جرى دمعها من أجل مرضك وسفرك وغيابك! وكم مرة سعدت لفرحك، وقامت لحديث ذكرياتك ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ۖ وَإِن جَـٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَآ ۚ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ ﴾.

٨ ـ عليك أن تجمع بين الثبات على الحق وبرّ الوالدين ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ۖ وَإِن جَـٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَآ ۚ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ ﴾.

٩ ـ كن على الحق والإيمان، وسيجمعك الله تعالى بأصحاب الطريق ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِى ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿٩﴾ ﴾.

١٠ ـ كأن لقاء أصحاب الطريق أمنية، والقرآن يثري مشاعرهم باللقاء ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِى ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿٩﴾ ﴾.

١١ ـ تصوَّر أن تلقى صديقك، وحبيب قلبك، ورواء مشاعرك مدى الحياة! ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِى ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿٩﴾ ﴾.

١٢ ـ هذه أخلاق النفاق، وبضاعته منذ فجر التاريخ إلى يومنا هذا، لا جديد ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ وَلَئِن جَآءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ ۚ أَوَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِى صُدُورِ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٠﴾ ﴾.

١٣ ـ الأنفس الضعيفة لا تصلح لتمثيل الإسلام ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ وَلَئِن جَآءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ ۚ أَوَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِى صُدُورِ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٠﴾ ﴾.

١٤ ـ والأنفس المريضة لا تستحقُّ شرف تمثيل هذا الدين ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ وَلَئِن جَآءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِى صُدُورِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾﴾.

١٥ ـ دين الله تعالى أكبر من أن يجري في واقع هذه الأنفس التي ليس لها قرار ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ وَلَئِن جَآءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِى صُدُورِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾﴾.

١٦ ـ في الطريق أحداث تُوجِب تمايز الأنفس والصفوف ﴿وَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ ﴿١١﴾﴾.

١٧ ـ نافذة على صناعة المفسدين ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّبِعُوا۟ سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَٰيَٰكُمْ وَمَا هُم بِحَٰمِلِينَ مِنْ خَطَٰيَٰهُم مِّن شَىْءٍ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٢﴾﴾.

١٨ ـ كم مرة قال صديق سوءٍ لصاحبه مثل هذا! وكم هي المرات التي تركه في عرض الطريق! ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّبِعُوا۟ سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَٰيَٰكُمْ وَمَا هُم بِحَٰمِلِينَ مِنْ خَطَٰيَٰهُم مِّن شَىْءٍ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٢﴾﴾.

١٩ ـ أغراه حتى سافر معه، وأوقعه في كل أمرٍ مُشِينٍ، ثم تخلّى عنه في النهاية ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّبِعُوا۟ سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَٰيَٰكُمْ وَمَا هُم بِحَٰمِلِينَ مِنْ خَطَٰيَٰهُم مِّن شَىْءٍ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٢﴾﴾.

٢٠ ـ حتى في الأفكار أقنعه بعقيدةٍ باطلةٍ، ومذهبٍ فاسدٍ، ثم تركه يَهِيمُ على وجهه في الضلال ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّبِعُوا۟ سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَٰيَٰكُمْ وَمَا هُم بِحَٰمِلِينَ مِنْ خَطَٰيَٰهُم مِّن شَىْءٍ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٢﴾﴾.

٢١ ـ تأمل واقعك واقرأ سيرتك: هل أغريت أحداً بفكرة باطلة، أو موقف سوء، أو عقيدة فاسدة؟ استدرك نفسك، وردَّ صاحبك إلى الحقائق قبل الفوات ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيُسْأَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ (١٣)﴾.

٢٢ ـ أثقالك تكفيك؛ فما بالك بأثقال الضَّالِّين؟! ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيُسْأَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ (١٣)﴾.

٢٣ ـ تخيَّل مخلوقاً في عرصات يوم القيامة ويُكَالُ في ميزانه من أوزار الضالين ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيُسْأَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ (١٣)﴾.

٢٤ ـ وزَّعَ إنجيلاً باطلاً في أرض، ولما قرأ القرآن وعرف الحقيقة عقد عهداً على نفسه أن يوزِّع القرآن في كلِّ مكان ويزيد، كمال فقهٍ ووعي! ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيُسْأَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ (١٣)﴾.

٢٥ ـ ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ (١٤)﴾ الدعوة مشروع حياة.

٢٦ ـ ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ (١٤)﴾ من قال لك بأن الدعوة تقوم على فتات الأوقات؟!

٢٧ ـ المشاريع الكبرى لا تقوم إلا بمثل هذه التضحيات ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ (١٤)﴾.

٢٨ ـ إما أن تحمل مشروعك بشرف، وإلا فألْقِهِ عن ظهرك؛ لعل كريماً يقوم بتبعاته ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ (١٤)﴾.

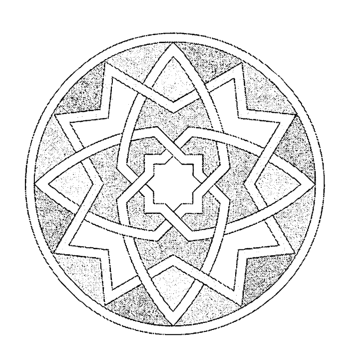
٢٩ ـ من قال لك يوماً: إن المشاريع الكبرى تقوم على فُتَاتِ الأوقات؟! ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَـٰلِمُونَ ﴿١٤﴾ ﴾.

٣٠ ـ ﴿ فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَـٰلِمُونَ ﴾ نتيجةٌ حتميَّة لكل مُصِرٍّ على الهلاك.

٣١ ـ هل قرأت في نهاية الظالمين غير هذه النهايات؟! ﴿ فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَـٰلِمُونَ ﴾!

٣٢ ـ الباطل وأهله إلى سواء الجحيم ﴿ فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَـٰلِمُونَ ﴾ فلا تعجل!

❀ ❀ ❀



فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَصْحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ وَجَعَلْنَٰهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ

﴿١٥﴾ وَإِبْرَٰهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ ۖ ذَٰلِكُمْ

خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن

دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن

دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ

وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥٓ ۖ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تُكَذِّبُوا۟

فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ۖ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ

ٱلْمُبِينُ ﴿١٨﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ كَيْفَ يُبْدِئُ ٱللَّهُ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ

يُعِيدُهُۥٓ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١٩﴾ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ

فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ إِنَّ

ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَرْحَمُ مَن

يَشَآءُ ۖ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ ﴿٢١﴾ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِى

ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ

وَلَا نَصِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَلِقَآئِهِۦٓ

أُو۟لَٰٓئِكَ يَئِسُوا۟ مِن رَّحْمَتِى وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٣﴾

التفسير

- ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَصْحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ﴾ الذين ركبوا معه من أهل الإيمان ﴿وَجَعَلْنَٰهَآ﴾ أي السفينة ﴿ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٥﴾﴾ عظةً وعبرةً.

- ﴿وَإِبْرَٰهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ﴾ وَحِّدُوه في العبادة ﴿وَٱتَّقُوهُ﴾ اجعلوا بينكم وبين عذابه وقايةً؛ بفعل أوامره، واجتناب نواهيه ﴿ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ توحيد الله تعالى وتقواه ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾﴾ الخير من الشر.

- ﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا﴾ أصناماً تنحتونها وتخلقونها بأيديكم ﴿وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا﴾ تكذِّبون بجعلكم لها آلهة ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا﴾ لا تملك أن ترزقكم بشيء ﴿فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ﴾ فهو الذي يملكه ﴿وَٱعْبُدُوهُ﴾ وحِّدوه واستسلموا له ﴿وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥٓ﴾ ما أنعم به عليكم ﴿إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾﴾ تُردُّون بعد مماتكم.

- ﴿وَإِن تُكَذِّبُوا۟﴾ الرسول وما جاء به إليكم ﴿فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ﴾ فقد سبقكم غيركم ﴿وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٨﴾﴾ إبلاغكم دين الله تعالى واضحاً بيِّناً.

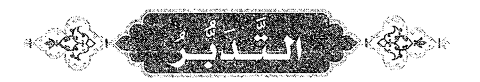
- ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟﴾ يشاهدوا ويتأملوا ﴿كَيْفَ يُبْدِئُ ٱللَّهُ ٱلْخَلْقَ﴾ أول مرة ﴿ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓ﴾ أثناء البعث ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١٩﴾﴾ سهل.

- ﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ امشوا فيها ﴿فَٱنظُرُوا۟﴾ شاهدوا وتأملوا فيها ﴿كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ﴾ أول مرة ﴿ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْءَاخِرَةَ﴾ يعيده بعد موته ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾﴾ لا يغلبه شيء.

• ﴿يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ﴾ بعدله ﴿وَيَرْحَمُ مَن يَشَآءُ﴾ بفضله ورحمته ﴿وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ ﴿٢١﴾﴾ تُرجعون.

• ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ لستم بفائتين على الله تعالى، ولا معجزيه أن يعذبكم إن أراد ﴿وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ﴾ يلي أموركم ويتولّاكم ﴿وَلَا نَصِيرٍ ﴿٢٢﴾﴾ ينصركم من دون الله تعالى.

• ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ جحدوا آيات الله تعالى ﴿وَلِقَآئِهِۦٓ﴾ يوم القيامة ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ يَئِسُوا۟ مِن رَّحْمَتِى﴾ حين رأوا العذاب وشاهدوه ﴿وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٣﴾﴾ موجع مؤلم.



التدبر

١ ـ لم يتخلَّف هذا الفجر عن أصحابه في كل صراع بين الباطل والحق ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَصْحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ وَجَعَلْنَٰهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٥﴾﴾.

٢ ـ الدعوة لا تكلفك أن تأتي بالعالمين مهتدين! وإنما تطلب منك أن تستنفد كافة جهودك في تبليغ الرسالة ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَصْحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ وَجَعَلْنَٰهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٥﴾﴾ أنجاه الله تعالى، وأثنى عليه، ولم يُسلم مع طول زمانه فيهم إلا القليل!

٣ ـ ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَصْحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ وَجَعَلْنَٰهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٥﴾﴾ بعض صور هذه النجاة اليوم، وأكثر هذه الصورة إثارة في يوم الجزاء والحساب.

٤ ـ إذا سمعت بحركة في واقع؛ فاعلم أن وراءها صاحب راية ومشروع ﴿وَإِبْرَٰهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ ۖ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا

يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥٓ ۖ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تُكَذِّبُوا۟ فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ۖ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٨﴾﴾.

٥ ـ الحركة في الواقع، والغيرة على قيمه ومبادئه، والمحاولة الكبرى لإصلاحه لا ينوء بها إلا الكبار ﴿وَإِبْرَٰهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ ۖ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥٓ ۖ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تُكَذِّبُوا۟ فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ۖ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٨﴾﴾.

٦ ـ لا أتخيَّل مجتمعاً خاملاً وفيه صاحب راية ﴿وَإِبْرَٰهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ ۖ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥٓ ۖ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تُكَذِّبُوا۟ فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ۖ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٨﴾﴾.

٧ ـ في كل مجتمعٍ جاهلية، إن لم تُناهَضْ بالأفكار الحية ومباهج الوحي، وإلا أعادته لركس الأوثان ﴿وَإِبْرَٰهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ ۖ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥٓ ۖ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تُكَذِّبُوا۟ فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ۖ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٨﴾﴾.

٨ ـ من كمال علمك ووعيك ألَّا تنشغل بالمعرضين في مساحة دعوتك ومشروعك ﴿وَإِن تُكَذِّبُوا۟ فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ۖ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٨﴾﴾.

٩ ـ وطِّن نفسك على استقبال العثرات والمحن والأزمات ﴿ وَإِن تُكَذِّبُواْ فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ۖ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٨﴾ ﴾ فالطريق شاقٌّ، وتحتاج إلى صبرٍ طويل.

١٠ ـ ليكن في وعيك أنَّ حملك لأي مشروعٍ يحتاج إلى زمنٍ من جهادك وصبرك وتحملك حتى تبلغ به الغايات ﴿ وَإِن تُكَذِّبُواْ فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ۖ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٨﴾ ﴾.

١١ ـ من الأوهام المتفشية في الواقع أن الناس ستستقبل مشروعك، وتحتفي به، وتبارك لك فيه النجاح، كلا! ستلقى معارضين ومتَّهمين ومخوِّنين ﴿ وَإِن تُكَذِّبُواْ فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ۖ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٨﴾ ﴾.

١٢ ـ القرآن يعيد بناء التصورات والمفاهيم ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْاْ كَيْفَ يُبْدِئُ ٱللَّهُ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١٩﴾ قُلْ سِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ ﴾.

١٣ ـ في مراتٍ كثيرةٍ لا نحتاج سوى التَّفكُّر في سنن الله تعالى ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْاْ كَيْفَ يُبْدِئُ ٱللَّهُ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١٩﴾ قُلْ سِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ ﴾.

١٤ ـ اصنعوا ما شئتم ستأتون يوماً للجزاء ﴿ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٢٢﴾ ﴾.

١٥ ـ لا تقلق لفجور الظلمة وإسرافهم؛ ثَمَّة يومٌ للحساب ﴿ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٢٢﴾ ﴾.

١٦ ـ حتى لو رأيته يصنع كل شيء، لن ينجو من حساب الله تعالى ﴿ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٢٢﴾ ﴾.

فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ
فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ
﴿٢٤﴾ وَقَالَ إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ
فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم
بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ
وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٥﴾ ۞ فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌ ۘ وَقَالَ
إِنِّى مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٦﴾ وَوَهَبْنَا
لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ
وَءَاتَيْنَٰهُ أَجْرَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾
وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا
سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ أَئِنَّكُمْ
لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِى نَادِيكُمُ
ٱلْمُنكَرَ ۖ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتِنَا
بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ رَبِّ
ٱنصُرْنِى عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٣٠﴾

التفسير

• ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ﴾ قوم إبراهيم ﴿إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ﴾ بالنار ﴿فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ فلم تَقْوَ على إحراقه ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ﴾ عِبَراً وعظاتٍ ﴿لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٤﴾﴾ بالله تعالى، ويقومون بما أمرهم.

• ﴿وَقَالَ﴾ إبراهيم: ﴿إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَـٰنًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ إنما حملكم على اتخاذ الأوثان والأصنام مجاملتكم لبعضكم بعضاً على حساب الحق ﴿ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾ يتبرَّأ كل منكم من الآخر ﴿وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ﴾ يوم القيامة ﴿وَمَا لَكُم مِّن نَّـٰصِرِينَ ﴿٢٥﴾﴾ ينصركم من عذاب الله تعالى.

• ﴿فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌ﴾ آمن لوطٌ عليه السلام لدعوة إبراهيم عليه السلام ثم أرسله الله تعالى بعد ذلك لقومه ﴿وَقَالَ﴾ إبراهيم: ﴿إِنِّى مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّىٓ﴾ تاركٌ دار قومي، ومهاجرٌ إلى أرض الشام ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ لا غالب له ﴿ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٦﴾﴾ في تدبير أمره وحكمه.

• ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ﴾ لإبراهيم ﴿إِسْحَـٰقَ﴾ ولداً له ﴿وَيَعْقُوبَ﴾ ولداً لولده إسحاق ﴿وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ﴾ فلم يأت نبي بعده إلا من ذريته ﴿وَٱلْكِتَـٰبَ﴾ ولا نزل كتاب إلا على ذريته ﴿وَءَاتَيْنَـٰهُ أَجْرَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا﴾ من زوجة وولد ورزق، ونحو ذلك من النعم ﴿وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾﴾ فله جزاء الصالحين.

• ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلْفَـٰحِشَةَ﴾ أتأتون الذكور من العالمين ﴿مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾﴾ لم يفعل ذلك أحد من العالمين قبلكم.

• ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ﴾ في أدبارهم ﴿وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ﴾ وتقطعون الطريق على الناس بالفساد ﴿وَتَأْتُونَ فِى نَادِيكُمُ﴾ المكان الذي تجلسون فيه ﴿ٱلْمُنكَرَ﴾ كل فعل قبيح ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ﴾ رداً على ما قال لهم ﴿إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾﴾ عجّل بما توعّدتنا به من العذاب.

• ﴿قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٣٠﴾﴾ بعذابك الذي توعدتهم به.

التَّدَبُّر

١ ـ سلطان الحق يكشف عوار الجاهليات ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٤﴾﴾ ومنطق القوة لا يحسن سوى القتل والتدمير.

٢ ـ أشدُّ ما على أهل الباطل صاحب نهضة ومشروع ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٤﴾﴾.

٣ ـ إذا رأيت معارضاً يكثر التهم، ويختلق الأساليب، ويترك مواجهتك بباطله؛ فاعلم أنه موقِنٌ بالهزائم ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٤﴾﴾.

٤ ـ ﴿فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ حتى لا تقولوا يوماً: إن من مصلحة الدعوة التخلي عنها في أيام الفتن حتى يأتي زمان الأمن والطمأنينة!

٥ ـ ﴿فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ حتى تعلم أن الكون إنما يجري بقدر الله تعالى.

٦ ـ ﴿فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ حتى تزداد يقيناً أنك لن ترحل من الأرض إلا في موعدك المقرر!

٧ ـ ﴿فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ حتى لا توقف مشروعك على ظنون لا واقع لها.

٨ ـ ﴿فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ حتى لا تقول: إن زمن العاصفة يحتاج أن ننكس عنها رؤوسنا إلى حين، فيطول ذلك الزمن، وتموت آمال أمة على الظنون.

٩ ـ ماذا لو اعتبروا بكلام المصلحين! ﴿وَقَالَ إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٥﴾﴾.

١٠ ـ لن يضيِّع الله تعالى جهدك، وعملك، وقصة كفاحك في مشروعك ﴿فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌ﴾.

١١ ـ كم من فردٍ آمن برسالتك، ومضى بها في العالمين، وأنت لا تشعر ﴿فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌ﴾.

١٢ ـ ﴿فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌ﴾ دعوة ألَّا تستقل جهداً وعملاً ورسالة، حتى لو كلمة في عرض الطريق.

١٣ ـ ﴿فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌ﴾ صار رسولاً، وحمل رسالة الله تعالى لقومه.

١٤ ـ تحرك، اخرج، ابحث عن موطن للدعوة، وبلِّغ رسالة الله تعالى ﴿فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌ ۘ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٦﴾﴾.

١٥ ـ تأمل في غايات المصلحين وآمالهم وطموحاتهم ﴿وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾.

١٦ ـ الكبار يجوبون الأرض، ويسعون بكل وسعهم في فضاءات هذه الحياة حتى تَبْلُغَ رسالة الله تعالى لكل إنسان ﴿فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٦﴾﴾.

١٧ ـ لا تبخل بعلمك، بدعوتك، بمشروعك! بلِّغه بكل وسيلة ممكنة، وأَدِرْ شأنه بإمعان ﴿فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٦﴾﴾.

١٨ ـ من نعم الله تعالى علينا هذه الوسائل الحديثة التي يمكن أن تبلِّغ رسالتك ودعوتك ومشروعك للناس وأنت في بيتك، لم تتحرك منه شبراً ﴿فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٦﴾﴾.

١٩ ـ كم أنت بحاجةٍ للخلوة لتريق فيها دموع الخوف والرجاء ﴿وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾.

٢٠ ـ حتى قلبك يحتاج إلى هجرة عن متع هذه الحياة وقلقها وفوضويَّتها ﴿وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾.

٢١ ـ اجعل لك أوقاتاً لا تسمع فيها جرس جوالك، أو أصوات وسائل التواصل الاجتماعي، وتفرَّغ فيها لربك ﴿وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾.

٢٢ ـ يا الله! ما أمتع الخلوات على قلب مؤمن لو فقه! ﴿وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾.

٢٣ ـ يستحق الكبار أن تُرْوَىٰ مشاعرهم بالنعيم مقابل هذا الولاء لمشاريع الإسلام ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ وَءَاتَيْنَٰهُ أَجْرَهُۥ فِي ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِي ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾﴾.

٢٤ ـ كن على الطريق الصحيح، واجتهد في بذل ما يمكن، وانتظر مباهج الربيع ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ وَءَاتَيْنَٰهُ أَجْرَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾.

٢٥ ـ على قدر آمالك، ومشاريعك، وطموحاتك في سبيل الله تعالى تنل وعودك المنتظرة، وأحلامك القادمة ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ وَءَاتَيْنَٰهُ أَجْرَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾.

٢٦ ـ كم من أحلامٍ تنتظرك، ومباهجَ تستقبلك، وأحداثٍ في قادم الأيام ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ وَءَاتَيْنَٰهُ أَجْرَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾.

٢٧ ـ لا يمكن أن تجد كبيراً صامتاً على واقع بائس ﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِى نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ ۖ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾.

٢٨ ـ من مهمات المصلحين الضخمة بيان عوار الجاهليات ﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِى نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ ۖ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾.

٢٩ ـ هل تخيلت مجتمعاً ضالاً مفلساً من القيم؟! إنّه المجتمع الذي تقرأ فيه قصة الرذيلة ﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ

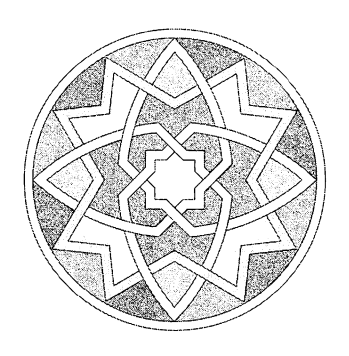
وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾﴾.

٣٠ ـ حين تؤدي دورك، وتقوم بواجبك، وتستنفد طاقاتك؛ اسأل الله تعالى أن يوقف زحف هذا الباطل في الأرض بدعوةٍ من السماء ﴿قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٣٠﴾﴾.

٣١ ـ إذا رأيت مفسداً في مجتمع أو مساحة بذل وسعه في الطغيان؛ فارصد له دعوة في جوف الليل ﴿قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٣٠﴾﴾.

٣٢ ـ حتى الكبار إذا انسدَّت عليهم الطرق توجهوا إلى الكبير المتعال ﴿قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٣٠﴾﴾.

❀ ❀ ❀



وَلَمَّا جَآءَتۡ رُسُلُنَآ إِبۡرَٰهِيمَ بِٱلۡبُشۡرَىٰ قَالُوٓاْ إِنَّا مُهۡلِكُوٓاْ
أَهۡلِ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةِۖ إِنَّ أَهۡلَهَا كَانُواْ ظَٰلِمِينَ ﴿٣١﴾
قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطٗاۚ قَالُواْ نَحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَن فِيهَاۖ لَنُنَجِّيَنَّهُۥ
وَأَهۡلَهُۥٓ إِلَّا ٱمۡرَأَتَهُۥ كَانَتۡ مِنَ ٱلۡغَٰبِرِينَ ﴿٣٢﴾ وَلَمَّآ أَن
جَآءَتۡ رُسُلُنَا لُوطٗا سِيٓءَ بِهِمۡ وَضَاقَ بِهِمۡ ذَرۡعٗا
وَقَالُواْ لَا تَخَفۡ وَلَا تَحۡزَنۡۖ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهۡلَكَ إِلَّا ٱمۡرَأَتَكَ
كَانَتۡ مِنَ ٱلۡغَٰبِرِينَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰٓ أَهۡلِ
هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةِ رِجۡزٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ
﴿٣٤﴾ وَلَقَد تَّرَكۡنَا مِنۡهَآ ءَايَةَۢ بَيِّنَةٗ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ
﴿٣٥﴾ وَإِلَىٰ مَدۡيَنَ أَخَاهُمۡ شُعَيۡبٗا فَقَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ
ٱللَّهَ وَٱرۡجُواْ ٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ
﴿٣٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلرَّجۡفَةُ فَأَصۡبَحُواْ فِي
دَارِهِمۡ جَٰثِمِينَ ﴿٣٧﴾ وَعَادٗا وَثَمُودَاْ وَقَد تَّبَيَّنَ
لَكُم مِّن مَّسَٰكِنِهِمۡۖ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ
أَعۡمَٰلَهُمۡ فَصَدَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَكَانُواْ مُسۡتَبۡصِرِينَ ﴿٣٨﴾

التفسير

- ﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَىٰ﴾ من الله تعالى بإسحاق ﴿قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُو أَهْلِ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ﴾ قرية قوم لوط، واسمها سدوم ﴿إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ (٣١)﴾ ظالمين لأنفسهم بالمعاصي.

- ﴿قَالَ﴾ إبراهيم: ﴿إِنَّ فِيهَا لُوطًا﴾ نبي الله ﴿قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا ۖ لَنُنَجِّيَنَّهُ﴾ لوط ﴿وَأَهْلَهُ﴾ من آمن منهم ﴿إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ (٣٢)﴾ الهالكين.

- ﴿وَلَمَّا أَن جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا﴾ وصلوا إليه في تلك القرية ﴿سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا﴾ حزن وغُمَّ لمجيئهم؛ لخوفه عليهم من اعتداء قومه ﴿وَقَالُوا لَا تَخَفْ﴾ على المؤمنين معك ﴿وَلَا تَحْزَنْ﴾ على مجيئنا إليك ﴿إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا امْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ (٣٣)﴾ الهالكين.

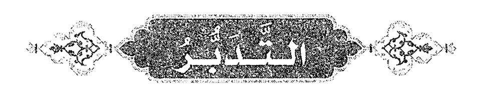
- ﴿إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰ أَهْلِ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ﴾ عذاباً ﴿بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ (٣٤)﴾ يرتكبون معصية الله تعالى.

- ﴿وَلَقَد تَّرَكْنَا مِنْهَا﴾ من ديار قوم لوط ﴿آيَةً بَيِّنَةً﴾ عظةً وعبرةً واضحة ﴿لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (٣٥)﴾ يعقلون عن الله تعالى أمره ونهيه.

- ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ﴾ قوم مدين ﴿أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾ نبيُّ الله تعالى ﴿فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾ وحِّدوه ﴿وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ﴾ اعملوا له ﴿وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ (٣٦)﴾ فيها بالمعاصي.

- ﴿فَكَذَّبُوهُ﴾ فلم يصدِّقوه فيما دعاهم إليه ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ﴾ الزلزلة الشديدة ﴿فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ (٣٧)﴾ هامدين، لا حركة لهم.

• ﴿ وَعَادًا وَثَمُودَا ﴾ أقوامٌ عصوا الله تعالى ﴿وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَٰكِنِهِمْ ﴾ ما حلَّ بها من الخراب والدمار ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ ﴾ فجعلها حسنةً في أعينهم ﴿فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ﴾ بذلك التزيين ﴿وَكَانُواْ مُسْتَبْصِرِينَ (٣٨)﴾ يعرفون كل شيء إلا أنهم آثروا الباطل على الحق.



التدبر

١ ـ إذا بلغ الظلم غايته دبّر الله تعالى له ما يزيحه ويبدده؛ فلا تقلق ﴿وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوٓاْ إِنَّا مُهْلِكُوٓاْ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ۖ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُواْ ظَٰلِمِينَ (٣١)﴾.

٢ ـ زوال الباطل، وانتهاء المنكرات من المعاني التي تستحقُّ الفرح والسرور ﴿وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوٓاْ إِنَّا مُهْلِكُوٓاْ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ۖ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُواْ ظَٰلِمِينَ (٣١)﴾.

٣ ـ كل فساد له نهاية، وكل فوضى مردُّها إلى الزوال ﴿وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوٓاْ إِنَّا مُهْلِكُوٓاْ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ۖ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُواْ ظَٰلِمِينَ (٣١)﴾.

٤ ـ لا تستبطئ عقاب الله تعالى للمسرفين والضالين، بل ارقبه في أيامك القادمة ﴿وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوٓاْ إِنَّا مُهْلِكُوٓاْ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ۖ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُواْ ظَٰلِمِينَ (٣١)﴾.

٥ ـ في غمرة الحدث لم ينس مشروعه الكبير، وحمل رايته إلى الناس ﴿قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا ﴾.

٦ ـ ما أرقَّ قلوب الكبار، وأسعدَ مشاعرهم بالحياة! ﴿قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا﴾.

٧ ـ قلَّةٌ هـم الذين يتذكرونك في زحمة الحدث، وأقـلُّ منهم من يتذكَّرك وقت النعيم ﴿قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا﴾.

٨ ـ الكبار لا تزدحم قلوبهم بالأشياء، تظل فيها مساحة كبيرة لإسعادك وأفراحك ﴿قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا﴾.

٩ ـ ﴿لَنُنَجِّيَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥٓ﴾ رسـالة لأهل الإيمان في كل مكان: اطمئنُّوا حتى في غمرة الأحداث فإنَّ الله لا ينساكم!

١٠ ـ ﴿لَنُنَجِّيَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥٓ﴾ سنة الله تعالى مع كل مؤمن لا تتأخر، أو تتخلف عن رجل صادق في الطريق.

١١ ـ حتى أهلك الذين آمنوا معك، سـتحملهم سـفينة النجاة، وتقلُّهم أحداث البشائر ﴿لَنُنَجِّيَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥٓ﴾.

١٢ ـ هب لأهلك من وقتك وفكرتك ومشروعك؛ لعلهم يأتون يوم القيامة ضمن أفواجِ المهتدين الناجين ﴿لَنُنَجِّيَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥٓ﴾.

١٣ ـ علِّم ولدك كيف يكون عوناً للأمة في مشاريعها حتى يأتي يوم القيامة ضمن الناجين ﴿لَنُنَجِّيَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥٓ﴾.

١٤ ـ ﴿لَنُنَجِّيَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ﴾ مسـكينة هـذه المشؤومة عاشت في بيت النبوة، ولم تحظ بشرف الإيمان.

١٥ ـ لا تقلق! حتى مـن يعيش في أحضانـك قد لا يسـتحق مرافقتك للأبد! ﴿لَنُنَجِّيَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ﴾.

١٦ ـ الإيمان لا يتعامل مع الخَلْق بالأنساب والأحساب والقرابات، كلا! وإنما يتعامل معهم بالحقائق، وصلات الإيمان ﴿لَنُنَجِّيَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ﴾.

١٧ ـ هل تصورت زوجةَ نبيٍّ تخالفه في منهجه، وتأبى أن تشاركه في رسالته ومشروعه ﴿لَنُنَجِّيَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ﴾.

١٨ ـ إذا لقيت من زوجك لأواء سوء؛ فقد لقي من هو خير منك المشاق نفسها ﴿لَنُنَجِّيَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ﴾.

١٩ ـ الفرح لفرح ضيفك والحزن لأحزانه من شيم الكبار وأخلاقهم ﴿وَلَمَّآ أَن جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُوا۟ لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٣٣﴾﴾.

٢٠ ـ إذا قدمت على آخر قد يقلق من قدومك؛ فطمئنه من البداية، ولا تأخذ بمشاعره إلى وديان الخوف والقلق ﴿وَلَمَّآ أَن جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُوا۟ لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٣٣﴾﴾ أعلموه بسبب قدومهم، وبلَّغوه ماذا يريدون!

٢١ ـ يا لشقاء هذه الزوجة! يستدعيها العقاب في كلِّ مرّة ﴿وَلَمَّآ أَن جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُوا۟ لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٣٣﴾﴾.

٢٢ ـ كم من زوجة حملت مشروع زوجها في مشاعرها، وبذلت له كل ما تملك حتى عانق به مجد الدارين! وكم من امرأة أوقفت زوجها عن مشروعه، وحرفته عن الطريق ﴿وَلَمَّآ أَن جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُوا۟ لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٣٣﴾﴾.

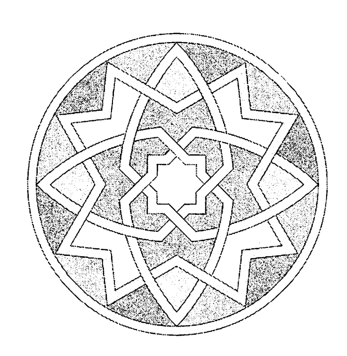
٢٣ ـ هذه نتائج الفسق والفساد عبر القرون كلها ﴿إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰٓ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿٣٤﴾﴾.

٢٤ ـ ﴿وَلَقَد تَّرَكْنَا مِنْهَآ ءَايَةًۢ بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٣٥﴾﴾ رسالة إلى كل من تبع قوم لوط على منكراتهم وقذاراتهم.

٢٥ ـ إذا تألمت من جهد مشروعك؛ فاقرأ سير الأنبياء مع أممهم، لعلك ترى وجهاً آخر للحياة ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱرْجُوا۟ ٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٣٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٣٧﴾﴾.

٢٦ ـ لا تقع في مثل ما وقع فيه القوم ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَكَانُوا۟ مُسْتَبْصِرِينَ﴾ أراهم الشيطان أن للمنكر جمالاً أخّاذاً حتى نكسوا على رؤوسهم في حمأة الرذيلة.

❀ ❀ ❀



وَقَـٰرُونَ وَفِرۡعَوۡنَ وَهَـٰمَـٰنَۖ وَلَقَدۡ جَآءَهُم مُّوسَىٰ
بِٱلۡبَيِّنَـٰتِ فَٱسۡتَكۡبَرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا كَانُواْ سَـٰبِقِينَ
﴿٣٩﴾ فَكُلًّا أَخَذۡنَا بِذَنۢبِهِۦۖ فَمِنۡهُم مَّنۡ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِ حَاصِبٗا
وَمِنۡهُم مَّنۡ أَخَذَتۡهُ ٱلصَّيۡحَةُ وَمِنۡهُم مَّنۡ خَسَفۡنَا بِهِ
ٱلۡأَرۡضَ وَمِنۡهُم مَّنۡ أَغۡرَقۡنَاۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظۡلِمَهُمۡ
وَلَـٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴿٤٠﴾ مَثَلُ ٱلَّذِينَ
ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلۡعَنكَبُوتِ
ٱتَّخَذَتۡ بَيۡتٗاۖ وَإِنَّ أَوۡهَنَ ٱلۡبُيُوتِ لَبَيۡتُ ٱلۡعَنكَبُوتِۖ
لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ﴿٤١﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا يَدۡعُونَ مِن
دُونِهِۦ مِن شَيۡءٖۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٤٢﴾ وَتِلۡكَ
ٱلۡأَمۡثَـٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِۖ وَمَا يَعۡقِلُهَآ إِلَّا ٱلۡعَـٰلِمُونَ
﴿٤٣﴾ خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ
لَأٓيَةٗ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٤٤﴾ ٱتۡلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِنَ ٱلۡكِتَـٰبِ
وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ
وَٱلۡمُنكَرِۗ وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَصۡنَعُونَ ﴿٤٥﴾

التفسير

- ﴿وَقَـٰرُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَـٰمَـٰنَ﴾ وأهلكنا أيضاً هؤلاء جميعاً ﴿وَلَقَدْ جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَـٰتِ﴾ الدالة على صدق ما جاء به ﴿فَٱسْتَكْبَرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ عَلَوا وتكبَّروا ﴿وَمَا كَانُواْ سَـٰبِقِينَ ﴿٣٩﴾﴾ فائتين من عذاب الله تعالى.
- ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ﴾ لم نترك منهم أحداً ﴿فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا﴾ كقوم لوط. والحاصب: ريح تأتي بالحصباء، وهي الحصى الصغار ﴿وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ﴾ كقوم ثمود وشعيب ﴿وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ﴾ كقارون ﴿وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا﴾ كفرعون ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ﴾ بهذا العذاب؛ فقد أرسل إليهم الرسل، وأقام عليهم الحجج ﴿وَلَـٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾﴾ بسبب معاصيهم وفسقهم.
- ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ﴾ يرجون نفعها ونصرها ﴿كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ﴾ حشرة معروفة ﴿ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا ۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ﴾ أضعفها ﴿لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ﴾ في ضعفه ورقَّته ووهنه، وهذا مثلٌ ضربه الله تعالى لتحقير شأن الأولياء؛ فكما أن بيت العنكبوت لضعفه ورقته لا يغني عنها شيئاً ولا يُكِنُّها من شيء؛ كذلك الأولياء لا ينفعون أولياءهم في شيء ﴿لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾﴾.
- ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ﴾ يعلم أنه لا ينفعهم في شيء ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ لا غالب لحكمه وأمره.
- ﴿ٱلْحَكِيمُ ﴿٤٢﴾﴾ في تدبير أمره ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَـٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ﴾ لنقرِّب لهم الصورة، ونوضِّح لهم الطريق ﴿وَمَا يَعْقِلُهَآ﴾ يستفيد منها ﴿إِلَّا ٱلْعَـٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾﴾ العارفون بالله تعالى العالمون به حقيقة.

• ﴿خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ﴾ بالعدل ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً﴾ لعبرة وعظة ﴿لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٤﴾﴾ للمؤمنين بالله تعالى حقاً.

• ﴿ٱتْلُ﴾ اقرأ ﴿مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ أُنزل إليك من القرآن ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ كما أمرك الله تعالى بها ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ كل فعل أو قول قبيح ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ من كل ما في الدنيا ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾﴾ لا يفوته من ذلك شيء.

التدبر

١ ـ الكبر أكبر موانع الخيرات في حياتك ﴿وَقَٰرُونَ وَفِرْعَوْنَ وَلَقَدْ جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانُوا۟ سَٰبِقِينَ ﴿٣٩﴾﴾.

٢ ـ هل شعرت يوماً أن في قلبك استعلاءً على قول إنسان، أو رأي آخر، أو موقف، إنَّ الكِبْرَ نافذة إلى الهلاك ﴿وَقَٰرُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَلَقَدْ جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانُوا۟ سَٰبِقِينَ ﴿٣٩﴾﴾.

٣ ـ استمد قارون كبره واستبداده من المال، وفرعون استمده من الملك والمسؤولية، وهامان استمده من الصحبة ورفقة الملك، وأنت! انظر من أين يصيبك العطب؟! عافاك الله تعالى ﴿وَقَٰرُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَلَقَدْ جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانُوا۟ سَٰبِقِينَ ﴿٣٩﴾﴾.

٤ ـ إنما نجري على أنفسنا مساحات الخذلان، ولا يظلم ربك أحداً ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾﴾.

٥ ـ إذا أصابك نقص، أو خذلان، أو سـوء توفيق؛ فتأمل سيرتك، واقرأ واقعك؛ فلعل أياماً مضت تحمل ما يسـوء ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾.

٦ ـ كم من ولي من دون الله تعالى في قلوبنا ونحن لا نشـعر به ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا ۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ ۖ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾﴾.

٧ ـ جزء من مشكلاتنا أننا لا نعتبر الوحي في مرَّاتٍ كثيرةٍ أنه خطاب لنا ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا ۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ ۖ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾﴾.

٨ ـ كل قضية حتى الشرك تبدأ بسيطة ضعيفة، ثم ما تلبث أن تتمكَّن من القلوب ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا ۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ ۖ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾﴾.

٩ ـ إذا أردت أن تتعرَّف على تعلُّق قلبك بأولياء مـن دون الله تعالى؛ فانظر إليه حين تتعسّـر وظيفتك، أو يتأخر إنجابك، أو يطول مرضك، أو تقع في مشكلة كبرى تحتاج منها إلى الخلاص ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا ۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ ۖ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾﴾.

١٠ ـ كل شـيء في قلبك فهو في علم الله تعالـى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مِن شَيْءٍ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٤٢﴾﴾.

١١ ـ حين تتعلَّق بغير الله تعالى، أو تشتهي سواه، أو تتوجه لغيره؛ فهو يعلم كل شيء ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مِن شَيْءٍ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٤٢﴾﴾.

١٢ ـ إذا قرأت مثلاً في الوحي؛ فَأَرْعِ له سمعك لعلك تفيق ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾﴾.

١٣ ـ من كمال رحمة ربك بك أنه يضرب الأمثال ليقرب لك حقائق الأشياء ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾﴾.

١٤ ـ كم من مثل أبان عن طريق؛ وفتح لصاحبه آفاقاً في الحياة ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾﴾.

١٥ ـ أَدِرْ بصرك في خلق أعظم المخلوقات في الحياة (السماء والأرض) لترى بدائع صنع الله تعالى ﴿خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٤﴾﴾.

١٦ ـ أَقِمْ للقرآن شأناً في نفسك، واجعله الطريق الأمثل لمستقبلك ﴿ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾﴾.

١٧ ـ بناء مستقبلك الكبير يأتي من خلال إقامة الصلاة ﴿ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾﴾.

١٨ ـ الصلاة التي لا تغيِّر واقعك، ولا تُحدث فارقاً في حياتك تحتاج إلى إعادة نظر ﴿ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾﴾.

١٩ ـ إذا قال المؤذِّن: (الله أكبر) فألق بما في يدك جانباً، واستقبل هذه العبادة ﴿ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾﴾.

۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴿٤٦﴾ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَۚ فَٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۖ وَمِنۡ هَٰٓؤُلَآءِ مَن يُؤۡمِنُ بِهِۦۚ وَمَا يَجۡحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا كُنتَ تَتۡلُواْ مِن قَبۡلِهِۦ مِن كِتَٰبٖ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَۖ إِذٗا لَّٱرۡتَابَ ٱلۡمُبۡطِلُونَ ﴿٤٨﴾ بَلۡ هُوَ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٞ فِي صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَۚ وَمَا يَجۡحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٩﴾ وَقَالُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ءَايَٰتٞ مِّن رَّبِّهِۦۖ قُلۡ إِنَّمَا ٱلۡأٓيَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ أَوَلَمۡ يَكۡفِهِمۡ أَنَّآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحۡمَةٗ وَذِكۡرَىٰ لِقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴿٥١﴾ قُلۡ كَفَىٰ بِٱللَّهِ بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡ شَهِيدٗاۖ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ وَكَفَرُواْ بِٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴿٥٢﴾

التفسير

- ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾ يأمر الله تعالى بأحسن الأقوال والأفعال في مجادلة أهل الكتاب ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡ﴾ فلا بأس في الإغلاظ عليهم في المجادلة ﴿وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا﴾ من القرآن الكريم ﴿وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ﴾ من التوراة والإنجيل ﴿وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ﴾ لا شريكَ له ولا ندَّ ولا مثيل ﴿وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ٤٦﴾ مطيعون خاضعون.

- ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ فكما أنزلنا على الذين من قبلك كتباً كذلك أنزلنا عليك القرآن ﴿فَٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ من قبلك من بني إسرائيل ﴿يُؤۡمِنُونَ بِهِۦ﴾ بهذا القرآن ﴿وَمِنۡ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ الموجودين في زمنك؛ كعبد الله بن سلام، ومَنْ آمن برسوله من بني إسرائيل ﴿مَن يُؤۡمِنُ بِهِۦ﴾ إيماناً صادقاً ﴿وَمَا يَجۡحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ﴾ ينكرها ﴿إِلَّا ٱلۡكَٰفِرُونَ ٤٧﴾ الجاحدون لفضل الله تعالى.

- ﴿وَمَا كُنتَ تَتۡلُواْ﴾ تقرأ ﴿مِن قَبۡلِهِۦ﴾ من قبل القرآن ﴿مِن كِتَٰبٖ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ﴾ فلم تكن قبل نزول القرآن إليك تقرأ كتاباً، ولا تكتب حرفاً ﴿إِذٗا لَّٱرۡتَابَ ٱلۡمُبۡطِلُونَ ٤٨﴾ لو كنت تقرأ وتكتب قبل ذلك لشكَّ المشكِّكون في صدق رسالتك، وقالوا: إنما تعلَّم ذلك من الكتب السابقة، أو استنسخ ذلك منها.

- ﴿بَلۡ هُوَ﴾ أي القرآن الكريم ﴿ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٞ﴾ واضحات ﴿فِي صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ﴾ العلماء ﴿وَمَا يَجۡحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ﴾ ينكرها ﴿إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ ٤٩﴾ الذين ظلموا أنفسهم بمعصية الله تعالى.

• ﴿وَقَالُوا﴾ المشركون ﴿لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ﴾ على محمد ﴿ءَايَٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ كناقة صالح، ومائدة عيسى، ونحو ذلك ﴿قُلْ إِنَّمَا ٱلْءَايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ يملكها ويقدِّر نزولها ﴿وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾﴾ أنذركم ما أمر الله بيِّناً واضحاً.

• ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ﴾ الطالبون لنزول الآيات عليك ﴿أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ القرآن ﴿يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ يُقرأ ويُرتَّل ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾ أي نزول القرآن ﴿لَرَحْمَةً﴾ بما يجدون فيه من دلائل الخير، وهداية النفوس، ومعرفة الحق ﴿وَذِكْرَىٰ﴾ عظةً وعبرة ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾﴾ بالله تعالى حقَّ الإيمان.

• ﴿قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا﴾ يكفيني أن الله تعالى يعلم صدقي فيما أقول لكم ﴿يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ لا يغيب عنه من ذلك شيء ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا بِٱلْبَٰطِلِ﴾ كل ما يُعبد من دون الله تعالى ﴿وَكَفَرُوا بِٱللَّهِ﴾ جحدوا حقه في العبادة ﴿أُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٥٢﴾﴾ الذين خسروا دنياهم وآخرتهم.

التَّدَبُّر

١ ـ من زعم أن الإسلام يحضُّ على العنف! انظر كيف يوصي الإسلام بالتعامل مع المخالفين في المعتقد! ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓا أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ ۖ وَقُولُوٓا ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَٰحِدٌ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٤٦﴾﴾.

٢ ـ هذا الإسلام جاء لهداية العالم؛ فانظروا ماذا يقول لأتباعه ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ٤٦﴾.

٣ ـ اختر كلمتك، وارتقِ في حوارك، واكتب حظَّك من العلم حتى في جدال المخالفين ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ٤٦﴾.

٤ ـ ليس المهم من ينتصر، المهم كيف تصل رسالة الإسلام، وتبلغ مداها في قلوب الضالِّين ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ٤٦﴾.

٥ ـ التواضع أمام المتكبِّرين يورثك الموات ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡ﴾.

٦ ـ لا تتطامن لمتكبِّر؛ فيعلو رقبتك باسم الفجور والاستبداد ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡ﴾.

٧ ـ (التي هي أحسن) للمتطامن القابل للحق، والظالم اختر له لغة تناسبه، وتردَعُه عن غيِّه وفوضويَّته ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡ﴾.

٨ ـ هذه شريعتنا يا يهود! نعترفُ بها للعالمين ﴿وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾ فما أنتم قائلون؟!

٩ ـ كم مرة أدرنا حواراً مع إخواننا المسلمين، وأَحلْناه إلى خصام، ونزاع، وفرقة، وشتات ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾.

١٠ ـ لا تطلـب بيِّنات على صدق ما عنـدك، مَنْ حولَكَ يعـرفُ الحقائق كاملة ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ وَمِنْ هَـٰٓؤُلَآءِ مَن يُؤْمِنُ بِهِۦ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَـٰتِنَآ إِلَّا ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٤٧﴾﴾.

١١ ـ الحقائق الكبرى لم تعد تحتاج إلى شهود ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ وَمِنْ هَـٰٓؤُلَآءِ مَن يُؤْمِنُ بِهِۦ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَـٰتِنَآ إِلَّا ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٤٧﴾﴾.

١٢ ـ من أعظم البيِّنات على صدق رسول الله ﷺ حمله لهذا الوحي وهو أمِّيٌّ لا يقرأ، ولا يكتـب ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَـٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٤٨﴾﴾.

١٣ ـ من فقهك أن تقطع كل الحجج التي قد تتطرَّق إلى رسالتك ودينك ومنهجك ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَـٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٤٨﴾﴾.

١٤ ـ أول الدلائـل على علمك حفظك للقـرآن ﴿بَلْ هُوَ ءَايَـٰتٌۢ بَيِّنَـٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَـٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿٤٩﴾﴾ فـي صدورهـم وليس في مصاحفهم.

١٥ ـ إذا لم يسعفك الدليل من حفظك ففي علمك نقص ﴿بَلْ هُوَ ءَايَـٰتٌۢ بَيِّنَـٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَـٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿٤٩﴾﴾ والبيِّـن ما استدعاه الإنسان في لحظته.

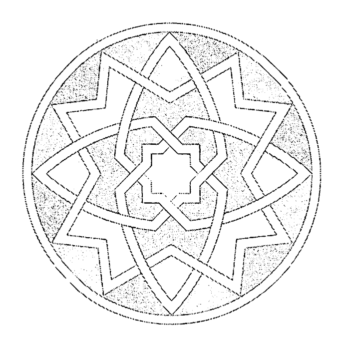
١٦ ـ من حق هذا المعنى ﴿بَلْ هُوَ ءَايَـٰتٌۢ بَيِّنَـٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَـٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿٤٩﴾﴾ أن تضرب له الأوقات الطويلة من أجل تمامه وبلوغه.

١٧ ـ استوعب الشيخ عبد الرحمن الدوسري رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ هذا المعنى فقال: تألمت من عيني، فشعرت بقلق، ودار في نفسـي حديث: ماذا لو عميتُ قبل أن أُتِمَّ حفظ

القرآن، وكان معي منه خمسة أجزاء فحبست نفسي واحداً وعشرين يوماً حتى أتممت حفظه ﴿بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٩﴾﴾.

١٨ ـ صَدَقَ مَنْ قال: من لم يهتد بالموت والقرآن فلو تناطحت جبال الدنيا بين عينيه لم يهتد ﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۖ قُلْ إِنَّمَا ٱلْءَايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾﴾.

❀ ❀ ❀



وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَلَوْلَآ أَجَلٌ مُّسَمًّى لَّجَآءَهُمُ ٱلْعَذَابُ
وَلَيَأْتِيَنَّهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٣﴾ يَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ
وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٤﴾ يَوْمَ يَغْشَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ
مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ
﴿٥٥﴾ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ أَرْضِى وَٰسِعَةٌ فَإِيَّٰىَ فَٱعْبُدُونِ
﴿٥٦﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۖ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ
ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِى
مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ نِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿٥٨﴾ ٱلَّذِينَ
صَبَرُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٥٩﴾ وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحْمِلُ
رِزْقَهَا ٱللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦٠﴾ وَلَئِن
سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ
لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٦١﴾ ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ
عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٢﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم
مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا
لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٣﴾

التفسير

• ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ﴾ يطلبون تعجيله ﴿وَلَوْلَآ أَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ مؤقت محدد لكل إنسان ﴿لَّجَآءَهُمُ ٱلْعَذَابُ﴾ وقت طلبهم له ﴿وَلَيَأْتِيَنَّهُم بَغْتَةً﴾ فجأة ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٣﴾﴾ متى يأتيهم.

• ﴿يَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ﴾ أن ينزل بهم عاجلاً ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٤﴾﴾ لا مخرج لهم منها.

• ﴿يَوْمَ يَغْشَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ﴾ النار ﴿مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُواْ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٥﴾﴾ في الدنيا من معاصي الله تعالى.

• ﴿يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ أَرْضِي وَٰسِعَةٌ فَإِيَّٰيَ فَٱعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ فإن تعذَّرت عليكم عبادتي في أرض ففي غيرها فسحة وسعة.

• ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ ميّتة في الساعة التي قدَّرها الله تعالى لها ﴿ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٥٧﴾﴾ يوم القيامة.

• ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم﴾ لننزلنَّهم ﴿مِّنَ ٱلْجَنَّةِ غُرَفًا﴾ منازل ينزلون فيها ﴿تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ ماكثين دائمين ﴿نِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿٥٨﴾﴾ نِعْمَ هذا الجزاء الذي ناله العاملون بطاعة الله تعالى.

• ﴿ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ﴾ على عبادة الله تعالى ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٥٩﴾﴾ في كل أمورهم.

• ﴿وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا﴾ وكم من دابة في الأرض لا تطيق جمع رزقها وتحصيله لضعفها ﴿ٱللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ﴾ بقدرته ورحمته وفضله الواسع ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لأقوالكم ﴿ٱلْعَلِيمُ ﴿٦٠﴾﴾ بأفعالكم.

• ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم﴾ أي المشركون بالله تعالى ﴿مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ أوجدهما من عدم ﴿وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ﴾ يجريان لمصالح العباد ﴿لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ لا ينكرون ذلك ﴿فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٦١﴾﴾ فكيف يصرفون عن ذلك.

• ﴿ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾ يوسِّعه ويكثِّره ﴿وَيَقْدِرُ لَهُۥٓ﴾ ويضيِّقه ويقلِّله ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٢﴾﴾ لا يغيب عنه من علم الكون شيء.

• ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم﴾ أي المشركين ﴿مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ غيثاً ﴿فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا﴾ بعد جدبها وقحطها ﴿لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ لا ينكرون ذلك ﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ على ظهور الحق وغلبته ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٣﴾﴾ عن الله تعالى أمره، ولا يعرفون قدره وسلطانه.

التَّدَبُّر

١ ـ هكذا يصنع الجهل بالله تعالى ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ ۚ وَلَوْلَآ أَجَلٌ مُّسَمًّى لَّجَآءَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٣﴾ يَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٤﴾ يَوْمَ يَغْشَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٥﴾﴾ مخلوق يستعجل عذاب خالقه! وجاهل يستعجل سخط ربه!

٢ ـ الذين يعارضون الله تعالى في منهجه ويناوئونه في شريعته هم كهؤلاء؛ يستعجلون عذابه ولا يُبالون، لا فرق ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ ۚ وَلَوْلَآ أَجَلٌ مُّسَمًّى لَّجَآءَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٣﴾ يَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٤﴾ يَوْمَ يَغْشَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٥﴾﴾.

٣ ـ لا تحتجَّ بأنك لم تلقَ رفيقاً، أو لم تتَّضح لك الرسالة، أو لم تَرَ نور الدين بعدُ، الأرض أوسع لك من كل عذر ﴿يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ أَرۡضِي وَٰسِعَةٞ فَإِيَّٰيَ فَٱعۡبُدُونِ ۝٥٦﴾ يمكنك أن تذهب إلى أرضٍ تــرى النور فيها كاملاً والحقَّ بيِّناً واضحاً.

٤ ـ بلغ دينك كل مساحة، ومع هذا فيمكنك أن تشدَّ رحلك لأكثر الأرض طمأنينة في الدنيا ﴿يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ أَرۡضِي وَٰسِعَةٞ فَإِيَّٰيَ فَٱعۡبُدُونِ ۝٥٦﴾.

٥ ـ حتى ديار الكافرين باتت أرضاً خصبة للعبادة ﴿ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ أَرۡضِي وَٰسِعَةٞ فَإِيَّٰيَ فَٱعۡبُدُونِ ۝٥٦﴾.

٦ ـ إذا رأيت اســتبداداً في نفســك فكُرَّ عليها بحادي الموت ﴿ كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۖ ثُمَّ إِلَيۡنَا تُرۡجَعُونَ ۝٥٧﴾.

٧ ـ كم من قارئٍ لهذا الحرف لم يبقَ من وداعه للدنيا إلا بضع ســاعات ﴿ كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۖ ثُمَّ إِلَيۡنَا تُرۡجَعُونَ ۝٥٧﴾.

٨ ـ إياك أن تأتي ســاعتُك ولحظة موتِكَ وبداية رحلتك وأنــت لم تأخذ كاملَ استعدادك ﴿ كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۖ ثُمَّ إِلَيۡنَا تُرۡجَعُونَ ۝٥٧﴾.

٩ ـ املؤوا لحظاتكم بالعمل، وانتظروا هذه اللحظة بفرح ﴿ كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۖ ثُمَّ إِلَيۡنَا تُرۡجَعُونَ ۝٥٧﴾.

١٠ ـ من أكثر الحقائق حضوراً في الحياة، ومن أكثر الحقائق غياباً عن واقعنا ﴿ كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۖ ثُمَّ إِلَيۡنَا تُرۡجَعُونَ ۝٥٧﴾.

١١ ـ ستموت، وسيموت والداك، وزوجك، وولدك، وصديقك، وقريبك؛ فلا تضع يدك على قلبك خائفاً وجلاً من طــوارق الموت ﴿ كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۖ ثُمَّ إِلَيۡنَا تُرۡجَعُونَ ۝٥٧﴾ الاستعداد له يصنع مواطن الفرح.

١٢ - تحية إجلال لهؤلاء الذين عاشــوا قضيتهم، ونجحوا في الامتحان ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ غُرَفًا تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ نِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ ﴿٥٨﴾ ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٥٩﴾﴾.

١٣ - آمن واعمل صالحاً، وارفع رأسك للســماء، فغداً ترى ما يسعدك ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ غُرَفًا تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ نِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ ﴿٥٨﴾ ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٥٩﴾﴾.

١٤ - إذا كان يراودك الشكُّ في رزق الله تعالى؛ فتأمل هذه الدواب كيف يرزقها الله! ﴿وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٖ لَّا تَحۡمِلُ رِزۡقَهَا ٱللَّهُ يَرۡزُقُهَا وَإِيَّاكُمۡۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٦٠﴾﴾.

١٥ - الذي تولى رزق الدواب سيتولى رزقك، وسيدبر شأنك، وسيصنع لك ما يدهشك ﴿وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٖ لَّا تَحۡمِلُ رِزۡقَهَا ٱللَّهُ يَرۡزُقُهَا وَإِيَّاكُمۡۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٦٠﴾﴾.

١٦ - لا تظن بأن الله تعالــى لا يراك، أو لا يعرف ظرفك، أو لا يشــهد معاناتك ﴿وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٖ لَّا تَحۡمِلُ رِزۡقَهَا ٱللَّهُ يَرۡزُقُهَا وَإِيَّاكُمۡۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٦٠﴾﴾.

١٧ - يعرفون كل شيء، ويصرُّون على العناد، تلك خواتيم السوء ﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۖ فَأَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ﴿٦١﴾﴾.

١٨ - لم يعد تنقص الناس معرفــةٌ لإدراك الحق ﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۖ فَأَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ﴿٦١﴾﴾ عندهم كل شيء.

١٩ - أســوأ معرفة في تاريخك تلك التي لا تنفعك في شيء في مستقبلك ﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۖ فَأَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ﴿٦١﴾﴾.

٢٠ - من أسوأ المفارقات معرفةٌ كالشمس وواقعٌ كالظلام ﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۖ فَأَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ﴿٦١﴾﴾.

٢١ ـ لا تقلق على رزقك؛ فالأمر بيد ربك ﴿ٱللَّهُ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ وَيَقۡدِرُ لَهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴿٦٢﴾﴾ هو الذي يبسط ويقدر، ويعطي ويمنع، والناس عبيدٌ له، لا يملكون شيئاً.

٢٢ ـ لو أراد الله تعالى أن يغنيك لفعل ﴿ٱللَّهُ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ وَيَقۡدِرُ لَهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴿٦٢﴾﴾ ولو أراد أن يفقر تاجراً ممن رأيت لفعل، وقد فعل!

٢٣ ـ اجهد، واتعب، وحاول، وابذل سبباً في طريق رزقك، وآمن أنه لن ينالك إلا ما كتب الله تعالى ﴿ٱللَّهُ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ وَيَقۡدِرُ لَهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴿٦٢﴾﴾.

٢٤ ـ لا تتحسَّر على صفقةٍ فاتت، أو ربحٍ لم تصل إليه، أو فرصةٍ مالية تأخرت عنها. لو شاء الله تعالى لأعطاك ﴿ٱللَّهُ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ وَيَقۡدِرُ لَهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴿٦٢﴾﴾.

٢٥ ـ يعرفون كل شيء، وتفوت عليهم أكثر الحقائق أثراً في الحياة ﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ مِنۢ بَعۡدِ مَوۡتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۚ قُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ﴿٦٣﴾﴾.

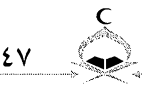
٢٦ ـ وما نصنع بعلمٍ لا يُصلح من شؤوننا الكبرى شيئاً ﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ مِنۢ بَعۡدِ مَوۡتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۚ قُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ﴿٦٣﴾﴾.

٢٧ ـ كم من علمٍ قليلٍ أفاد صاحبه الحياة! وكم من علمٍ كثيرٍ لم يفده إلا الاستكثار من الحجج ﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ مِنۢ بَعۡدِ مَوۡتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۚ قُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ﴿٦٣﴾﴾.

وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾ فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾ لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا۟ ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ۚ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَكْفُرُونَ ﴿٦٧﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٨﴾ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾

التفسير

- ﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ﴾ في حقيقتها ﴿إِلَّا لَهْوٌ﴾ تنشغل به القلوب ﴿وَلَعِبٌ﴾ تلعب به الأبدان ﴿وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ﴾ الحياة الحقيقية ﴿لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ وعد الله تعالى وجزاءه وعظيم ثوابه.
- ﴿فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ﴾ السفن في البحر ﴿دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ أخلصوا له في العبادة ﴿فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾﴾ عادوا إلى الشرك من جديد.

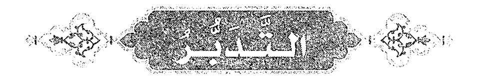


• ﴿لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ﴾ يجحدون نعم الله تعالى عليهم ﴿وَلِيَتَمَتَّعُوا﴾ بمتع وزينة هذه الحياة إلى حين ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ (٦٦)﴾ ما الذي يحلُّ بهم، ويقعُ عليهم من جزاء.

• ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾ ينظروا ويتأمَّلوا ﴿أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا﴾ بيتاً ﴿آمِنًا﴾ يأمن فيه الناس من طوارق الخوف ﴿وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾ قتلاً وسلباً وخوفاً ﴿أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ﴾ بالشرك يُصدِّقون ويُقرُّون ﴿وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ (٦٧)﴾ يجحدون.

• ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ﴾ لا أحد أظلم ﴿مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ كذب على الله تعالى ﴿أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ﴾ على يد رسوله ﷺ ﴿أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْكَافِرِينَ (٦٨)﴾ أليس في نار جهنم مقرٌّ ومسكن لمن كفر بالله تعالى، ولم يقم بحقه من العبادة؟!

• ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا﴾ بذلوا وقدَّموا من أجلنا ﴿لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ لندلَّنَّهم على الطرق الموصلة إلينا ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ (٦٩)﴾ بالعون والنصر والتوفيق والهداية.



١ ـ هذه هي حقيقة الحياة التي يتجالد عليها عالم اليوم ﴿وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (٦٤)﴾.

٢ ـ بناء التصورات أكثر القضايا التي عُني بها القرآن ﴿وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (٦٤)﴾.

٣ ـ لو صح تصوّر الناس لهذه الحقيقة التي يصف الله تعالى بها الدنيا لدفع كلُّ إنسانٍ منهم ما في يده لأخيه ﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا لَهۡوٞ وَلَعِبٞۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ لَهِيَ ٱلۡحَيَوَانُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ٦٤﴾.

٤ ـ أضخم الحقائق التي ما زالت تحتاج إلى تحديات ﴿وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ لَهِيَ ٱلۡحَيَوَانُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ﴾.

٥ ـ ماذا لو فقهنا هذه الحقيقة، وأقمنا لها شأناً كبيراً في النفوس ﴿وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ لَهِيَ ٱلۡحَيَوَانُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ﴾؟!

٦ ـ كم مرة ألَمَّ به المرض؛ فقام متضرعاً إلى الله، منيباً إليه، كأنه وليٌّ من أولياء الله تعالى الصالحين ﴿فَإِذَا رَكِبُواْ فِي ٱلۡفُلۡكِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمۡ إِلَى ٱلۡبَرِّ إِذَا هُمۡ يُشۡرِكُونَ ٦٥ لِيَكۡفُرُواْ بِمَآ ءَاتَيۡنَٰهُمۡ وَلِيَتَمَتَّعُواْۖ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ٦٦﴾ ولـمَّا شفي من مرضه، وتعافى من مصيبته ولَّى مُدبراً، ولم يُقِمْ لربه شأناً ولا مقاماً.

٧ ـ تأخرت وظيفته، وحصلت له مشكلة في عرض الطريق، فحضر إلى بيوت الله تعالى مبكِّراً، وتراه يطرق في كثير من أحيانه داعياً، ويبذل من ماله في سبيل الله تعالى ﴿فَإِذَا رَكِبُواْ فِي ٱلۡفُلۡكِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمۡ إِلَى ٱلۡبَرِّ إِذَا هُمۡ يُشۡرِكُونَ ٦٥ لِيَكۡفُرُواْ بِمَآ ءَاتَيۡنَٰهُمۡ وَلِيَتَمَتَّعُواْۖ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ٦٦﴾ فلمَّا حصل على مراده خلع ثوب رجائه، وولى عن ربه بثوب الجحود والنكران.

٨ ـ إذا أردت أن تعرف نعمة الله تعالى على العالمين فـزُرْ هذا الحرم لترى فيه مشاهد الحياة ﴿٦٦ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا جَعَلۡنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنۡ حَوۡلِهِمۡۚ أَفَبِٱلۡبَٰطِلِ يُؤۡمِنُونَ وَبِنِعۡمَةِ ٱللَّهِ يَكۡفُرُونَ ٦٧﴾.

٩ ـ حتى قلبك تجتاحه كثيرٌ من المحن، والأزمات، والمصائب، والشتات! يحتاج إلى رواء الحرم ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْۚ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَكْفُرُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾.

١٠ ـ أسوأ شيء أن تقيم النعم في رحابك، ثم لا تقيم لها شأناً في واقعك ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْۚ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَكْفُرُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾.

١١ ـ الكذب على الله تعالى من أسوأ الجرائم وأقبحها في واقع إنسان ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُۥٓۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٨﴾ ﴾.

١٢ ـ هل تعلم من يعني الله تعالى بهذا ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُۥٓۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٨﴾ ﴾؟! الذي يفتي بغير علم أحدُ هؤلاء، والذي حرَّف مفاهيم النص الشرعي ثانيهم، والذي قدَّم الشريعة بخلاف منهجِ وفقهِ السلف ثالثُ الركب.

١٣ ـ ما أبرد هذا المعنى ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾ على القلب!

١٤ ـ ﴿فِينَا﴾ تستحق حفلاً! ليس كلُّ جهادٍ هو في سبيل الله تعالى! ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾.

١٥ ـ كم من عرق وجهد وتعب وجهاد ضاع في أدراج الرياء! ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾.

١٦ ـ ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ لم يعملوا لله تعالى فحسب، وإنما جاهدوا واستفرغوا وسعهم، وبذلوا كل الأسباب الممكنة إلى ذلك.

١٧ ـ من لوازم الجهاد ألا تترك طريقاً، ولا فرصةً، ولا احتمالاً ممكناً إلا بذلته. هذا هو الحقيق بالهداية ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾.

١٨ ـ ﴿لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾ تستحق أن تسافر لها، وتسهر من أجلها، وتتغرَّب لآثارها، وتبذل في سبيلها كلَّ ممكن.

١٩ ـ إياك أن تأتي يوماً تقول: ما استطعت، ولم أتمكن، ومستحيل، وصعب، الله تعالى يقول لي ولك وللعالمين: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾.

٢٠ ـ حتى الاستقامة والهداية إذا بذلت وسعك، واستفرغت جهدك، وحاولت إمكانك فيها وصلت إلى مناك ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾.

٢١ ـ وصلاح ولدك وزوجك ووظيفتك كلها مرهونةٌ ببذل الأسباب ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾.

٢٢ ـ وفي الختام: على قدر جهدك تبلغ أمانيك! وأنت بالخيار ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾.

❀ ❀ ❀

سُورَةُ الرُّومِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الٓمٓ ﴿١﴾ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴿٢﴾ فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴿٣﴾ فِى بِضْعِ سِنِينَ ۗ لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ ۚ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾ بِنَصْرِ ٱللَّهِ ۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥﴾

التفسير

- ﴿الٓمٓ ﴿١﴾﴾ من الحروف المقطَّعة التي تدل على إعجاز القرآن.
- ﴿غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴿٢﴾﴾ غُلبت من فارس، وقد كانت دولتان ظاهرتان في ذلك الوقت ﴿فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ﴾ أقرب الأرض إلى مكة ﴿وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴿٣﴾﴾ والروم ستغلب فارس بعد ذلك.
- ﴿فِى بِضْعِ سِنِينَ﴾ من ثلاث إلى تسع ﴿لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ﴾ غلبة كل من الدولتين على الأخرى بقدر الله تعالى ومشيئته ﴿وَيَوْمَئِذٍ﴾ حين يغلب الرومُ فارسَ ﴿يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾﴾.

• ﴿بِنَصْرِ ٱللَّهِ﴾ بنصر الروم على فارس؛ لأن الروم أهل الكتاب، وهم أقربُ إلى المسلمين ﴿يَنصُرُ مَن يَشَآءُ﴾ وفق قدره وشرعه ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ لا غالب له ﴿ٱلرَّحِيمُ ﴿٥﴾﴾ لعباده المؤمنين.

التَّدَبُّرُ

١ ـ الإسلام يعلِّم أتباعه استثمار الفرص والفرح بها حتى لو كانت أقل ما يكون ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴿٢﴾ فِيٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴿٣﴾ فِي بِضْعِ سِنِينَ ۗ لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ ۚ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾ بِنَصْرِ ٱللَّهِ ۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥﴾﴾ من الفرس ومن الروم؟ كلاهما عدو، ولكن الروم؛ لأنهم أهل كتاب أقرب فكان الفرح بنصرهم نوع من استثمار الفرص!

٢ ـ نصرُ هؤلاء وهزيمةُ أولئك يجري في قدر الله تعالى وحكمته فاطمئنْ ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴿٢﴾ فِيٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴿٣﴾ فِي بِضْعِ سِنِينَ ۗ لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ ۚ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾ بِنَصْرِ ٱللَّهِ ۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥﴾﴾.

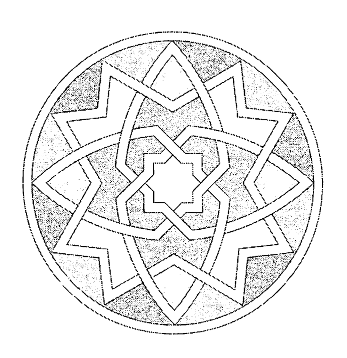
٣ ـ حتى لو انتصر الباطل في الأرض قاطبة: يجب ألَّا يبرحَ الأمل قلبك ومشاعرك ﴿لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ﴾.

٤ ـ كم مرة نردد هذه الآية ﴿لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ﴾ ويبلغ منا الألم مداه؛ لأن رئيساً ترأَّس، أو وزيراً عُزل!

٥ ـ إذا بلغك أن عاتياً تولَّى أمر العالم، وشعرت بالقلق؛ فَارْقِ قلبك بهذه العقيدة ﴿لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ﴾.

٦ ـ من حقك أن تفرح وتُسَرَّ وتبتهج لنصر المؤمنين في كلِّ مكان ﴿فِى بِضْعِ سِنِينَ ۗ لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ ۚ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾ بِنَصْرِ ٱللَّهِ ۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥﴾﴾.

❀ ❀ ❀



وَعْدَ ٱللَّهِ ۖ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِم ۗ مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ بِلِقَآئِ رَبِّهِمْ لَكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾ أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا۟ ٱلْأَرْضَ وَعَمَرُوهَآ أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾ ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ ٱلسُّوٓأَىٰٓ أَن كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١٠﴾ ٱللَّهُ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُبْلِسُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿١٢﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُم مِّن شُرَكَآئِهِمْ شُفَعَٰٓؤُا۟ وَكَانُوا۟ بِشُرَكَآئِهِمْ كَٰفِرِينَ ﴿١٣﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَهُمْ فِى رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴿١٥﴾

التفسير

- ﴿وَعۡدَ ٱللَّهِۖ﴾ هذا الذي حصل من نصر الروم على فارس ﴿لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥ﴾ لا يمكن أن يتخلف ﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ۝٦﴾ لا يعلمون حكمة الله تعالى.
- ﴿يَعۡلَمُونَ ظَٰهِرٗا مِّنَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾ لانشغالهم بها وحرصهم عليها ﴿وَهُمۡ عَنِ ٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ غَٰفِلُونَ ۝٧﴾ لا يعلمون عنها شيئاً.
- ﴿أَوَلَمۡ يَتَفَكَّرُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۗ﴾ كيف خلقها الله تعالى وسوَّاها ﴿مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَآ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ﴾ بالعدل وإقامة الحق ﴿وَأَجَلٖ مُّسَمّٗىۗ﴾ تنتهي عنده ﴿وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ بِلِقَآيِٕ رَبِّهِمۡ لَكَٰفِرُونَ ۝٨﴾ مع كل هذه الآيات البيِّنة جاحدون لنعم الله تعالى.
- ﴿أَوَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ﴾ يتأمَّلوا ﴿كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ﴾ من الأمم التي سبقتهم ﴿كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنۡهُمۡ قُوَّةٗ وَأَثَارُواْ ٱلۡأَرۡضَ﴾ استخرجوا ما فيها ﴿وَعَمَرُوهَآ﴾ بالحرث والبناء ﴿أَكۡثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا﴾ هؤلاء ﴿وَجَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِۖ﴾ بالعظات البيِّنة الواضحة ﴿فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظۡلِمَهُمۡ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ۝٩﴾ بما ارتكبوا من السيئات.
- ﴿ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ﴾ في العمل، ولم يقيموا ما بينهم وبين الله تعالى ﴿ٱلسُّوٓأَىٰٓ﴾ العاقبة السيئة والمآل القبيح ﴿أَن كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ حلَّ بهم ذلك لتكذيبهم ﴿وَكَانُواْ بِهَا يَسۡتَهۡزِءُونَ ۝١٠﴾ يسخرون بأنها ليست حقاً.
- ﴿ٱللَّهُ يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ﴾ أول مرة ﴿ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾ بعد موته ﴿ثُمَّ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ۝١١﴾ يوم القيامة.

• ﴿وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُبۡلِسُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ ١٢﴾ ييأسون من رحمة الله تعالى.

• ﴿وَلَمۡ يَكُن لَّهُم مِّن شُرَكَآئِهِمۡ﴾ التي عبدوها من دون الله تعالى ﴿شُفَعَـٰٓؤُاْ﴾ يشفعون لهم عند الله تعالى ﴿وَكَانُواْ بِشُرَكَآئِهِمۡ كَـٰفِرِينَ ١٣﴾ جاحدين لهم متبرئين منهم.

• ﴿وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوۡمَئِذٖ يَتَفَرَّقُونَ ١٤﴾ فأهل الإيمان يؤخذ بهم إلى طريق الجنة، وأهل الكفر يؤخذ بهم إلى النار.

• ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ فَهُمۡ فِي رَوۡضَةٖ﴾ مكانٍ مرتفعٍ زاخرٍ بالنبات الحسن والمنظر البهيج ﴿يُحۡبَرُونَ ١٥﴾ يفرحون ويُسَرُّون.

التَّدَبُّر

١ - كل نصر تراه لفئة أو جماعة أو أمة إنما هو جزء من ذلك الوعد الكبير ﴿وَعۡدَ ٱللَّهِۖ لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥ وَلَـٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٦﴾.

٢ - لا تقلق على كل ما تراه في واقعك الشخصي، أو واقع مشروعك، أو واقع أمتك! كلُّها آيلةٌ للنصر والتمكين ﴿وَعۡدَ ٱللَّهِۖ لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥ وَلَـٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٦﴾.

٣ - حتى وإن طال ليل الظلام في أمتك، وتشرَّدَ أفرادُها، وضاقت عليهم الحياة؛ سيأتي وعد الله تعالى، ولو بعد حين ﴿وَعۡدَ ٱللَّهِۖ لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥ وَلَـٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٦﴾.

٤ - مشكلة كثيرين أنهم لا يعرفون من الحياة إلا هذا الظاهر البائس ﴿يَعۡلَمُونَ ظَـٰهِرٗا مِّنَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ عَنِ ٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ غَـٰفِلُونَ ٧﴾.

٥ ـ لم يعرفوا سوى هذا الظاهر؛ فانشغلوا به، ولو عرفوا الحقائق لأدركوا ما هم فيه من خسارة ﴿يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾﴾.

٦ ـ كل انحراف في البوصلة مؤذن بالضياع ﴿يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾﴾.

٧ ـ قليل من التأمل في أنفسنا كافٍ لإدراك هذه الغايات التي أرادها الله تعالى ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِم ۗ مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ بِلِقَآئِ رَبِّهِمْ لَكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾﴾.

٨ ـ أتظنُّ أنَّ هذا الإبداع المثير في نفسك من غير غاية! يا لضحالة تفكير الكثيرين! ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِم ۗ مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ بِلِقَآئِ رَبِّهِمْ لَكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾﴾.

٩ ـ لو أنك سافرت بعقلك ووجدانك ومشاعرك، أو حتى بخطوك وبصرك في أرجاء الدنيا لحدَّثك التاريخ عن مصارع الأشقياء ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا۟ ٱلْأَرْضَ وَعَمَرُوهَآ أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾ ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ ٱلسُّوٓأَىٰٓ أَن كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١٠﴾ ٱللَّهُ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾﴾.

١٠ ـ في التاريخ المرقوم قصصٌ لا تفوت إلا على جاهل أو معرض، وفي آثار بعض المغضوب عليهم في الأرض أحداثٌ وعبرٌ وعظات ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا۟ ٱلْأَرْضَ وَعَمَرُوهَآ أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾ ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ ٱلسُّوٓأَىٰٓ أَن كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١٠﴾ ٱللَّهُ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾﴾.

١١ ـ كل شيء له حدٌّ ونهاية ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُبْلِسُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿١٢﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُم مِّن شُرَكَآئِهِمْ شُفَعَٰٓؤُاْ وَكَانُواْ بِشُرَكَآئِهِمْ كَٰفِرِينَ ﴿١٣﴾﴾ بعد هذا الزمن العريض في الحياة العابثة حان موعد الجزاء والحساب.

١٢ ـ كان يحدثنا بالأمس عن نجاحه في عمارة الأرض، وغداً سيحدثنا عن إخفاقه في عالم الحياة كله ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُبْلِسُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿١٢﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُم مِّن شُرَكَآئِهِمْ شُفَعَٰٓؤُاْ وَكَانُواْ بِشُرَكَآئِهِمْ كَٰفِرِينَ ﴿١٣﴾﴾.

١٣ ـ قد يغلب بعواقب فرح إلا يأس ذلك اليوم ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُبْلِسُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿١٢﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُم مِّن شُرَكَآئِهِمْ شُفَعَٰٓؤُاْ وَكَانُواْ بِشُرَكَآئِهِمْ كَٰفِرِينَ ﴿١٣﴾﴾.

١٤ ـ هذا هو موعد الفرح والبهجة التي كان ينتظرها المؤمنون ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَهُمْ فِى رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴿١٥﴾﴾.

١٥ ـ إذا كلَّت نفسك، أو لقيت يائساً في طريقك، أو طال شوق الأماني في رحلة صاحب مشروع؛ فانفث عليه بهذه الآمال ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَهُمْ فِى رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴿١٥﴾﴾.

١٦ ـ هل رأيتم اجتماعات أهل الباطل، وائتلاف صفوفهم، وتوحُّد آرائهم؟! غداً سيحلُّ عليهم الشتات ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ﴿١٤﴾﴾.

١٧ ـ يا أهل الحق! اصبروا وصابروا ورابطوا؛ فلم يبقَ إلا اليسير ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَهُمْ فِى رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴿١٥﴾﴾.

❀ ❀ ❀

وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا وَلِقَآيِٕ ٱلْأَخِرَةِ فَأُوْلَـٰٓئِكَ فِى ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿١٦﴾ فَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴿١٨﴾ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَيُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١٩﴾ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَـٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّلْعَـٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَيُحْىِۦ بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٤﴾

التفسير

- ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ بالله ورسله ﴿وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ الدالَّة على وحدانيَّتنا ﴿وَلِقَآيِٕ ٱلۡأٓخِرَةِ فَأُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلۡعَذَابِ مُحۡضَرُونَ ١٦﴾ مقيمون فيه.

- ﴿ فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمۡسُونَ وَحِينَ تُصۡبِحُونَ ١٧﴾ تقدَّس وَتَنَزَّهَ عن كل نقصٍ في كل وقت.

- ﴿وَلَهُ ٱلۡحَمۡدُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ وله الثناء الحسن من كل مَنْ في السموات والأرض ﴿وَعَشِيّٗا﴾ وله الحمد كذلك وقت العشي، وذلك وقت العصر ﴿وَحِينَ تُظۡهِرُونَ ١٨﴾ في وقت الظهر.

- ﴿يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ﴾ كإخراج الإنسان من النطفة، والنبات من الحب، والمؤمن من الكافر ﴿وَيُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّ﴾ كالنطفة من الإنسان، والحب من النبات، والكافر من المؤمن ﴿وَيُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ﴾ بالغيث ﴿بَعۡدَ مَوۡتِهَا﴾ بالجدب والقحط ﴿وَكَذَٰلِكَ تُخۡرَجُونَ ١٩﴾ من قبوركم يوم القيامة.

- ﴿ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنۡ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٖ﴾ أبينا آدم كان أصل خلقه من تراب ﴿ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٞ تَنتَشِرُونَ ٢٠﴾ في الأرض.

- ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنۡ خَلَقَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا﴾ من النساء ﴿لِّتَسۡكُنُوٓاْ إِلَيۡهَا﴾ تميلون إليهنَّ ﴿وَجَعَلَ بَيۡنَكُم مَّوَدَّةٗ وَرَحۡمَةً﴾ محبَّةً ورأفة ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ٢١﴾ يتأمَّلون في أسرار الكون.

- ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ خَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفُ أَلۡسِنَتِكُمۡ﴾ في لغاتها ولهجاتها ﴿وَأَلۡوَٰنِكُمۡ﴾ فهذا أبيض وهذا أسود ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّلۡعَٰلِمِينَ ٢٢﴾ لأولي العلم والفهم.

• ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم﴾ نومكم ﴿بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ﴾ طلبكم لرزقه ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٢٣﴾﴾ سماع قبول وتدبُّر.

• ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا﴾ من صواعقه ﴿وَطَمَعًا﴾ في غيثه ﴿وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَيُحْىِۦ بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ﴾ فيحيلها من الجدب والقحط إلى أرض خضراء ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٤﴾﴾ يعقلون عن الله تعالى أمره وأسرار شرعه.

التَّدَبُّرُ

١ ـ نسوا أن يوماً سيأتي للجزاء والحساب ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآىِٕ ٱلْءَاخِرَةِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ فِى ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿١٦﴾﴾.

٢ ـ ما أكثر مشاهد الكون التي تدعو لإجلال الله تعالى وتعظيمه! ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴿١٨﴾ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَيُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١٩﴾﴾.

٣ ـ ذرات تراب كوَّنت كلَّ هذا العالم من أول البشرية إلى قيام الساعة، ما أجلَّ الله تعالى! ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾﴾.

٤ ـ كيف تَكَوَّن هذا العالم؟! ذرات التراب الأولى ما زالت تدفع بملايين من الخلائق لعالم الحياة ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾﴾.

٥ ـ لو لم يجد الرجل امرأة لم يتكوَّن هذا العالم الكبير ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾.

٦ ـ نصف الكرة الأرضية امرأة! ونصف الحياة امرأة! ومباهج الحياة وقفٌ على هذه المرأة ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ وتراها في مرة تُضْرَب، وفي أخرى تُظْلَم، وفي ثالثة تُطْرَد.

٧ ـ ﴿ لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا ﴾ الحياة التي يقف العالم أمام أسرارها واجماً عن التعبير!

٨ ـ ﴿ لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا ﴾ إلى امرأة لا تعرف عنها شيئاً، وبمجرد عقدك عليها تصبحُ هي الحياة.

٩ ـ ﴿ لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا ﴾ معنى فوق مشاعرك بكثير!

١٠ ـ مد بصرك في فضاء هذه السماء، وتأمل في هذه الأرض التي تخطو إليها! لن تشبع من آثار قدرة الله تعالى ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾ ﴾.

١١ ـ هذا الاختلاف من أعظم الأدلة على صناعة اللطيف الخبير ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾ ﴾.

١٢ ـ لا تهزأ بلون أحد، أو بلسانه، أو بشكله وصورته، تلك بعض آيات الله تعالى في الكون ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾ ﴾.

١٣ ـ سكون ليلك وحركة نهارك آيةٌ أخرى في ساحات هذا الكون البهيج ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٢٣﴾﴾.

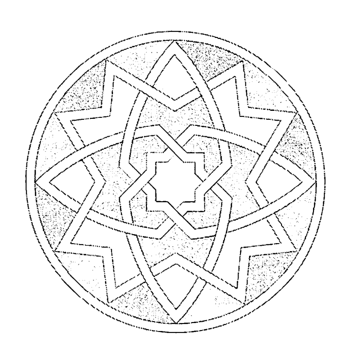
١٤ ـ ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ﴾ ليس لسهركم وتأخُّر نومكم! لا تُقلِقُوا حياتكم بالسهر!

١٥ ـ حين يتحوَّل الليل إلى فرصة لتخفيف عناء الإجهاد يتحوَّل النهار إلى متعة في النشاط والعمل والبناء ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ﴾.

١٦ ـ كلما حاولنا أن نخالف بعض معالم هذا الكون لم نجد الآلاء التي مَنَّ الله تعالى بها على الإنسان ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٢٣﴾﴾.

١٧ ـ كم مرة تزدلف قلوبنا بالبرق خوفاً ورجاءً! وكم من صورة ربيع دعتنا للتفكر في ملكوت الله تعالى! ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٢٣﴾﴾.

❀ ❀ ❀



وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦۚ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿٢٥﴾ وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿٢٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْۖ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ فِى مَا رَزَقْنَٰكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَآءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَهْوَآءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍۖ فَمَن يَهْدِى مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًاۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَاۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ۞ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًاۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾



التفسير

• ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ﴾ ثباتاً وبقاءً وخضوعاً ﴿ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿٢٥﴾﴾ ثم بعد أن تموتوا إذا دعاكم إسرافيل بالنفخ في الصور خرجتم مسرعين للبعث والنشور.

• ﴿وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ خلقاً وملكاً وتدبيراً ﴿كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿٢٦﴾﴾ طائعون خاضعون.

• ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ﴾ أول مرة ﴿ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾ حين البعث ﴿وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ أي إعادة الخلق أهون من بدايته ﴿وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ الوصف الأعلى من ذلك ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ الذي لا غالب له ﴿ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾﴾ في تدبير أمره وخلقه.

• ﴿ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ تشهدونه وتفهمونه ﴿هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ فِى مَا رَزَقْنَٰكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَآءٌ﴾ لا يرتضي أحدكم أن يكون عبده شريكاً له في ماله هو فيه على السواء ﴿تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ تخافون أن يقاسموكم الأموال، فإذا كنتم تأنفون من ذلك؛ فكيف تجعلون لله تعالى الأنداد من خلقه ﴿كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ﴾ نبيّنها ونوضّحها ﴿لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾﴾ فيتدبرون آيات الله تعالى وعبره وعظاته.

• ﴿بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟﴾ المشركون ﴿أَهْوَآءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ في عبادتهم الأنداد ﴿فَمَن يَهْدِى مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ﴾ لا أحد يهديه إذا كتب الله تعالى عليه الضلال والخسران ﴿وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٩﴾﴾ ينصرونهم من دون الله تعالى.

- ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ﴾ لدين الله تعالى ﴿حَنِيفًا﴾ مستقيماً لدينه وطاعته ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا﴾ صنعة الله تعالى التي خلق الناس عليها ﴿لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ﴾ لدين الله تعالى ﴿ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾ التمسُّك بالشريعة والفطرة المستقيمة ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ هذه الحقيقة العظيمة.
- ﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ﴾ راجعين إليه ﴿وَٱتَّقُوهُ﴾ اجعلوا فيما بينكم وبين عذاب الله تعالى وقايةً؛ بفعل أوامره، واجتناب نواهيه ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ على وجهها التي أمر الله تعالى ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾﴾ بالله تعالى.
- ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ﴾ بدَّلوه وغيَّروه وآمنوا ببعضه وتركوا بعضه الآخر ﴿وَكَانُوا۟ شِيَعًا﴾ فِرَقاً مختلفة ﴿كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾﴾ مسرورون معتقدون أنهم على الصواب.

التَّدَبُّر

١ ـ يدعوك الله تعالى إلى التأمل في مشاهد خلقه، والتفكُّر في آلائه وإبداعه ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ ۚ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿٢٥﴾ وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿٢٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾﴾.

٢ ـ من فقه المربي والكاتب والقاصِّ العنايةُ بضرب الأمثال والقصص التي توصل مراده من أقرب الطرق، وأيسر المسالك ﴿ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ ۖ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ فِى مَا رَزَقْنَٰكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَآءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾﴾.

٣ ـ كم مرة وقف الهوى في طريق كثير من الآمال التي كُنَّا نرجوها! ﴿بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَهْوَآءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍۖ فَمَن يَهْدِى مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٩﴾﴾.

٤ ـ قصة كثيرٍ من التردِّي الذي يلقاه الإنسان في حياته ناتجةٌ عن الهوى ﴿بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَهْوَآءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍۖ فَمَن يَهْدِى مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٩﴾﴾.

٥ ـ إذا أردت أن تبلغ من دينك مناك؛ فتوجَّه إليه صادقاً، وأَقِمْ بباب ربك راجياً، وأَحْسِنْ كما أحسن الله تعالى إليك ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًاۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَاۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾.

٦ ـ من دلائل صدق هذا الدين أنه لا يتعارض مع فطرة الإنسان، ولا يخالف شيئاً في مداركه ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًاۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَاۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾.

٧ ـ التوبة، والتقوى، وإقامة الصلاة، ومجافاة طريق المشركين أعظم الطرق، وأكثر الأدلة على صحَّة طريقه ﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾﴾.

٨ ـ الفرقة والخلاف من أخلاق المشركين والضالين، وليست من أخلاق المسلمين في شيء ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًاۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾﴾.

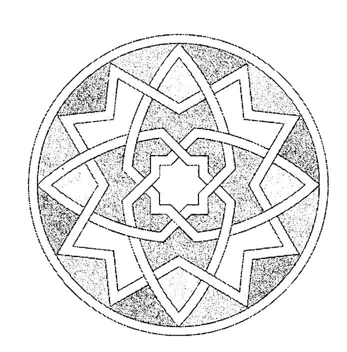
٩ ـ الوحدة، والاجتماع، والائتلاف في أي بيتٍ، أو أسرةٍ، أو مجتمع، وأمة هي من دلائل التوفيق، ومؤهلات النجاح ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًاۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَاۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ۞ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًاۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾﴾.

١٠ ـ كل أسرة أو مجتمع أو أمة دبَّ فيها الخلاف والنزاع سَرَتْ فيها الفرقة، وضاع منها الاجتماع ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٣٠) ۞ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (٣١) مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا ۖ كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ (٣٢)﴾.

١١ ـ كل فرد مسؤول عن تكوين صفِّ الأمة الواحد بتبنِّيه للفكرة ذاتها والحرص على الاجتماع، ونبذ كل ما يمكن أن يكون سبباً في الفرقة والخلاف ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٣٠) ۞ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (٣١) مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا ۖ كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ (٣٢)﴾.

١٢ ـ هل تخيلت يوماً ما هذه الأزمة الفكرية والأخلاقية التي تحلُّ بجسد الأمة؟! ﴿مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا ۖ كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ (٣٢)﴾ تفرقوا واختلفوا وتحزبوا، والمؤلم في الوقت ذاته أنهم فرحون بكل ذلك.





وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا۟ رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَآ أَذَاقَهُم
مِّنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ
ءَاتَيْنَٰهُمْ ۚ فَتَمَتَّعُوا۟ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾ أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ
سُلْطَٰنًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا۟ بِهِۦ يُشْرِكُونَ ﴿٣٥﴾ وَإِذَآ أَذَقْنَا
ٱلنَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا۟ بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ
إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴿٣٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ
وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣٧﴾ فَـَٔاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ
حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ
وَجْهَ ٱللَّهِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا
لِّيَرْبُوَا۟ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ
تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ ﴿٣٩﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى
خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ۖ هَلْ مِن
شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَىْءٍ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ
عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٠﴾ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ
أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾

التفسير

- ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرٌّ﴾ من مرضٍ ونحوه ﴿دَعَوْا۟ رَبَّهُم﴾ أخلصوا له، وتوجَّهوا إليه ﴿مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ﴾ عائدين إليه ﴿ثُمَّ إِذَآ أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً﴾ فشفاهم من مرضهم، أو أخرجهم من مأزقهم ﴿إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾﴾ عادوا لما كانوا عليه.

- ﴿لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ﴾ يجحدوا بما آتاهم الله تعالى من نعم ﴿فَتَمَتَّعُوا۟﴾ استمتعوا في هذه الدنيا ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾﴾ عاقبة ما أنتم فيه.

- ﴿أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنًا﴾ كتاباً وحجَّةً ظاهرة ﴿فَهُوَ يَتَكَلَّمُ﴾ ينطق ﴿بِمَا كَانُوا۟ بِهِۦ يُشْرِكُونَ ﴿٣٥﴾﴾ بما يقولون ويفعلون من شرك.

- ﴿وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً﴾ من صحَّةٍ وعافية ﴿فَرِحُوا۟ بِهَا﴾ سُرُّوا وأُعجبوا ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ﴾ من مرضٍ وضيقٍ وكرب ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ بما فعلوا من المعاصي ﴿إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴿٣٦﴾﴾ ييأسون من زوال ما حلَّ بهم.

- ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ﴾ يوسّعه ﴿لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ﴾ يضيِّق على من يشاء ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣٧﴾﴾ بالله تعالى حقَّ الإيمان.

- ﴿فَـَٔاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ﴾ من البر والصلة والمعروف ﴿وَٱلْمِسْكِينَ﴾ مَنْ أسكنه الفقر والحاجة ﴿وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ﴾ المسافر المنقطع في الطريق ﴿ذَٰلِكَ﴾ ما مَرَّ من الوصية بالقربى والمساكين وابن السبيل ﴿خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ﴾ بذلك العمل ﴿وَجْهَ ٱللَّهِ﴾ ما عند الله تعالى من خير ﴿وَأُو۟لَٰٓئِكَ﴾ الذين عملوا هذه الأعمال ﴿هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٣٨﴾﴾ الفائزون بثواب الله تعالى وعاقبة أمره.

• ﴿ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا ﴾ وما أعطيتم غيركم من مال ﴿لِّيَرْبُوَا۟ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ ﴾ ليردَّها إليكم بزيادة ﴿فَلَا يَرْبُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ﴾ فلا تزيد هذه الأموال أجراً ومثوبة عند الله تعالى ﴿وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ ﴾ تزكُّون بها أموالكم ﴿تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ ﴾ ما عنده من خير ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾ المضاعف لهم الأجر عند الله تعالى.

• ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ﴾ أول مرة ﴿ثُمَّ رَزَقَكُمْ ﴾ من فضله ﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ﴾ عند انتهاء آجالكم ﴿ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ﴾ عند البعث ﴿هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم ﴾ الذين تتَّخذونهم من دون الله تعالى ﴿مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَىْءٍ ﴾ من الخلق والبعث ﴿سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾ تقدَّس وتنزَّه عن الأضداد والأنداد.

• ﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ ﴾ علا وانتشر وفشا ﴿فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ ﴾ من الفساد والمعاصي ﴿لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ ﴾ ليجازيهم بسبب أعمالهم ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ يتوبون من فسادهم، ويتركوا معاصيهم.

التَّدبُّر

١ ـ هذه هي الحالة التي لا تفارق جنس الإنسان في كل آلامه وجراحاته ومآسيه ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا۟ رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَآ أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ ۚ فَتَمَتَّعُوا۟ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾ إذا لقي في طريقه جراحاً عاد راجياً ربه، وإذا جرت عليه نعم الله تعالى لوى عنقه مستكبراً.

٢ ـ المؤمن لا تزيده الجراحات والآلام والأزمات إلا قرباً من ربه وتضرُّعاً إليه ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا۟ رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَآ أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ ۚ فَتَمَتَّعُوا۟ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾.

٣ ـ ألا تعرف ربك إلا في الأزمات: نوعٌ من الاستكبار ﴿لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ ۚ فَتَمَتَّعُوا۟ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾﴾.

٤ ـ المؤمن الصادق لا تكاد تجد فرقاً بيّناً في حياته بين أوقات الرخاء وأوقات الشدة ﴿لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ ۚ فَتَمَتَّعُوا۟ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾﴾.

٥ ـ لو كان لهم دليل إلى ما يصنعون لكانت لهم حجّة، ولكنها الأوهام ﴿أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا۟ بِهِۦ يُشْرِكُونَ ﴿٣٥﴾﴾.

٦ ـ هل تتخيَّل مؤجِّراً لعقله؟! هو هذا الذي يتَّخذ قراراتٍ تتعلّق بدينه وفق عاداتٍ وأوهامٍ لا دليلَ عليها ﴿أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا۟ بِهِۦ يُشْرِكُونَ ﴿٣٥﴾﴾.

٧ ـ ما فريضة العقل إذا سلمناه للأهواء والأوهام وآثار الجاهلية؟! ﴿أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا۟ بِهِۦ يُشْرِكُونَ ﴿٣٥﴾﴾.

٨ ـ من حقِّك أن تفرح بنعمة الله تعالى، وليس من حقِّك أن تجعلها سبيلاً للكبر والبطر والعلو ﴿وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا۟ بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴿٣٦﴾﴾.

٩ ـ إذا أردت أن تستدلَّ على ضعف هذا الإنسان، وقلَّة حيلته؛ فانظر إلى قنوطه أوقات الآلام ﴿وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا۟ بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴿٣٦﴾﴾.

١٠ ـ ارقب أحوال المستكبرين أيام الأزمات والمحن والظروف البائسة لترى كيف يعودون إلى الله تعالى مرغمين ﴿وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا۟ بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴿٣٦﴾﴾.

١١ ـ هذا المال الذي في يد جارك وصاحبك ورفيق دربك هو جزءٌ من النعم ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣٧﴾﴾ وإذا رأيت فقيراً تطارده قلَّة المال وأزمات الفقر؛ فذلك تقدير الله تعالى.

١٢ ـ لا تتحسَّر على فائت؛ فالله تعالى يملك كلَّ شيء ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣٧﴾﴾.

١٣ ـ رعايتك للفقراء والمعوزين من أهلك وأقاربك كمالُ عقلٍ وحسنُ توفيق ﴿فَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٣٨﴾﴾.

١٤ ـ مؤسفٌ ألَّا يكون في مالك شيءٌ لهؤلاء! ﴿فَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٣٨﴾﴾.

١٥ ـ الفلاح وقفٌ على الإحسان ﴿فَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٣٨﴾﴾.

١٦ ـ يمكنك أن تزيد مالك من خلال ربا، ولكنك تخسر دينك في الوقت نفسه ﴿وَمَا آتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُو عِندَ اللَّهِ ۖ وَمَا آتَيْتُم مِّن زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ ﴿٣٩﴾﴾.

١٧ ـ من كمال عقلك ألَّا تبني دنيا زائلة على الآخرة الباقية ﴿وَمَا آتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُو عِندَ اللَّهِ ۖ وَمَا آتَيْتُم مِّن زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ ﴿٣٩﴾﴾.

١٨ ـ لا تفرح بمالك الزائد في رصيدك قبل أن تتفقَّد طريقه، وكيف وصل إليك ﴿وَمَا آتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُو عِندَ اللَّهِ ۖ وَمَا آتَيْتُم مِّن زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ ﴿٣٩﴾﴾.

١٩ ـ النفقة من مالك واجبةً كانت أو تطوُّعاً هي الطريق الأكثر إثارة في مستقبلك ﴿وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَاْ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُواْ عِندَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ ﴿٣٩﴾﴾.

٢٠ ـ هل رأيت طريقاً أمتعَ لإنسان من هذا الطريق ﴿تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ﴾ ذلك هو التوفيق الكبير ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ﴾.

٢١ ـ هلكت البيئة! والذي أهلكها فساد هذا الإنسان ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُواْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾﴾.

٢٢ ـ لم تنجح هيئات البيئة في إيقاف هذا الخراب الذي يعم الأرض؛ لأنها لم تدرك أن خرابه المعنوي أقسى من الخراب الحسي ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُواْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾﴾.

٢٣ ـ في كثير من قضايانا التي نعالجها يأتي الدين آخر الحلول، فلا تأخذ حقَّها من النجاح ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُواْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾﴾.

٢٤ ـ كل ما نعانيه جزءٌ فقط من جزاء الله تعالى، ماذا لو جازانا الله تعالى على كلِّ شيء؟! ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُواْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾﴾.

٢٥ ـ حتى جزاء الله تعالى على التفريط لا يأتي عقاباً مجرَّداً، وإنما من أجل الإصلاح ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾.

٢٦ ـ ما أرحم الله تعالى بخلقه! حتى حين يعذِّبهم يعيدهم للحياة من جديد ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾.

❀ ❀ ❀

قُلْ سِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلُۚ كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ ﴿٤٢﴾ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ ٱلْقَيِّمِ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِۖ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ ﴿٤٣﴾ مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥۖ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ ﴿٤٤﴾ لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن فَضْلِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٥﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَلِتَجْرِيَ ٱلْفُلْكُ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱنتَقَمْنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُواْۖ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِي يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُۥ فِي ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦۖ فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِۦ لَمُبْلِسِينَ ﴿٤٩﴾ فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْيِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾

التفسير

- ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ امشوا فيها ﴿فَانظُرُوا﴾ تأملوا ﴿كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلُ﴾ تأملوا كيف كانت نهاية الأمم المكذِّبة ﴿كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ (٤٢)﴾ بالله تعالى فكانت عاقبتهم سيئة.

- ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ﴾ أقبل به ﴿لِلدِّينِ الْقَيِّمِ﴾ إلى الدين المستقيم ﴿مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ﴾ لا رادَّ له عن وقته، وذلك يوم القيامة ﴿يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ (٤٣)﴾ يتفرقون إلى الجنة وإلى النار.

- ﴿مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ﴾ مردُّه وأثره على نفسه ﴿وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ (٤٤)﴾ يهيئون.

- ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِن فَضْلِهِ﴾ فيسبغ عليهم نعمه فضلاً وتكرُّماً منه ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ (٤٥)﴾ الجاحدين لنعمه.

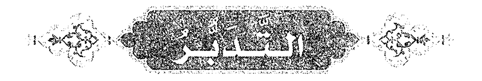
- ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَن يُرْسِلَ الرِّيَاحَ مُبَشِّرَاتٍ﴾ بالغيث والرحمة ﴿وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِ﴾ بالغيث النازل ﴿وَلِتَجْرِيَ الْفُلْكُ﴾ السفن ﴿بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ﴾ بالتصرف في مصالحكم ومعايشكم ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٤٦)﴾ الله تعالى على نعمه وفضله عليكم.

- ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ﴾ في الأمم التي سبقتك ﴿رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ﴾ يبيِّنون لهم الدين، ويقيمون عليهم الحجَّة ﴿فَجَاءُوهُم بِالْبَيِّنَاتِ﴾ الواضحات ﴿فَانتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا﴾ بإعراضهم عن رسل الله تعالى ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا﴾ واجباً أوجبناه على أنفسنا ﴿نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ (٤٧)﴾ غلبتهم للكافرين.

• ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا ﴾ تنشئه وتكوِّنه ﴿فَيَبْسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ ﴾ يجمعه وينشره ﴿وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا ﴾ قِطَعاً متفرِّقة، وسحاباً كثيفاً ﴿فَتَرَى ٱلْوَدْقَ ﴾ الغيث ﴿يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ ﴾ من بين السحاب ﴿ فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ ﴾ أي بالغيث ﴿مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٨﴾﴾ يفرحون ويُسَرُّون.

• ﴿وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم ﴾ الغيث ﴿مِّن قَبْلِهِۦ لَمُبْلِسِينَ ﴿٤٩﴾﴾ آيسين من رحمة الله تعالى.

• ﴿ فَٱنظُرْ ﴾ تأمل ﴿إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ ﴾ من الغيث ﴿كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ﴾ بعد ما كانت ميتة بالجدب عادت حيَّة بالغيث ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾ من أحيا الأرض بعد موتها قادرٌ على إحياء الموتى من جديد ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾﴾ لا يعجزه شيء.



١ ـ كم مرة يدعو الله تعالى إلى قطع الفيافي من أجل الذكرى ﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلُ ۚ كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ ﴿٤٢﴾﴾.

٢ ـ درس التاريخ أكثر الدروس عظةً وعبرةً ﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلُ ۚ كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ ﴿٤٢﴾﴾.

٣ ـ ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ ٱلْقَيِّمِ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۖ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ ﴿٤٣﴾﴾ دعوة لإصلاح واقعك، وترميم حياتك لمستقبل الأيام.

٤ ـ حتى لو كفر العالم كلُّه! لا يضرُّك ﴿ مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ ﴾.

٥ ـ ﴿مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ﴾ أقم علم الجهاد فيهم دعوةً وإصلاحاً، ولا يضرُّك نتائج تلك الرايات.

٦ ـ يعرضون، ويستكبرون، ويضلُّون، ويعصون، ويفسدون، ويجاهرون بالمعاصي، ولا يضرُّون إلا أنفسهم ﴿مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ﴾.

٧ ـ جزء من مشكلاتنا أننا نحمل إعراضهم فوق كواهلنا، وليس لنا منه شيء ﴿مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ﴾.

٨ ـ ﴿وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ﴾ جهدك لك؛ فلا تبخس منه شيئاً!

٩ ـ إذا أمسيتَ كالَّاً مُجهداً من العمل في سبيل الله تعالى؛ فتلك ليلة الأفراح ﴿وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ﴾.

١٠ ـ إياك أن تتنازل عن عرق جبينك، وأحداث سيرك، وكَدِّ جسدك في سبيل المعالي؛ فتلك هي الباقيات ﴿وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ﴾.

١١ ـ الخطوات الأولى عليك والجزاء الكبير على ربك ﴿لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٥﴾﴾.

١٢ ـ ما سيأتيك من ربك من جزاء فوق ما تتصوره ﴿لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٥﴾﴾.

١٣ ـ الجزاء فضل، وليس عدل ﴿لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٥﴾﴾.

١٤ ـ يجري الله تعالى النعم من أجل أن يرى شكرك ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَلِتَجْرِيَ ٱلْفُلْكُ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٤٦﴾﴾.

١٥ ـ جسدك نعمة، وعلمك نعمة، وجاهك ومسؤوليتك ووظيفتك ومالك نِعَمٌ؛ فما أرصدت لها من مظاهر الشكر والعرفان ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَلِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٤٦﴾﴾.

١٦ ـ ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱنتَقَمْنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ ۖ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾﴾ تكفي لإزاحة همومك وغمومك!

١٧ ـ ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱنتَقَمْنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ ۖ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾﴾ هذه سنة الله تعالى في الكون؛ فَلِمَ تبقَ في عرض الطريق يائساً حزيناً؟!

١٨ ـ ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱنتَقَمْنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ ۖ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾﴾ حتى لو وقف العالم كلُّه ضدَّ الإسلام؛ فلن تتأخَّر سنة الله تعالى، ولن يتخلَّف وعده للعالمين.

١٩ ـ إلى كل المرهقين والمجهدين والمتعبين! هذه رسالة أمل وفأل في أشد لحظات الظلام ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱنتَقَمْنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ ۖ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾﴾.

٢٠ ـ ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ ۖ فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِۦ لَمُبْلِسِينَ ﴿٤٩﴾ فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾﴾ كم مرة نرى هذا الحدث، ونرقب لحظاته، ونغفل عن الغاية الكبرى التي يريدها الله تعالى منه!

٢١ ـ هل تخيلت قدرة الله تعالى في ليلة سحاب وبرق ورعد وغيث ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ ۖ فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِۦ لَمُبْلِسِينَ ﴿٤٩﴾ فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾ ﴾.

٢٢ ـ إذا رأيت الحياة التي أصابت الأرض بعد موتها فكذلك ستصبح القبور بعد السكون ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ ۖ فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِۦ لَمُبْلِسِينَ ﴿٤٩﴾ فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾ ﴾.

٢٣ ـ هل شعرت بالفرح لحظة الغيث! إذاً ماذا لو كانت لحظة الفرح بالجنان؟! ﴿ فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾.

٢٤ ـ تخيَّل فرحك لحظة الغيث، وتخيَّل فرحك لحظة رضا ربك عنك ﴿ فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾.

٢٥ ـ في مرَّاتٍ كثيرةٍ نكاد نعانق الفضاء بأفراحنا! فكيف لو كنا في ساحات الجنان؟! ﴿ فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾.

٢٦ ـ اخرج في لحظات الربيع لترى مشاهد الحياة التي يدبر الله تعالى شأنها من جديد ﴿ فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾ ﴾.

❀ ❀ ❀

وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَّظَلُّوا۟ مِنۢ بَعْدِهِۦ يَكْفُرُونَ
﴿٥١﴾ فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا۟
مُدْبِرِينَ ﴿٥٢﴾ وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِ ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ ۖ إِن تُسْمِعُ إِلَّا
مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴿٥٣﴾ ۞ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم
مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ
قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ ﴿٥٤﴾
وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا۟ غَيْرَ سَاعَةٍ ۚ
كَذَٰلِكَ كَانُوا۟ يُؤْفَكُونَ ﴿٥٥﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَٰنَ
لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ ۖ فَهَٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ
وَلَٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٥٦﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ
ظَلَمُوا۟ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٥٧﴾ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا
لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَلَئِن جِئْتَهُم بِـَٔايَةٍ
لَّيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ ﴿٥٨﴾ كَذَٰلِكَ
يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٩﴾ فَٱصْبِرْ إِنَّ
وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴿٦٠﴾

التفسير

- ﴿وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا﴾ مضرة متلفة لذلك الزرع ﴿فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا﴾ ساء وفسد بتلك الريح التي أرسلت عليه ﴿لَّظَلُّوا مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ من بعد فرحهم وسرورهم ﴿يَكْفُرُونَ ﴿٥١﴾﴾ يجحدون بنعم الله تعالى.

- ﴿فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ فكما أنك لا تقدر على إسماع الموتى ﴿وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ ﴿٥٢﴾﴾ فكذلك لا تسمع الصم ما تدعوهم إليه إذا ولوا عنك مدبرين.

- ﴿وَمَآ أَنتَ بِهَـٰدِ ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَـٰلَتِهِمْ﴾ وكذلك من أعماه الله تعالى وأضله عن الطريق لن تقدر على هدايته إلى الحق ﴿إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَـٰتِنَا﴾ إنما تقدر على إسماع المؤمن المصدق بآيات الله وحججه وبراهينه ﴿فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴿٥٣﴾﴾ خاضعون لله تعالى.

- ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ﴾ بداية من النطفة إلى الطفولة ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً﴾ حين تكامل شبابه وقوَّته ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً﴾ حين بلغ الكبر والهرم ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ﴾ من ضعف وقوة ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ﴾ بكل شيء ﴿ٱلْقَدِيرُ ﴿٥٤﴾﴾ على كل ما يشاء.

- ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ﴾ يوم القيامة ﴿يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ﴾ في الدنيا ﴿كَذَٰلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ ﴿٥٥﴾﴾ يُصرَفون عن الحقائق.

- ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَـٰنَ﴾ من أهل البصيرة والحق ﴿لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِى كِتَـٰبِ ٱللَّهِ﴾ في قضائه وقدره ﴿إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ﴾ يوم القيامة ﴿فَهَـٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ﴾

يوم القيامة الذي وعد الله تعالى ﴿وَلَٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۝٥٦﴾ هذه الحقائق التي أخبر الله تعالى عن حقيقتها ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَعْذِرَتُهُمْ﴾ لا يقبل الله تعالى منهم عُذراً يعتذرون به ﴿وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ۝٥٧﴾ لا ينفعهم استعتابهم واعتذارهم.

• ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ﴾ ينفعهم، ويستدلون به على مراد الله تعالى منهم ﴿وَلَئِن جِئْتَهُم بِـَٔايَةٍ﴾ حجَّةٍ بيِّنةٍ واضحة ﴿لَّيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ ۝٥٨﴾ على غير حق.

• ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ﴾ يختم ويَسُدُّ منافذ الهداية ﴿عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۝٥٩﴾ حقيقة ما يأتيهم من الله تعالى على لسان رسله.

• ﴿فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ﴾ لا شكَّ فيه ﴿وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ﴾ يستعجلنَّك ﴿ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ۝٦٠﴾ لا يُصدِّقون بالبعث.



التدبر

١ ـ بالأمس كاد الفرح يأخذ بشغاف قلوبهم عند الربيع، واليوم تاهت قلوبهم عن الغايات. ما أكفر الإنسان! ﴿وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَّظَلُّوا۟ مِنۢ بَعْدِهِۦ يَكْفُرُونَ ۝٥١﴾.

٢ ـ ماذا لو سألوا أنفسهم: لماذا صاروا إلى هذا الشأن؟! ﴿وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَّظَلُّوا۟ مِنۢ بَعْدِهِۦ يَكْفُرُونَ ۝٥١﴾.

٣ ـ لا تقلق، مَنْ سَـدَّ الله تعالى منافذ هدايته لن تبلغـه الدعوة، ولو بذلت كل ما تملك في سـبيل إقناعه ﴿ فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْاْ مُدْبِرِينَ ﴿٥٢﴾ وَمَآ أَنتَ بِهَـٰدِ ٱلْعُمْيِ عَن ضَلَـٰلَتِهِمْ ۖ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَـٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾.

٤ ـ لو كان فيهم خيراً لهدتهم هذه الجوارح إلى الحياة ﴿ فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْاْ مُدْبِرِينَ ﴿٥٢﴾ وَمَآ أَنتَ بِهَـٰدِ ٱلْعُمْيِ عَن ضَلَـٰلَتِهِمْ ۖ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَـٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾.

٥ ـ تذكَّر أن أصل رسالتك البلاغ، وليس الهداية ﴿ فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْاْ مُدْبِرِينَ ﴿٥٢﴾ وَمَآ أَنتَ بِهَـٰدِ ٱلْعُمْيِ عَن ضَلَـٰلَتِهِمْ ۖ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَـٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾.

٦ ـ إذا أردت أن تعرف حقيقة هذه الحياة؛ فتأمَّلْ رجلاً مسناً يدبُّ على الأرض بعد أن كان يصنع فيها الأحداث! ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ ﴿٥٤﴾ ﴾.

٧ ـ في مرَّاتٍ كثيرةٍ رأيته يدير شأن الحياة، ورأيته آخر عمره لا يستطيع أن يسقي نفسـه شـربة ماء ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ ﴿٥٤﴾ ﴾.

٨ ـ من فقه هذه المرحلة أن تدفع لها في أيام شـبابك بكلِّ شـيء ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ ﴿٥٤﴾ ﴾.

٩ ـ هل رأيت كبيراً لا يُبصر؟! وذا شيبة لا يستطيع الوقوف؟! ومسناً لا يتماسك على الأرض؟! كانوا مثلكم؛ فَرُدُّوا إلى أرذل العمر؛ فاستفيدوا من مدرسة الحياة ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ ﴿٥٤﴾﴾.

١٠ ـ أيام اللهو والعبث والفوضى ليست محسوبة من عمرك ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا۟ غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَٰلِكَ كَانُوا۟ يُؤْفَكُونَ ﴿٥٥﴾﴾.

١١ ـ هكذا هو اللهو لا قيمة له، لو كان له قيمة لعرفوا كم بقوا فيه! ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا۟ غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَٰلِكَ كَانُوا۟ يُؤْفَكُونَ ﴿٥٥﴾﴾.

١٢ ـ هل تاقت نفسك إلى اللَّهو؟! انظره عند أصحابه عند الفوات ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا۟ غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَٰلِكَ كَانُوا۟ يُؤْفَكُونَ ﴿٥٥﴾﴾.

١٣ ـ الذين ذاقوا مرارة الأيام يدركون حسابها الحقيقي ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَٰنَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ فَهَٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ وَلَٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٥٦﴾﴾.

١٤ ـ اِلحَقْ نفسك إن كان ثمة عُذرٌ! ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٥٧﴾﴾.

١٥ ـ ما قتل كثيرين كما قتلهم طول الأمل! ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٥٧﴾﴾.

١٦ ـ كل الذين رحلوا سيقولون يوماً: كُنَّا نعتقد أن الأيام ستطول! ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٥٧﴾﴾.

١٧ ـ لم يُبْقِ القرآن حجَّةً للمعرضين ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍۚ وَلَئِن جِئْتَهُم بِـَٔايَةٍ لَّيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ ﴿٥٨﴾ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٩﴾﴾.

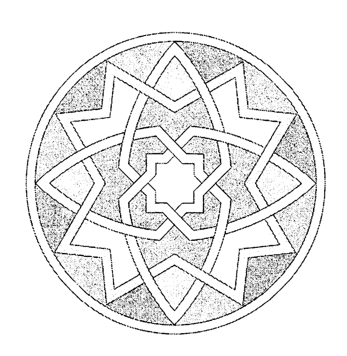
١٨ ـ مهما ضَجَّ واقعك! لا تتخلَّ عن وصية الله تعالى للمؤمنين ﴿فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّۖ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴿٦٠﴾﴾.

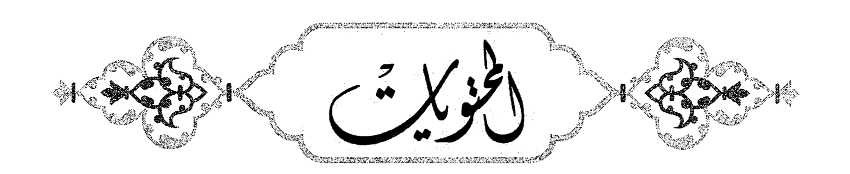
١٩ ـ ليس في الإسلام وعدٌ بنصرٍ آنيّ، الآخرة أكبر من الحلول العاجلة ﴿فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّۖ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴿٦٠﴾﴾.

٢٠ ـ ما عندكم حلٌّ إلا الصبر! إنها وصية الله تعالى للمؤمنين! ﴿فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّۖ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴿٦٠﴾﴾.

٢١ ـ العجلة من استخفاف الذين لا يوقنون ﴿وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾.






المحتويات